عصيدة الشهدة شرح قصيدة البرده للخربوتى

وبهامشها شرح شيخ زاده

اما بعد الحمد على آلائه * والصلاة على سيد انبيائه * وعلى آله وخلفائه فان قصيدة البردة الموسومة بالكواكب الدرية فى مدح خير البرية للشيخ شرف الدين ابى عبدالله محمد بن سعيد الدولاصى ثم البوصيرى المتوفى سنة اربع وتسعين وستمائة قصيدة كثيرة البركات لايزال الناس يتبركون بها فى اقطار الارض وشروحها كثيرة جدا لكن شرح الجهبذ اللوذعى والاديب الالمعى عمر ابن احمد الخربوتى اكرمه الله تعالى بلطفه السرمدى قد حوى اكثرها فكان اتمها فائدة واحسنها فتلقتها ايدى العلماء بالقبول وشرح الشيخ محى الدين محمد بن مصطفى المعروف بشيخ زاده شرح وجيز مقبول فبادرت الى طبع شرح الخربوتى مزينا هوامشه بشرح شيخ زاده موافقا ابياته للابيات المندمجة فى ذاك الشرح فكانت نخبة نفيسة مطبوعة

قد بذلنا الجهد فى تصحيح هذه النسخة الشريفة المشتملة على شرحى البردة المنسق بين الى الامام الالمعى والهمام اللوذعى محى الدين محمد بن مصطفى المعروف بشيخ زاده محمد والفاضل الكامل عمر بن احمد الخربوتى

طابع وناشرى

قريمى يوسف ضيا

مطبعهٔ احمد كامل — سلطان بايزيدده چادرجيلر قپوسى

(شرح قصيدة البرده)

(لشيخ زاده)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحتجب عن درك العيون بكمال فردانيته * المتعزز عن لواحق الظنون بجلال وحدانيته * المتقدس ذاته الاحدية عن الاكفاء والامثال * المتعزز صفاته الازلية الابدية عن الفناء والزوال فسبحانه من قديم لم يزل وباق لا يزال * وياله من كريم متعال * عن الاشباه والاضداد والاشكال * هو الذى يتلى آيات كبريائه من اوراق الاطباق * وتجلى شواهد صفاته واسمائه من الانفس والآفاق * اخترع المكونات بقدرته القاهرة وابدع نظام الموجودات بحكمته الباهرة * وآثر نوعا من الخلق لكمال العرفان * فخلق الانسان علمه البيان واصطفى منهم من شاء من اصفيائه * لتبليغ الرسالة وانباء زواهر انبائه * وطهر عن ادناس نفوس الناس اسرارهم * واجل تجليات الجمال عن موافقة الرسوم اقدارهم * واوقفهم لحفظ السالكين على مراصد السبل * لئلا يكون للناس على الله حجة بعد

شرح قصيدة البردة للفاضل عمر ابن احمد الخربوتى رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ملأ قلوب الشاعرين بحكمته * وزين نفوس العاشقين بوصلته * والصلاة على سيدنا محمد الذى مدحه الواصفون بالقصائد والاشعار * وعجزوا عن بيانه واعترفوا بالاقرار * وعلى آله الذين هم اهل الهدى والاقتداء * واصحابه الذين من اقتدى بهم اهتدى (وبعد) فيقول العبد العليل * والفقير الكليل * عمر بن احمد الخربوتى * اكرمهما الله تعالى فى الاولى والآتى * لما بدأت بقراءة القصيدة البردة المباركة فى سنة احدى واربعين بعد المائتين والالف من الهجرة على مولانا العلامة * واولانا الفهامة * ذى القلب السديد والرأى الشديد * العاشق لجمال رسول الله * الصادق فى حب نبى الله استاذنا محمد بن عبدالله القيصرى * سمى نبى الله الملك القوى * جعله الله تعالى لنا آية تامة ورحمة عامة * ونفعنا بظل وجوده ورفعنا بأيادى جوده * ووجدت تقريراته بهذه القصيدة الرائقة منظومة كنظم اللآلى الفائقة اردت ان اجمعها بلا نقصان مع ازدياد منى من القواعد والبيان * مع عجزى وعدم استطاعتى فى هذا الميدان * بل وجب ان يقال لمثلى فى هذا الشان تنكب لا يقطرك الزحام * ولكن تشبثت باذيال همم علماء هذا العام * لانهم كالاعلام بين الانام ومعينوا الاسلام * مستعينا من الملك اللطيف الجميل وهو المعين فى كل امر جليل * فجاء بحمد الله تعالى كتابا مطلوبا وشرحا مرغوبا * وسميته بعصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة * فشرعت بعون الله تعالى الملك العظيم ولطف ربنا الرحيم الكريم * فقلت يجب اولا نقل بعض احوال

الرسل * والصلاة على حبيبه الذى خصه من بينهم لصنوف العنايات * ورقاه الى اعلى مدارج المعارج واقصى الغايات * محمد المتوج بتاج

الكرامة الشفيع المشفع فى يوم القيامة * المشرف بتشريف لولاك * المكرم * بتكريم وما ارسلناك * المنوه لاهل النعيم * المخصوص بفضل انك لعلى خلق عظيم * المطلع على رموز حقائق اللاهوت * المجرد عن خسائس لواحق الناسوت * المتوجه لسمو نهمته الى الله * المعرض لعلو همته عما سواه * التارك طلب المرام بلعل وليت * المتمكن فى مقام الوحدة المشار اليها بما رميت اذ رميت * وعلى آله الابرار * وصحبه الاخيار * الذين اقاموا للحق حججه * واناروا للشرع محجته * وبينوا من البرهان سبيله * واوضحوا من الايمان دليله * ومهدوا بنيان قواعد العقائد الدينية وشيدوا اركان عوارف المعارف اليقينية

(وبعد) فمما لا يخفى على الذين طاب وقتهم بطيب الحبيب وسر سرهم بجراحات القلب الكئيب فشموا رائحة المحبة من رياض العشاق وذاقوا صافية المودة من حياض الاشواق وشربوا حميا المحيا باقداح احداق بصائرهم فكشفت الستائر بايدى النشوة عما اودع من الاسرار فى سرائرهم الذين فتح الله على قلوبهم ابواب المعارف وكشف بعيون ضمائرهم عن وجوه خرائد اللطائف وانزل عليهم رغائب نعمته واسبل عليهم سحائب رحمته وافاض عليهم امواج كرمه وساق اليهم افواج نعمه انه من حاول ان يبلغ من الفضائل قاصيتها ويملك من الشمائل ناصيتها ورام الارتقاء فى مراقى المناقب السنية واراد الاعتلاء على ذوى المناصب العلية فعليه باتباع من خلق على خلق عظيم وبعث هاديا الى

الناظم وسبب تأليف هذه القصيدة المشتملة على مدائح النبى ابى القاسم عليه السلام وبيان الشرط المبينة فى قراءتها والوجوه المذكورة فى تسميتها وبيان بعض تأثيراتها المرغب الناس فى تعظيمها * اعلم ان الناظم الفاهم رحمه الله تعالى كان ساكنا بمصر واسمه «شرف الدين محمد البوصيرى» نسبة الى بوصير قرية من قرى مصر وكان قدس الله سره عالما بالعلوم العربية فصيحا فى غاية الفصاحة وبليغا فى نهاية البلاغة بل لا يوجد له مثل ولا نظير فى الفصاحة والبلاغة فى الجم الغفير * وكان قدس سره فى بداية عمره من مقربى السلاطين وكان مقبولا عندهم ومرغوبا فيما بينهم وكان يصفهم بالابيات والاشعار الفصيحة ويهجر اعداءهم بالاوصاف الفظيعة * وكان قد جاء يوما من عند احد السلاطين الى بيته فدخل السكة فصادف شيخا مليحا فقال الشيخ له ءانت رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الليلة فى المنام قال البوصيرى انى لم ار النبى فى تلك الليلة لكن امتلأ قلبى من ذلك الكلام بعشقه ومحبته عليه الصلاة والسلام فجئت الى بيتى فنمت فاذا انا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاصحاب كالشمس بين النجوم فانتبهت وقد ملئ قلبى بالمحبة والسرور ولم يفارق بعد ذلك من قلبى محبة ذلك النور وانشدت فى مدحه قصائد كثيرة كالمضرية والهمزية * ثم قال الامام اصابنى خلط فالج فابطل نصفى وقطعنى عن الحركة ففكرت ان اعمل قصيدة مشتملة على مدائح النبى صلى الله عليه وسلم واستشفى بها من الله تعالى فانشدت هذه القصيدة ونمت فرأيت النبى عليه الصلاة والسلام فى المنام فقرأت عليه عليه السلام هذه القصيدة على التمام فمسح بيده الكريمة على اعضاء الحقيرة فقمت من المنام ملابسا بالعافية من الآلام فخرجت من بيتى غدوة فلقينى الشيخ ابو الرجاء الصديق لى فقال لى يا سيدى هات قصيدتك التى مدحت بها النبى عليه الصلاة والسلام والحال انى لم اكن اعلمت بها احدا من الناس فقلت اى قصيدة تريد فانى مدحته عليه الصلاة والسلام بقصائد كثيرة فقال هى التى اولها

(أمن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)

فقلت من اين حفظتها يا ابا الرجاء وما قرأتها على احد ممن الى جاء قال لقد سمعتها البارحة تنشد ها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل ويتحرك استحسانا تحرك الاغصان المثمرة بهبوب نسيم الرياح فاعطيته اياها فانتشر

الطريق المستقيم وارسل مستجمعا لصنوف شمائل الجود والكرم ومستظهرا لفنون جلائل وعلمك مالم تكن تعلم اعنى سيد الاولين والآخرين محمدا الذى كان نبيا وآدم بين الما والطين بدا مجده من قبل نشأة آدم واسماؤه من قبل فى العرش يكتب بمبعثه كل النبيين بشروا فلا مرسل الالاحمد يخطب ولعمرى من ادعى محبة الحضرة الاحدية ثم عطا بسائر العزم اتباع السجية المحمدية اصادف لصفاء طويته مرتبة محبوبية الاله كما قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ومما احاط بعلمه الآراء الزاهرة وتشرف بدركه النفوس الطاهرة ان اتباع النبى صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثاره والتخلق باخلاقه والاستيضاء بانواره انما يتيسر بعد تبين ديادنه وتكشف اسراره وادراك سجاياه ومعرفة اخباره فطوبى لمن جعل مسارح الافكار مفاخر صفاته ومطارح الانظار مآثر سماته وبعد ملاحظة ماجاء فى الكتب الآلهية من جميل الشيم النبوية تتبع تراكيب البلغاء وتصفح اساليب الفصحاء الذين وشحوا عزيز مقالاتهم ورشحوا درر دلالاتهم بشرح شمائل الرسول المثبت بالعصمة وذكر فضائل الحبيب المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبى الامى المكتوب فى التوراة والانجيل والذين نشروا فى اثناء نشرهم النشرة بث مناقبه الفاخرة وادرجوا فى ادراج شعرهم الشعرى بكشف مراتبه فى الدنيا والآخرة ثم اختار من المدائح والاشعار ماشاهد فيه اثر قبول النبى المختار وطيران صيته فى الآفاق والاقطار وسيران ذكره الى اقاصى البلدان والامصار الاوهى القصيدة المشهورة بالبردة التى نظمها نظام عقود جواهر المعانى مرشح نفائس الحكم

الخبر بين الناس * ثم اعلم انه يلزم فى قراءتها على الوجه المرضى شروط لتكون مؤثرة فيما قرئت له اولها التوضؤ وثانيها استقبال القبلة وثالثها الدقة فى تصحيح الفاظها واعرابها ورابعها كون القارئ عالما بمعانيها لان الدعوات لو لم يكن القارئ عالما بمعانيها لايكون فيها تأثير كما اشار اليه على القارى فى مقدمة حزبه الاعظم بقوله فعليك بحفظ مبانيه والتأمل فى معانيه وخامسها قراءتها بالنظم لانها اوردت منظومة لامنثورة وسادسها حفظها وسابعها ان يكون القارئ مأذونا بقراءتها من اهلها وثامنها قراءتها مع التصلية على النبى عليه السلام لكن يلزم ان تكون التصلية بالصلاة التى صلى بها الامام البوصيرى وهى

مولاى صل وسلم دائما ابدا * على حبيبك خير الخلق كلهم

لابغيرها والافلا تكون مؤثرة كما روى ان الامام الغزنوى كان يقرأ هذا القصيدة فى كل ليلة ليرى النبى عليه الصلاة والسلام فى منامه ولم توفق له الرؤيا فشكا ذلك الى شيخ كامل وسأل عن سره فقال الشيخ لعلك لاتراعى شرائطها فقال لابل اراعيها فراقب الشيخ فقال بعدها وقفت على سره وهو انك لاتصلى بالصلاة التى صلى بها الامام البوصيرى اذ هو يصلى عليه عليه السلام بقوله

مولاى صلى وسلم دائما ابدا * على حبيبك خير الخلق كلهم

وسر تصليته بهذه الصلاة دون غيرها انه لما انشدها قرأها عليه عليه السلام ولما جاء الى قوله * فمبلغ العلم فيه انه بشر * وقف الامام فيه فقال عليه السلام اقرأ فقال الامام انى لم اوفق للمصراع الثانى لهذا البيت يارسول الله فقال عليه السلام قل ياامام * وانه خير خلق الله كلهم * فادرج الامام هذا المصراع الذى قرأه عليه السلام فى صلاته وكرره فى آخر كل بيت لشدة حرصه وكمال محبته للنبى عليه الصلاة والسلام كذا ذكر فى شرح هذه القصيدة المسمى بالشفاء وتاسعها الصلاة بتلك الصلاة فى تمام كل بيت * ثم انهم بينوا تأثيراتها قال الشارح الشهير بشيخ زاده وحكاية ماشوهد من آثار بركاتها فى الكتب مشهورة عند جماهير الانام فاغنانى عن الاكثار فى وصفها واطالة الكلام * وحكى كثير من الشارحين انه لما كان فى عينى سعد الفاروقى رمد عظيم

الحاكية عن العرائس العوانى بحلى العبارات الانيقة وحلل الاستعارات الرشيقة سمى النبى محمد البوصرى قدس سره فى نعت الرسول وانتشر ذكر قبوله عليه السلام اياها انتشار آثار الصبا والقبول كما يحكى ان ناظمه الباذل نفسه مابين معترك الاحداق والمهج قدعرض له عارضة الفلج وفى هذه الحالة طلب نظمها فلج وما كان عنده فى تلك الايام احد يوانسه من الانام وكان فى مغارة منقطعا عن الخلائق متجانبا عن الديار فاخذ يمدح ثانى اثنين اذهما فى الغار فلما تمت هذه ﴿ ٥ ﴾ القصدة التى لاتنقضى عجائبها على مر الايام ولا يخلق غرائبها على كر الشهور والاعوام ولا يطرأ على غصنها الطرى وصمة الذبول ولا يعرض لبدرها المضئ ونورها البهى آفة الافول بادر على السجود للاله متضرعا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا بدمع منسجم وقلب اواه يا اكرم الخلق مالى من الوذبه سواك عند نزول الحادث العمم ولن يضيق رسول الله جاهك بى اذ الكريم تحلى باسم منتقم فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم وقرأ هذه القصيدة عن آخرها طامعا من بحار عطاياه ركوب لججها ثم سلط رب العباد على عينه اليقظى هجوم الرقاد فرأى بفيضان فضل الجناب المطلق الحبيب القائل بمقالة من رآنى فقد رأى الحق ماسحا راحته عليه الصلاة والسلام بالتلطف على اعضائه معطيا له راحة جراحة فى حوبائه فتنبه رحمه الله سليم الاطراف من الم دائه وتوجه بطول الامل لعرضها الى الحضرة المقدسة النبوية على مشرقها الصلاة والتحية فاذا هو بالشيخ ابى الرجاء الموسوم بالصديق المشهود له بالقطبية على التحقيق الذى كان منقطعا الى الله تعالى عن اهل الطبيعة سقاها الله كالروضة الغناء بالعاليل الصيبة يقول الناظم خصه الله تعالى بمشاهدة اللقاء قال الشيخ يا محمد هات قصيدتك الغراء التى اعجزت فصاحتها مصانع الخطباء اوخرست بلاغتها شقاشق العرب العرباء عزيزة عدنان يستضيؤن بساطع تبيانها ومدارة قحطان

حتى اشرف على العمى رأى النبى عليه السلام يقول امض فلان وخذ منه القصيدة البردة واجعلها على عينيك فجاء اليه فاخذ القصيدة ووضعها على عينيه وقرأها فشفاه الله بها * وقال فى شرح معتمد من قرأ هذه القصيدة فى كل ليلة جمعة بين المغرب والعشاء مع مراعات شروطها يموت على الايمان والاسلام * ثم انهم اختلفوا فى اسمها فقال بعضهم اسمها «برءة» بضم الباء مع الهمزة لانه لما كان الامام قد برئ من مرضه بهذه القصيدة سميت برءة من قبيل تسمية السبب باسم المسبب * وقال بعضهم اسمها «بردة» بضم الباء وفتح الدال وانما سمى بها لانها فى المعنى كسوة شريفة قرضت على قد النبى عليه الصلاة والسلام حيث ذكر فيها مدائحه عليه السلام فسميت الصفات باسم الكسوة لان الصفات تمامها استوعبت بدنه عليه السلام مثل الكسوة * وقيل اسمها «بردية» بياء النسبة لان الامام البوصيرى قرأها حين الاتمام على النبى عليه السلام فالبسه عليه السلام بردته الشريفة فشفى بها فسميت بردية * واما مااشتهر بين الناس من تسميتها «بالقصيدة البريدة» فغلط صريح * ثم قال الناظم الفاهم اقتداء بالكتاب الكريم وامتثالا لحديث النبى الفخيم وجريا على سنن السلف القديم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بحث البسملة مشهور بين ارباب الافادة والاستفادة فلا حاجة لنا الى الاعادة لكن يرد ان ترك الناظم الفاهم الحمدلة والتصلية مع ورود الآثار فى حقهما لايخلو عن سوء ادب ونجيب عنه بانه لانسلم انه تركهما كيف وقد سمع من بعض العرب ان الناظم الفاهم ذكرهما فى بيت مستقل وهو قوله

الحمد لله منشى الخلق من عدم * ثم الصلاة على المختار فى القدم

ولو سلم عدم ورود هذا البيت منه قدس سره فلم لا يجوز ان تكون الهمزة

تستسلمون لقاطع برهانها قلت اى قصيدة تريد ياقطب قاطبة الامم قال التى استهلالها « امن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم » قلت من اين حفظت ياابا الرجاء وما قرأتها على احد ممن الى جاء قال رأيت البارحة جناب حضرة الرسالة مع جمع غفير فى غاية العظمة والجلالة اذا جئت متضرعا اليه لعرض قصيدتك هذه عليه فلاقاك بالفرح والسرور مظهر لدى الحضار من مديحك الحبور واجازك فكنت تقرأ وهو يبدى الارتياح ويتحرك استحسانا تحرك الاغصان المثمرة من هبوب نسمات الرياح ولما آل الامر الى تمامها افتتحت بقراءة المطلع بعد اختتامها فلتكرر قراءة المطلع وعينه وجميع الامر كان كما رأيته ثم قصة وصول البردة من الحضرة للصلة مشهورة وحكاية ماشوهد من آثار بركاتها فى الكتب مسطورة واشتهار شانها العجيب عند جماهير الانام اغنانى من الاكثار فى وصفها واطالة الكلام ومع مالها مع مناقب يعجز القلم عن تسطيرها ومزايا يعيى الالسن عن تقريرها مااتفق لها شرح كاشف لمشكلاتها موضح لمعضلاتها كافل لتوضيح مااستبهم من خفاياه شامل لتبيين مااستعجم من جناياه بتفسير يكشف عن اسرارها وتقرير يكفل برفع استارها ورأيت النفوس الطاهرة راغبة فى استعلام فوائدها وصادفت الآراء الزاهرة مائلة الى استفهام عوائدها ورأيتها اعز مارغب فيه ويعرج عليه واهم ماناخ مدايا الطلب لديه فبعد طلب جماعة من اخلاء الاكياس وثبة من ثبات حذاق الناس شرعت فى شرح لها يتضمن بسط موجزها وحل ملغزها ويفصل مجملها ويبين معضلها وبذلت مجهودى فى تصحيح الفاظها وتنقيح معانيها فجاء بحمد الله حريا بان يكتب ظاهره بالذهب على الواح الياقوت ويرسم باطنه بالنور على خدود اهل الملكوت والحمد لله افتتاحا واختتاما والصلاة على رسوله مااتسقت عقود الشهب انتظاما مقدمة الافتتاح لبداية راحة الارواح * اعلم ان الناظم نظمه الله تعالى فى سلك البررة الكرام افتتح قبل الخوض فى تيار بحار المرام وهو الغوص على جواهر نعوت النبى صلى الله عليه وسلم بمخاطبة نفسه اى ذاته على سبيل التجريد مستفهما عن سبب بكائه الشديد وسائلا عن موجب مزج دموعه بالدم السائل فقال لله در القائل ﴿ امن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم ﴾

فى (امن تذكر) الخ اشارة الى لفظة الجلالة ويشعر بالحمدلة كما هو المشهور بين ارباب التصوف ولو سلم عدم جوازه فلا نسلم انه ورد فى حقهما اعنى فى كتابتهما حديث بل الحديث الوارد فى حقهما يدل على الذكر اللسانى والناظم الفاهم وان لم يكتبهما لكن تلفظ بهما ولو سلم فلا نسلم انه سوء ادب كيف وتركهما لهضم النفس كما وقع مثله من كبار العلماء * ثم اعلم ان الناظم الفاهم جعل قصيدته مرتبة على عشرة فصول وذكر فى الفصل الاول شدة حبه وهوى قلبه فقال مخاطبا نفسه اى ذاته على سبيل التجريد مستفهما عن بكائه الشديد وسائلا عن موجب مزج دموعه بالدم السائل فلله در القائل

﴿ اَمِن تَذَكُّرِ جيرانٍ بذى سَلَمٍ * مَزَجْتَ دَمعاً جرى من مُقلةٍ بِدَمِ ﴾

الهمزة للاستفهام و(من) متعلقة بمزجت وانما قدم للحصر او للضرورة اولكونه علة لمزج الدمع بالدم فقدم وضعا ليوافق الوضع الطبع واما تقدير الهمزة فلما تقرر من ان الاستفهام انما يدخل على المسئول عنه والمسئول عنه هنا ليس مزج الدمع الدم بل سبب المزج وهو تذكر الجيران ولانها تقتضى الصدارة كما لا يخفى واا (تذكر) مصدر تذكر فهو اما من الذكر بكسر الذال واما من الذكر بضمها والفرق بينهما ان الاول يستعمل فى الذكر اللسانى والثانى يستعمل فى الذكر القلبى كذا بينه الخيالى فى بحث العلم والتذكر مضاف الى مفعوله وفاعله محذوف وهو كاف الخطاب اى أمن تذكرك بقرينة مزجت والخطاب لنفسه ففيه تجريد بديعى حيث جرد من نفسه شخصا آخر فخاطبه وانما احتاج الى التجريد ولم يخاطب

صاحبه لعدم وجدانه محباصادقا فى الدنيا وفيه التفات اذمقتضى الظاهر ان يقول تذكرى بياء المتكلم فتركه وعدل الى صيغة الخطاب ففيه التفات على مذهب السكاكى وهو ظاهر اذهو لم يشترط سبق التعبير بمقتضى الظاهر سواءسبق اولا بخلاف الجمهور حيث اشترطوا سبق التعبير بماهو مقتضى الظاهر بل يجوز ان تحقق الالتفات على مذهبهم ايضا حيث سبق التعبير فى البسملة بالتكلم * فان قلت انما تحقق مذهب الجمهور اذا كانت البسملة جزأمن الكتاب وفيه شبهة * قلت كونها جزأ من الكتاب ههنا محقق لدلالة القرينة عليه وهى كون الناظم الفاهم شافعى المذهب على ماقاله اكثر الشارحين وعندهم البسملة جزء من الكتاب كمالايخفى على اولى الالباب * فان قلت فمانكتة الالتفات هنا * قلت قال العصام فى اطوله نكتة الالتفات ثلاث من جهة المتكلم ومن جهة الكلام ومن جهة المخاطب فاماالنكتة ههنامن جهة المتكلم فالاشارة الى انه قادر على ان يأتى بالكلام على اساليب مختلفة واما من جهة الكلام فهو تزيين الكلام لورود ان تغير الاسلوب تنشط به القلوب واما من جهة المخاطب فهواخراج الكلام من البيان الى العيان اذالخطاب عيان والتكلم بيان (والجيران) جمع جار كالنيران جمع نار والجار من قرب داره الى داره والمراد بالجيران ههنا المحبوب على طريق المجاز والاستعارة بان شبه المحبوب بالجار الحقيقى فى كثرة الاختلاط معه والالتفات اليه فكذلك الناظم صنع بمحبوبه وادعى ان المحبوب من جنس الجار ثم استعير الجار للمحبوب وذكر الجيران واريد به المحبوب فعلى هذا يكون جمع الجيران للتعظيم كما فى قوله تعالى (فنعم الماهدون) وتنوينه للتفخيم كما فى قوله تعالى (فيه آيات بينات) والباء فى (بذى سلم) بمعنى فى والظرف مستقر صفة لجيران اى جيران كائنين فى مكان ذى سلم وسلم بفتح اللام اسم شجر وبكسرها اسم جنس للسلمة كما فى كلم وكلمة وهى ايضا اسم شجرة فى الوادى بين مكة والمدينة فالمراد ههنا هذه الشجرة لان مراده من الجيران محبوبه اعنى النبى عليه الصلاة والسلام وهذه الشجرة لها مناسبة بالنبى عليه الصلاة والسلام لانه عليه السلام كان كلما ذهب الى مكة وسلك ينزل تحت هذه الشجرة ويستريح فيه فالمعنى امن تذكر المحبوب الكائن والملابس فى مروره بمكان ذى شجرة معهود * وقيل المراد من السلم دار السلام من الجنان فيكون فيه استعارة بان شبه روضة النبى عليه السلام بالجنة المسماة بدار السلام فى كونهما شريفتين وكونهما خير مكان وادعى ان الروضة من جنس دار السلام ثم استعير دار السلام للروضة

اى ماسبب اختلاط دمعك الجارى من مقلتك بالدم أهو من تذكر جيرانك المقيمين بذى السلم ايها المبتلى ببلاء الفراق والمحترق بنيران لواعج الاشواق مابال دمعك المهراق ممزوجا بدم حوبائك كان سببه تذكر جيرانك واحبابك ثم من امتطى غارب الاغتراب وفارق اللذة والاتراب ثم تذكر وصل الاحباء والجيران وتفكر فى ايام موانسة الاصدقاء والخلان كيف لايجرى دمعه ممزوجا بالدم وكيف لا يحترق قلبه بنار الحسرة والالم يامن عبراتك على وجناتك يحول كانك فى مذاكرة ايام وصلهم تقول سقى الله اياما سعدنا بقربكم وثغر المنى فى روضة الانس ضاحك نعمنا زمانا والعيون قريرة واصبحت دهرا والجفون سواقك امامايتعلق بالتركيب فبيانه ان الذكر بالضم مايكون بالقلب وبالكسر باللسان والتذكر يكون بعد النسيان من اينهما اعتبرته واصل جيران جوران لانه جمع جار اصله جور واضافة التذكر اليه اضافة المصدر الى مفعوله والسلم بفتح اللام نوع من الشجر وروى بالكسر وهو السماع وبذى سلم صفة جيران اى كائنين بمكان ذى سلم ومن الاولى متعلق بمزجت كالباء فى بدم قدمه تنبيها على ان الشك ليس فى نفس المزج اذهو ثابت مشاهدة

فذكر اللفظ الدال على دار السلام واريد منه الروضة المباركة وقيل المراد من السلم معنى السلامة من الآثام لان قوله (ذي سلم) صفة موصوف محذوف اى مكان ذى سلامة والمراد من المكان اعلى عليين فعلى هذا يكون المراد من الجيران ارواح الانبياء والاولياء والصالحين والمراد بجوار يتهم جوار يتهم فى عالم الارواح قبل حلولها فى الابدان كما فى قول النبى عليه السلام (الارواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف) ﴿فحاصل المعنى﴾ أمن تذكرك الجيران وعالم الارواح الكائنين فى محل ذى سلامة لان محل الارواح اعلى عليين قبل حلولها فى البدن واعلى عليين محل ذو سلامة من الآثام والآلام * قال العصام ان كلمة ذى ان كانت صفة لنكرة فهى تضاف الى نكرة وان كانت بالعكس فهو بالعكس والفرق بين ذى وصاحب ان فى ذى يكون المضاف اشرف من المضاف اليه كما فى قوله تعالى (ذو العرش المجيد) وفى صاحب يكون بالعكس كقولهم لابى هريرة رضى الله تعالى عنه صاحب النبى عليه السلام دون ذى النبى (مزجت) بصيغة المخاطب خطاب للشخص الذى جرده من نفسه عبر بصيغة الماضى اشارة الى تحقق وقوعه والمزاج الخلط واكثر العلماء لم يفرق بينهما لكن فرق بعضهم بان المزج انما يقال لما كان بعد الاختلاط حقيقة واحدة كالحلو المطبوخ من العسل والدهن والدقيق والخلط اعم سواء كان بعد الاختلاط حقيقة واحدة كما فى المزج او حقائق مختلفة كخلط الدراهم بالدنانير فبينهما عموم وخصوص مطلق فكل مزج خلط بدون العكس فاختيار الناظم المزج على الخلط للمبالغة كما لا يخفى (والدمع) ماء مالح يجرى من العين عند الحزن وفرقوا بين بكاء الحزن وبكاء السرور بان الماء السائل من العين فى السرور بارد وفى الحزن حار والدمع اسم جنس كتمر وتمرة ولم يقل دمعة اما للاشارة الى ان الجارى من عينيه ليس واحدا بل هو كثير واما للنظم (وجرى) من الجرى والجريان وهو السيلان والجملة صفة دمع لكنه وصف وقوعى لا احترازى كما فى قوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) (ومن مقلة) متعلق بجرى والمقلة هى البياض والسواد اللذان فى داخل العين كما قال الشاعر

اذا مامقلتى رمدت فكحلى * تراب من نعال ابى تراب
هو البكاء فى المحراب ليلا * هو الضحاك فى يوم الضراب

وبدم متعلق بمزجت والتنوينات فى دمع وفى مقلة وفى دم عوض عن المضاف اليه وهو كاف الخطاب ثم ان مزج الدمع بالدم اما حقيقة كما يشعر به قوله الآتى « وانبت الوجد خطى عبرة وضنى »

بل فى سببه ومن الثانية متعلقة بجرى وهو صفة دمعا والتنوين فى جيران ومقلة ودم عوض عن المضاف اليه وهو كاف الخطاب المراد به الناظم نفسه على ماسبقت الاشارة اليه فكأنه يقول يامن جفونه توالى فوق خديه ماؤها ونفسه تناهى بين جنبيه دواؤها فصار جسمه غريقا فى بحار الدموع وقلبه حريقا فى اوار نار الضلوع اهذا البكاء من تذكر الجيران والاصحاب ام من هبوب

واما كناية عن لازمه وهو شده الحزن والالم * ثم اعلم ان الشخص المجرد من نفسه كأنه لما استرعشقه وانكر محبته عملا بما فى كتب التصوف من ان العشق فى القلب كلما ازداد زاد طيبه لانه كالمسك كلما كان مستورا كان منشورا اثبته الناظم الفاهم فى مقابلة الشخص المجرد من نفسه بقوله مزجت الخ بترتيب قياس استثنائى ترتيبه هكذا سلطان المحبة فى مدينة قلبك والا اى وان لم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لما مزجت الدمع بالدم لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك ولما منع من جهة الشخص المجرد من نفسه ملازمة هذا القياس اثبته بقوله أمن تذكر مع ماعطف عليه لانه علة له كما سبق وما عطف عليه قوله

﴿ اَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ * وَاَوْمَضَ الْبَرْقُ فِى الظَّلْمَاءِ مِنْ اِضَمِ ﴾

فترتيب قياسه هكذا مزجك الدمع بالدم من آثار المحبة لان مزجك الدمع بالدم اما من تذكر الجيران واما من هبوب الريح من تلقاء كاظمة واما من ايماض البرق فى الليلة الظلماء من اضم وتذكر الجيران دال على آثار المحبة وهبوب الريح من تلقاء كاظمة دال على آثار المحبة وايماض البرق دال على آثار المحبة ينتج ان مزجك الدمع بالدم دال على آثار المحبة ثم ان كلمة (ام) متصلة اومنقطعة واكثر الشارحين رجحوا الاولى لان ام المنقطعة هى الواقعة بين جملتين كل منهما مستقل بفائدة مستغن عن الآخر وههنا ليس كذلك لان هذا البيت بمصراعيه والبيت الاول كلام واحد علة لكون مزج الدمع بالدم من آثار المحبة كما عرفت وليس كل واحد منهما مستغنيا عن الآخر واما ام المتصلة فهى التى ما قبلها وما بعدها لا يستغنى احدهما عن الآخر وهنا كذلك ومن اختار المنقطعة قال ان هذا البيت منقطع عما قبله كأنه قيل أمن تذكر جيران مزجت لابل من هبوب الريح وهى واحدة الرياح يذكر ويؤنث و(الريح) من الروح وهو بمعنى الذهاب سمى الريح بها لكونه رائحا اتحادا ثماو(من تلقاء) متعلق بهبت و(تلقاء) بمعنى الجانب والجهة كما فى قوله تعالى (تلقاء مدين) و(كاظمة) اسم من اسماء المدينة نورها الله تعالى الى يوم القيامة وهى اسم فاعل من الكظم وهو تسكين الغضب كما فى قوله تعالى (والكاظمين الغيظ) فاسناد الكاظمة الى المدينة مجازى مثل جرى

الريح وومض البرق من تلقاء منزل الاحباب كما قال عليه رضوان الملك الوهاب ﴿ ام هبت الريح من تلقاء كاظمة * واومض البرق فى الظلماء من اضم ﴾ كلمة ﴿٩﴾ ام متصلة هبت الريح هاجت ومن لابتداء الغاية والتلقاء الجهة والكاظمة اسم موضع واومض بمعنى لمع واضم بكسر الهمزة اسم جبل وواو العطف اما على حقيقتها فيكون الترديد بين الشئ والشيئين او بمعنى او فيكون الترديد بين ثلاثة اشياء على سبيل منع الخلو فان التذكر وهبوب الريح ولمعان البرق من جانب منازل المحبوب كل منها سبب داع للبكاء ومهيج للشوق وموجب للافراط فيه واعلم ان هذه المعانى التى سبق اليك بيانها بديع شأوها وعجيب شأنها ومستحسنة عند ذوى الطباع المستقيمة مقبولة لذى الاسماع السليمة اذا كان المراد من الخطاب هو الناظم نفسه تغمده الله بالغفران واسكنه فى اعلى بحابح الجنان واريد من الجيران جيرانه فى الدنيا ومن ذى السلم والكاظمة والاضم مساكن الاحباء واما اذا اريد توجيه الخطاب الى الروح الانسانى والنور الربانى الذى خلقه الله تعالى قبل الاجساد باربعة الاف سنة اوبالفى سنة كما نطق به الحديث والى تقدم خلقه اشار الله سبحانه وتعالى حيث قال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم يعنى قابلا لقبول الفيض الالهى ومستعدا لاستفادة الفضل الغير المتناهى بلا واسطة ثم رددناه اسفل سافلين اى الى القالب الذى هو ابعد المركبات عن الحضرة فهو ابعد الابعدين والروح اقرب الاقربين جمع الله بينهما ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور فبعزته بعد المقرب للابتداء وبمغفرته قرب المبعد للاصطفاء والاجتباء فحينئذ لابد فى تقرير معنى البيت ومايتلوه من الابيات من ايراد بعض المقاصد على طريق

المقدمات فاعلم ان كل روح من الارواح الانسانية قبل التعلق بالاجساد كان من المقربين فى حضرة رب العباد لازال الرب يسقيه بكأسات الشراب السلسبيلى شرابا طهورا ويملأ صدره بالمزاج الزنجبيلى لذة وسرورا على ايدى سواقى اسمائه وصفاته فى مجلس الحضرة الالهية وذاته طورا يسكره شراب تجليات الجمال وطورا يطربه حسن نغمات الست بربكم المتعال فمرة يصبح فى مشاهدة جمال الذات صائما واخرى يمسى بحق جواب كلمات الله قائما سالما عن الاتراح بذى سلم السلامة والافراح مزدحما فى جيرانه من الارواح مجتنيا ثمار روضة الوصال ناظرا الى نظارة رياحين الكمال ومتشمما شمائم ازهار الحقايق ومتنسما نسائم انوار الدقايق ومستطلعا طوالع شوارق الهداية ومستلمعا لوامع بوارق العناية ولما ورد الامر الالهى بالهبوط عن تلك الحضرة العلياء الى محل طوارق الآفة والبلاء ما كان يرضى بمفارقة المواطن المألوف وما كان تحمل مباعدة المسكن المشغوف وكان يقول لجيرانه احن وفارقتكم غير ليلة فكيف اذا سار المطى بنا شهرا نعم اذا كان الشخص فى وطنه مرفه الحال وفى منزله فارغ البال لا يميل الى المسافرة ولا يرضى بمقاسات الشدائد والمخاطرة سيما اذا كان ما اليه السفر فاسد الهوى غير عذب الماء الى غير ذلك من موجبات النفرة واسباب الدهشة ثم ان الروح الانسانى الذى هو اول مقدور تعلق به القدرة واقرب الاقربين الى الحضرة عبر اوان التعلق بالقالب الذى هو اسفل السافلين على عالم الارواح * ثم على العرش والكرسى والسماوات السبع وما فيهن من الملائكة الروحانيين الكروبيين والاجرام العلوية والعناصر السفلية والمركبات الى ان وصل الى القالب الانسانى وحينما بلغ من

النهر لان المدينة غير كاظمة الغضب بل من خواصها ان من سكن فيها يسكن غضبه وقيل المراد من الكاظمة روضة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مجازا من ذكر العام وارادة الخاص ثم المراد من هبوب الريح من جانب المدينة اما حقيقة لانه اذا جاء الريح من جانب المحبوب يحرك حزن العاشق ويورثه البكاء واما المراد منه لازمه اعنى وصول آثار المعشوق واخبار المحبوب لان (الريح) من لوازمها ايصال شئ كالرائحة او الكلاء اليابس مثلا من مكان الى مكان آخر فعلى هذا يكون مجازا مرسلا مركبا على القائلين به ﴿ويكون حاصل المعنى﴾ ام وصلت اليك الاخبار والآثار من طرف الكاظمة او المراد من الريح الرائحة الطيبة كما فى قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام (انى لاجد ريح يوسف) اى رائحته فعلى هذا يكون الهبوب بمعنى النشر مجازا من ذكر الملزوم وارادة اللازم فالمعنى ام شم انفك الرائحة الطيبة التى نشرت من تلقاء كاظمة او المراد من الريح ريح الصبا فيكون المراد به اوصاف النبى عليه الصلاة والسلام مجازا واستعارة بان شبه اوصاف النبى عليه الصلاة والسلام واخلاقه العظيمة بريح الصبا فى كونهما باعثين للسرور فكما ان ريح الصبا يعطى الفرح لمن اصابه كذلك اوصافه عليه السلام واخلاقه تعطى السرور لمن سمعها وادعى ان اوصاف النبى من جنس ريح الصبا ثم استعير ريح الصبا لاوصاف النبى عليه السلام فذكر ريح الصبا واريد منه اخلاقه عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون (هبت) ترشيحا للاستعارة المصرحة بمعنى التحريك او النشر والواو فى (اومض) اما على حقيقته اى للجمع فيكون سبب البكاء اما تذكر الجيران واما مجموع هبوب الريح وايماض البرق واما بمعنى او الفاصلة فيكون على هذا سبب البكاء اما تذكر الجيران فقط واما هبوب الريح فقط واما ايماض البرق فقط وتكون نكتة المجاز اى التعبير بالواو دون او للاشارة الى ان الترديدات الثلاثة مانعة الخلو اى سبب البكاء لا يخلو من هذه الامور الثلاثة بل يجوز جمعها ثم ان كلا من هبت الريح واومض البرق فى تأويل المصدر معطوف على تذكر اى هبوب الريح وايماض البرق واومض ماض من الايماض وهو اللمعان والظهور والبرق بالرفع فاعل اومض

منازله اجتذب منه خاصية اودعت فيه وحل فيه من نوره وصفائه ولطافته بحسب مااجتذب من ظلمة ذلك المنزل وكدورته وكثافته فاحتجب الروح بما اجتذب من كل منزل من منازل الروحانيات * والحجب الظلمانيات الجسمانيات وهما عالما الغيب والشهادة وعدد الحجب على ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى سبعين الف حجاب من نور وظلمة فالحجب النورانية من عوالم الغيب الروحانية والحجب الظلمانية من عوالم الشهادة الجسمانية واعطى الله تعالى ﴿ ١١ ﴾ خليفة الروح بحسب تلك العوالم مدركات روحانية وجسمانية يدرك بها العوالم المختلفة كلها ليكون بخلافته عالم الغيب والشهادة وذلك حين يتخلص من حبس القالب ويرجع الى ربه بجذبات العناية اما قبل التخلص فالبعض اخلد الى الارض واتبع هواه ونسى عهودا كانت له بحمى حضرة الله والى هذا البعض اشار الرئيس بقوله واظنها نسيت عهودا بالحمى ومنازلا بفراقها لم تقنع انفت وما انست فلما واصلت الفت مجاورة الخراب البلقع واما الذين سبقت لهم من الله الحسنى مازاغ بصر همتهم الى زخارف المنى فما ركنوا فى ميدان الغفلات ولاركنوا الى اتباع الشهوات وماانقطعت علاقة قلوبهم الطاهرة ومازالت رغباتهم المتوافرة عن الشغف والاتباع الى اوطانهم القدسية والتشوق والنزاع الى بلدانهم الانسية فامنهم من سائل الادمعة ممزوج بدم سائل ومامنهم من قائل الاوهو بهذا القول قائل تذكرت اياما ولياليها مضت فجرت من ذكرهن دموع الاهل لنا يوما من الدهر اوبة وهل لى الى ارض الحبيب رجوع وهل بعد فراق الاحبة وصلة وهل لنجوم قد افلن طلوع فبحكم حب الوطن من الايمان لاتنقطع عنهم محبة تلك الاوطان فيذكرون جيرانهم المقيمين بذى سلم السلامة من الارواح القدسية المكرمة بانواع السعادة والكرامة فتمتزج دموعهم بدماء الاجفان ولاينطفى بها مافى افئدتهم من النيران فحق على واحد منهم ان يقول مظهرا للحسرة والندم عجبت لنيران الجوى ان جمرها توهج من ماء المدامع واضطرم فالناظم يخاطب روحه الانسانى ويقول يامن عبراته

وفى الظلماء متعلق باومض والظلماء صفة موصوفها محذوف اى الليلة الظلماء وهى مؤنث اظلم ولمعان البرق فى الليلة اما على حقيقته لانه اذا لمع البرق فى جانب المعشوق ينور ذلك الجانب ويورث دهشة للعاشق او المراد من الليلة الظلماء بداية العشق واوله مجاز او استعارة كما فى قوله

صدغ الحبيب وحالى * كلاهما كالليالى

فكانه شبه ههنا بداية العشق واوله بالليلة الظلماء فى وقوع التحير وفقدان الطريق فكما ان فى الليلة الظلماء يتحير كل من سلك ويفقد طريقه فكذلك العاشق فى بداية الامر يعرض له احوال فيتحير ويفقد طريقه ثم استعير الليلة الظلماء لبداية العشق وذكر الليلة الظلماء واريد بداية العشق فعلى هذا يكون فى ايماض البرق ايضا استعارة حيث شبه وصلة الحبيب ونهاية العشق بلمعان البرق فى سرعت الذهاب فكما ان لمعان البرق يذهب سريعا فكذلك الوصلة اذتقرر فى موضعه ان العاشق متى وصل معشوقه لايبقى فى الدنيا بل يذهب سريعا و(من اضم) متعلق باومض واضم بكسر الهمزة وفتح الضاد اسم جبل قريب من المدينة وهو محله عليه السلام اذ فى اكثر اوقاته كان يسكن فيه فهو اما على حقيقته واما ان يراد به المحبوب من ذكر المحل وارادة الحال وهو المناسب ان اريد بلمعان البرق ظهور نور النبى عليه السلام على وجه الاستعارة المصرحة بان شبه ظهور نور النبى عليه السلام بلمعان البرق فى الاضاءة ورفع الظلمة ثم يستعار لمعان البرق لظهور نور النبى عليه السلام وذكر المشبه به واريد المشبه فعلى هذا تكون الليلة الظلماء على حقيقتها ويؤيد هذا المعنى ماروى انه كلما دنا الحاج من المدينة ظهر منها نور النبى عليه السلام لبعض الخلصاء من الحجاج والناظم الفاهم من اخلص الخلصاء فكيف لايظهر له وقال المصنف يلزم لهبوب الريح وايماض البرق بعد مسافة المحبوب ومن عادة البلغاء انهم

المزوجة بالدم على وجناته تجول أمن تذكر هؤلاء الجيران وقعت فى هذه النيران ام هبت الريح من تلقاء الروضة الغناء اعنى الحضرة الغفورية المسماة بالكاظمة لغاية الاغضاء اواومض البرق من اضم المحبة اى جبلها الباذخ وزادت لمعانه للقلوب فى غرورها الشوائخ فان كل واحد من هذه الامور سبب للبكاء ورسول يروى بها حديث الاحباء واهبا بعيدة من الامصار يستحضرها بواعث الافكار فى مسند عشقها احاديث روى برق ونسيم وخيال سار يقول الروح لاتسأل عن غصن ذوى بعد ارتقائه ونجم هوى عند اعتلائه ونبت ربى امسك مطره وسارى ليل غاب قمره ولا تضغ صب يذوب بنار الحرقة ولا يدرى متى ينقطع حبائل الفرقة فيقول مذ فرق بينكم وبينى الدهر لم يبق على طول نواكم صبر قد مسنى الضر وضاق الصدر ويا غاية منيتى الم الهجر ومع هذا لايخفى الحال عن الاغيار ولا يطلع الحلى على الاسرار اذ الفارغ لايعرف ما فيه غيره حتى ينتهى اليه سره لايعرف الحب الامن يكابده ولا الصبابة الامن يعانيها فانى وان ابتليت بجسم ناحل ولكنى من فرط الوجد على مراحل فعند ذلك يقول الناظم تغمده الله بغفرانه

﴿ فما لعينيك ان قلت اكففا همتا
وما لقلبك ان قلت استفق يهم ﴾

يعنى ان كنت تنكر فرطت الوجد فى المحبة والوداد وتظهر السلو عن كومن لواعج الفؤاد فما لعينيك

يجعلون بعد المسافة استعارة لبعد المرتبة وعلو المكان لعلو القدر كما قال الشاعر

هى الشمس مسكنها فى السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعودا * ولن تستطيع اليك النزولا

﴿ فَمَا لِعَيْنَيْكَ اِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا * وَمَا لِقَلْبِكَ اِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ ﴾

فكأنه لما ورد المنع على صغرى القياس للناظم الفاهم من طرف الشخص المجرد من نفسه بان يقال لانسلم ان امتزاج دمعى بالدم امامن تذكر الجيران اوهبوب الريح اوايماض البرق لم لايجوز ان يكون من سبب آخر من مرض اصاب الجسم اواصابة مصيبة ترك الناظم ماوجب عليه من اثبات مقدمته الممنوعة وانتقل الى دليل آخر مثبت لكون مزجه بسبب العشق والمحبة فقال (فما لعينيك) الخ اى مزج الدمع بالدم من العشق والمحبة ولو لم يكن مزجك الدمع بالدم من المحبة والهوى لكنت مالكا لعينيك وقلبك لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو مزج الدمع بالدم من المحبة والهوى واثبت التالى بقوله (ان قلت) الخ اى انك غير مالك لعينيك وقلبك ولو كنت مالكا لهما لكف عيناك ان قلت لهما اكففا واستفاق قلبك ان قلت له استفق لكن التالى باطل لانك لو قلت لهما اكففا لاتكفان بل تهميان ولو قلت له استفق لايستفيق بل يهيم والمقدم مثله فثبت نقيضه * فان قلت الانتقال من دليل الى دليل آخر لايجوز للمعلل لانه افحام من وجه فكيف يجوز للناظم الفاهم * قلت انما لايجوز الانتقال من دليل الى دليل آخر لو لم يكن المعلل قادرا على اثبات الحكم الاول بانواع الدلائل كما كان فى محاجة ابراهيم عليه السلام مع نمرود عليه اللعنة واما اذا كان قادرا وكان مراده اثبات اصل المطلوب بانواع الدلائل فلا يضر الانتقال وما وقع ههنا من قبيل الثانى كما لايخفى * ثم ان الفاء فى (فما) فصيحة والفاء الفصيحة هى التى تدل على الشرط المحذوف وهو ههنا ان لم يكن مزجك الدمع بالدم من العشق والمحبة فما حصل (لعينيك) الخ هذا عند الكشاف وعند السكاكى هى التى تدل على السبب اى على السبب المحذوف غير الشرط كما فى قوله تعالى ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ﴾ اى فضرب فانفجرت واما عند غيرهما فالفاء الفصيحة هى التى دلت على سبب محذوف سواء كان شرطا اومعطوفا عليه و(ما) استفهام فهو مايسئل به عن الجنس اوالصفة وههنا سؤال عن الجنس ولعينيك اللام فيه متعلق بالمقدر اى ماحصل لعينيك وفى الكاف الخطابى تجريد ايضا فتذكر وجملة (ان قلت اكففا همتا) تفسير لما و (قلت) على صيغة الخطاب ومفعوله محذوف اى لهما فالقول هنا

بمعنى الخطاب لما تقرر ان القول يجئ لمعان بحروف لانه ان استعمل بالباء يكون بمعنى الحكم واذا استعمل بعلى يكون بمعنى الاعتراض واذا استعمل بفى يكون بمعنى الاجتهاد واذا استعمل باللام يكون بمعنى الخطاب * وقال دده جنكى فى حاشية سعدالدين من الصرف القول فى استعماله بالباء يجئ لمعان نحو قال بيده اى اخذ بيده وقال برجله اى ضرب بها اومشى بها وقال برأسه اى اشار برأسه وقال بالماء على يده اى قلب وقال بثوبه اى رفعه وجملة (اكففا) مقول قوله واكففا على صيغة التثنية امر من كف اى منع كما قيل خير المرء من كف فكه وفك كفه * وشر المرء من كف كفه وفك فكه * فان قلت كان الادغام فى اكففا واجبا ففكه خلاف القياس ومخل بالفصاحة * قلت اجاب عنه الشارحون بوجوه * قال العصام يجوز ان يكون فكه لضرورة الشعر كما قال الشاعر فى عد ضرورات الشعر

واشباع تحريك وفك بمدغم * وتذكير تأنيث وعكس بندرة

وقيل تعدد العين انما هو فى الصورة واما هو فى الحقيقة فواحد فلفظ اكففا بالنظر الى الحقيقة مفرد وان كان تثنية فى الصورة وفك ادغام المفرد جائز وهذا الجواب تكلف جدا لانه مبنى على مذهب الوجودية من المتصوفة فانهم قالوا العين فى الانسان واحد لااثنان ولهذا لايرى الانسان شيئا شيئين والتعدد الصورى لايقدح الوحدة فى الحقيقة وقيل فك الادغام على توهم الافراد فلا يخل بالفصاحة كما لايخل فى قوله « الحمدلله العلى الاجلل » وقال بعضهم انه اشارة الى ان الناظم الفاهم قال به بلسان دهشة وحيران كأنه لم يتعقل قواعد البرهان ومثل هذا يعد ظرافة فى البيان فلايعاتب بسنان اللسان (همتا) ماض مثنى من همى يهمى هميانا بمعنى سالتا وضمير التثنية راجع الى العينين واسناده الى العينين مجاز اذ العينان لاتسيلان بل يسيل منهما الماء فاسناده اليهما من قبيل سال الميزاب ورد السكاكى هذا المجاز الى الاستعارة المكنية والتخييلية وانكر المجاز العقلى فعلى هذا شبه العين فى الذهن بالمطر فى الشرافة فكما كان المطر اشرف المياه كذلك كانت العين اشرف الاعضاء ثم ادعى للمشبه به فردان فرد متعارف وهو المطر وغير متعارف وهو العين ثم استعير المشبه به فى الذهن وهو الفرد المتعارف اعنى المطر للفرد الغير المتعارف اعنى العين ثم ذكر فى الخارج المشبه هو الفرد الغير المتعارف اعنى العين واريد العين الغير المضاف ثم انتزع من جانب المشبه وهو سيلان العين امر وهمى وشبه بجريان الماء فى سرعة الجريان ثم ذكر اللفظ الدال على المشبه به وهو سالتا واريد المشبه ويجرى

ان اردت منهما الامساك عن البكاء سالتا اشد السيلان وما لقلبك ان طلبت منه الافاقة يهيم فى اودية التحير غاية الهيمان فالفاء فى فما فصيحة لافصاحه عن الشرط المحذوف ويجوز ان يكون لعطف الاستفهامية على الاستفهامية والاستفهام للتعجب كما فى قوله تعالى مالى لاارى الهدهد والعامل فى لعينيك محذوف اى ماحدث وما عرض والشرطيتان حالان جعلتا اسميتين بتقديرهما فى الاولى وهو فى الثانية وكف يستعمل لازما ومتعديا وهمى سال واسناده الى العينين مجاز مثل سال الميزاب واستفاق بمعنى افاق وهام تحير يعنى ايها الصب المتيم الباكى اسفا والمحترق فى نار الحيرة لهفا كيف تطمع اخفاء حالك مع هذين الشاهدين على ما فى بالك من بلبالك كيف يخفى المحب سر هواه وسقام الهوى عليه دليل مع كون قلبك هائما وعينك باكية وحالك فى كتمان سرك حاكية عن حال محب فى مخاطبة محبوبه يقول واذا كتمت هواك يزداد ظهوره كالمسك يظهر نشره الهتان وياخليلى ابغى كتم حبكم وسره بلسان الحال اعلان فطلبك كتمان تلك الحالة امر تستر عن ثنايا الاستحالة كما قال رحمه الله

فيه ايضا مذهب الجمهور بان يشبه العين فى الذهن بالمطر فى سرعة السيلان ثم استعير المطر فى الذهن للعين وفى الخارج ذكر الشبه اعنى العين واريد هو وللرمز والاشارة الى استعارة التى كانت فى الذهن اثبت همتا التى من لوازم المشبه به للمشبه وهذا الاثبات تخييلية عندهم ثم ان جملة همتا جزاء لقوله (ان قلت اكففا) * فان قلت الشرط سبب للجزاء على ماتقرر فى النحو فكيف يكون قوله ان قلت اكففا سببا للهميان وسيلان الماء بل عكسه سبب له * قلت السبب اعم من السبب العقلى والعادى والعرفى وهذه الجملة الشرطية وان لم تكن سببا عقليا او عاديا لهذا الجزاء لكنها سبب عرفى والمراد من العرف عرف العاشقين لان فى عرفهم العشق يفعل خلاف مايأمر به العقل فههنا وان امر العقل بترك البكاء ومنع عنه لكن العشق عمل ذلك الامر بخلافه فسال من عينيه ماء اشد السيلان ومالقلبك اى وما حصل لقلبك والقلب شكل صنوبرى تحت الضلع الايسر وهو منبع الحياة والايمان * قال بعض العارفين خلق الله تعالى اولا الروح ثم الجسد وكان الروح مذكرا والجسد مؤنثا ثم امر الروح بالازدواج مع الجسد فازدوجها فحصل منهما ولدان ذكر وهو القلب الذى هو موضع الايمان وتبع هو للروح وانثى وهو النفس محل الفساد وتبعت هى للشيطان والجسد لان النتيجة تابعة لاخس المقدمتين و(استفق) امر من استفاق بمعنى افاق والسين للوجدان اى كن مفيقا و(يهم) من هام يهيم بمعنى تحير حذف ياؤه للجزم وجملته جزاء لماقبله ويرد عليه ايضا السؤال السابق ويجاب عنه بما يجاب فيه فتذكر واختار الماضى فى جزاء الشرط الاول لكونه محققا واختار ههنا المضارع لان مافى القلب مضمر والاطلاع عليه متعذر * ثم ان فى هذا البيت من صنائع البديع جناسا شبيها بالمشتق بين الهميان والهيمان كما فى قوله تعالى (قال انى لعملكم من القالين) الاول من القول والثانى من القلى * ثم اعلم ان خاصة الابيات الثلاثة انه اذا كان عندك بهيمة لاتقبل التعليم فاكتب هذه الابيات الثلاثة فى زجاج وامحها بماء المطر واسقها للبهيمة فانها تتعلم وتذل لك * قال الاستاذ طول الله بقاءه جربته فوجدته صحيحا وايضا اذا كتبت هذه الابيات الثلاثة فى رق غزال وعلقت على عضد من فى لسانه ركاكة وضيق يتعلم باذن الله تعالى ويكون فصيحا

﴿ ايحسب الصب ان الحب منكتم * مابين منسجم منه ومضطرم ﴾

لما كان للناظم الفاهم حرص شديد على اثبات دعوى كون المحبة فى قلب الشخص المخاطب لم يكتف بدليل واحد بل اتى على دعواه بدليل آخر ولذا قال (ايحسب الصب الخ) اى لولم تكن محبتك ثابتة لما كنت دائرا بين دمع

﴿ ايحسب الصب ان الحب منكتم مابين منسجم منه ومضطرم ﴾ يعنى مما يقضى منه العجب ارتكاب مالا يفضى الى الارب وهو ان ينكر المحب ويظن ان حبه يبقى منكتما مع كون دمعه منسجما وقلبه مضطرما وللمحب لسان فى شمائله بما يجن من الاضواء يعترف فلا ينبغى منك الانكار بعد ماظهرت شواهد الآثار فالاستفهام فى أيحسب للتعجب والتعجب اوالانكار التوبيخى بمعنى لاينبغى ان يكون كقولك أتعصى ربك ويحسب بالكسر والفتح من افعال القلوب والصب العاشق من صب الماء سمى به لانه بكاء غالبا كما قيل وما فى الخلق

(منسجم) وقلب (مضطرم) لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه ثم الهمزة للاستفهام الانكارى وهو بمعنى النفى ههنا كما كان فى قوله

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كأنياب اغوال

ويحسب بالكسر والفتح من افعال القلوب والحسبان الظن والمعنى لا يظن العاشق كون المحبة منكتمة لان الظن منهى عنه لكون بعضه اثما لقوله تعالى ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ﴾ وفى يحسب التفات من الخطاب الى الغيبة على مذهب الجمهور والسكاكى ونكتة الالتفات عامية وخاصية فالنكتة العامية تنشيط القلوب بتغير الاسلوب والخاصية اجراء الصفة المادحة على نفسه وهى الصب لانه لو قال أتحسب بصيغة المخاطب لما امكن اجراؤها على نفسه * فان قيل لو قال تحسب لامكن ايضا اجراء الصفة المادحة عليه بان يجعل الصب صفة لفاعل تحسب اعنى تاء الضمير وبدلا منه * قلنا لا يمكن على هذين التقديرين لان الضمير لا يوصف ولا يوصف به كما قال الشاعر

اضمرت فى القلب هوى شادن * مشتغل بالنحو لا يوصف
فقلت ما اضمرت يوما له * فقال لى المضمر لا يوصف

ولان الضمير لا يبدل المظهر منه الا اذا كان غائبا وفيما نحن فيه مخاطب * فان قلت لانسلم كون الصب صفة مادحة * قلت ان الصب فى الاصل مصدر بمعنى الاراقة لكن المراد منه ههنا العاشق الكامل وانما سمى العاشق الكامل به لانه يبكى فى كل احواله كما قال الشاعر

ومافى الخلق اشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا فى كل حال * مخافة فرقة والاشتياق
فيبكى ان نأوا شوقا اليهم * ويبكى ان دنوا خوف الفراق

و(ان) للتأكيد و(الحب) مصدر بمعنى المحبة و(منكتم) من الانكتام اى مستتر وقابل للاستتار واكد هذا الكلام بالاداة والجملة الاسمية لكون المقام مقام الانكار و(ما) زائدة و(بين) ظرف لمنكتم و(منسجم) صفة موصوف محذوف اى دمع منسجم وهو من الانسجام بمعنى الهطل والصب اى دمع هاطل و(منه) متعلق بمنسجم والضمير راجع الى الصب بطريق الاستخدام لان المراد من الصب العاشق الكامل ومن الضمير الراجع اليه العضو المخصوص اعنى العين كما لا يخفى و(مضطرم) معطوف على منسجم وهو ايضا صفة موصوف محذوف اى قلب مضطرم وهو بمعنى ملتهب ومشتعل وفى المضطرم استعارة مكنية حيث شبه فى الذهن قلب العاشق وهو مذكور فيه

اشقى من محب وان وجد الهوى حلو المذاق تراه باكيا فى كل حال مخافة فرقة اوالاشتياق فيبكى ان نأوا شوقا اليهم ويبكى ان دنوا خوف الفراق وان مع اسمه وخبره قام مقام المفعولين وما بمعنى الذى منصوب محلا على انه بدل من الحب وصفة له وصدر الصلة محذوف اى الحب الذى هو بين دمع منسجم اى منصب وقلب مضطرم اى مشتعل بنار الحب بمعنى انه ملتبس بهما وملزوم لهما وضمير منه للصب وهو صفة اوحال ومنه محذوف بعد مضطرم فالحاصل ان ما استولى وظهرت آثاره لا يتأتى ستره وانكاره

بارجاع ضميره اليه بشجرة العود فى كونهما قابلين للايقاد وشاملين للرائحة الطيبة لان قلب العاشق اذا كان ملتهبا ينتشر منه الرائحة الطيبة على ماقاله المتصوفة وادعى لشجرة العود فردان فرد متعارف وهو شجرة العود حقيقة وفرد غير متعارف وهو القلب ثم استعير المشبه للمشبه به ثم ذكر فى الخارج المشبه واريد به المشبه به اعنى القلب وهذه استعارة مكنية ثم انتزع من جانب المشبه امر وهمى وهو التهاب القلب وايقاده وكونه مكيفا بالرائحة الطيبة عند الايقاد وشبه بالتهاب شجرة العود ثم ذكر اللفظ الدال على المشبه وهو (مضطرم) اذ هو حقيقة فى شجرة العود واريد المشبه به وهو التهاب القلب وهذه الاستعارة تخييلية وهذا عند السكاكى واما عند الخطيب فبان يشبه فى الذهن القلب بشجرة العود وفى الخارج اثبت ماهو من لوازم المشبه به للمشبه للاشارة والرمز الى التشبيه فى الذهن * قال المصنف فى هذا المصراع ايماء الى ان الواشى اذا كان من قبل صاحب السر فكتمان السر يتعسر عليه بل يتعذر فكيف اذا كان ذلك الواشى جزأ منه خصوصا اذا كان اثنين سيما اذا كانا متعاونين كما فيما نحن فيه انتهى ﴿وحاصل معنى البيت﴾ لاتظن ايها العاشق ان الحب مستتر كيف والدمع المنسجم والقلب المضطرم شاهدان على دعوى انكشاف الحب فكيف تظن انكتام الحب فكان العاشق ادعى انكشاف المحبة والشخص المجرد عن نفسه انكره فذهبا الى محكمة العشق فاستحكما عند قاضى العشق فامر القاضى باتيان شاهدين عادلين لمدعى العشق عملا بالحديث المشهور (البينة على من ادعى واليمين على من انكر) فأتى العاشق لاثبات مدعاه بالشاهدين اللذين هما دمع العين واضطرام القلب فشهدا فحكم القاضى بانكشاف المحبة * فان قلت الشاهد الاول مقبول لكن مقبولية الشاهد الثانى ممنوعة لان حاله مستور اذ القلب لايطلع عليه احد الا الله تعالى الشاهد الاول يقوى الثانى لان الدمع يدل على ما فى القلب كما قال بعض الفضلاء «اذا انفعل القلب سرى الاثر الى العين فعند اشتداد الحزن تدمع وعند اشتداد الفرح تلمع ومن تقريرنا علم ان فى هذا البيت استعارة تمثيلية حيث شبه الهيئة المنتزعة من الامور المذكورة فى هذا البيت من كون الدمع المنسجم شاهدا والقلب المضطرم شاهدا آخر وكونهما مثبتين لدعوى من ادعى المحبة ومبطلين لدعوى من انكر المحبة بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة وهى كون الشاهدين فى الخارج مثبتين لدعوى رجل على رجل آخر منكر ومبطلين لدعوى المنكر ونحو ذلك ثم استعير الهيئة من الامور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الامور

الغير المحسوسة فذكر المشبه واريد المشبه به فعلى هذا تجرى استعارة مصرحة فى مفردات هذه الامور بان يشبه بالدمع المنسجم ثم ذكر المنسجم واريد الشاهد وقس عليه السائر تدبر

﴿ لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ * وَلَا أَرِقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ ﴾

ثم شرع فى اثبات دعواه بدليل آخر ايضا للتأكيد والتقوية وللاشارة الى ان دعواه صادقة غير زور وبهتان فقال (لولا الهوى) الخ يعنى ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك ولو لم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لم ترق دمعا على طلل ولا ارقت لذكر البان والعلم لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه * ثم ان لولا يستعمل على اربعة اوجه . الاول انه يدخل على جملة اسمية ويكون لامتناع الشئ لوجود غيره وخبر المبتدأ بعده واجب الحذف . والثانى ان يكون للتحضيض والعرض فيختص بالمضارع .والثالث ان يكون للتوبيخ والتنديم فيختص بالماضى .والرابع للاستفهام وهنا من قبيل الاول فتقديره لولا الهوى موجود فيك و(الهوى) بالقصر مصدر هوى من باب علم اوهوى من باب ضرب وهو ههنا بمعنى العشق والمحبة لان الهوى يجئ على ثلاثة معان .الاول ميل النفس الى مالا يقتضيه الشرع وهو مذموم كما فى قوله تعالى ﴿ أفمن اتخذ الهه هواه ﴾ والثانى العشق .والثالث بمعنى المهوى اى المحبوب كما فى قوله «هواى مع الركب اليمانين مصعد » ويحتمل ان يكون المراد من الهوى المعنى الثالث ايضا ويكون الالف واللام عوضا عن المضاف اليه اى لولا محبوبك و(لم ترق) مضارع من اراق يريق اصله يروق فاعل كاعلال يقيم ثم دخل عليه الجازم فحذفت الياء والاراقة بمعنى الصب كما فى قول ابن الحاجب حين قتله

اری قدمی اراق دمی * وهان دمی وهاندمی

وفى لم ترق التفات من الغيبة الى الخطاب والتفاته سريعا الى الخطاب لاخراج الكلام من البيان الى العيان وتعريف الدمع قد مضى فامض اليه وتنوينه للتعظيم كما ان تنوين طلل للتحقير كما فى قوله

له حاجب فى كل امر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب

و(على) متعلق بلم ترق و(الطلل) بفتحين اثر الدار الخربة فكأنه يقول لو لم تكن لك محبة مع اهل المنازل وسكانها لما صببت من عينيك الدمع العظيم على اطلال المنازل الحقيرة ويحتمل ان يكون مراده بالطلل مكة المكرمة لانها بهجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منها صارت خربة معنى اذ معموريتها

﴿ لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ولا ارقت لذكر البان والعلم ﴾ يعنى يامن اراق الدموع على الدمن والاطلال وارق لذكر اماكن الوصال ومنازل مشاهدة الجمال لو لم تكن لك محبة مع اهل المنازل وسكان الطلل مالك تبكى على اطلال الكثيب والعقيق والدخول وحومل ومابالك تسهر الليالى بذكر الشجر والجبل ومن المعلوم ان السهر والبكاء من علامات اهل المحبة واولاء والمحب لايبكى الا للحبيب والمريض لايتمنى الا لقاء الطبيب ولهذا قيل «سهر العيون لغير وجهك باطل * وبكاؤهن لغير فقدك ضايع » واما حل التركيب فهو ان لولا لامتناع الشئ لوجود غيره وخبر المبتدأ بعده واجب الحذف وعام لو لم يدل الدليل على تعينه فتقديره لولا الهوى

كانت بكون النبي عليه السلام فيها كما قال الله تعالى ﴿لااقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد﴾ حيث استفيد منها ان كون مكة المكرمة لائقة بكونها مقسما به لله تعالى لاجل حلول النبي عليه السلام فيها فبعد هجرته عليه السلام كانت الآثار الباقية الدائمة فى مكة المكرمة الآن هى آثار الخربة معنى ولذا اتفقوا على ان التراب الماس لبدن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قبره الشريف افضل الامكنة وافخمها كما سيأتى تفصيله. وعلى هذا المعنى يكون على بمعنى اللام الاجلية اى لولم تكن محبتك لم ترق دمعا لاجل ملاحظة مكة بان المحبوب قد هاجر منها وكانت الارض الباقية خربة فتأمل. ويجوز ان يكون فى طلل استعارة مصرحة بان شبه آثار المحبة والعشق الكائنة فى قلب العاشق بآثار الدار الخربة فى كونهما دائرين بين الامرين اعنى عدم المعمورية بالكلية وعدم الانهدام بالكلية ثم استعير آثار الدار الخربة لآثار المحبة فذكر اللفظ الدال على المشبه به واريد المشبه (ولا ارقت) عطف على لم ترق ولا زائدة لتأكيد النفى وارقت من ارق يأرق من باب علم وهو بمعنى سهر الليالى وعدم النوم فيها ﴿فالمعنى﴾ او لم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لما سهرت الليالى لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه لان المحب لا ينام كما قال الشاعر

عجبا للمحب كيف ينام * كل نوم على المحب حرام

واللام فى (لذكر البان) اجلية والذكر اما بالكسر او بالضم وهو مصدر مضاف الى مفعوله وفاعله متروك اى لاجل ذكرك البان. والبان شجر لطيف الرائحة وقيل المراد به الشجر المعهود القريب من مكة الذى قد كان النبي عليه السلام يجلس تحته ويكالم الاصحاب رضوان الله عليهم اجمعين فعلى هذا يكون مجازا من ذكر المحل وارادة الحال وقيل هو شجرة طيب الرائحة والقد ففيه استعارة مصرحة حيث شبه النبي عليه السلام بتلك الشجرة فى حسن الطلعة ونهاية اللطافة ثم استعير الشجرة المذكورة للنبي عليه السلام فذكر المشبه به واريد المشبه (والعلم) اسم جبل كما فى قوله

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

قيل المراد منه ههنا جبل من جبال مكة فقيل هو جبل ابى قبيس وقيل جبل حراء وقيل جبل فيه غاره عليه السلام وعلى كل تقدير يكون مجازا مرسلا من ذكر المحل وارادة الحال لان هذه الجبال كانت امكنة النبي عليه السلام اواستعارة مصرحة بان شبه المحبوب بالجبل فى العظمة والمهابة وحسن الهيئة والرفعة ثم استعير الجبل للمحبوب فذكر المشبه به واريد المشبه وعلى

موجود فيك والهوى مصدر هو به احبه اراق الماء صبه وتنوين دمعا للتعظيم وطلل للتحقير كما فى قوله «له حاجب فى كل امر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب» وطلل اثر الدار ارق من باب علم سهر ولذكر اى لاجل الذكر البان نوع من الشجرة يشبه به قد المحبوب والعلم الجبل يعنى قد علم من كثرة بكائك على الطلل وعدم رقادك بذكر الشجر والجبل انك ملكت ناصية محبة اهل الاطلال وبلغت قاصية مودة المتغنى بالشجر والساكن على الجبال اذ ليس حب الديار الا لاهلها وان البكاء على الحبيب عند مشاهدة مكانه خاليا من سجايا حب يكون بحلية الصدق حاليا ولذا يقول بعضهم بالدمع الباكى «يا منازل سلمى اين سلماك» واذا كان كذلك

هذا يكون اللام فى قوله لذكر البيان للوقتيــة كما فى قوله تعالى ﴿لدلوك الشمس﴾ * قال الاستاذ طول الله بقاه وجعل آخرته خيرا من اولاه خاصية هذا البيت وحده انه من كان فى قلبه ضيق وكربة وعسرة من الآلام والاكدار فليكتب هذا البيت بالحروف المقطعة على تفاحة وليأ كلها فانه يزول ضيق قلبه وعسرته ولو كتبه على زجاجة ومحاه بالماء وشربه يزول ضيق قلبه ايضا لكن فى الكتابة على التفاح يكون التأثير ازيد وقال الاستاذ جربناه مرارا فوجدناه صادقا

﴿فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّاً بَعْدَمَا شَهِدَتْ * بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ﴾

لما جاء العاشق على دعواه بشاهدين كأنه قيل من طرف الشخص المجرد من نفسه ان شاهديك غير عدلين فلا يثبت بهما دعواك فاثبت عدالتهما بقوله (فكيف تنكر) الخ الفاء فى فكيف فصيحة اى اذا دلت الادلة السابقة وبعدها شهدت الشواهد اللاحقة على دعوى ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك فكيف الخ وكيف حال لامفعول فيه والاستفهام اماللتعجب كقوله تعالى ﴿كيف تكفرون بالله﴾ اوللتوبيخ اوالاستبعاد اى لاينبغى ان تنكره بعد هذا و(تنكر) من الانكار وهو الجحد ضد الاقرار و(حبا) مفعول تنكر وتنوينه للتعظيم كما فى قوله

صبت على مصائب لوانها * صبت على الايام صرن لياليا

و(بعد) بالنصب ظرف لتنكر و(ما) امامصدرية فضمير (به) للحب واما موصولة فضميره له والشهادة خبر صادق صادر من شخص صادق وبقرينة الاسناد الى العدول فيه استعارة مصرحة وتبعية بان شبه الدلالة بالشهادة فى اعلام الشئ واظهاره ثم استعير الشهادة لمفهوم الدلالة ثم كأنه ذكر الشهادة واريد منها الدلالة وبتبعية هــذه الاستعارة اشتق من الشهادة شهدت ومن الدلالة دلت وبواسطة العلاقة فى مصدرهما شبه هيئة دلت بهيئة شهدت ثم استعير شهــدت لمفهوم دلت فذكر شهــدت واريد مفهوم دلت و(على) فى عليك (مستعمل) فى الضرر كما فى قوله تعالى ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ وكقوله

قد اصبحت ام الخيار تدعى * على ذنبا كله لم اصنع

وانما استعمل فى الضرر لان قلب العاشق غير راض باظهار عشقه واثباته بل ينكره غاية الانكار ليتفرع عليه الاحوال والاسرار (والعدول) جمع عدل بمعنى عادل بمعنى الموثوق المعتمد فى الشهادة واضافته الى الدمع والسقم بيانية لغوية او بمعنى من اى العدول المستفادة من جهتهما * واعلم انهم

﴿فكيف تنكر حبا بعد ما شــهدت به عليــك عدول الدمع والســقم﴾ الفاء فصيحة على ماشير اليه ويحتمل ان يكون للعطف على الجملة الشرطية وكيف حال لامفعول فيه على ماتوهم بدليل ان يجاب بالحال مثل راكبا فى جواب كيف جاء زيد وتبدل منه الحال مثل كيف جاء زيد راكبا ام ماشيا والاستفهام للتعجب والاستبعــاد بمعنى ماينبغى ان يكون وتنوين حبا للتعظيم والعامل فى بعد تنكر وما اما مصدرية وضميره به

بينوا ان المضاف اليه امامباين للمضاف وحينئذ ان كان ظرفاله فبمعنى فى والا فبمعنى اللام وامامساو اواعم مطلقا فالاضافة ممتنعة واماأخص مطلقا كيوم الاحد فبمعنى اللام واماأخص من وجه فان كان المضاف اليه اصلا للمضاف فبمعنى من والا فبمعنى اللام ولايلزم فيما بمعنى اللام ان يصح التصريح بها بل يكفى افادة الاختصاص الذى هو مدلول اللام ثم انهم قالوا يشترط فى الاضافة البيانية الاصطلاحية اى النحوية العموم والخصوص من وجه وكون المضاف اليه اصلا للمضاف وفى اللغوية قد يكون بينهما عموم مطلق وقد يكون من وجه لكن يشترط على صورة الوجه ان لايكون المضاف اليه اصلا وفى الاضافة اللامية قد يكون بينهما عموم مطلق فيجتمع مع الاضافة البيانية كما كان فى هذا المقام وقد يكون عموم من وجه ولايكون المضاف اليه اصلا للمضاف فاحفظ هذا الكلام فانه مما ينفعك فى اكثر المقام ويجوز ان تكون اضافة العدول من قبيل اخلاق ثياب و (الدمع) قدمر تعريفه غير مرة (والسقم) المرض والالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه اى سقم القلب ومن قال الالف واللام فى الدمع ايضا عوض عن المضاف اليه اى دمع العين فقدسها فافهم* ثم ان استعمال صيغة الجمع اعنى العدول فى المثنى اعنى الدمع والسقم اما للتعظيم كما فى قوله تعالى (وانا له لحافظون) اومبنى على ماقيل ان اقل الجمع اثنان مستدلا بقوله عليه الصلاة والسلام (الاثنان ومافوقهما جماعة) فتأمل ويمكن ان يقال ايراد صيغة الجمع لكون كل من الدمع والسقم جمعا باعتبار الافراد والانواع من قبيل قوله تعالى (فقد صغت قلوبكما) فافهم * ثم ان فى الدمع والسقم استعارة بالكناية بان يشبه كل واحد من الدمع وسقم القلب بالشخص الصادق فى اظهار شئ وقع فى نفسه وادعى للشخص الصادق فردان فرد متعارف وهو الشخص الصادق حقيقة وغير متعارف وهو الدمع اومرض القلب ثم استعير المشبه للمشبه به ثم ذكر فى الخارج المشبه واريد المشبه به ايضا وهذه الاستعارة مكنية ثم انتزع من جانب المشبه امر وهمى وهو شهادة الدمع والسقم وشبه بشهادة الشخص الصادق فى افادة الحكم واستعير الشهادة المحققة لمفهوم الشهادة المخيلة ثم ذكر الشهادة المحققة اى فى شهدت واريد منه الشهادة المخيلة ثم اثبات العدول ترشيح لهذه الاستعارة* وهذا البيت اول الابيات الستة التى تمايل فيها النبى عليه السلام حين قراءة الامام فى رؤياه عليه عليه السلام وينبغى للقارئ لحاجة ان يقرأ هذا البيت ثلاثا كذا قاله شارح هذه القصيدة جعفر پاشا الهى لاتجعلنا من زمرة اهل الفسق والهوى واجعلنا ممن قلبه ملئ

للحب اوموصوله والضمير لها والشهادة مستعارة للدلالة الصادقة وذكر العدول ترشيح لها واضافته الى الدمع والسقم للبيان اوبمعنى من اى العدول المستفادة من جهتهما وهى كما ذكرت خمسة فتأمل والمراد تحقق الدمع والسقم فى الاوقات المختلفة وتواليهما قيل شاهد المحبة دمع ساجم وسقم عن اللذة حاجم وميل دائم وقلب هائم فكيف تنكر حب من خلوت به فى تلك المعاهد بعد ماشهدت عليك وشوهدت فيك هذه الشواهد

بمحبة نبيك المصطفى وعينه فى كل وقت من عشقه جرى وبكى

﴿وَاَثْبَتَ الْوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنًى * مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالْعَنَمِ﴾

ولماشهد على دعوى الناظم بان فى قلبك محبة وعشقا شاهدان صادقان عادلان حكم القاضى فى دار الحكومة بان دعواه حق وصادق وقال لكاتب دار الحكومة اكتب دعواها اى سجلها فسجلها ولهذا قال الناظم الفاهم للمخاطب (واثبت الوجد) الخ عطف على شهدت اى كيف تنكر حبا بعد شهادة الشاهدين وبعد اثبات الكاتب دعواى بالكتابة والاثبات جعل الشئ ثابتا مقررا سواء بالخط او بغيره لكن المراد هنا اثباته بالخط بقرينة سياقه و(الوجد) الاحزان القلبية والحالات العشقية وهو بالرفع فاعل اثبت واسناده اليه مجازى لانه سبب لها نحو اهلك المرض وفيه استعارة مكنية بان شبه فى الذهن الحالات العشقية والاحزان القلبية بكاتب دار الحكومة فى الاعلام والانباء وفى الكتابة على الصحيفة ثم استعير فى الذهن اللفظ الموضوع لكاتب دار الحكومة اعنى النائب مثلا لمفهوم الحالات والاحزان القلبية ثم ترك هذه الاستعارة فى جانب الذهن وذكر فى الخارج اللفظ الدال على المشبه اعنى الوجد واريد ايضا معنى الوجد وهذه الاستعارة مكنية ثم اسناد الاثبات الذى هو من ملائم الكاتب الى الوجد تخييل وايقاعه على الخط ترشيح والخط اما خط عربى وهو تصوير اللفظ بحروف هجائه واما حكمى وهو ماله طول فقط وقيل هو الذى يقبل الانقسام طولا لا عرضا ولا عمقا وهو على صيغة التثنية سقط نونه بالاضافة و(العبرة) بفتح العين الماء الجارى من العين على الوجه (وضنى) بالفتح مجرور تقديرا معطوف على عبرة وهو الهزال والضعف الذى يلازمه عادة صفرة الوجه والمراد به ههنا لازمه . واضافة الخط الى العبرة من اضافة المشبه به الى المشبه كما فى لجين الماء يعنى اثبت الحزن عبرة وصفرة كالخط لان الناظم الفاهم لمابكى طويلا ومزج الدمع بالدم ظهر على خده الشريف خطان رقيقان كالالف احدهما احمر وهو من اثر الماء الجارى من عينه وثانيهما اصفر وهو من حزن قلبه و(مثل) بالنصب على انه حال اومفعول ثان لاثبت بتضمينه معنى جعل ويجوز ان يكون صفة لخطى و(البهار) على وزن النهار اسم لورد اصفر ينبت فى اول الربيع والتشبيه فى صفرة اللون فقط لا فى الجرم والصورة و(على خديك) متعلق بمقدر حال من خطى (والعنم) بفتحتين اسم شجر احمر لين الاغصان يشبه البنان قيل هو الحناء وقيل هو البقم ويرجح الاول قوله

النشر مسك والوجوه دنا * نير واطراف الاكف عنم

﴿ واثبت الوجد خطى عبرة وضنى مثل البهار على خديك والعنم ﴾ واثبت عطف على شهدت اى كيف تنكر حبا بعد مااثبت الوجد وهو الحزن ويستعمل فى الهم المستولى على القلب الناشى من الحب على خديك صفه عبرة وضنى عطف على خطى عبرة وهو الهزال والضعف ويلازمه عادة صفرة الوجه مثل منصوب على انه حال او مفعول ثان لاثبت بتضمينه معنى جعل والبهار نوع من الورد اصفر ينبت فى الربيع والعنم عطف عليه وهو شجر لين الاغصان يشبه به البنان يقال بنان معنم اى مخضوب والمشبه به بالبهار هو الضنى على ان المراد به لازمه وبالعنم هو خطا عبرة واسناد اثبت الى الوجد مجاز عقلى من قبيل الاسناد الى السبب كما فى سرتنى رؤيتك ﴿فالمعنى﴾ انه يقول يامن مقلته العبراء يدوم انصبابها وكبده الحراء لا يزول التهابها كيف تنكر المحبة والاشواق وكيف توارى سوءة القلب المشتاق بعد شهادة عدول الدمع والسقم عليك واثبات الوجد المبرح خطين من العبرة على خديك وذبول جسمك من الضنى وذوبانه من الاوار وحمرة دمعك مثل العنم واصفرار لونك مثل البهار فلابد لك من الاقرار كما اقر بالهوى عند شهادة هؤلاء العدول بعض اهل الاسرار حيث قال شوقى الكيم وصفه لا يمكن يامن له فى ربع قلبى مسكن لولا الهوى ماذاب جسمى بالضنى والدمع لولا الوجد هل لا يسكن عندى غرام نحوكم وتشوق عن شرح ايسره تكل الالسن بعد ذلك يقرأ الناظم ويقول

وايا ما كان فالمماثلة فى الاحمرار فقط * وفى هذا البيت من صنائع البديع لف ونشر معكوس حيث ذكر الحمرة ثم الصفرة فى المصراع الاول وعكس الحال فى هذا المصراع ونكتته للوزن والنظم ﴿وحاصل المعنى﴾ كيف تنكر المحبة بعد ان شهد بها شاهدا عدل ما استطعت على جرحهما وحكم عليك قاض لاينقض حكمه وكتب على صحيفة خديك منشور المحبة بخطين احمرين فكل من يراك يقرأ آية المحبة من خديك فانكارك لايسمن ولا يغنى من جوع .اغفرلى يامن بسعة مغفرته شوقنى . واعف عن الفعل الذى من رضاك فرقنى . ولا تحرقنى بنار الجحيم لان عشق نبيك حرقنى

﴿ نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ اَهْوَى فَاَرَّقَنِى * وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالْاَلَمِ ﴾

فلما اثبت العاشق دعواه بان سلطان المحبة فى مدينة قلبك وانكر الشخص المجرد من نفسه المخاطب ثم اثبت ثم انكر الى ان يأتى العاشق بشاهدين عادلين واثبت دعواه وكتب الكاتب وسجله فلم يبق لذلك المخاطب مجال الى الانكار فاقر بتلك الدعوى بالتصديق والاقرار فقال (نعم) الخ ف(نعم) حرف تصديق مخبر بعد قول القائل قام زيد واعلام مستخبر بعد قوله أقام زيد ووعد طالب بعد قوله افعل اولا تفعل وههنا من قبيل الثانى . والفرق بينه وبين بلى ان نعم حرف تصديق لكن يقع تصديقا للايجاب والنفى فى الخبر والاستفهام جميعا وبلى يختص بالمنفى خبرا واستفهاما على معنى انها انما تقع تصديقا للمنفى على سبيل الايجاب ولا يقع تصديقا ولهذا قال قائل مؤمن بلى فى جواب الست بربكم لانه فى قوة بلى انت ربنا وقال نعم فيه كافر لانه فى قوة نعم لست ربنا وقد نظمه بعضهم

بعد نفى قل نعم لا بعد ايجاب كذا * بعد ايجاب نعم لا بعد ايجاب بلى

وجملة (سرى) استينافية لانه لما اقر بالعشق واعترف بالشوق كأن سائلا قال كيف كان الحال فقال سرى الخ وهو من السرى وهو مختص بالسير ليلا كما فى قوله تعالى ﴿سبحان الذى اسرى بعبده ليلا﴾ الآية * لا يقال لا نسلم ان اسرى فى الآية السير ليلا كيف وكونه فى الليل مأخوذ من قوله ليلا والا لكان مستدركا * لانا نقول ذكر المفسرون ان اسرى هو السير ليلا وذكر ليلا بعده فى الآية اشارة الى ان السير كان فى بعض الليل لا فى كله اذ تنوين ليلا للتقليل وسيأتى تفصيله وال(طيف) الخيال و(من) اسم موصول عبارة عن المحبوب ابهمه للتفخيم و(اهوى) نفس متكلم من هوى يهوى وضمير المفعول الراجع الى الموصول محذوف اى اهواه واحبه والفاء فى (فارقنى) جواب شرط محذوف اى لما جاء الى خيال المحبوب ومحبة المعشوق فارقنى وفيه التفات

﴿ نعم سرى طيف من اهوى فارقنى والحب يعترض اللذات بالالم ﴾

نعم حرف ايجاب لما سبق من الاستفهام عن تحقق الحب سرى يسرى اى ذهب بالليل والطيف الخيال من اهواه اى احبه ارقه اسيره يعترض من اعترض له بسهم اقبل به قبله فرماه فقتله فالالم يكون استعارة عن السهم واللذات عن الشخص المرمى ولك ان تعتبر التبعية فى يعترض كما فى «نقريهم لهذميات» فالحاصل انه لما استفهم منه على سبيل الانكار سبيلا ولا الى

من الخطاب الى التكلم على عكس ما فى المطلع و(ارق) من التأريق وهو التسهير والايقاظ من النوم والنون فيه وقاية والايقاظ من النوم اما على حقيقته لانه اذا امتلأ قلب المشتاق بخيال المحبوب والاشواق يسلب النوم من عينيه ولايحجب عنهما ابدا فيكون فى اليقظة فى كل حال سرمدا واما مجاز من سلب الغفلة باحوال الدنيا ولذاتها وهو المناسب لسياقه كما ترى والواو فى (والحب) اما حالية او استينافية معانية كأنه قيل هل شغلت فى اثناء عشقك باللذات فقال كيف والحب يعترض اللذات بالالم * ويقول الفقير يمكن ان يكون الواو عاطفة من عطف العلة على معلولها اذهو علة لماقبله فكأن الناظم الفاهم قال اذ الحب يعترض فيمكن فيه ترتيب قياس تقريره هكذا الحب سالب النوم ودافعه لان الحب يعترض اللذات بالالم وكل شئ شانه كذلك فهو سالب النوم ودافعه ينتج الحب سالب النوم ودافعه و (يعترض) من اعترض له بسهم اذا اقبل به فرماه فقتله فيعترض بمعنى يقتل فى اسناده الى الحب مجاز واستعارة تبعية حيث شبه القتل بالاعتراض فى شدة التأثير والتبديل اذ كما فى القتل تبديل الشكل فكذا فى الاعتراض ثم استعير الاعتراض لمفهوم القتل فذكر الاعتراض واريد القتل وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الاعتراض صيغة يعترض ومن القتل صيغة يقتل وشبه هيئة يقتل بهيئة يعترض بواسطة العلاقة التى فى مصدرهما ثم ذكر يعترض واريد يقتل وعلى مذهب السكاكى فى الحب استعارة مكنية كما لايخفى و(اللذات) جمع لذة بالنصب مفعول يعترض و(بالالم) متعلق بيعترض. والالم كالكدر لفظا ومعنى لكن هنا مجاز واستعارة من السهم حيث شبه الالم بالسهم فى كونه مهلكا ويحتمل ان يكون فى هذا المصراع استعارة تمثيلية بان شبه الهيئة المأخوذة من الامور المعقولة وهو كون الحب قاتلا وكون الالم الحاصل منه مهلكا وكون اللذات مهلكا به وكون الحب راميا بالالم الى جانب اللذات بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة وهو كون الشخص راميا وكون السهم مرميا به وكون شخص آخر او حيوان مرميا اليه وكون السهم مهلكا ثم استعير الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة لمفهوم الهيئة المأخوذة من الامور المعقولة ثم ذكر الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة واريد الهيئة المنتزعة من الامور المعقولة تدبر ﴿ وحاصل المعنى ﴾ ان العشق والمحبة يعرض ويهلك اللذات بسبب الالم كما ان الشخص الرامى يهلك الشخص المرمى اليه بالسهم لان العشق الحقيقى اذا دخل قلب احد يقطعه عن لذائذ الدنيا ونعيمها فلا يبقى له الذوق بشئ من الاشياء لان العشق الحقيقى والالتذاذ بنعم الدنيا ضدان والضدان لا يجتمعان كما ان الدنيا والآخرة ضدان لايجتمعان فى شخص

التبرى عنه دليلا فاعترف بعدما اصبح خده بالدموع الممزوجة بالدم منقشا وفشا سره المكنون فى الحشا اعترفا بانه يدفق من جفونى ماء حزن تلظى فى الجوانح منه جمر غدا العبرات مبرزة لسرى وهل يخفى مع العبرات سر فقال نعم ماظننتم كما ظننتم ثم كأن سائلا قال كيف كان الحال فاستأنف بقوله سرى وفى قوله فارقنى التفات من الخطاب الى التكلم على عكس ماكان فى المطلع من التكلم الى الخطاب على مذهب السكاكى لان عنده تغيير مقتضى التعبير التفات ايضا

كما روى ان هارون الرشيد نظر يوما فى نفسه انى اجمع الدنيا مع الآخرة بغير تركهما فاطلع بهلول الولى على ما فى قلب هارون بالمكاشفة وجاء الى بيت هارون الرشيد وكان فى بيته امام قصره عمود عظيم متروك من سنين حتى لو جمع اهل البلد كلهم لا يرفعونه بل لا يحركونه فاخذ البهلول رأس العمود فرفعه ثم ترك ذلك الطرف وجاء الى الطرف الآخر فرفعه ايضا وتركه ثم جاء الى وسطه فاخذه فما رفعه لعدم قدرته والملك الرشيد ينظر الى ما فعله البهلول فطلب الملك البهلول الولى فجاء البهلول فقال الملك ما الغرض من هذا الفعل يا بهلول قال توبيخا الى الملك انى اردت ان اجمع الدنيا فقدرت عليها لكن لم يكن معها الآخرة ثم تركت الدنيا واردت الآخرة فقدرت عليها لكن بترك الدنيا ثم اخذت الوسط لاجمع الدنيا والآخرة فما حصل لى ذلك ففهمت ان تفكرك بان تجمع الدنيا والآخرة باطل ﴿وخاصية هذا البيت﴾ انك اذا كنت تتهم امرأة فلتكتب هذا البيت على ورقة اترج وضعها على ثديها الايسر وهى نائمة فانها تنطق فى حال النوم بجميع ما فعلت من مليح اوقبيح وهذا مجرب صحيح * وكذا اذا كنت شككت فى احد انه هل اخذ شيأ من مالك فاكتب هذا البيت فى جلد ضفدع مدبوغ وعلقه فى عنقك فان السارق يندهش ويقر من ساعته باذن الله تعالى

﴿يَالَائِمِى فِى الْهَوَى الْعُذْرِىِّ مَعْذِرَةً * مِنِّى اِلَيْكَ وَلَوْ اَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ﴾

لما كان المخاطب فيما قبل منكرا للدعوى بانه مبتلى بالهوى كان المكالمة والخطاب بينهما بالكاف والضمير ثم لما اقر المخاطب بتلك الدعوى بعد منه المتكلم قليلا اذ الخصم اذا اقر بالدعوى التى انكرها فيما مضى يرخى له العنان ويوسع عليه فى ذلك الزمان ويفرق عنه خصمه برهة من الآوان فعدل عن الخطاب والضمير الى الخطاب بصيغة النداء فقال (يالائمى) الخ اذ صيغة النداء تدل على البعد ويجوز ان يكون عدوله الى الخطاب بصيغة النداء لامالة المقصود بالنداء الى الاداء كذا ذكره سعدى چلبى فى تفسير قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) الآية والمقصود بالنداء هنا الاعتذار من المحبة والهوى ورجاء قبول عذره من اللائم . واللائم اسم فاعل من اللوم كما فى قوله تعالى « ولا يخافون لومة لائم » وهو مضاف الى ضمير المتكلم ﴿والمعنى﴾ يا من يلومنى بلومه ويعاتبنى بعتابه و(فى الهوى) ظرف للملامة وانما كان ظرفا لها لكون الهوى سببا لها اذ من وقع فى الهوى يلام فى كل صبح ومساء اذ المحب يكون له فى كل حاله انين ويبكى فى جمع وقته بكاء شديدا ويقع فى ملامة ومذلة جدا ولذا قيل

﴿يالائمى فى الهوى العذرى معذرة
منى اليك ولو انصفت لم تلم﴾

اللوم العذل فى الهوى اى فى الوقوع فيه وانما جعل الوقوع فى الهوى ظرفا للملامة لانه سبب لها فكأنه منبعها كما فى قوله تعالى (ولكم فى القصاص حيوة) والهوى العذرى عبارة عن الحب الشديد المفرط المتيم نسبه الى بنى عذرة وهى قبيلة مشهورة بالابتلاء بداء العشق وكثير من شبانهم يهلكون بهذا المرض كما يحكى ان واحدا سأل منهم عن سبب انهماكهم فى اودية المودة وموجب هلاكهم من شدة المحبة فاجابوا ان فى قلوبنا خفة وفى نسائنا عفة * ويجوز ان يكون الهوى العذرى عبارة عن الحب المستولى على القلب الذى من حقه ان يقبل العذر من صاحبه كل احد وقيل فى بنى عذرة يوجد حسن مفرط ايضا كما فى بنى هلال فعلى هذا يكون المعنى فى الهوى العذرى اى فى محبة المحبوب الجميل المفرط فى الحسن والجمال ويحكى عن الاصمعى انه مر بقبيلة بنى عذرة فاضافه بعضهم وجر محبته بالاضافة كما اشتهر ان الجر من عمل الاضافة وكانت لمضيفه بنت رشيق القد صبيح الخد فصيح الكلام مليح الملام كما قال فيها الشاعر «وليس بها عيب سوى ان ضيفها * يعاب بنسيان الاحبة والوطن» يقول الاصمعى خرجت من بيت المضيف لاتفرج باقى اهلهم اللطيف فرأيت شابا ضعيفا كالهلال ونحيفا كالخلال تلوح اسرار المحبة من اسرته وتجلى انوار المدة فى صفرة وجنته فى نظره نار موقدة وفى قلبه نار تطلع على الافئدة لا ينطفى نيران قلبه بقطرات العبرات

نون الهوان من الهوى مسروقة * فصريع كل هوى صريع هوان

و(العذرى) بالجر صفة الهوى وهو بضم العين بمعنى المنسوب الى قبيلة بنى عذرة وهى قبيلة فى اليمن مشهورة بكثرة العشق معروفة بوفرة الشوق وكثير شبانهم يموت بهذا الداء لعدم وجدانهم لمرضهم دواء لان فى قلوب رجالهم خفة اى ليس فيهم غش ولادناءة وفى نسائهم عفة اى ليس فيهن فحش ولاخيانة ﴿والمعنى﴾ يامن يلومنى فى وقوعى الى الهوى الذى مثل هوى قبيلة بنى عذرة فى الحب الشديد والعشق المديد * اوالمعنى فى وقوعى الى الحب المستولى الذى من شانه ان يقبل العذر من صاحبه كل احد لان ذلك الحب مستول بالاضطرار فلا يلام من ابتلى به عند الصغار والكبار ويمكن ان يرتب فيه قياس لطيف من الشكل الاول بان يقال هواى عذرى لان هواى عذرى وهوى العذرى عذرى ينتج هواى عذرى اى مقبول ﴿حكى﴾ ان الاصمعى اراد ان يذهب الى قبيلة من الاعراب مشهورة بالفصاحة والبلاغة عند اولى الالباب ليتعلم منهم الفصاحة حتى يذهب من لسانه الركاكة ففتش فى القبائل فسمع ان قبيلة بنى عذرة مشهورة بالفصاحة فيما بين العرب فذهب الى تلك القبيلة فى اليمن فاضافه بعضهم وكان لصاحب البيت بنت رشيقة القد صبيحة الخد فصيحة الكلام مليحة الملام فجر الاصمعى منها المحبة لكونه مضافالها والمشهور ان الجر من عمل الاضافة ويقول الاصمعى ثم خرجت من بيت المضيف لاتفرج واطوف فى هذه القبيلة فرأيت شابا لطيفا كالهلال نحيفا كالخلال مصفر اللون من العشق كالعنم وعلامة المحبة فى وجهه كالشمس على العلم فى قلبه اتقاد واشتعال كأنه مرتحل الى الآخرة بارتحال فسألته عن الحال ومافى جسمه من الملال فاجاب بالرعشة والاضطراب الحبيبة التى كنت فى بيتها ضيفا بنت عم ذلك المصاب ولنيران هواها فى قلبه اشتعال والتهاب ومارآها منذسنين وله من فراقها زفرة وانين قال الاصمعى فمضيت الى بيت عمه لاحصل مرام هذا الفتى وارجو منهم بلعل وليت ومتى وقلت ياراحة جراحة كل قلب كئيب ارى فيكم حرمة وذماما لكل غريب فجئت اليكم متشفعا فى امر هذا الشاب فتعطفى عليه باستمالة قلبه المصاب قالت صلاحه وفلاحه فى فراقنا وفوزه فى الاحتراق بلواعج اشواقنا فبعد اللتيا والتى قبلت انجاح منيتى فذهبت الى ذلك الشاب وقلت استعد لمشاهدة المحبوب وكن مراقبا لمواصلة المطلوب فبينا ذلك هاج الغبار من جانب المحبوب فغشى عليه ووقع فى النار التى كانت بين يديه فاحترقت بعض اعضائه فمشيت الى الحبيبة وحكيت لها الحال فقالت ياسليم القلب انه لايطيق مشاهدة غبار نعالنا

وهو يدمدم ويترنم مثل هذه المقالات «فلا عنك لى صبر ولا فيك حيلة * ولا عنك لى بد ولا لى منك مهرب * فلو كان لى قلبان عشت بواحد * وافردت قلبا فى هواك معذب * ولى الف باب قد عرفت طريقه * ولكن بلا قلب الى اين اذهب» فسألت الحضار عن حاله واستكشفت عن موجب بلباله قالوا الحبيبة التى انت فى بيتها بنت عم ذلك المصاب ولنيران هواها فى قلبه اشتعال والتهاب ومارآها منذسنين وله من فراقها زفرة وانين يقول الاصمعى فمضيت الى البيت طالب المرام بلعل وليت وقلت ياراحة كل جراحة كل قلب كئيب ارى فيكم حرمة وذماما لكل غريب وقد جئت اليك متشفعا فى امر هذا الشباب فتعطفى عليه باستمالة قلبه المصاب وردى قرة عينه بنور الجمال وتكفلى مسرة قلبه بسعاد الوصال قالت صلاحه فى فراقنا وفوزه فى الاحتراق بلواعج اشواقنا فبعد اللتيا والتى قبلت انجاح منيتى فذهبت الى المحب وقلت استعد لمشاهدة المحبوب وكن مراقبا لمواصلة المطلوب فبينا ذلك هاج الغبار من جانب الحبيب فغشى عليه ووقع فى النار التى كانت لديه واحترق بعض اعضائه وزاد داء حوبائه فمشيت الى الحبيبة

فكيف يطيق مشاهدة انوار جمالنا كذا ذكره شيخ زاده * قال الشارح الشرخيني وحكى ايضا ان الاصمعي في اثناء طوافه في هذه القبيلة رأى حجرا قد كتب عليه هذا البيت

ايامعشر العشاق بالله اخبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فكتب الاصمعي على الحجر بعد هذا البيت بيتا وهو

يداري هواه ثم يكتم سره * ويصبر في كل الامور ويخشع

فلما جاء الاصمعي رأى مكتوبا بعد بيته هذا البيت

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى * وفي كل يوم روحه يتقطع

فكتب الاصمعي بعد هذا البيت

اذا لم يطق صبرا وكتما لسره * فليس له مما سوى الموت انفع

فلما جاء الاصمعي في اليوم الثالث رأى شابا واضعا رأسه على الحجر ميتا وقد كتب على الحجر هذا البيت

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامي الى من كان للوصل يمنع

وقد ذكر هذه الحكاية قره باغي في محاضراته ايضا و(معذرة) مصدر من العذر منصوب بفعل مقدر اي اقبل بصيغة الخطاب او اعذر و(مني) متعلق به و(اليك) صلة معذرة * وقال شيخ زاده رحمه الله يجوز ان تكون معذرة مفعولا له من اللوم واليك اسم فعل اي يا لائمي اطلب معذرة ابعد فانك ظالم وقوله (ولو انصفت) الواو ابتدائية او حالية ولو لانتفاء الثاني لانتفاء الاول نحو لو جئتني لاكرمتك . والانصاف العدل اي لو عدلت لما هجوتني بالملام ولعذرت من ابتلاني برزايا الآلام و(لم تلم) فعل جحد مطلق من الملامة وياء المتكلم مفعوله اي تنفي الملامة عني ففي هذا المقام قياس استثنائي تقريره هكذا انك لم تنصف لانك لو انصفت لاتلومني لكن التالي باطل لانك لمتني كما فهم من قوله يا لائمي والمقدم مثله لانك لم تنصف فثبت انك غير منصف

﴿ عَدَتْكَ حالي لاسِرّي بِمُسْتَتِرٍ * عَنِ الوُشاةِ وَلادائي بِمُنْحَسِمِ ﴾

لما كان العاشق ارتجى من اللائم ان يقبل عذره ويترك الملامة له لكون عشقه غير اختياري بل هو عذري ولم يقبل اللائم عذره بل لامه فقابل العاشق ذلك اللائم بقوله (عدتك حالي) الى آخره كلمة (عدا) ان تعدى بالى يكون بمعنى سرى وان تعدى بعلى يكون بمعنى ظلم وان تعدى بعن يكون للبعد والمجاوزة وهنا اما متعد بالى اي عدت اليك فيكون من قبيل الحذف والايصال كما في قوله تعالى ﴿ واختار موسى قومه ﴾ فعلى هذا جملة عدت اما دعاء على اللائم او دعاء له اما كونه دعاء على اللائم فلكونه لائما له صورة

فقالت يا سالم القلب انه لا يطيق مشاهدة غبار نعالنا فكيف يطيق مطالعة انوار جمالنا * قوله (معذرة) منصوب بفعل مقدر اي اقبل و(مني) صلته و(اليك) صلة معذرة ويجوز ان يكونا صفتين لمعذرة اي اقبل معذرة كائنة مني ملقاة اليك ويجوز ان يكون معذرة مفعولا له واليك اسم فعل اي يا لائمي اطلب معذرة ابعد فانك ظالم ويجوز ان يرفع معذرة على الابتداء لتخصصها بالظرف الواقع صفة لها ويجعل اليك خبرها ولكن السماع هو النصب ولو انصفت جملة شرطية حالية اي لو عدلت لما جرعتني ماء الملام ولعذرت من ابتلي برزايا الآلام ولو ذكرت ما جرى بين المحبين ومحبوبهم المجازي الفاني لقبلت عذر الهائمين في بوادي محبة الحبيب الحقيقي الباقي

﴿ عدتك حالي لا سري بمستتر * عن الوشاة ولا دائي بمنحسم ﴾

عدا اليه اي سرى وعليه اي ظلم وعنه اي تجاوز وبدون الصلة بمعنى سار سريعا والمراد ههنا عدت اليك حذف الجار كما في قوله تعالى (واختار موسى قومه) وهو في الظاهر دعاء على اللائم المؤذي اي ابتلاك الله بمثل ما ابتلاني به اما في نظر من يتلذذ ببلاء العشق فيكون دعاء له ثم كأن سائلا قال كيف لك الحال فاستأنف بقوله لا سري ولا بمعنى ليس والسر الامر الخفي وجمعه الاسرار والوشاة جمع واش من الوشي بمعنى الغمز لان الغماز يزين

فحينئذ يكون فيه اشارة الى قوله عليه الصلاة والسلام (من عير اخاه المسلم بذنب لم يمت حتى ابتلاه الله به) واما كونه دعاءله فاما لكونه ناصحاله حقيقة واما عملا بقوله عليه الصلاة والسلام (صل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك) واما متعد بعن اى عدت عنك والجملة ايضا امادعاء عليه بالحرمان من الوصول الى مرتبة العشاق الى رسول الله فيكون المعنى تجاوز عنك حالى ولم يبق فيك واما دعاءله بانى ادعو الله ليتجاوز عنك حالى اى سقم القلب وبكاء العين والكون ملوما وعلى كل تقدير جملة عدت اخبارية مستعملة فى معنى الانشاء مجازاً اواستعارة بان يشبه النسبة الانشائية الكائنة فى ليتعد بالنسبة الاخبارية واريد النسبة الانشائية وبتبعية هذه الاستعارة استعملت الصيغة الموضوعة للنسبة الاخبارية اعنى عدت حالى فى النسبة الانشائية اعنى ليتعد حالى ونظيرها كثير فى الحديث والقرآن كما لا يخفى على اهل البيان ونكتة المجاز اما التفأل كأنه دعا واستجيب واما لاظهار شدة حرصه ورغبته على وقوعه كأنه لكمال حرصه تخيل وقوعه فعبر بالماضى وقوله (حالى) بالرفع على انه فاعل عدت وهى مونث سماعى وقد تذكر.والحال فى اللغة نهاية الماضى وبداية المستقبل.وفى اصطلاح النحويين مايبين هيئة الفاعل اوالمفعول به لفظا نحو ضربت زيدا قائما اومعنى نحو زيد فى الدار قائما.وفى اصطلاح الحكماء كيفية فى النفس غير راسخة فيها لانهم قسموا الكيفيات النفسانية الى قسمين لانها ان كانت راسخة فى النفس فهى ملكة وان لم تكن راسخة فهى حال فالحال بهذا المعنى مالا يكون معدوما ولا موجودا ولا دائما كالحزن والسرور الغير الدائمين.والحال فى اصطلاح اهل الحق والتصوف معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب اوحزن اوقبض اوبسط اوهيبة او خيبة ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل اولا فاذادام وصار ملكة يسمى مقاما فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب والاحوال تأتى من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود والمراد ههنا الحال التصوفى فيكون المعنى سرى اليك ماكان فى قلبى من الحب الحقيقى لانك وان لمتنى صورة لكن مالمتنى حقيقة اوابتلاك الله بمثل ماابتليت به ثم كأن سائلا قال كيف كان حالك فاجاب بقوله لاسرى الى آخره فتكون جملة (لاسرى بمستتر) استينافية معانية و(لا) مشبهة بليس و (سرى) مضاف الى ياء المتكلم وهو الامر الخفى وهو بالرفع محلا اسم لا * فان قلت ان اسم لا المشبهة بليس لايكون معرفة فكيف يكون قوله سرى اسم لا

كلامه حسمه قطعه فانحسم يعنى يامن اطال اللسان فى الملامة ومن ملامته قامت على العشاق القيامة مكنونات ضمائرى غير مستورة عن الوشاة ومستورات سرائرى غير مكنونة لدى الشكاة ولعمرى لا انحسام لدائى ولاانقطاع لرجائى فلاتسع فى هتك الاستار وتلق بالقبول للاعذار فانك لوابتليت بما ابتليت به من الغرام لما اطلت على الصب المتيم لسان الملام ثم قال قدس سره

مع كونه معرفة لكونه مضافا الى المعرفة * قلت هذا مبنى على مذهب الاخفش فانه وان لم يجوزه الجمهور لكن الاخفش جوزه والباء فى (بمستتر) زائدة وهو خبر لا و(عن) متعلق بمستتر و(الوشاة) جمع واش كالنحاة والغزاة والواشى بمعنى الغامز والمنافق الذى يسعى بالفساد بين العاشق والمعشوق ليفرق بينهما قال الشاعر

لئن كنت قد بلغت عنى جناية * لمبلغك الواشى اغش واكذب

وقال آخر

قالوا الوشاة قد ادعى بك نسبة * احزنت لما قلت قد صدقته

وقوله (ولا دائى) عطف على (لاسرى) واعادة حرف النفى للتأكيد . والداء المرض مضاف الى ياء المتكلم و(المنحسم) اسم فاعل من الانحسام بمعنى الانقطاع اى ولا مرضى بمنقطع بالوصول الى المحبوب ويمكن ان يرتب فيه قياس تقريره هكذا دائى ليس بمنحسم لان دائى لو كان منحسما لوجدله الاطباء ولو وجدله الاطباء لوجد وصلة الاحباء ينتج انه لو كان دائى منحسما لوجدله وصلة الاحباء لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه اعنى ان دائى ليس بمنحسم ﴿الحاصل معنى البيت﴾ يا لائمى انى رجوت الاعتذار منك كثيرا فما قبلت وما تركت الملامة فانا ارجو لله تعالى ان يبتليك مثل ابتلائى فكأن السائل سأل عن ابتلائه بانه كيف الحال فى ابتلائك فقال كنت ملابسا بحال لم يكن سرى بمستتر عن الغمازين بين المحب والمحبوب لانه سلب عنى الاختيار وكان سرى مكشوفا بالاضطرار اذ ورد عن الكمل والكبار العشق هتك الاستار وكشف الاسرار وكان ايضا مرضى اعنى العشق للنبى المختار غير منقطع عنى فى كل ليل ونهار ولا ينفعنى للبعد عنه والفرار الا الوصلة الى جنابه الذى كلمه الاحجار والاشجار والى جماله الذى طلعت منه الانوار

مَحَضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ * إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَّالِ فِي صَمَمِ

ولما فهم الناظم الفاهم ان لوم اللائم وان كان لوماله صورة لانه حمل عشقه على المجاز وقال ان عشقك لفلان ابن فلان لا للنبى ولا للرحمن لكنه فى الحقيقة نصح له بان العشق المجازى ليس كما ينبغى لانه تضييع الاوقات فيما لا يعنى وبذل النفس فيما لا يسمن ولا يغنى فقال هضما لنفسه وانكار الحبه الحقيقى احترازا عن العجب الذى هو اعظم الذنوب وافخمها ولذا قال عليه الصلاة والسلام (لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اعظم من ذلك العجب العجب) قوله (محضتنى النضح) الخ وهو بصيغة الخطاب خطاب لمن يلومه

﴿محضتنى النصح لكن لست اسمعه ان المحب عن العذال فى صمم﴾ محضت الشئ اخلصته وصفيته عما لا ينبغى والمحض من الشئ الصرف والخالص واسمعه اى اقبله كما فى سمع الله لمن حمده ولكن للاستدراك وهو دفع توهم تولد من كلام سابق ولما كان مظنة ان يقال لم لا تسمع استأنف بقوله ان المحب قوله عن العذال متعلق اما باسمعه او بصمم وهو اولى من جهة المعنى ولا بأس بتقدم معمول المصدر اذا كان ظرفا اذ يكفى فيه رائحة الفعل كما نص عليه الشيخ فى قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) وفى صمم خبر ان اى كائن فى صمم عن سماع كلامهم جعل الصمم ظرفا مبالغة فى بيان عدم القبول يعنى احاط بى الصمم احاطة الظرف بالمظروف اذ حبك الشئ يعمى ويصم حديث معروف

فى العشق المجازى وهو من التمحيض والتمحيض كالامحاض جعل الشئ محضا اى خالصا وصافيا عما لاينبغى و (النصح) منصوب على انه مفعول ثان له اى جعلت لى النصيحة محضا خالصا بحيث لايشوبها غرض من الاغراض الفاسدة والآراء الكاسدة والنصح من النصيحة وهو اراءة الخير للغير وكلة (لكن) للاستدراك وهو دفع توهم نشأ من الكلام السابق لانه لماقال محضتنى النصح تولد منه توهم بانك هل انتصحت بنصحه فدفعه فقال لكن لست الخ هضما لنفسه والافلم يكن فى الناظم الفاهم عشق مجازى حتى يتركه بنصح ناصح لان عشقه حقيقى لانه للنبى عليه السلام وقوله (لست اسمعه) بمعنى لم التفت اليه بطريق المجاز التبعى بان يشبه الالتفات بالاسماع فى توجه القلب فذكر الاسماع واريد الالتفات ثم اشتق من الالتفات التفت ومن الاسماع اسمع فشبه التفت بالعلاقة التى فى مصدرهما باسمع فذكر اسمع واريد التفت وقوله (ان المحب) الخ علة لعدم السماع فالتقدير لان المحب فحذف الجار لكونه قياسا كقوله تعالى (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) والالف واللام فى المحب للاستغراق اى كل محب * فان قلت الالف واللام الداخلة على اسم الفاعل والمفعول بمعنى الذى فكيف يكون اللام ههنا للاستغراق * قلت الالف واللام الداخلة عليهما ليست بمعنى الذى مطلقا بل انما تكون بمعناه اذا كان الفاعل والمفعول بمعنى الحدوث نحو الضارب والمضروب بمعنى الذى ضرب واما اذا كان بمعنى الثبوت كالواجب والمؤمن وغيرهما فلايكون كذلك بل يكون حكمه حكم الصفة المشبهة والالف واللام فيه للتعريف وماوقع ههنا من هذا القبيل فاحفظ هذا و (المحب) منصوب على انه اسم ان * فان قلت ماالنكتة فى نصب ان اسمه ورفعه خبره ولم يجعل الامر بالعكس * قلت تفصيله انه لماصار عاملا فلا يخلو امان يرفع المبتدأ والخبر معا او ينصبهما معا او يرفع المبتدأ وينصب الخبر او ينصب المبتدأ ويرفع الخبر والاول باطل لان الخبر والمبتدأ كانا قبل دخول ان عليهما مرفوعين فلو بقيا كذلك بعد دخول ان عليهما لماظهر له اثر ولانه اخذ العمل من المشابهة بالفعل والفعل لايرفع الاسمين وكذلك مايشابهه لان الفرع لايكون اقوى من الاصل والثانى ايضا باطل لانه اخذه من الفعل وهو لاينصب شيئين مع خلوه عما يرفعه والثالث ايضا باطل لانه لورفع المبتدأ ونصب الخبر لكان بين الاصل والفرع تساو وهو باطل ولمابطلت الاقسام الثلاثة تعين القسم الرابع وكذا الكلام فى اخوات ان وان مع اسمه وخبره جملة والجملة استينافية كأنه قائلا قال لم لم تسمع

النصيحة فاجاب بقوله ان المحب الخ و(عن) فى(عن العذال)متعلق بالصمم المؤخر * فان قلت ان تقديم مافى حيز حرف الجر عليه ممتنع فكيف يصح تقديم معمول مافى حيز حرف الجر لان المعمول لايقع الاحيث يصح وقوع العامل فيه * قلت تقديمه هنا للاتساع فى الظروف لان الظرف يغتفر فيها مالايغتفر فى غيرها او لضرورة الشعر كماقاله الشاعر فى بيان ضرورات الشعر

وقد جاء فى التركيب بعض تصرف * كفصل وتقديم ومثل زيادة

و(العذال) جمع عاذل بمعنى اللائم ويجوز ان يكون العذال هنا بمعنى المتكلم مطلقا لائما كان اوناصحا من قبيل ذكر الخاص وارادة العام كمايشير اليه التعميم فى الحديث و(فى صمم) اى فى وقر عن سماع كلامهم وهو ظرف مستقر خبر ان . والصمم بفتحتين ضد السمع والظرفية مجازية واستعارة تبعية بان يشبه شمول العموم المطلق بشمول الظرفية المطلقة فى الاحاطة المطلقة فاستعير شمول الظرفية المطلقة لمفهوم شمول العموم المطلق فذكر شمول الظرفية المطلقة واريد شمول العموم المطلق وبتبعية هذه الاستعارة شبه شمول العموم الجزئى بشمول الظرفية الجزئية فى الاحاطة الجزئية ثم استعير الكلمة الموضوعة لشمول الظرفية الجزئية اعنى فى لمفهوم شمول العموم الجزئى ثم ذكر كلمة فى الموضوعة لشمول الظرفية الجزئية واريد شمول العموم الجزئى ونكتة المجاز المبالغة ويمكن ان تكون الاستعارة مكنية فى مدخول فى اعنى صمم بان شبه الصمم بالكوز فى الاشتمال واثبت له ماهو من خواص المشبه به اعنى الاداة الدالة على الحلول الحقيقى * وفى هذا البيت تلميح الى قوله عليه الصلاة والسلام فيمارواه البخار (حبك الشئ يعمى ويصم) فاعلم انه يمكن ان يكون فى هذا البيت قياس اقترانى ترتيبه هكذا انى لم اسمع نصحك لانى محب والمحب فى صمم عن العذال ينتج انى فى صمم عن العذال وكل من هو فى صمم عن العذال لايسمع نصحك ينتج انى لم اسمع نصحك وصغرى القياس الاول مسلمة عند الخصم ودليل كبراه الحديث السابق وتقريره بان يقال كل محب فى صمم عن العذال لانه لما قال صلى الله عليه وسلم (حبك الشئ يعمى ويصم) وكان هذا الحديث خاص اللفظ عام المعنى كان كل محب فى صمم عن العذال لكن المقدم حق والتالى مثله ﴿وخاصية هذا البيت﴾ انك اذا كنت تخاف من شر احد اومكره فاكتب هذا البيت فى كاغد ويكون الكاغد دائرة واجعلها على مقدم رأسك تحت العمامة فانك تكون باذن الله تعالى محفوظا من شره ومكره

﴿انّى اتّهمت نَصيحَ الشَّيبِ فى عَذَلى * والشّيب ابعد فى نُصح عن التهمِ﴾

ولما ورد المنع على دليل عدم سمعه نصيحة الناصح بانه لا نسلم ان عدم قبولك واستماعك النصح من كونك محبا لم لا يجوز ان يكون من حملك نصيحة الناصح على الحسد والطمع اثبت دعواه السابقة بقوله (انى اتهمت) الى آخره فتقدير انى لانى حذف الجار لكونه قياسا فهو فى الحقيقة علة و(اتهمت) نفس متكلم من باب الافتعال بمعنى حملت على التهمة يقال اتهمت فلانا بكذا اى نسبته الى الشئ يورثه العار . والتهمة اسم منه وتاؤه بدل من الواو اذ اصله وهمة كما فى تخمة و(نصيح الشيب) منصوب على انه مفعول لا تهمت. والنصيح فعيل بمعنى الفاعل اى الناصح مضاف الى الشيب والاضافة امامن قبيل اضافة الصفة الى موصوفها اى حملت الشيب الناصح على التهمة واما من قبيل اضافة المشبه الى المشبه به اى الناصح كالشيب فى الاخبار عن قرب الموت اوالنصيح مصدر فاضافته الى الشيب من اضافة المصدر الى فاعله ويحتمل ان تكون الاضافة بيانية. والشيب كون الشعر بياضا وقيل هو الشعر الابيض والمراد بنصيحة الشيب كون الشيب قائلا بلسان الحال قد قرب الارتحال وحان الزوال فهذا اوان التوبة من سئ الاحوال كما قال الشاعر الفارسى

موى سپيداز كفن آردبيام * پشت خم ازمرك رساندسلام

وورد فى الخبر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما كان خليفة نبه اعرابيا ان ينادى فى كل صباح وراء داره بيا عمر لاتنس موتك واعمل فى الدنيا بقدر مقامك فيها فلما وجد عمر رضى الله تعالى عنه فى لحيته بياضا قال للاعرابى اترك النداء لان مخبرى ومذكرى حصل فى نصب عينى فلم يبق لندائك حاجة وقوله (فى عذلى) متعلق باتهمت. والعذل بسكون الذال المعجمة بمعنى اللوم حرك الذال لضرورة الشعر وللخفة. وقال المحقق العصام هو بالتحريك على الاصل واضافته الى ياء المتكلم من اضافة المصدر الى مفعوله اى فى لومه اياى ﴿والمعنى﴾ انى حملت على التهمة النصيح الذى كالشيب اوناصح شيب اى شيخ فى لومه اياى لان الناصح يلوم ويعاتب لمن يلقى اليه النصح وقرئ ايضا فى (عدلى) بالدال المهملة فيكون مصدرا بمعنى العدول وعلى هذا يتعلق فى بنصيح واضافته اضافة المصدر الى الفاعل اى نصيح الشيب فى حق عدولى عن الاحوال السيئة وهذه القراءة احسن من جهة انه على هذا تكون اضافته الى الياء من اضافة المصدر الى فاعله فهو اصل فى المصدر والواو فى (والشيب) حالية والشيب مبتدأ وابعد خبره وهو

﴿ انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى والشيب ابعد فى نصح عن التهم ﴾

يعنى يامن يبالغ فى امحاض النصح والتصدى للملام كانك ماذقت جرعة من صهباء الغرام «اذا كنت خلوا فاعذر الصب فى الهوى * فما المبتلى والمستريح سوا * لقد لمت اهل الحب مثلك فى الهوى * فهاانا الزرى مثلهم واسا» فما اعتقادك فيمن يحترق فى نار المحبة والتهابها لهم قلوب يعقلون بها ام لهم اذان يسمعون بها أظن ان المحب لا يتهم العذال ولا يضرب عنهم الصفح وتضييع المقال فمابالك واضاعة الكلام أماتدرى ان البلاغة فى رعاية مقتضى المقام والصمت اجمل بالفتى من منطق فى غير حينه هب انك ماحض فى النصح والملام وبعيد عن مواقع الاتهام اماتعلم ان نصيح الشيب والهرم ابعد منك فى عذله عن مواضع التهم وانى مع انه رأيت النسر عزا بن داية وفى وكريه عششا وربع الشباب بنزول ضيف الشيب اوحشا ولى فى ذكر عهد الشباب زفرة تحرق الحشا فمحزون دمعى بعد فقدانه همى ومكنون سرى عقب هجرانه فشا ومع هذا اتهم نذير الهرم ونصيح الشيب فعليك ان لا تحوم حول العتب وحمى العيب اتهمت فلانا بكذا اى نسبته الى الشئ يورثه العار والتهمة اسم منه والتاء بدل عن الواو مثل التخمة والنصيح فعيل بمعنى الفاعل مضاف الى الموصوف على تأويل عرفته فى جرد قطيفة اى الشيب الناصح اوترخيم نصيحة للضرورة واضافة المصدر الى الفاعل والمراد

من نصيحة الشيب دلالته على قرب الموت المقتضى للاستعداد ومن اتهامه ترك العمل بمقتضاه (والعذل) بفتح الذال وسكونها و بمعنى واضافته الى المفعول اى فى عذله اياى وعن التهم اومن التهم على خلاف الروايتين متعلق بابعد ومن التفضيلية محذوف اى من كل ناصح والتنوين فى نصح عوض عن المضاف اليه اى فى نصحه وقوله (والشيب ابعد) جملة حالية وهذا البيت تأكيد من حيث المعنى للبيت المتقدم اى فماظنك فى اتهامى لك ايها اللائم بعدما لايقبل نصيحة الشيب قلبى الهائم ولاريب ان الشيب ابعد من التهم فى الامحاض فقس حال قبول مقالك على هذا واقض ماانت قاض * ومن ههنا انتقال من بيان حال الحب والشكاية عن اللائم الى بيان حال النفس والشكاية عنها لان المانع عن التوجه الكلى الى الوطن الاصلى هذه النفس الامارة بسوء الاعمال والمرغبة الى قبائح الافعال ولهذا توجه الخطاب اليك بقوله عليه الصلاة والسلام (اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك) والانتقال فى الكلام من اسلوب الى اسلوب يكون احسن تطرئة لنشاط السامع واكثر ايقاظا للاصغاء اليه واما اعجاز كلام رب العزة وهو قرآنه الكريم وفرقانه العظيم الالانصبابه فى هذه القوالب ووروده على تلك الاساليب

الفصل الثانى فى اعتراف التقصيرات وبيان هوى النفس

﴿ فان امارتى بالسوء ما اتعظت
من جهلها بنذير الشيب والهرم ﴾

الفاء للعطف على انى اتهمت وتفسيرله والسوء الشر والاتعاظ قبول الوعظ ومن للسببية والنذير بمعنى الانذار كالنكير

اسم تفضيل ويلزم فى استعماله ولو تقديرا احد الشروط الثلاثة اعنى الاستعمال باللام او بمن او بالاضافة وهنا استعمل بمن المقدرة لان المعنى ان الشيب ابعد من كل شئ ناصح و(فى نصح) متعلق بـ(ابعد) وتنوينه عوض عن المضاف اليه اى فى نصحه و(عن التهم) متعلق بـ(ابعد) وفى بعض الرواية من التهم * فان قيل فعلى هذا يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بمتعلق واحد مع انه غير جائز * قلت فعلى هذا تكون من المذكورة متعلقة بمادة البعد لابصيغة افعل التفضيل كما فى قولهم الانسان الاعم من زيد كذا فان قولهم من زيد متعلق بمادة العموم لا بالصيغة والا لزم استعمال افعل التفضيل بمجموع الامرين اعنى اللام وكلمة من وهو باطل كما تقرر فى النحو كذا قاله كانبوى فى حاشية التهذيب * ثم اعلم انه لما كان هذا البيت علة لما قبله امكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال انى لم اسمع لومك ونصحك لانى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى مع ان الشيب ابعد فى نصح عن التهم وكل من شأنه كذا فلا يسمع نصحك ولومك ينتج انى لم اسمع لومك ونصحك ويمكن ان يرتب بترتيب آخر احسن من الاول بان يقال انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى والشيب ابعد فى نصح عن التهم ينتج من غير متعارف الشكل الاول انى اتهمت النصيح الابعد فى نصح عن التهم فنضم اليه الكبرى لينتج الدعوى بان يقال وكل من اتهم النصيح الابعد فى نصح عن التهم لا يسمع لومك و نصحك ينتج من المتعارف انى لم اسمع لومك و نصحك

﴿فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ * مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ﴾

لما فرغ من الكلام السابق الذى كان فى العشق والهوى انتقل الى الكلام الذى هو فى داء النفس ودوائها بانتقال حسن اذ جعل قوله (فان امارتى) الى آخره علة لما سبق اى لقوله (انى اتهمت) الى آخره وبين العلة والمعلول مناسبة تامة كما لا يخفى فالفاء فى (فان) للتعليل ويمكن ان يرتب ههنا قياس من الشكل الاول بان يقال انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى لان نفسى الامارة بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم وكل من شأنه كذا يتهم نصيح الشيب فى عذلى ينتج انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى (والامارة) مبالغة اسم الفاعل بمعنى الآمر بالسوء مبالغة واضافته الى ياء المتكلم للعهد اى امارتى المعهودة وهى النفس ويجوز ان يكون من حذف الموصوف وذكر الصفة وارادته منها فان الآمر بالسوء مبالغة صفة النفس بقرينة تخصيصه تعالى بالنفس فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام (ان النفس لامارة بالسوء) فيكون فى هذا البيت صنعة تلميح الى هذه الآية وقوله (بالسوء) صلة لامارة. والسوء بالضمة اسم بمعنى الفتنة والعذاب والبلاء

بمعنى الأنكار او بمعنى المنذر كالبديع بمعنى المبدع والاضافة من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها على ماعرفت من التأويل اومن قبيل الاضافة البيانية كما فى كتاب المفتاح وشهر رمضان وان اعتبرت المشابهة بين الشيب والنذير يكون من قبيل لجين الماء اعنى اضافة المشبه به الى المشبه وهو احد وجهى التشبيه للتأكيد والهرم تناهى الشيب وبالنذير يجوز ان يتعلق باتعظت وان يتعلق بجهلها فيكون من قبيل تنزيل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم فالمعنى ان نفسى الامارة بالسوء والعيب ماقبلت الوعظ من نذير الشيب فتمادت فى غواية الجهل بعد الهرم وما كبحت عنان جماع الشهوة بايدى الندم * اعلم ان الناظم نظمه الله فى سلك ﴿٣٣﴾ اوليائه قد اورد اصول الصفات الذميمة النفسانية فى عدة ابيات واثبتها على حوبائه اقتداء للنبى الذى قال لهضم نفسه (وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء) واقتفاء لأثر الحبيب الذى سلك طريق كلام المصنف فى قوله (ومالى لااعبدى الذى فطرنى واليه ترجعون) ولسلوك هذا الطريق شأن عجيب فى البلاغة لانه يكون اكثر ايقاظا لاصغاء السامعين واقوى ذريعة لاصاختهم من حيث لايخاطبهم بما يمج عنه اسماعهم ويتنفر عنه طباعهم فاذا لم يضربوا فى اول الامر عن كلامه صفحا ولم يطووا دون مرامه كشحا فيستدرجهم بالقاء الحق عليهم من حيث لايعلمون فالصفات المذكورة من صفات المخاطب لكن المتكلم اثبتها لنفسه لرعاية نكتة نبهناك عليها ولما آل الكلام الى هذا وجب تمهيد مقدمة لمعرفة ماهية النفس وطريق تزكيتها المقدمة قال الله تعالى تعالى (ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك) اعلم ان النفس عين لطيفة (٣) هى معدن الاخلاق الذميمة مودعة بين جنبى الانسان اى جميع جسده وهى امارة بالسوء وهى مجبولة على ضد الروحانيات المخلوقة عن الملكوت الاعلى فانهم يأمرون بالخير وينهون عن الشر وهى مخلوقة من الملكوت السفلى كالشياطين وهم لايأمرون الا بالشر ومن طبعهم التمرد والاباء والاستكبار ولهذا تأبى النفس عن قبول الموعظة وتظهر التمرد كما اشار اليه بقوله فان امارتى بالسوء ما اتعظت البيت وفى بعض الروايات ان الله تعالى لما خلق النفس قال لها اقبلى فادبرت وقال لها ادبرى فاقبلت

وبالفتح مصدر يقال رجل سوء على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل قولهم رجل عدل وقوله (ما اتعظت) ما نافيه واتعظت من الاتعاظ بمعنى قبول الوعظ وجملته خبران و(من جهلها) متعلق بالنفى ومن اماعلى معناه الاصل اى عدم قبولها الوعظ ناشئ من جهلها او بمعنى لام التعليل فعلى هذا يمكن ترتيب قياس هكذا نفسى الامارة بالسوء مااتعظت لان نفسى الامارة بالسوء جاهلة بنذير الشيب والهرم وكل نفس شأنها كذا فلاتتعظ ينتج نفسى الامارة بالسوء مااتعظت وقوله (بنذير) يجوز ان يكون متعلقا باتعظت وان يتعلق بجهلها فيكون من قبيل تنزيل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم والنذير امابمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار او بمعنى المنذر كالبديع بمعنى المبدع فعلى الاول تكون اضافته من اضافة المصدر الى فاعله وعلى الثانى يكون من قبيل الاضافة البيانية ويجوز ان تكون اضافته من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها وان اعتبرت المشابهة بين الشيب والنذير يكون من قبيل لجين الماء (والهرم) عطف على الشيب وهو بفتحتين او بكسر الراء تناهى الشيب وقال الخادمى والمراد لازمه اعنى انحراف القامة * ثم اعلم ان هذا المقام يقتضى بسطا من الكلام حتى يفهم المرام فنقول اولا اختلفوا فى ان النفس ما هى ذهب بعض المتكلمين الى انها الجسد والهيكل المحسوس وبعضهم ذهبوا الى انها الاجسام الاصلية باقية من اول العمر الى آخره * وقال ابن الراوندى انها اجزاء لاتتجرد عن القلب والنظام ذهب الى انها جسم لطيف نورانى يسرى فى البدن كسريان النار فى الفحم وبعض الاطباء ذهب الى انها هى قوة المودعة فى الجانب

على ضد العقل واما منشأ خلقة النفس فان الله تعالى لما نفخ الروح فى جسد آدم عليه السلام خلق من ازدواج الروح والجسد ولدين ذكرا وهو القلب يشبه والده الروح العلوى فيأمر بالخير وجعل موضعه المضغة الصنوبرية فى الجانب الايسر من الصدر وانثى وهى النفس تشبه والدتها الجسد السفلى فيأمر بالشر وجعل موضعها جميع الجسد وقد خلقها على صورة جهنم وخلق بحسب كل دركة ﴿٣٤﴾ فيها صفة لها وهى باب من ابواب جهنم يدخل فيها من هوى الى دركة من دركاتها السبع وهى سبع صفات الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد فمن زكى نفسه عن هذه الصفات فقد عبر عن هذه الدركات السفلية ووصل الى درجات الجنان العلوية كما قال تعالى (قد افلح من زكيها) ومن لم يزك نفسه عن هذه الصفات بقى فى دركات جهنم خائبا خاسرا كما قال تعالى (وقد خاب من دسيها) ثم اعلم ان هذه الصفات من مقدمات النفس وتتولد منها صفات اخرى ومنشأ جميع الصفات النفسانية صفتان مركوزتان فى جبلة كل حيوان ولا بد منهما فى التعيش وهما الشهوة والغضب فبالشهوة يجذب المنافع الى نفسه وبالغضب يدفع المضار عن نفسه فاذا استعمل الشهوة فى طلب ما يحتاج اليه يتولد منها الحرص واذا استعمل الغضب فى دفع مضرته تولد منه الحقد وان رأى شيئا مما يحتاج هو اليه مع غيره ولم يدفعه اليه تولد منه الحسد وان كان معه شئ وطلبه من يحتاج اليه فيمنعه عنه تولد منه البخل وان كان منه ما يحتاج اليه جمع كثير ويتواضعون له ويتضرعون اليه فى طلب مقاصدهم منه وهو ينظر اليهم بنظر الحقارة والى نفسه بنظر العزة يتولد منه الكبر والعجب وان كان بغيره ما يحتاج هو اليه ولم يدفعه اليه وهو قادر على ان يأخذه منه بالقوة وحمل الحرص على اخذه منه يتولد منه الظلم والتعدى وكذلك جميع الاخلاق الذميمة يتولد بعضها من بعض ما لم يحسم مادتها وحسم مادتها بتزكية النفس على قانون الشريعة والطريقة عن صفاتها كما نبينه فى كل صفة يشير اليها الناظم فى خلال الابيات

الايسر من القلب وتسمى الروح الحيوانى وعند بعض آخر منهم هى القوة المودعة فى الدماغ وتسمى بالنفس الانسانية وعند الحكماء جوهر مجرد لا يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف والمراد هنا النفس الانسانية وهى التى قد خاطبها الله تعالى وجعلها موضع الامر والنهى وهى معدن الاخلاق الذميمة مودعة فى جمع جسد الانسان وهى مجبولة على ضد الروح الرحمانى التى فى اعلى عليين فانها تأمر بالخير وتنهى عن الشر فتلك النفس تابعة للارواح التى فى اسفل السافلين كالشياطين الذين لا يأمرون الا بالشر ولا ينهون الا عن الخير واما منشأ خلق النفس فان الله تعالى لما نفخ الروح المخلوق فى العهد والميثاق بامره فى جسد آدم عليه الصلاة والسلام خلق من ازدواج الروح مع الجسد ولدين ولدا ذكرا وهو القلب اللطيف المشبه بوالده الذى هو الروح العلوى فيأمر بالخير وينهى عن الشر وكان ذلك منظر ربنا ذى الرحمة والغفران وبين اصبعى الرحمن وولدا انثى وهى النفس الكثيفة المشبهة بوالدتها التى هى الجسد السفلى فتأمر بالشر وتنهى عن الخير وجعل موضعها جميع الجسد ثم ان المتصوفين قالوا للنفس سبع مراتب * الاولى النفس الامارة وهى التى تميل الى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب الى الجهة السفلية فهى مأوى الشرور ومنبع الاخلاق الذميمة لانها مبدأ الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد * والثانية النفس اللوامة وهى التى تنورت بنور القلب فتطيع العاقلة تارة وتعصى اخرى ثم تندم فتلوم نفسها وهى منبع الندامة لانها مبدأ الهوس والعثرة والحرص * والثالثة النفس المطمئنة وهى التى تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة * والرابعة النفس الملهمة وهى التى الهمها الله العلم والتوضع والقناعة والسخاوة فلذا كانت منبع الصبر والتحمل والشكر * والخامسة النفس الراضية

﴿ ولا اعدت من الفعل الجميل قرى * ضيف ألم برأسى غير محتشم ﴾ عطف على ماا تعظمت اعـده هيأه ومن لابتـداء الغاية ومتعلق باعدت او لبيان القرى قدم للشـعر الفعل الجميل هو المستحسن شرعا وعقلا وقراه اى اضافه قرى وله معنيان المصـدر والحاصل به والم به نزل وهو صـفة ضـيف والاحتشـام الاسـتحياء بالاحترام وغير بالجر صـفة ضيف وبالنصب على انه حال من فاعل الم وهو الضمير الراجع الى ضيف اوعلى انه حال من ضيف والعامل فى الحال وذى الحال شئ واحدوهوقرى لكونه مصدرا فيكون من قبيل اعجبنى ضرب زيدراكبا لامن قبيل قوله تعالى (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) كما توهم لان بعض المحققين فى علم العربية صرح بان الحال من المضاف اليه انما يجوز اذا كان المضاف اليه كما ذكرنا اوكان جزأ عن المضاف مصدرا اوبمنزلة الجزء حتى صح قيامه مقامه مثل اتبعت ابراهيم اذا اتبعت ملته ورأيت هذا قائمة اذا رأيت وجهها فحينئذ يكون العامل فى الحال هو العامل فى المضاف لما بين المضاف والمضاف اليه من الاتحاد بالوجه المذكور فتأمل فان قيل هذا مبنى على اشتراط الاتحاد بين عامل الحال وذى الحال وهو ممنوع لما صرح صاحب الكشاف بان قوله تعالى غير المغضـوب ان قرئ بالنصب حال من الضمير المجرور فى عليهم والعامل فيه انعمت فيكون العامل فى ذى الحال حرف جر وفى الحال الفعل قلنا ليس هذا من اختلاف العامل فى الحـال وذى الحال اذ العمل فى مجموع الجـار والمجرور بمعنى انه غـير خارج عن المعمولية على ان التحقيق ان المنصوب المحل والمرفوع هو المجرور فقط لان اثر الجار انما هو فى تعدية الفعل وافضائه الى الاسم وبهذا يندفع مايقال ان الاسـناد اليه من خواص الاسم والجـار والمجرور ليس باسم ومن اراد المزيد فليرجع الى حواش علقناها لشرح الكشاف ولما استعار اسم الضيف للشيب رشحها بلفظ قرى كما فى قوله تعـالى (فما ربحت تجارتهم) فمعناه ان نفسى ماهيأت شيئا من الاعمـال الجميـلة لضيافة ضيف كريم نزل برأسى اى ماتابت النفس عن ضلالها القديم ولم تعـد من الرجوع الى الله تعالى قرى الضيف الكـريم وما تركت عن الادناس البشرية بجذبات الالوهية ثم الاصل فى تزكية النفس ترقيها من مقاماتها ولها اربع مقامات مقام الامارية قوله تعالى (ان النفس لامارة بالسوء) ومقام اللوامية قوله تعالى (فلا اقسم بالنفس اللوامة) ومقام الملهمية قوله تعالى (ونفس وماسواها

وهى التى رضى الله تعالى عنها ويظهر فيها اثر رضاه تعالى وهو الكرامة والاخلاص * والذكر والسادسة النفس المرضية وهى التى رضيت عن الله تعالى كما قال الله تعـالى (ورضوا عنه) ويترك فيها الكرامات ويعرف فيها الله تعالى بكنه ذاته * والسـابعة النفس الصـالحة وهى التى مقام الاسرار بين الله تعالى وبينها ثم ان الاولى نفس الكافرين والشيـاطين والفاسقين والثانية نفس الغير الفاسقين من المؤمنين والثالثة نفس المتعلمين العالمين والرابعة نفس المعلمين العاملين والخامسة نفس الاولياء الكرام والسادسة نفس العارفين والسابعة نفس الانبياء والمرسلين ونفس الناظم الفاهم من قبيل الخامسة لانه ولى كامل ذوالكرامة والفخامة وعدنفسه من نفس الفاسقين لهضم نفسه كما قال يوسف عليه السلام هضما لنفسه (وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء) ولان فيه سلوكا الى طريق المنصف كما فى قوله تعالى (ومالى لااعبد الذى فطرنى واليه ترجعون) لكون هذه الطريقة عجيبة الشان فى البلاغة لانه يكون اكثر ايقاظا لاصغاء السامعين واقوى ذريعة لقبولهم من حيث انه لايخاطب بما يمجه سماعهم وينفر منه طباعهم اللهم اجعلنا ممن نفوسهم راضية وقلوبهم وجلة وارحمنا حين وصلت الروح الى الحلقوم وصعدوا بها الى الحى القيوم

﴿ وَلَا اَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرٰى * ضَيْفٍ اَلَمَّ بِرَأْسِى غَيْرَ مُحْتَشِمِ ﴾

لما بين ان النفس الامارة بالسوء لم تجتنب عن شئ من القبائح ولم تنته بالنهى عنها اراد ان يبين كونها غير مؤتمرة بالامر بالافعال الجميلة والاخلاق الحميدة فقال (ولا اعدت من الفعل) الخ فعلى هذا تكون هذه الجملة معطوفة على جملة اتعظت على ان يكون الاتعاظ عبارة عن الاجتناب عن القبائح

فالهما) ومقام المطمئنة قوله تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك) وان ترقى النفس من مقاماتها على حسب مراتب التوبة والتوبة اول منزل من منازل السالكين واول مقام من مقامات الطالبين وحقيقة التوبة فى اللغة الرجوع والمراد بها فى الشرع الرجوع عما لا يرضاه الله تعالى وللتوبة اربع مراتب على حسب مقامات النفس فالمرتبة الاولى مختصة باسم التوبة وهى للنفس الامارة قال الله تعالى (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون) وقال عليه الصلاة والسلام (التائب من الذنب كمن لاذنب له) وهذه مرتبة عوام المؤمنين وهى ترك المنهيات والقيام بالمأمورات وقضاء الفوائت ورد الحقوق والاستحلال عن المظالم والندم على ماجرى والعزم على ان لايعود الى مامنه انتهى وهذه توبة الافعال والاقوال والمرتبة الثانية الانابة وهى للنفس اللوامة قال الله تعالى (وانيبوا الى ربكم) وهذه مرتبة خواص المؤمنين من الاولياء والانابة الى الله تعالى ترك الدنيا والزهد فى ملاذها وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس بمخالفة هواها والمداومة على جهادها فان الله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويشير الى ان التوبة وتطهير النفس عن دنس الاوصاف الذميمة من نتائج محبة الله ازلية بقوله يحبهم وهذا كما قال رجل لرابعة انى قد اكثرت من الذنوب والمعاصى فلو تبت هل يتوب على فقالت لا بل لو تاب عليك لتبت وذلك لان العصيان من صفة الانسان كما قال تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) والتوبة من صفة الحق سبحانه وتعالى كما قال (فتاب عليه وهدى) وقال انه كان توابا فتوبة العبد اثر توبته سبحانه كما ان محبة العبد لله تعالى نتيجة محبة الله الازلية كما اشير اليه بقوله (يحبهم ويحبونه) بل جميع ما يتعلق به مشية العبد وارادته اثر من آثار مشية الله تعالى وارادته كما قال تعالى (وماتشاؤن الا ان يشاء الله) ولذا قيل المراد مريد والمريد مراد فالنفس اذا تحلت بالانابة دخلت فى مقام القلب واتصفت بصفته لان الانابة من صفة القلب قال تعالى (وجاء بقلب منيب) والمرتبة الثالثة الاوبة وهى للنفس الملهمة قال الله تعالى (نعم العبد انه اواب) وهذه مرتبة خواص الاولياء والاوبة الى الله تعالى من آثار الشوق الى لقائه فمن تاب خوفا من عقابه فهو صاحب توبة ومن تاب طمعا فى ثوابه فهو صاحب انابة ومن تاب شوقا الى لقائه فهو صاحب اوبة فالنفس اذا تحلت بالاوبة دخلت فى مقام الروح وهو مقام العبودية الملكية لقوله تعالى (فادخلى فى عبادى) ومن امارات الاواب المشتاق ان يستبدل المخالطة بالعزلة ومنادمة

والاعداد عبارة عن الاتيان بالافعال الحميدة فيكون البيت الاول اشارة الى ان نفسه لم تنته بنهى العاقلة والبيت الثانى الى انها لم تأتمر بامرها ويحتمل ان يكون من قبيل عطف الخاص على العام على ان يكون الاتعاظ عبارة عن الاجتناب عن القبائح والاتيان بالمحاسن ويكون الاعداد عبارة عن الاتيان بالمحاسن فيكون اخص من الاتعاظ * ثم ان تكرير لا للتأكيد و (اعدت) من الاعداد وهو التهيؤ كما فى قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين) اى احضرت وهيئت وقوله (من الفعل) متعلق باعدت ويجوز ان يكون من الفعل الجميل بيانا للقرى ضيف قدم عليه للوزن والفعل الجميل ما يستحسن شرعا الا ما يستحسن مطلقا لان بعض الافعال يستحسنه العقل مع انه فى الشرع مذموم وفى الفعل الجميل استعارة مكنية تعبيرها هكذا شبه الفعل الجميل فى الذهن بالقرى فى تحصيل اللذة والسرور وادعى ان الفعل الجميل من جنس القرى ثم استعير القرى فى الذهن لمفهوم الفعل الجميل ثم ذكر القرى فى الذهن واريد منه الفعل الجميل وفى الخارج ذكر الفعل الجميل واريد نفسه واثبات الاعداد للفعل الجميل يكون تخييلية (وقرى) بكسر القاف والقصر مصدر قولهم قريت الضيف اذا احسنت اليه بالطعام فالقرى يجئ فى اللغة على معنيين احدهما المعنى المصدرى وهو الاطعام وثانيهما الحاصل بالمصدر وهو الطعام والمراد به ههنا التوبة والاعمال الصالحة واضافته الى الضيف لامية والمراد بالضيف الشيب مجازا واستعارة تعبيرها هكذا شبه الشيب بالضيف فى المجيئية فجأة من غير خبر ولا مقدمة ولا رائد فاستعير الضيف للشيب فذكر الضيف واريد منه الشيب فيكون قوله (الم) قرينة لهذه الاستعارة و (قرى) ترشيحا لها ويكون

المراد بالقرى الفعل الجميل مجازا واستعارة تعبيرها هكذا شبه الفعل الجميل والعمل الصالح بالقرى فى ايراث المنفعة لصاحبه فاستعير القرى للفعل الجميل فذكر القرى واريد الفعل الجميل والعمل الصالح * لايقال لاتجوز الاستعارة فى هذا المقام لانه قد ذكر فيه المشبه والمشبه به معا وكل مقام ذكر فيه المشبه والمشبه به معا فلاتجوز الاستعارة فيه * لانا نقول ان اردتم من ذكر المشبه والمشبه به معا ذكرهما على وجه ينبئ عن التشبيه فلانسلم الصغرى كيف وفى هذا المقام لم يكن ماينبئ عن التشبيه وان اردتم ذكرهما مطلقا فلانسلم الكبرى كيف وان البيانيين صرحوا بان ذكرهما انما يضر الاستعارة لوكان على وجه ينبئ عن التشبيه والا فلا كما فى قوله

لاتعجبوا من بلى غلالته * قد زر ازراره على القمر

ثم ان قوله (الم) ماض من الالمام بمعنى النزول كما فى قوله

المت فحيت ثم قامت فودعت * فلما تولت كادت الروح تزهق

وجملة (الم) مجرور محلا صفة ضيف وقوله (برأسى) متعلق به * فان قيل لم خصص الرأس من بين الاعضاء * قلنا لانه اول مايظهر فيه الشعر البياض وقوله (غير محتشم) بالنصب حال من المضاف اليه اعنى الضيف لان المضاف مصدر لان بعض المحققين صرحوا بان الحال من المضاف اليه انما يجوز اذا كان المضاف مصدرا اويكون جزأ من المضاف اليه اوبمنزلة جزئه ومنهم ابن مالك فى الفيته

ولاتجز حالا من المضاف له * الا اذا اقتضى المضاف عمله

او كان جزء ماله اضيفا * او مثل جزئه فلا تحيفا

وما قيل انه من قبيل قوله تعالى (ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) لايستقيم لانه مشروط بكون العامل فى الحال عاملا فى المضاف لما بين المضاف والمضاف اليه من الاتحاد وههنا لايجوز ان يكون اعدت عاملا فى غير محتشم كما لايخفى ويجوز ان يكون حالا من فاعل الم ويمكن ان يكون حالا من ياء المتكلم فى الرأس وهو المناسب لو قرئ محتشم على صيغة اسم الفاعل ويمكن ان يكون غير بالجر على انه صفة للضيف لكن فيه مافيه فقوله (محتشم) اما على صيغة الفاعل من الاحتشام بمعنى الاحترام وهو المناسب للاول واما على صيغة اسم المفعول من الاحتشام بمعنى التوقير اى غير موقر او من الاحتشام بمعنى الحشامة والعسكر اى غير مقارن بالعسكر بل جاء وحدانا وهو مناسب لكونه حالا من الضيف او من فاعل الم * فان قيل لوكان محتشم على صيغة المفعول لورد عليه ان باب الافتعال لايأتى منه صيغة اسم المفعول * قلنا

الاخدان بالخلوة واستوحش عن الخلق واستأنس بالحق وجاهد نفسه فى الله حق جهاده ساعيا فى قطع تعلقاتها عن الكونين والمرتبة الرابعة الرجوع وهى للنفس المطمئنة قال الله تعالى (ياايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك) وهذه مرتبة خواص الانبياء والاولياء وقوله ارجعى الى ربك صورة جذبة العناية الربوبية الى نفوس الانبياء والاولياء يجذبها من انانيتها الى هوية ربوبيته راضية اى طائعة تلك النفوس شوقا الى لقاء ربها مرضية اى على طريق مرضية فى السير ولربها باذلة نفسها فى مشاهدة اللقاء طامعة برفع الانانية دوام الالتقاء * قيل لما قدم الحلاج ليقطع يده قطعت اليد اليمنى اولا فضحك ثم قطعت اليسرى فضحك ضحكا بليغا فخاف ان يصفر وجهه من نزف الدم فكب بوجهه على الدم السائل ولطخ وجهه بدمه وانشأ يقول * الله يعلم ان الروح قد تلفت * شوقا اليك ولكنى امنيها * ونظرة منك ياسؤلى وياأملى * اشهى الى من الدنيا ومافيها * ياقوم انى غريب فى دياركم * سلمت روحى اليكم فاحكموا فيها * ما اسلم النفس للاسقام تتلفها * الا لعلمى بان الوصل يحييها * نفسى المحب على الآلام صابرة * لعل مسقمها يوما يداويها * ثم رفع رأسه الى السماء وقال يامولاى انى غريب فى عبادك وذكرك اغرب منى والغريب يألف الغريب ثم ناداه رجل وقال ياشيخ ماالعشق قال ظاهره مارى وباطنه مادق عن الورى والحمد لله الكاشف المكروب والصلاة على نبيه الحبيب المحبوب

وان لم يأت اسم المفعول منه مستقلا لكنه اتى مقارنا بحرف الجر وهنا مقدر اى غير محتشم فيه فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

﴿ لَوْ كُنْتُ اعلم انّى ما اُوَقِّرُهُ * كَتَمْتُ سِرّاً بَدالِى مِنْهُ بِالْكَتَمِ ﴾

فكأنه لما لم تتعظ نفس الناظم الفاهم بنصيح الشيب اى نصيحة الناصح الكامل ولا اعدت الضيافة من الفعل الجميل مثل الطاعة والتوبة لضيفه الشيب حال كون ذلك الضيف غير موقر ومحترم فى نفسه ندمت من هذه الافعال السيئة واظهرت ندامتها قال (لو كنت) الخ اعلم ان لو لامتناع الثانى لامتناع الاول فالتقدير لكن لم اعلم فلم اكتم سرا بدا لى الخ و(كنت) مع خبره اعنى بجملة اعلم فعل شرط للو و(ما) فى (ما اوقره) نافية و(اوقر) على صيغة المتكلم من التوقير بمعنى التعظيم والتكريم والاحترام وضمير المفعول راجع الى الضيف والمراد منه الشيب و(كتمت) جزاء الشرط والكتم الاخفاء كما فى قوله تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) والمراد من السر هنا انذار الشيب بقرب الرحلة بلسان الحال وجملة بدا صفة للسر وبدا بمعنى ظهر كما فى قوله تعالى (ان تبدوا الصدقات فنعما هى) و(منه) متعلق ببدا وضميره للشيب اى من طرفه و(الكتم) نبت يختضب به كالحناء وفى هذا البيت من صنائع البديع رد العجز على الصدر وهو فى البيت ان يكون احد اللفظين فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الاول او يكون احدهما فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الثانى كقوله

وقد كانت البيض القواضب فى الوغى * بواتر فهى الآن من بعدها بتر

﴿وحاصل معنى البيت﴾ لو كنت عالما بانى ما اعظم وما اكرم وما اوقر الضيف اعنى الشيب بالاطعام بالفعل الجميل لكنت كاتما وساترا اول وهلة للامر الذى ظهر لى من ذلك الضيف اعنى الشيب بالخضاب بالحناء لانه سنة من نزل عليه الوحى فى جبل حراء فلا يعرف احد امرى ولا يظهر سرى ويرفع عنى الفضاحة ويقطع منى الهجو والشناعة وتلخيصه انى لو كنت عالما بانى لا اكون عاملا فى حال الاختيار والشيخوخة وزاهدا وتاركا للسيئات والاشرار لكتمت شيبى بالخضاب بالحناء حتى لا يهجونى الناس بانه كان شيخا ذا شيب وهو فى هذا السن لا يكون عاملا وزاهدا بل يكون تاركا للاوامر والسنن لكن ما علمت عدم عملى فلا كتمت فقد هجونى هذا ما ظهر للخاطر الفاتر ونعم ما قيل معنى الشعر فى بطن الشاعر

﴿ مَنْ لِى بِرَدِّ جِماحٍ مِنْ غَوايَتِها * كَما يُرَدُّ جِماحُ الْخَيْلِ بِاللُّجُمِ ﴾

فكأنه لما عجز عن سوء نفسه الامارة الغدارة المكارة ولم تقبل نصيحة الناصح

﴿ لو كنت اعلم انى ما اوقره
كتمت سرا بدالى منه بالكتم ﴾

لو لانتفاء الشئ لانتفاء غيره فانتفى العلم والكتم اعلم خبر كان وان مع اسمه وخبره قائم مقام مفعوليه ما نافية وضمير المفعول فى اوقره راجع الى الضيف المراد منه الشيب التوقير التعظيم والكتم بسكون التاء السر وسرا مفعول كتمت وهو اما بمعناه او بمعنى مستورا وبدا صفته ومنه متعلق ببدا وضميره للشيب وبالكتم متعلق بكتمت والكتم بفتح التاء نبت يخلط بالوسمة او بالحناء ويخضب به والمعنى لو اعلم انى ما اراعى حق الشيب واخالف مقتضاه كنت التجئ الى الاستتار بسنة الخضاب لئلا اكون مستحقا لمزيد الطعن والعتاب

﴿ من لى برد جماح من غوايتها
كما يرد جماح الخيل باللجم ﴾

يعنى من يضمن لى برد مركوبى الجماح عن طريق الغواية الى سنن الفلاح ومن يرد نفسى السائمة فى فلوات الشهوات عن مرعى آثامها كما يرد جماح الخيل عن الفيافى المهلكة الى طريق المقصد بلجامها وفى هذا البيت اشارة الى ان رياضة النفوس المعبر عنها بالتزكية اصل جميع الفلاح كما قال تعالى قد افلح من زكيها وهى لا تتيسر الا برائض عالم بقوانين الرياضة فائض على الطالب سجال الافاضة ولا تظنن ان تزكية النفس تتيسر بطريق العقل كما ظنت الفلاسفة والبراهمة وغيرهم من الجهال وشرعوا فى تزكية نفوسهم بالرياضات والمجاهدات على العمياء فوقعوا فى الآفات والشبهات والضلالات

الكامل فكأنه قيل له اصلح نفسك بارشاد المرشد الكامل لان المرشد له ارشاد كل من استغرق فى الهوى ولم يعلم النبى والمولى وبه يكون اكثر الفاسقين صالحا واوفر العاصين زاهدا بل كل رجل يلزم له ان ينيب الى مرشد كامل ولهذا قال ابو يزيد البسطامى من لم يكن له شيخ فشيخه شيطان وقال غيره لو ان الرجل يوحى اليه ولم يكن له شيخ لا يجيئ منه شئ والى ماقلنا يشير قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) فقال مجيبا لذلك القائل (من لى) الخ الاستفهام اما انكارى اى هل يوجد كفيل يتضمن لى برد الخ اى لا يوجد كفيل متضمن ذلك المذكور لان نفسى فى الضلالة والطغيان فلا هادى لها الا الله الملك المنان نعم قد ورد (ولكل قوم هاد) لكن وجود مثل هذا الشخص انما هو بمحض عناية الله تعالى وتوفيقه كيف وقد آل الامر فى هذا الزمان الى ان من لم يكن مريدا قط يدعى الشيخوخة ويجيز بها لانتشار ذكره وشهرته وكثرة مريديه وقد جعلوا هذا الشان العظيم لعبة الصبيان وضحكة الشيطان حيث يتوارثونه واذا مات واحد منهم يجلسون ابنه مقامه صغيرا كان او كبيرا ويلبسونه الخرقة ويتبركون به وينزلونه منازل الشيوخ فهذه مصيبة قد عمت واهل هذه الطريقة قد انمحت واندرست آثارها والله اعلم باخبارها ويجوز ان يكون الاستفهام للتمنى والاستعطاف والاستغاثة بكل احد ثم ان قوله (لى وبرد) ظرفان متعلقان بالمقدر اعنى يتضمن او يتكفل والرد الصرف والمنع مصدر مضاف الى مفعوله و(الجماح) جمع جموح وهو من الخيل السمين الشديد الذى لا يضبط لشدة رأسه وعلى هذا فيه تشبيه واستعارة حيث شبه النفس بالخيل فى صعوبة ضبطها وشدة امساكها واهلاك صاحبها ثم استعير الخيل للنفس ثم ذكر مايدل على المشبه به واريد المشبه وهذه الاستعارة مأخوذة من لسان الشرع كما جاء فى الحديث الشريف (نفسك مطيتك فارفق بها) وكما قال الامام الغزالى انت باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك بهيمة كالفرس وباعتبار عقلك ملك وانت مأمور بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم والاعانة لهم لتقبض بمعونتهم شرف الدارين وسعادتهما فان ارضيت الفرس وادبت الكلب وسخرتهما للملك يتيسر لك الظفر بما طلبت والا فانت هلكت ويجوز ان يكون الجماح مصدرا بمعنى الشدة فحينئذ يكون التنوين فيه عوضا عن المضاف اليه اى جماح نفسى فيكون على حقيقته فتدبر و(من غواياتها) متعلق برد وقيل صفة جماح اى جماح ناشئ من غواياتها والغواية الضلالة والضمير للنفس وحذف فى هذا المصراع آلة رد النفس عن الضلالة ولم يذكر كما فى المصراع الثانى

فان تزكية النفوس كمعالجة الابدان فكما لا يجوز للمريض استعمال الادوية الا بنظر طبيب حاذق ذى تجربة فى المعالجة كذلك تزكية النفس لا تتيسر الا بنظر نبى او ولى ذى تجربة فى هذا الشان وهذا احد اسرار بعثة الانبياء عليهم السلام فانهم الحذاق فى علم تزكية النفوس ولهذا بعثهم الله تعالى ليزكوا بعلاج الشرائع نفس كل قنوط ويؤس فالناظم رحمه الله تمنى من يضمن له بهذا الشان ويرد جماحه عن غواية الطغيان فالاستفهام للتمنى والاستعطاف واظهار التأسف والاستعانة بكل احد وبرد متعلق بيضمن وجمح الفرس يجمح جموحا وجماحا غلب راكبه والغواية الضلالة ومن غواياتها متعلق برد وقيل صفة جماح او بيان له والكاف اما مجرور المحل صفة رد او منصوب صفة مصدر محذوف اى ردا مثل رد فما مصدرية وباللجم متعلق بيرد وهو جمع لجام ففيه تشبيه النفوس بالخيل كما جاء فى الحديث نفسك مطيتك فارفق بها

لضرورة الشعر وهى وعظ المرشد ونفسه وهمته وقوله (كما رد) صفة مصدر محذوف اى ردا مثل رد جماح فمامصدرية وانما اتى بهذا التمثيل تسلية لقلبه لانه استصعب وجودردها عن المعاصى فرده بانه يوجد لانله نظيرا والجماح الثانى بكسر الجيم مصدر جمح جموحا بمعنى الشدة والغلظة وعلى هذا يكون الرد بمعنى الازالة ويجوز ان يكون جمعا فتكون اضافته بيانية او من قبيل اضافة الموصوف الى صفته اى الخيل الجماح فافهم و(باللجم) متعلق بيرد وهى جمع لجام ككتب وكتاب واللجام معرب لكام الفارسى وقال قوم انه عربى لاتعريب فيه كذا ذكره الجواليقى فى كتابه المعرب وهوالذى يضرب بفم الفرس ليكون صاحبه قادرابه ليتوجهه نحوالمطلوب * وفى هذا البيت من صنائع البديع جناس بين من ومن وبين رد ويرد وبين الجماح والجماح وتناسب بين الخيل واللجم ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ظاهر مما ذكرنا ظهورا لاحاجة الى اعادته

﴿ فَلَا تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا * اِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ ﴾

فلما عد فى الابيات السابقة انغماس النفس فى اودية المعاصى والذنوب وعدم قبول وعظ الناصح بالانذار بقرب الوقت كالغروب وعجز عن اصلاحها بعد الندامة واسترشد بالمرشد الكامل ولم يجد ذلك المرشد فكأنه قيل ان مرشد نفسك حاضر عندك فلا حاجة الى الطلب وتبعيد وجوده وهو استيفاؤها بالمعاصى لان النفس اذا استوفت وشبعت من شئ كمال الشبع تسأم منه فلا ترغب اليه بعده ابدا فانت اذا استوفيتها بالمعاصى كلها كسرت شهوتها ولا تميل اليها بعده ابدا قال ردا لذلك القائل (فلاترم بالمعاصى) الخ بتغيير الاسلوب من التكلم الى الخطاب وهوالتفات عند جمهور اولى الالباب ونكتته الشروع فى رد جماح النفس وبيان كيفيته و(لاترم) نهى حاضر من رام بمعنى طلب وصيغة النهى دالة على كون المنهى عنه قبيحا كما ان الامر بالشئ يدل على حسنه والفاء فيه جزائية اى اذا اكرمت النفس واشبعتها بضيافة الذنوب فلاترم الخ والباء فى (بالمعاصى) للاستعانة كما فى كتبت بالقلم و(المعاصى) جمع معصية وهى الذنب صغيرا كان اوكبيرا و(كسر) بالنصب مفعول لفلاترم والكسر بمعنى القطع والانكسار اى فلا تطلب انقطاع اشتهاء النفس بالمعاصى وانكسارها وفى قوله (بالمعاصى) استعارة مكنية تعبيرها هكذا شبه المعاصى للنفس بالطعام للانسان فى كونها مشتهيات وملذات وذكر المشبه كما فى قوله انشبت المنية اظفارها وقوله (ان الطعام) علة لما قبله حذف حرف التعليل اى لان لكون حذف حرف الجر من ان وان قياسا وفى هذا المقام

﴿فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها ان الطعام يقوى شهوة النهم﴾ الروم الطلب والباء للاستعانة وضمير شهوتها للنفس والخطاب لكل من يصلح له كما فى قوله تعالى (ولوترى اذالمجرمون) والفاء يفصح عن شرط محذوف يفهم مماسبق اى ان كنت عرفت ان النفس الامارة حريصة على الشرور والقبائح فلا تطلب باستعانة المعاصى كسر شهواتها والنهم بالتحريك افراط الشهوة فى الطعام والنهم بكسر الهاء صفة مشبهة منه فشبه النفس بالنهم والمعاصى بالطعام وانما اكد لكون المقام مظنة التردد للنفس اليقظى كما فى قوله تعالى (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) يعنى يامن زين له حب الشهوات من النساء والبنين لا تطلب كسرة شهوة النفس بمعصية الله رب العالمين اذ من المقرر والمعلوم ان الطعام يقوى شهوة المنهوم * اعلم ان الشهوة مادة كل فتنة ومنبع كل فساد وهى بذر شجرة الحيوانية وثمراتها وهى حب حبائل الشيطان ونواة شجرة الطغيان وهى الدركة السفلى من صفات البشرية واسفل السافلين من المنازل الخلقية لان الروح الانسانى فى بدء عبوره تنزل من اعلى درجات القرب على العرش والافلاك والانجم وعلى مفردات العناصر والمركبات الى ان تعلق بالنطفة فى الرحم فرباها الى ان بلغ المولود حد البلوغ لا يزال يتنزل من دركة الى دركة الى ان ينهمك فى درجة الشهوة وهى اسفل السافلين فيبقى فيه محبوسا مقيدا بقيد الحواس والقوى والاوصاف

قياس اقترانى تقريره هكذا المعاصى لاتطلب بها كسر شهوة النفس لان المعاصى بمنزلة الطعام والطعام يقوى شهوة النهم ينتج المعاصى بمنزلة ما يقوى شهوة النهم ونظم اليه كبرى ينتج عين الدعوى فنقول وكل ماهى بمنزلة مايقوى شهوة النهم لاتطلب بها كسر الشهوة ينتج المعاصى لاتطلب بها كسر الشهوة ويمكن ترتيبه من الاستثنائى وهو سهل فلاحاجة الى ذكره وقوله (يقوى) من التقوية خبران و(الشهوة) بالنصب مفعوله و(النهم) بفتح النون وكسر الهاء صفة مشبهة على وزن حذر اى الحريص على كثرة الاكل والشرب ومن جعله مصدرا وقع فى تكلف وعلى كلا التقديرين فيه استعارة حيث شبه النفس بالنهم اى الاكل كثيرا فى عدم الشبع لان النهم كما لايشبع من كثرة الاكل كذلك النفس لاتشبع من كثرة المعاصى بل تتألف بها وتنهمك فيها ثم استعير النهم للنفس فذكر النهم واريد النفس فعلى هذا يكون الطعام ايضا مجازا واستعارة عن المعاصى كما سبق استعارة عكسه فتذكر ﴿وحاصل المعنى﴾ يامن زين نفسه بحب الشهوات الى النساء والبنين وكان حاله من العشق فى البكاء والانين لاتطلب كسر شهوة النفس وقطعها بالمعاصى والذنوب اذ من المقرر والشهير بين الصغير والكبير ان المعاصى تقوى شهوة النفس والنفس لاتسأم ولاتشبع منها اللهم لاتكلنا الى انفسنا فى زمان يسير ولا تجعل مصيرنا دار السعير واجعل امورنا موافقة لمرضاتك انك كاشف كل عسير ومعين كل اسير وعنايتك لعبادك كثير ويسير

﴿ وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ اِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى * حُبِّ الرَّضَاعِ وَاِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ ﴾

لما فهم من الابيات السابقة ان النفس فى يد صاحبها اتى به تصريحا مع تشبيه المعقول اعنى النفس بالمحسوس اعنى الطفل فقال والنفس كالطفل الخ الواو اما عاطفة واما استئنافية و(النفس) اظهرها فى مقام الاضمار اهتماما بشانها لان النفس مطية الانسان كما ورد (نفسك مطيتك فارفق بها) واما لضرورة الشعر والالف واللام فيها للعهد او للاستغراق لكن الاول اولى اى النفس المعهودة الامارة وقوله (كالطفل) الكاف بمعنى المثل رفع محلا على الخبرية اى النفس الامارة كائنة مثل الطفل والطفل ولد يمضى عليه بعد ولادته زمان قليل والانسان فى الرحم يسمى جنينا واذا ولد يسمى وليدا واذا مضى عليه زمان قليل يسمى طفلا وبعده يسمى صبيا وبعده مراهقا وبعد غلاما الى ان يبلغ تسع عشرة سنة ثم منه شابا الى اربع وثلاثين ثم منه كهلا الى احدى وخمسين ثم منه شيخا الى آخر العمر وقيل الطفل من مضى عليه

الى ان تداركته العناية الازلية بجذبة ارجعى فى الباطن ودعوة الانبياء وتكاليف الشرع فى الظاهر فيرجع بالايمان والعمل الصالح من اسفل السافلين اي دركة الشهوة متوجها الى الحضرة بيدى العفة وقلع مواد الشهوة بالجوع وترك الملاذ والشهوات وملازمة الذكر بالجوع احد اركان المجاهدة وللجوع اختصاص بالمشاهدة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام انه قال تجوع ترانى تجرد تصل الى فالجوع ينبوع الحكمة ومفتاح باب العفة فمن اراد معالجة الشهوة فعليه بالعفة ومن اراد العفة فعليه بمفتاح الجوع ولاجل الايماء اليه شبه الناظم المعاصى بالطعام واوجب الاجتناب عنها وفى البيت الآتى اكد هذا المعنى حيث قال ﴿ والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم ﴾ يعنى ان النفوس فى التعود بالشئ والانفطام منه كالاطفال فلا تهملها فيما تشتهيه كل الاهمال فان الطفل ان اهمل شب على حب الرضاع واشتد التذاذه بالوان الاطعمة وضاع

بعدولادته حولان كاملان وفيه اقوال اخر لكن المناسب لهذا المقام المعنيان المذكوران وانما قال كالطفل ولم يقل كالصبى لان الصبى العاقل كالبالغ الكامل فى كون ايمانه وردته وصومه وصلاته وغير ذلك معتبرا فاذا كان كذلك يكون فاعلا مختارا فلايطيع امر غيره فلايناسب التمثيل والمقام وقوله (ان تهمله) آثران الدالة على الشك دون اذا الدالة على القطع لكون مدخوله مشكوكا و(تهمله) مضارع من الاهمال على صيغة الخطاب و(شب) الصبى اذا بلغ اوان شبابه و(على) اما بمعنى الى متعلق بشب واما بمعناه متعلقا بمحذوف اى حريصا وملازما عليه واما بمعنى مع كما فى قوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا﴾ و(الحب) معلوم و(الرضاع) بالفتح والكسر شرب الولد لبن امه وفى كلام السلف كثرة الرضاع تفسد الطباع و(ان تفطمه) عطف على ان تهمله وهو مضارع من الفطم على صيغة الخطاب اى ان قطعته عن الرضاع ينفطم وهو مضارع من الانفعال على صيغة الغيبة وضميره راجع الى الطفل ﴿والمعنى﴾ ان الطفل يقبل الانقطاع بسهولة وحاصله انه لولم يقطع الرجل ولده عن ثدى امه لغاية محبته لطفله فرضع الطفل ثلاث سنين مثلا كما هو مذهب بعض الفقهاء ثم لو ترك على حاله شب ذلك الطفل على حبه الى بلوغه ثم وثم الى شيخوخته حتى لو لم تعطه امه ثديها للطامه لطما شديدا لان الله تعالى خلق فى لبن ثدى الام لذة جميع الاطعمة والاشربة فاذا لم تعطه اياه يلطم امه حتى يهلكها معاذ الله تعالى فالنفس كذلك حتى لولم تقطع عن المعاصى شبت على المعاصى والفتها وتكون ملذة لها فتزداد كل يوم لذتها بازدياد المعاصى فتهلك صاحبها حتى تكون سببا لسلب الايمان معاذ الله تعالى * فان قلت ان ما فى هذا البيت من التشبيه اردأ التشبيهات وارذلها لانهم قالوا اذا كان التشبيه على وجه ليس فيه شئ ينبئ عن التشبيه يكون استعارة وهى احسن التشبيه بلاغة وفصاحة واذا كان على وجه ذكر المشبه والمشبه به فقط يكون تشبيها بليغا فهو ادنى من الاستعارة واذا ذكر فيه المشبه والمشبه به واداة التشبيه ووجه الشبه يكون اردأ وارذل من التشبيه البليغ فهو عند البلغاء كهدير حمام وصرير باب مخل بالفصاحة فما وقع ههنا من هذا القبيل لانه ذكر فيه المشبه وهو النفس والمشبه به وهو الطفل واداة التشبيه وهو الكاف ووجه الشبه وهو الشب على حب شئ على تقدير الاهمال وقبول الانفطام على تقدير الفطم والناظم الفاهم مع كونه افصح الفصحاء ذهب هنا الى هذا التشبيه فما وجهه * قلت ذهابه الى هذا الطريق

وان فصل عن الرضاع رضى بالانفصال وبلغ بالتدريج مبلغ الكمال فالنفس ان تصرفها عن المألوفات الطبيعة واللذات الكاذبات الوهمية الى ادراك الحقائق وذوق اللذات الروحانية تفوز بالسعادات وان القيت حبلها على غاربها وتركت سدى دامت حسراتها ولا يرجى نجاتها اهمل الشئ تركه سدى وماتعهده شب الصبى بلغ الى الشباب وعلى اما بمعنى مع اى مقارنا معه اوعلى معناه ومتعلق بمحذوف هو حال اى حريصا وملازما عليه فطمت الام ولدها فصلته عن الرضاع والجملة الشرطية يعنى ان تهمله تفسير وبيان للمجلة السابقة

ليكون المقام اقرب الى فهم المرام لشدة حرصه على طريق الافهام كما لا يخفى على العلماء الكرام والفضلاء الفخام

﴿فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ اَنْ تُوَلِّيَهُ * اِنَّ الْهَوَى مَاتَوَلَّى يُصْمِ اَوْ يَصِمِ﴾

لما كانت النفس كالطفل فى قبول التربية والانقطاع عما يحبه شرع الآن فى الامر بتربيتها فقال (فاصرف) الخ الفاء فصيحة اى اذا عرفت حال النفس الامارة بانك ان تركتها على حالها تأمر بالسوء والفحشاء وان ربيتها تقبل التربية كالطفل فاصرفها ولاتتركها على حالها (اصرف) امر من صرف يصرف بمعنى امنع وقيل بمعنى غير فعلى الاول مصدر هوى يهوى من باب علم بمعنى الميل والالتذاذ بالشهوات اذ النفس اذا خليت وطبعها تميل الى الشر لا الى الخير لانها امارة بالسوء وعلى الثانى المصدر بمعنى المفعول اى مهويها كما فى قوله

هواى مع الركب اليمانين مصعد * جنيب وجثمانى بمكة موثق

فالمعنى غير محبوب النفس السيء الى المحبوب الحسن فى الشرع وتقدير الكلام اصرفها عن هواها او اصرف عن النفس هواها و(حاذر) امر بمعنى احذر وصيغة المفاعلة للمبالغة و (ان توليه) ان مصدرية و(توليه) بالنصب مضارع من ولاه بالتضعيف اذا جعله واليا او بمعنى التقلد والالتزام او بمعنى الغلبة وهى بصيغة الخطاب للمخاطب الذى جرده من نفسه فى المطلع وضمير المفعول فيه راجع الى الهوى لكونه مصدرا والمصدر يجوز فيه التأنيث والتذكير وقوله (ان الهوى) علة الامر بالحذر اى لان الهوى ففيه ترتيب قياس تقريره هكذا الهوى يلزم لك الحذر من ان توليه لان الهوى ماتولى يصم او يصم وكل شيء شأنه كذا فيلزم لك الحذر من ان توليه ينتج الهوى يلزم لك الحذر من ان توليه وما فى تولى شرطية زمانية بمعنى كلما او بمعنى ان الشرطية وتولى فعل ماض والضمير راجع الى الهوى اى كلما كان هوى نفسك واليا عليك او ان كان هوى النفس غالبا و واليا عليك (يصم) من اصمى يصمى يقال اصمى الصيد اذا قتله فى مكانه اى يهلك ويقتل حذف منه الياء علامة للجزم لانه مجزوم بما الشرطية وقوله (اويصم) كلمة او للعطف وهو يجيء لمعان كما قاله الاصوليون انه فى الاكثر يجيء للشك او التشكيك وقد يجيء للاباحة والتخيير نحو جالس الفقهاء او المحدثين وقد يجيء بمعنى بل كقوله تعالى (فهى كالحجارة او اشد قسوة) وقد يجيء بمعنى حتى كقوله تعالى (ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم) وقد يجيء بمعنى الى نحو لالزمنك او تعطينى حقى وقد يجيء بمعنى الا ان اذا وقع بعدها مضارع منصوب ولم يكن قبلها مضارع كذلك كقول امرىء القيس

﴿ فاصرف هواها وحاذر ان توليه ان الهوى ما تولى يصم او يصم ﴾ الفاء اما فصيحة اى اذا عرفت حال النفس او للعطف صرفه منعه والهوى اما بمعنى المفعول او بمعنى المصدر اى ميلها وهوى النفس غلب فى العرف على ماهو الخارج عن المصلحة ولايكون له عاقبة حميدة وحاذر بمعنى حذر وصيغة المفاعلة للمبالغة وولاه العمل قلده حذف مفعوله لقصد التعميم مع الاختصار او من قبيل تنزيل المتعدى منزلة اللازم وضمير تولاه للهوى فى هواها وتولى الامر تقلده والتزمه وصار واليا عليه وما اسم موصول والعائد اليه محذوف اى تولاه او دائمة اى مادام مولى

فقلت له لاتبك عينيك انما * تحاول ملكا اوتموت فتعذرا

وماوقع ههنا فهو بمعنى الشك كمالايخفى وقوله (يصم) مضارع من وصمه اذاجعله ذاعيب حذف مفعولهما للضرورةاى يصمك ويجعلك ذاعيب فى الناس ثم ان بين الفعلين اعنى يصم ويصم جناسا تاما كمالايخفى ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ايها المخاطب اذا عرفت كون النفس قابلة للانفطام فاصرفها عن الهوى واستلذاذها بالآثام واحذر من ان يأمر الهوى على مملكة عقلك ولاتجعل عقلك مغلوبا للهوى فانه سبب للبعد عن المولى فانه اذا استولى تهلك فى الحال اويجعلك ذاعيب بالاضلال كماقال الله تعالى (ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية وفى آية اخرى (ومن اضل ممن اتبع هواه) وقال عليه الصلاة والسلام (ماعبدالاه فى الارض ابغض على الله من الهوى) وفى حديث آخر طويل (واماالمهلكات فثلاث شح مطاع وهومتبع واعجاب المرء بنفسه) حكى عن ابراهيم بن شيبان انه قال مابت تحت سقف اربعين سنة وكنت اشتهى عدسا ولم ينفق فوقتا حمل الى عدس فتناولت فخرجت فرأيت قوارير فظننته خلا فقيل خمر وهذه الدنان ايضا خمر فصببتها والخمار يتوهم ان فعلى بامر السلطان فعندمعرفة حالى حملنى الى ابن طولون فضربنى مائتى خشبة وطرحنى فى السجن فبعد مدة شفع لى ابوعبدالله المغربى فلما وقع بصره على قال أى شئ فعلت فقلت شبعة عدس ومائتى خشبة فقال نجوت مجانا * وعن السرى ان نفسى تطالبنى ثلاثين سنة اواربعين ان اغمس جزرة فى دبس فمااطعمتها * وفى رسالة القشيرى عن ابى تراب النخشبى ماتمنت نفسى من الشهوات الامرة تمنت خبزا وبيضا وانا فى سفر فعدلت الى قرية فاخذنى اهل القرية وقالوا انه من اللصوص فضربونى سبعين درة ثم عرفونى واعتذروا الى فحملنى واحد الى منزله فقدم الى خبزا وبيضا فقلت لنفسى كلى بعد اكل سبعين درة كذا فى الخادمى على الطريقة * وحكى ايضا انه كان ملك عظيم السلطنة وكان عادته اذا جاء شهر رمضان يأمر المداحين والملاحين بضرب الطنابير والمزامير فى كل يوم بعد العصر الى المغرب لينتهى عليه هذا الوقت بالسرور ولايجد الم الجوع والعطش لان الصائم يجد فى ذلك الوقت لاثر الصوم من الجوع والعطش نكاية فى قلبه فلومضى وقته بهذا السرور والغرور لايجد الم الجوع والعطش فمر عليه شيخ كامل واطلع على الحال فقال فى نفسه انى اذهب وارفع هذا المنكر واوقظ الملك من الغفلة لان هذا الوقت وقت الافطار وهو وقت الرحمة والمغفرة فلاينبغى للمسلم ان يشتغل فيه

اصمى الصيد قتله فى مكانه الذى ضربه فيه ووصمه جعل ذاعيب وفاعلهما يرجع الى الهوى ومفعولهما محذوف والمعنى انه يقول ايها المحترق فى نار الجوى والمبتلى بعقاسات شدائد البعد والنوى فاصرف النفس عن متابعة الهوى لان اتباعه سبب الضلال والبعد عن حضرة الالاه المتعال كماقال الله تعالى (ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) وكمابعض الصحابة عن الرسول روى ماعبد الاه ابغض على الله تعالى من الهوى فلا تجعل النفس خليع العذار فيماتهواه ولاتكن ممن اتخذ الاهه هواه اذ كل ماسلط عليه الهوى اهلكه واراده اوجعله ضالا لايرجى هداه

بالفعل الحرام مع ان دفع المنكر واجب على الانام فدخل الشيخ الى بيت الملك فضرب الملاحين وكسر مزاميرهم وطنابيرهم والملك كان على قصره ينظر اليهم فغضب من فعل الشيخ فامر الخدم باخذه فاخذوه وجاؤا به امامه فقال ياشيخ لم فعلت هذا الفعل الغير المناسب فقال الشيخ هذا منكر ونحن مأمورون بدفع المنكر فقال الملك ألم تخف منى فقال الشيخ اصبر على ما اصابنى منك كما قال الله تعالى (واصبر على ما اصابك) بل لا اخاف منك اصلا لانك عبد عبدى فقال من حول الملك من الاكابر هيهات ضيع الشيخ عقله فقال انى ماضيعت عقلى بل هو عبد عبدى فى الحقيقة لان الانسان على نوعين نوع جعل نفسه مغلوبا وكان غالبا على نفسه يصرفها الى أى عبادة شاء ونوع جعل نفسه غالبا عليه وواليا على مملكة بدنه فانت ايها الملك من أى قسم فتفكر الملك فقال من الثانى فقال الشيخ فحينئذ النفس عبدى وانت عبد النفس فانت عبد عبدى فسلم الملك كلام الشيخ فتاب واسترشد

﴿ وَرَاعِهَا وَهْىَ فِى الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ * وَاِنْ هِىَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ ﴾

لما فرغ من بيان منع النفس عن الهوى شرع فى بيان التخلية الموصوفة بالرياضة وقد تحقق فى موضعها ان رياضة النفس منعها عن هواها وجبرها على طاعة مولاها فقال وراعها الخ الواو عاطفة من عطف الانشاء على الانشاء اعنى على جملة حاذر وراع امر من راعى يراعى مراعاة من الرعى وهو ارسال الدابة الى موضع الكلاء لكن مع ترقب وانتظار اليها لئلا تدخل ملك الغير وضمير المؤنث راجع الى النفس ففيه استعارة بالكناية كأنه شبه النفس فى الذهن بالدابة فى لزوم الترقب لها فى رعيها فى الكلاء واستعمالها فى العبادة ثم استعير الدابة فى الذهن للنفس فذكر الدابة فى الذهن واريد النفس وفى الخارج ذكر المشبه واريد عينه واثبات الرعى للنفس تخييلية وقوله (وهى) اى النفس اسكن الهاء لضرورة الشعر وقيل اسكان الهاء فى وهو وهى جائز فى السعة كما فى قراءة قالون والكسائى وغيرهما والواو حالية و(فى الاعمال) متعلق بسائمة والمراد من الاعمال الاعمال الصالحات لان السيآت لخلوها عن النفع ليست باعمال وقوله (سائمة) خبر المبتدأ وهو من سامت الماشية اذا رعت واخرجت الى المرعى فالسائمة حيوان مرسل الى المرعى يسير ويروح ويأكل ويشرب فقوله (وهى فى الاعمال سائمة) تشبيه بليغ عند الجمهور واستعارة على مذهب البعض والمعنى ان النفس مثل السائمة فى الاعمال الصالحة ان ترعها وتسقها ترح الى ما تشاء من العبادات وان لم ترع تبق فيما اعتادته وقوله (وان هى استحلت) الخ الواو للاستئناف والجملة جواب لسؤال مقدر وهو هل نترك النفس فى رعيها فى الاعمال فى كل

﴿ وراعها وهى فى الاعمال سائمة وان هى استحلت المرعى فلا تسم ﴾

عطف على حاذر والمراعاة بمعنى الرعاية وصيغة المفاعلة للمبالغة وهى فى الاعمال جملة حالية والمراد بالاعمال الاعمال الصالحات سامت الماشية رعت واسام الماشية اخرجها الى المرعى والسوم فى الافعال عبارة عن الاشتغال بها وفى الاعمال متعلق بسائمة واستحلى الشئ عده حلوا وان هى استحلت كقوله تعالى (وان احد من المشركين استجارك فاجره) وهى عطف الانشائية على مثلها لان خبرية الشرطية وانشائيتها تابعة للجزاء ان خبر فخبر وان انشاء فانشاء * فمعنى البيت راع النفس فى اشتغالها بالاعمال عما هو مفسد ومنقص للكمال من الرياء والعجب والغفلة والضلال وان عدت النفس بعض التطوعات حلوا واعتادت به والفت فاجتهد فى ان تقطع نفسك عنها واشتغل بما هو اشق عليها لان اعتبار العبادة انما هو بامتيازها عن العادة ولان البلوغ الى قاصية الكمال والاقتدار من الاخذ بناصية الاقبال فى ارتكاب مشقة النفس ومقاساتها واستقبال طوارق العوادى ومبارتها

الاوقات والاحوال فقال لا بل ان هى استحلت الخ ويجوز ان تكون الواو عاطفة وتكون الجملة الشرطية معطوفة على جملة راعها * فان قيل على هذا يلزم عطف الاخبار على الانشاء وهو فاسد *قلنا لا يلزم هذا وانما يلزم لو لم يكن الجزاء انشائية لانهم صرحوا ان خبرية الشرطية وانشائيتها تابعة للجزاء والجزاء هنا انشائية كما لا يخفى وان هى استحلت من قبيل قوله تعالى (وان احد من المشركين استجارك) اى وان استحلت هى استحلت واستحلت اصله استحليت من استحلى الشئ اى عده ووجده حلوا و(المرعى) بفتح الميم موضع الرعى والمراد منه النوافل لا الواجبات والمستحبات فانهما لا يستوجبان الترك بالاستحلاء كما قاله صاحب الزبدة ففى المرعى مجاز واستعارة تعبيرها هكذا شبه الاعمال الصالحة والعبادات الفالحة بالمرعى فى الانتفاع به واستعير المرعى لمفهوم الاعمال الصالحة ثم ذكر المرعى واريد الاعمال الصالحة وقوله (ولا تسم) نهى حاضر من اسام اذا اخرج الدابة الى المرعى فحذف منه الياء للجزم والمعنى فلا تبق نفسك فى ذلك بل ازجرها وامنعها ويجوز ان تكون فى هذا البيت استعارة تمثيلية بان انتزع هيئة من الامور المعقولة فى النفس من كون صاحبها راعيا وكونها سائمة بين الاعمال ووجدانها لذة فى العبادة وكون الاعمال مرعى لها وشبه تلك الهيئة بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة من كون الحيوان سائما فى المرعى ووجدانه لذة فيها وكون صاحبه راعيا له فى كون كل واحد منهما دائرا بين امرين وهو الحفظ ان حفظت وعدم الحفظ والضرر ان لم تحفظ ثم استعير الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الامور غير المحسوسة فذكر المشبه واريد المشبه به ﴿وحاصل معنى البيت﴾ وراع النفس ولازمها والحال انها مثل السائمة فى الاعمال الصالحة فان ترعها وتحفظها فى رعيها عن الضرر والفساد تعمل صالحا وان تتركها ترح الى ما اعتادته وتضر صاحبها بفعلها ضررا سيئا وان النفس اذا الفت بعض النوافل وعدته حلوا واعتادت فلا تسم تلك النفس ولا ترسلها على حالها وازجرها وامنعها لان النفس لو وجدت فى عبادة من العبادات لذة فى غاية اللذات لكان فيها معصية من العجب والرياء والفخر بين القوم والورى فيلزم جعلها مشتغلة بعبادة لا تجد فيها حلاوة لانها لو جعلت العبادة عادة لا يكون فيها نفع وفائدة ﴿ حكى ﴾ عن بعض الصالحين انه قال حججت كذا وكذا مرة فبان لى ان جميع ذلك مشوب بحظى وذلك ان والدتى سألتنى يوما ان اسقيها جرعة ماء فثقل ذلك على نفسى فعلمت ان مطاوعة نفسى

فى الحجات كانت لحظ وشرف لنفسى اذلو كانت نفسى على خلوص لم يصعب عليها ماهو حق الشرع كذا فى البريقة ﴿ والمعنى التصوفى لهذا البيت ﴾ ايها العارف بالله اجعل نفسك فانيا فى الله وحصل رضى الله ولاتبق فى الاعمال فان البقاء فى الاعمال مرتبة الصلحاء والزهاد من الرجال وكن مستغرقا فى ملاحظة واجب الوجود واترك رؤية القعود والسجود فان بقيت فيهما تكن محجوبا وان تركتهما وبلغت الى مافوقها تكن مطلوبا فان وراء الاعمال والاستدلال اصول الكمال وهو حقيقة الوصال فان النفس لخباثتها احبت ان تبقى فى الذكر والفكر والتأمل فعليك بالتحول ولو بالتحمل هذا

﴿ كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً ＊ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ اَنَّ السَّمَّ فِى الدَّسَمِ ﴾

لماذكر فيماسبق قبول النفس للاتعاظ والصرف عن الهوى وامر بالرعى فى الاعمال ونهى عن الاسامة لو وجدت لذة فى المرعى وكان سبب النهى عنها نظريا بينه بقوله (كم حسنت لذة) الخ وتقرير قياسه هكذا ماثبت ان النفس كثيرا ما حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر كما ان السم لايدرى فى الدسم فالنفس ان وجدت لذة فى المرعى فلا تسمها لكن المقدم مسلم والتالى مثله ＊ ثم اعلم ان كم خبرية لا استفهامية والفرق بينهما ان قائل كم الخبرية يكون مخبرا وقائل كم الاستفهامية يكون مستخبرا وان مابعد كم الخبرية يكون اخبارية ومابعد كم الاستفهامية يكون انشائية وان مميز كم الخبرية يكون مجرورا فى الاكثر ومميز كم الاستفهامية يكون منصوبا غالبا وكم هنا منصوبة المحل على المصدرية اى كثيرا بمعنى كم مرة و(حسنت) ماض من التحسين على صيغة التأنيث وضميره راجع الى النفس ومعنى حسنت جعلت حسنا فى الظاهر فيكون المعنى كم مرة جعلت النفس حسنا فى الظاهر شيئا لذيذا بالعجب والغرور فعلى هذا يكون لذة مفعول حسنت ويكون صفة موصوف محذوف اى شيئا لذيذا والمراد منه العمل النفل ويجوز ان يكون المراد من الشئ اللذيذ الاغترار بكرم الله تعالى ورحمته قال القاضى فى قوله تعالى ﴿ ماغرك بربك الكريم ﴾ فاعل المعاصى بالاغترار بكرم الله تعالى مثل من يشرب السم اعتمادا لطبيعته فعلى هذا التقدير يكون السم استعارة من العذاب الاليم والدسم استعارة من الاغترار بكرم الكريم فلاتغفل عن ترتيب استعارتهما اومعنى حسنت عدت حسنا ويكون مفعوله محذوفا اعنى المرعى ويكون اصل لذة بلذة ثم حذف الجار وانتصب المجرور ويكون تنوينه عوضا عن المضاف اليه اى العجب والغرور فعلى هذا يكون المعنى كم مرة عدة النفس المرعى حسنا بسبب لذة العجب والغرور وقوله (للمرء) متعلق بقاتلة قدم لضرورة الشعر

﴿ كم حسنت لذة للمرء قاتلة
من حيث لم يدر ان السم فى الدسم ﴾

يعنى كثيرا من المراتب زينت النفس لذة للمرء من اللذات قاتلة للمرء كالدسم والمرء لا يدرى ان السم فى الدسم لاسيما اذا كان المرء من اهل المحبة والوداد فهلاكه فى لذة الطعم وطيب الرقاد وهذا البيت استيناف من مضمون المصراع الثانى من البيت السابق وكم منصوب المحل بالظرفية اى كثيرا من المرات حسنت اى جعلت حسنا واللذة ادراك الملائم ويطلق على المتلذ به ايضا قاتلة صفة لذة وضمير حسنت للنفس وللمرء امامتعلق بحسنت واما بقاتلة ومن لابتداء الغاية وحيث يستعار للجهة ويستعمل للتعليل ايضا ومن حيث متعلق بمحذوف والعامل فيه قاتلة اوحسنت اى حال كون ذلك التحسين اوالقتل حاصلا من جهة ادراك كذا اولاجل كذا ولم يدر مجرور المحل باضافة حيث والضمير فيه الى المرء والسم بالفتح والضم مشهورة والدسم بفتح السين اما المصدر او بمعنى الحاصل به وبكسر ها شئ ذو دسم والكل ههنا صحيح

واللام لتقوية العمل اومتعلق بحسنت * والمرء قال العاصم فى ترجمة القاموس المسمى باوقيانوس بالحركات الثلاث فى الميم وبسكون الراء الانسان مطلقا ذكرا كان اوانثى وعلى قول مختص بالرجل لكن هنا اعم ولم يوجد له جمع من لفظه وانما جمعه رجال وعلى قول جاء جمعه مرؤون ويقال فى مؤنثه مرأة بتاء التأنيث وقدجاء مرة بترك الهمزة وفتح الراء وقد يدخل على اولها همزة الوصل وكذا لام التعريف وكذلك يدخل همزة الوصل على اول المرء فحينئذ ان لم يكن مقارنا بحرف التعريف يجوز فيه ثلاث لغات الاولى فتح الراء دائما فى الرفع والنصب والجر والثانية ضمها دائما فى الحالات الثلاث والثالثة كونها معربة اعنى تبعيتها للحرف الاخير فى الاعراب فان كان آخره مرفوعا يكون الراء ايضا مرفوعا وان منصوبا يكون الراء ايضا منصوبا وان مجرورا يكون الراء ايضا مجرورا وان كان مقارنا بحرف التعريف يكون الراء ساكنا البتة هذا وقوله (قاتلة) منصوب على انه حال من لذة اوصفة له والمراد من القتل ههنا الاهلاك بذكر الملزوم وارادة اللازم لان القتل لايكون الا بآلة جارحة اوثقيلة وههنا ليس آلة كذلك وقوله (من حيث) متعلق بقاتلة وقيد الحيثية يستعمل لمعان ثلاثة الاطلاق والتقييد والتعليل اما الاطلاق فكما فى قولهم الماهية من حيث هى هى والتقييد كقولهم علم الطب مايحث فيه عن بدن الانسان من حيث الصحة والمرض اى لامطلقا بل من هذه الحيثية والتعليل كقول الصابح الماء يبرد وجود الانسان من حيث انه بارد وههنا للتقييد اوللتعليل وحيث فى الاصل للمكان واستعير ههنا لمعنى الجهة وقال الاخفش ترد للزمان ويلزمها الاضافة الى الجملة اسمية كانت اوفعلية واضافتها الى الفعلية اكثر واضافتها الى المفرد نادر ولذا اضيف ههنا الى جملة لم يدرو (لم يدر) على صيغة المبنى للمفعول اوللفاعل بمعنى لم يعلم و(السم) بالحركات الثلاث فى السين لكن الرواية ههنا بالفتح للمناسبة دواء يهلك الانسان بسرعة وهو بالفارسية «زهر» والمراد ههنا المعصية من العجب والرياء على سبيل المجاز والاستعار بان شبه العجب والرياء بالسم فى الاهلاك لانه كما ان السم مهلك للانسان كذلك الرياء والعجب مهلك للاعمال كما ورد فى الحديث (ان اخوف ماخاف امتى الاشراك بالله اما انى لست اقول تعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن اعمالا لغير الله) الحديث ثم استعير السم للعجب والرياء فذكر السم واريد العجب والرياء وقوله (فى الدسم) ظرف مستقر خبر ان وجملته نائب فاعل لقوله لم يدر اومفعوله وهو طعام فيه دسومة كثيرة والمراد منه الاعمال والطاعات مجازا واستعارة

تعبيرهـا هكذا شبه الاعمال والطاعة بطعام فيه دسومة فى كونه لذيذا ومشتهى بحيث لايدرى فيه السم ثم استعير الطعـام الذى فيـه دسومة لمفهوم الطاعات والاعمال فذكر الدسم الدال على الطعام واريد منه الاعمال والعبادات * ثم اعلم ان فى هذا البيت ايهاما حسنا الى انه كان السم فى الدسم فى المعنى كذلك لفظ السم فى الدسم كما قيل مثله فى قوله عليه الصلاة والسلام (السفر قطعة من السقر) كما لايخفى وقال الشاعر

النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجارى

﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان النفس امارة غدرة خداعة مكارة فكثيرا ما خدعت المرء وحسنت فى باصرته ما افسـد باطنه اذهى كالاعداء لان الاعـداء يدخلون السم فى الطعام اللذيذ ويهلكون المرء لانه لايعلم السم بسبب لذة الطعـام وكذلك النفس تدخل الرياء والعجب فى العبادة وتهلك صاحبها لانه لايعلم شرها الخفى بسبب لذة العجب والرياء فان العجب يضر فى كل الاحوال ولو كان فى غير العبادة والاعمال ألا ترى الى ماروى انه لما نظر بعض من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كثرة العسكر واسلحتهم فى غزوة حنين قيل انه الصديق الاعظم رضى الله تعالى عنه قال اعجابا من الكثرة والشوكة لا انهزام لنا فيما بعد ولما وصل الى سمعه صلى الله تعالى عليه وسلم كره ذلك فرفع الله النصرة فى اول تلك الغزوة تأديبا لهم بان الكثرة لاتغنى شيئا بدون نصرة الله تعالى قال الله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذا عجبتكم كثرتكم) الآية واما الرياء فانظر الى ما فى اسرائيليات ان حكيما صنف ثلاثمائة وستين كتابا فاوحى الله الى نبيهم ان قل له قد ملأت الارض نفاقا ولم تردنى بشئ من ذلك ولا اقبل منه شيئا فندم وترك وخالط العامة وتواضع فاوحى الله اليه ان قل له الآن قد وافقت رضاى انتهى وايضا الى حديث (ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر) قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال (الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة انا اجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم فى الدنيا) وفى حديث آخر طويل (ان الله يقول للملائكة ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين)

﴿وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ * فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ﴾

لما بين ان النفس يلزم حفظها وترقبها فى العبادات لئلا تقع فى الفسادات شرع فى بيان لزوم ترقبها وحفظها بين المباحات التى لابد للسالك منها فى الحالات فقال (واخش) الخ الواو عاطفة ويحتمل ان تكون استينافية معانية

﴿واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم﴾ عطف على قوله راعها والدسائس جمع دسيسة وهى الحيلة يقال دسائس فى هذا الامر اى مكايد خفية ومفاسد كامنة من جوع اما حال او صفة اى صادرة او الناشئة منه ولا بأس بتقدير المعرفة بعد تبيين المعنى المراد واراد بالدسائس الآفات الكامنة الناشئة من كل منهما اما من الشبع فمثل القسوة والغفلة والكسل وغلبة الشهوة وانطفاء نور اليقين وغير ذلك واما من الجوع فمثل الحدة وسوء الخلق وارادة النحول والذبول وحدوث الكلال وملال وثوران الخيالات الفاسدة وغير ذلك

ويكون جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل فبأي شيء تستعمل النفس حتى تصلح فقال مجيبا (واخش الدسائس) اى اجعلها بين الجوع والشبع و (اخش) امر من خشي يخشى من الباء الرابع وصيغة الامر ههنا للتأديب او للارشاد لانهم بينوا ان الامر يطلب على ستة عشر وجها * اول الايجاب كقوله تعالى (اقيموا الصلاة) * والثانى الندب كقوله تعالى (وكاتبوهم) * والثالث التأديب كقوله عليه السلام (كل مما يليك) * والرابع الارشاد كقوله تعالى (واستشهدوا) * والخامس الاباحة كقوله تعالى (كلوا واشربوا) * والسادس التهديد نحو (اعملوا ما شئتم) * والسابع الامتنان نحو (كلوا مما رزقكم الله) * والثامن الاكرام نحو (ادخلوها بسلام) * والتاسع التعجيز نحو (فأتوا بسورة من مثله) * والعاشر التسخير نحو (كونوا قردة خاسئين) * والحادى عشر الاهانة نحو (ذق انك انت العزيز الكريم) * والثانى عشر التسوية نحو (اصبروا اولا تصبروا) * والثالث عشر الدعاء نحو اللهم اغفر لى * والرابع عشر التمنى نحو قول الشاعر * الا ايها الليل الطويل الا انجلى * والخامس عشر الاعتقاد نحو قوله تعالى (القوا ما انتم ملقون) * والسادس عشر التكوين نحو (كن فيكون) و (الدسائس) جمع دسيسة كالكتائب جمع كتيبة و لدسيسة الكيد والحيلة الخفية والالف واللام فيها عوض عن المضاف اليه اعنى النفس وهى بالنصب على انها مفعول اخش وقوله (من جوع) ظرف مستقر اما حال من الدسائس اوصفة لها اى احذر من الدسائس حال كونها ناشئة وصادرة من جوع ومن شبع او الدسائس الناشئة والحاصلة المتولدة من جوع ومن شبع والجوع الانسانى حالة يشتهى الانسان بها اكل الخبز بلا ادام وقيل علامة جوع الانسانى شم الذباب ريقه وعدم وقوفه عليه كما قال الشاعر

فى حد جوع الفتى قولان قيل بان * يشتهى به الخبز فردا حالة الاكل

وقيل ان وقعت فى الارض ريقته * شم الذباب وجد السير من عجل

والشبع عكس الجوع ونقيضه والمراد من الدسائس الحاصلة منهما الآفات المتولدة منهما اما الآفات الحاصلة من الجوع فمثل الحدة والشدة والذبول والكلال وملال النفس فى تحصيل الكمال والخيالات الفاسدة والاوهام الكاسدة واما الآفات الحاصلة من الشبع فكثرة النوم المقتضية للكسل وقساوة القلب وغفلته وموته بطول الامل واطفاء نور اليقين وكثرة الشهوات وغير ذلك من الغفلات ويحتمل ان يراد بالجوع الفقر مجازا لانه ملزوم الجوع فعلى هذا يكون المراد من الدسائس المهالك فان الفقر يلقى الانسان الى المهالك ولذا استعاذ منه عليه الصلاة والسلام وقال فى حديثه (كاد الفقر

والفاء للتعليل للامر بخشية الدسائس وشر مبتدأ ورب مخمصة خبره وفعلها محذوف اى وجدت خمص بطنه اذا التصق على ظهره. والمخمصة شدة الجوع وتنوينها للتفخيم فان الشر هو الجوع الشديد لا اليسير والتخمة عدم انهضام الطعام فى المعدة وتعفنه فيها وايذاؤه لصاحبه وقد يفضى الى المرض والى الموت والتخم يجوز ان يكون مفردا فرخم للشعر ويجوز ان يكون جمعا مثل كلم وكلمة وكون المخمصة شرا من التخمة باعتبار الآفات الناشئة من الجوع المفرط فانه يضر بالقلب والروح والدين واما التخمة فغالب ضررها على الجسم

ان يكون كفرا) وفى آخر (الفقراء سود الوجوه يوم القيامة) وهى مثل السرقة وتغيير المذهب والملة كما قال الشاعر

كم عالم عالم اعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

ويراد ايضا بالشبع الغنى ويراد بالدسائس مهالك الغنى وهى حب الدنيا مع انه رأس كل خطيئة وطول الامل والكسل عن الطاعة ونسيان الآخرة وقسوة القلب والكبر والعجب والحرص والطمع والبخل وغير ذلك ويجوز ان يراد من الجوع الجهل ومن الشبع العلم ويجوز ايضا ان يراد من الجوع عدم العمل ومن الشبع العمل ويجوز ايضا ان يراد من الجوع السكوت ومن الشبع الكلام ويجوز ايضا ان يراد من الجوع سهر الليل ومن الشبع نومه ويجوز ايضا ان يراد من الجوع العزلة ومن الشبع الخلطة ويجوز ايضا ان يراد من الجوع العزوبة ومن الشبع التزوج ويكون فى لفظى الجوع والشبع على هذه التقادير مجاز واستعارة ويكون وجه الشبه فى كل منها خلو الغذاء للنفس وحصوله وتكون الدسائس عبارة عن مهالك كل منها كما لا يخفى على اهل البصيرة وقوله (فرب مخمصة) الخ الفاء للتعليل لانه علة لدعوى مقدرة مفهومة مما سبق وهو ان الخشية من دسائس الجوع لازمة كما لا يخفى و(رب) حرف جر لا يدخل الا على النكرة وهى للتقليل وعند البعض للتكثير وفى كلمة رب لغات عديدة لانها قد تكون مشددة ومخففة يلحق آخرها التاء وكلمة ما والتاء مع ما مخففا ومشددا وبالجملة قال شيخ الاسلام زكريا الانصارى فى كلمة رب سبعون لغة وعدها فى شرحه على القصيدة المنفرجة وان اردت فارجع اليه * فان قلت لم خص التعليل بالخشية من الجوع دون الشبع * قلت لان ضرر الشبع بديهى بين الانام كما بينه كثير من الاعلام وقد اشار ابو سليمان الدارانى الى ست نكات فى الشبع فقال من شبع لم يجد حلاوة العبادة وتعذر عليه حفظ الحكمة وحصل له حرمان الشفقة على الخلق وثقل عليه العبادة وحصل لديه زيادة الشهوة وان سائر المؤمنين يدرون حول المساجد والشبعان حول المزابل وان اردت التفصيل فعليك التعويل على كتب مفصلة ومطولة واما ضرر الجوع فخفى بل يترتب عليه فوائد عديدة ومنافع كثيرة منها صفاء القلب ومنها رفع النوم ودوام السهر ومنها تيسر المواظبة على العبادة ومنها خفة المؤنة ومنها التمكن بذلك من الايثار والتصدق وغير ذلك مما لا يتناهى ولذلك علل به ثم ان المخمصة شدة الجوع المفرط و(شر) اصله اشر فخفف باسقاط الهمزة وقد لحن ابو

قلابة فى قراءته سيعلمون غدا من الكذاب الاشر على صيغة التفضيل ولم يوافقه احد عليها * قال الحريرى شر فيه معنى التفضيل لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ولا يقال اشر الا فى لغة رديئة و(التخم) جمع تخمة وهى مصدر بمعنى عدم هضم الطعام مع استثقاله على صاحبه وتعفنه فى معدته وانما كانت المخمصة شرا من التخم مع أن اتفاق العلماء على شرية شدة الشبع وخيرية الجوع لان المخمصة وشدة الجوع تورث الانسان ضعفا حتى لا يقدر على اداء العبادة قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ (ان نفسك مطيتك فارفق بها وليس من الرفق ان تجيعها وتذيبها) وقد قرر فى الكتب الفقهية ان الاكل اما فرض ان كان مقدار مايدفع عنه الهلاك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله ليؤجر فى كل لقمة يرفعها العبد الى فمه) واما مندوب ان زاد على ذلك ليتمكن من اداء الصلاة قائما ويسهل الصوم قال عليه السلام (المؤمن القوى احب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف ﴾ واما مباح لا اجر ولا وزر ان زاد على ذلك لمجرد تقوى البدن فيحاسب حسابا يسيرا واما حرام ان فوق الشبع لاضاعة المال والاسراف

﴿ وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلَأَتْ * مِنَ الْمَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ ﴾

لما بين طريق استعمال النفس فى هذه الحال وفيما سيأتى اراد ان يبين سبب المغفرة للذنوب التى قد اكتسبها فيما مضى فقال تحريضا على التوبة وتحضيضا على الاوبة (واستفرغ الدمع) الخ الواو عاطفة ويجوز ان تكون استينافية جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل هل يكون طريق الى عفو الذنوب التى فعلتها فيما مضى فقال واستفرغ اى نعم استفرغ واستفرغ امر من استفرغ وهو طلب الفراغ وهو جعل وعاء اونحوه خاليا عما فيه باخراج ما فيه واراقته والمعنى اجر وارق واستخرج و(الدمع) ماء مالح يجرى من العين وتقييد استفراغ الدمع بقوله من عين الاظهار لما علم ضمنا لا للاحتراز وقوله (قد امتلأت) صفة العين وضمير المؤنث راجع الى العين لكن بطريق الاستخدام بان يراد من العين المذكورة الباصرة وبالضمير العين بمعنى القلب اذ الممتلئ بالمحارم القلب والمعدة فعلى هذا لا حاجة الى جعل امتلاء العين كناية عن كثرة الذنوب كما لا يخفى على ذوى القلوب وقوله (من المحارم) متعلق بامتلأت والمحارم جمع محرم بمعنى الحرام كما يقال ذو رحم محرم اذا لم يحل للرجل نكاحها والمعنى اذا امتلأ قلبك ومعدتك بالمحارم والافعال السيئة ففرغ عينك الحسية لان البكاء للعصيان من خشية الرحمن يمنع العبد من دخول النيران كما قال عليه السلام (لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن

﴿ واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حمية الندم ﴾ استفرغ طلب الفراغ وبمعنى فرغ ايضا قد امتلأت صفة عين المحرم الحرام ويقال ذو رحم محرم منها اذا لم يحل له نكاحها وامتلاء العين عن المحرمات عبارة عن كثرة الذنوب الحاصلة من جهتها والحمية الاحتماء واضافتها الى الندم اما بيانية اى الاحتماء الذى هو الندم على ما مضى واما ان يكون بمعنى من اى الاحتماء الحاصل من الندم والناشئ منه لا الناشئ من مصلحة يعنى يامن فى عينه امتلاء المحرمات وفى قلبه مرض الغفلات فعليك باستفراغ الدموع والبكاء لان الاستفراغ هو العلاج للامتلاء وعليك بتطهير القلب عما سواه لان الخليل مأمور بتطهير بيت الله تعالى وانت تعلم ان معالجة القلوب والارواح لا يتيسر الا بمعجون النجاح وقيل ان ازالة النجاسات الظاهرة بالماء وتطهير النجاسات الباطنة بالبكاء ولكن ينبغى ان يكون البكاء من الخشية والندم لان البكاء من فى الدنيا من الالم لان البكاء من الشكاية يفسد الصلاة ومن خشية الله او شوق لقائه يعد من المكملات والحمد لله الموفق للخيرات وعلى حبيبه افضل الصلوات واكمل التحيات

الضرع) وقيل اذا كان يوم القيامة تخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتقصد امة محمد فيجتهد الرسول عليه السلام فى دفعها فلم يقدر فينادى جبرائيل الحق الحق فان النار قد قصدت امتى لتحرقهم فيأتى جبرائيل بقدح من الماء فينادى الرسول فيقول خذ هذا ورشه عليها فيرشه فتنطفئ فى الحال ويقول ياجبرائيل ماهذا الماء لم اره مثله فى اطفاء النار فيقول جبرائيل ماهذا الادموع امتك الذين بكوا من خشية الله فى الخلوات امرنى ربى ان آخذه واحفظه الى وقت احتياجك اليه لتطفئ به النار التى قصدت امتك وقوله (والزم) دفع سؤال نشأ مما قبله وهو انه هل يكون البكاء مطلقا مذهبا للعصيان ومطهرا للانسان اى لا بل يلزم ان تلزم حمية الندم مع البكاء والحمية بمعنى الاحتماء والحفظ وهو بالنصب مفعول الزم والندم بمعنى الندامة واليأس وبالفارسى «پشيمان شدن» واضافة الحمية اليه اما بيانية اى حفظا هو الندامة على مامضى او بمعنى من أى الاحتماء الحاصل من الندم لانه لو ندم حفظ من العصيان واما من اضافة المشبه الى المشبه به كما فى لجين الماء اى ندامة كالاحتماء فى عدم السلوك الى المعاصى * فان قلت استفيد من هذا البيت ان علاج جميع المعاصى هو البكاء والندامة مع ان المظالم واخذ حق الغير لا تغفر بالبكاء والندامة بل بردها الى اصحابها او الاستحلال منها * قلت رد المظالم والاستحلال من الخصوم ونحوهما داخل فى الندامة كما لا يخفى ﴿وحاصل معنى البيت﴾ يامن امتلأت عينه من المحرمات وشحن قلبه بمرض الغفلات عليك باستخراج الدموع والبكاء لانه يذهب كل ما اكتسبت من الهوى كما قالوا صب العبرات يحط السيئات ويرفع الدرجات وكما فى بعض الاخبار المروية انه يؤتى بعبد يوم القيامة وتشهد عليه اعضاؤه بالزلة والعصيان فيستحق ان يدخل النيران فتطاير شعرة من جفن عينه فتستأذن تلك الشعرة من الله تعالى بالشهادة له فيقول الله تعالى عز وجل تكلمى ياشعرة واحتجى عن عبدى فتشهد تلك الشعرة لذلك العبد بانه قد بكى فى الدنيا من خوف ربه فيغفر له وينادى مناد هذا عتيق الله تعالى بشعرة وكما سئل من الامام حجة الاسلام عن العينين المذكورتين فى قوله تعالى (فيهما عينان تجريان) هما لمن فقال عينان تجريان لمن له اليوم عينان تجريان هذا ماقرر فى التفسير وروح البيان * ثم اعلم ان من خواص هذا البيت انه لو عسر عليك فى مطالعتك محل من درسك ولم يمكن لك كشفه فاقرأ هذا البيت مائة وتسع عشرة مرة فانه يكشف عليك باذن الله تعالى

﴿وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا * وَاِنْ هُمَا مَحَضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ﴾

﴿وخالف النفس والشيطان واعصهما وان هما محضاك النصح فاتهم﴾ المخالفة اعم من العصيان مطلقا لان العصيان ترك امتثال الامر او النهى والمخالفة ترك الموافقة فكل عصيان مخالفة ولا ينعكس والشيطان اما من شاط اى هلك ووزنه فعلان او من شطن بعد ووزنه فيعال وان هما كان احد والاصل فى اذا ان يستعمل فى مقطوع الوقوع وفى ان ان يستعمل فى المشكوك الا لنكتة وهذا هو المعنى من قولنا الجازم فى غير الجازم وغير الجازم فى الجازم وانما اتى ههنا بان لان النصيحة الصافية منهما مما يندر اما من الشيطان فلانه عدونا وعدو ابينا آدم عليه السلام وامرنا باتخاذه عدوا كما قال الله تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) وقد استنظر من الله تعالى لاغوائنا والالقاء فى امنيتنا ولا يفارق عنا الى حلول حكم منيتنا ولقد اكد بالقسم مايريد بنا من سوء فى قوله (ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم) وقوله (فبعزتك لاغوينهم اجمعين) وهو قد طرد من الجناب

الاقدم بواسطة ابينا آدم ومثل هذا العدو لايكون نصيحا شفيقا مصافيا ولا صديقا صادقا عن المين متجافيا ومانجا آدم مع كمال صفوته وعلو درجته واستحقاق خلافته وتقرر نبوته من شر مكايد هذا اللعين فكيف انت يامسكين فربما يدعوك الى الطاعات ويحرضك على العبادات ويزين عبادتك فى عينك حتى تجعلها لك معبودا ويصيرك عن حضرة الحق الحقيق بالعبودية له مردودا حتى تكون ممن قيل فيهم أفرأيت من اتخذ الهه هواه .واعرض عن الله وعبد سواه هذا حالك مع عدوك المظهر لعداوته المريد بك بغيا وطغيانا والحاضر عندك حينا والغائب عنك احيانا فكيف يكون حالك مع اعدى عدوك الذى بين جنبيك وهو اقرب منك اليك فلا تعتمد على نصائحه لئلا يوقعك فى عار فضائحه لان الفوز فى مخالفة النفس ومجانبة هواها والعصيان فى احكامها عليك قضاها لان السلامة فى مخالفة اهواء النفوس قال عليه الصلاة والسلام مشيرا الى هذه المعنى شاوروهن خالفوهن ولهذا قيل ان تعصهن تألف قوله فاتهم اى فانسبهما الى الكذب والخيانة وهو حسبنا وعليه التكلان

لمابين ولوع النفس فى هواها وبلوغ الهوى فى المضرة منتهاها وكون النفس فى يد صاحبها شرع فى بيان المخالفة التامة لها فقال (وخالف) الخ الواو عاطفة من قبيل عطف الانشاء على الانشاء وخالف امر من المخالفة آثر صيغة المخالفة للمبالغة (والنفس) بالنصب مفعول خالف والالف واللام فيها للعهد اى النفس الامارة المكارة (والشيطان) بالنصب عطف على النفس واختار من الحروف العاطفة الواو ليدل على اجتماعهما واشتراكهما فى الامر بالسوء والفحشاء كما فى قوله تعالى (ان النفس لامارة بالسوء) وقوله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) * فان قلت فعلى هذا يكون عطف الشيطان على النفس مستدركا لان الامر بمخالفة النفس مغن عن الامر بمخالفة الشيطان لانهما شريكان ومتحدان فى الامر بالسوء فالامر بالمخالفة لاحدهما امر بالمخالفة للآخر فلافرق بينهما * قلت الفرق بينهما بين لان النفس لوامرت بمعصية تكون مصرة عليها حتى لو فعل معصية اخرى غير ماامرت النفس لاتسكن الابفعل المعصية التى امرت بها لان النفس فيها نفسانية بخلاف الشيطان * ثم ان الشيطان اما فيعال على ان تكون نونه اصلية من شطن اذا بعد لبعده عن الخير والرحمة اوفعلان على ان تكون نونه زائدة من شاط اذا هلك اواذا اسرع فى السير لسرعة سيره فى باطن الآدمى اوفى اضلال الآدمى اواذا احترق لكون اصله نارا اولكون اوله نارا فعلى هذين يجوز صرفه وعدمه اذا جعل علما * قال الجعبرى الشيطان ابليس وجنوده والمراد الجنس وقيل عن تفسير الخازن جنس للمردة من الشياطين ثم اختلف فى الشيطان والجن هل هما موجودان اومعدومان والاصح هو الاول فعلى الاول اختلف ايضا هل هما مجردان اولا واكثر المتكلمين على الثانى فعلى الثانى اختلف ايضا فى انهما هل هما مختلفان بمعنى ان الشيطان جسم لطيف نارى قادر على التشكل باشكال مختلفة والجن هوائى قادر على التشكل كذلك وايضا الملك جسم لطيف نورانى كذلك اومتحدان جنسا فمايكون منهم خيرا سعيدا جن ومايكون شريرا شقيا شيطان فان قيل هل للشيطان نسل قال ابو المعين النسفى فى بحر الكلام قيل ان الشيطان يبيض بيضات ويخرج منها الولد وفى الخبر ان فى احد فخذيه فرجا وفى الآخر ذكرا فيجامع نفسه فيخرج منه الولد وهذه رواية شاذة وقيل يدخل ذنبه فى دبره فيخرج منه الولد وهذا غير صحيح فالصحيح هو الاول * ثم اعلم ان المراد من الشيطان ههنا اعم من الانس والجن لان الشيطان الذى من الانس يأمر ايضا بالسوء فتلزم المخالفة لامره بل لاتجوز المقارنة به لان الطبيعة سارية ألاترى ان العلماء امروا بالمباعدة

عن الكسلان فكيف عن اهل العصيان * فان قلت لم قدم النفس على الشيطان مع ان عداوة الشيطان ثابتة فى كل الزمان * قلت اما لان النفس عدو فى الداخل لا يفارق الانسان فى كل حالاته حتى الذكر والعبادة فتكون عداوته اشد من الشيطان لانه عدو من الخارج يدفع شره بالاستعاذة والذكر والثناء والشكوى الى صاحبه لانه كلب الله فيشتكى من شره الى الله تعالى فيخلص منه باذن الله تعالى بخلاف النفس واما لان النفس وان كانت عدوا لكنه محبوب والانسان عن عيب محبوبه عمى كما قال الشاعر

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا

ويلزم فى النفس عدم القهر بالكلية لانها مطية المرء فى الايصال الى المقصد فمن قهرها تذله فى السبيل وعدم الموافقة لها بالكلية فمن وافقها تضله عن سبيله فالخلاص الاعتدال بينهما واما الشيطان فعداوته خالصة لا يشوبها محبة اصلا لانه عدو قديم حيث بدأ العداوة مع ابينا آدم عليه الصلاة والسلام فقال (يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) الآية وعدو الاب لا يكون لابنه محبا قوله (واعصهما) عطف على خالف * فان قلت هذا القول اى واعصهما مستدرك لان الامر بالمخالفة لهما يستلزم عصيانهما * قلت ان العصيان اعم من المخالفة لان العصيان ترك الانقياد سواء امر بفعل اونهى عنه فتركه اولم يؤمر ولم ينه فتركه والمخالفة انما تكون بترك الفعل الذى امر به او بفعل الفعل الذى نهى عنه فيكون هذا العطف من قبيل عطف العام على الخاص فلا استدراك ويجوز الجواب بان يكون كل واحد من المخالفة والعصيان بالنظر الى كل واحد من الامر والنهى يعنى ان يكون خالف مختصا بالمخالفة لامرهما ويكون واعص مختصا بالعصيان لنهيهما فيصح حينئذ العطف لكن فيه مافيه وقوله (وان هما) ان شرطية وضمير التثنية راجع الى النفس والشيطان و(محضاك) ماض من التمحيض اومن المحض بمعنى التخليص اى اخلصاك و(النصح) بالنصب مفعول ثان لمحضا والنصح اراءة الخير للغير وقوله (فاتهم) الفاء للجزائية والتهم امر من التهمة اى احمل نصحهما على التكذيب * فان قلت هل يكون للنفس والشيطان نصيحة حتى تحمل على الكذب * قلت نعم اما نصيحة النفس فكما نقله الخادمى عن المنهاج من انه روى عن بعض يقال له احمد بن ارقم البلخى انه قال نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول (ان النفس لامارة بالسوء) وهذه تأمرنى بالخير قلت مرادها الخلاص من حبس الوحدة والوصول الى الخلطة

﴿ولا تطع منهما خصما ولا حكما
فانت تعرف كيد الخصم والحكم﴾

الاطاعة الامتثال والانقياد طوعا ومنهما حال من خصما وحكما متعلق بمحذوف اى لا تطع خصما ولا حكما كائنا من جهتهما اى النفس والشيطان المراد من الخصم من يخاصم بما يوافق النفس والشيطان ومن الحكم من يحكم عليك ويشير بمقتضى مرادهما ومقصودهما وللامر بمخالفة النفس والشيطان نبه على ان الكل منهما من يكون له شانا من ايقاع المسلم فى البغى والضلال ويهيج الفتن وجبات النكال كما روى جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجئ احدهم ويقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيئا ثم يجئ احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه ويقول نعم انت وقد يكون حزب الشيطان وسراياه من البشر الموصوفين بسجاياه ولقد جاء فى امثال هؤلاء فى الفرقان اولئك حزب الشيطان واورد شارح التفرق فى قوله تعالى ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ ان فى الآية الكريمة اشارة الى ان كل من يكون سببا للاعراض عن ذكر

والاستراحة بالالفة واكرام الخلق فقلت لها اذا كان مرامك ذلك لا ازلك العمران ابدا ولا ادلك على معرفة احد فاجابت اسأت الظن فقلت الله تعالى اصدق وقلت اقاتل العدو مقدما على الكل فتقتل فاجابت ثم اعددت اشياء فاجابت عن كلها ثم قلت يارب نبهنى لها فانى متهم لها ومصدق لك فكوشفت كان النفس تقول يا احمد انت تقتلنى كل يوم مرات بمنع شهواتى وبمخالفة مولاتى فان قاتلت قتلت انا مرة واحدة فنجوت من قتلاتك ويتسامع الناس شهادتى فيكون لى ذكرا وشرفا قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو * واما نصيحة الشيطان فما حكاه المولوى فى كتابه المثنوى ان معاوية كان نائما عند الصباح فجاء الشيطان وقال حى على الفلاح ففطن معاوية لمكره وغدره فى ظهوره وامره فقال انت يا شيطان ما تأمر الا بمعصية فكيف امرك لى بالطاعة فما سبب هذا الامر العجيب فانه من مثلك غريب فقال سببه انه قد فاتك الصبح يوما من الايام بسبب المنام عن صلاة الجماعة مع سيد الانام فندمت على مافات وتحيرت عليه فى الاوقات فكتب لك اضعاف ما كنت تلحقه من الطاعات فخفت ان تنام عن الصلاة مرة اخرى فيحصل لك زيادة المثوبة فى الاخرى فالزم الحذر من شرهما لاسيما فى وقت كانا قد اختصما

﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا * فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ ﴾

لما ظن انكار المخاطب اتهام نصحهما اذ النصيحة بالخير لا تحمل على الشر اكد ماقبله لكونه امرا مهما واجب الامتثال فقال (ولا تطع منهما) الخ نهى من الاطاعة وهى قبول امر الآمر ومنهما ظرف مستقر حال من الخصم والحكم قدمت على ذى الحال لضرورة الشعر كما قال الشاعر فى بيان مواضع تجرى فيها الضرورة

وقد جاء فى التركيب بعض تصرف * كفصل وتقديم ومثل زيادة

والخصم العدو الذى ظهرت عداوته والحكم بمعنى الحاكم فى الدعوى يقال له قاضى الحكم والمعنى لا تطع الخصم ولا الحكم حال كونهما ناشئين من النفس والشيطان يعنى ان النفس لو كان خصما او كان حكما وكذا الشيطان لو كان خصما او حكما فلا تطعهما بل جانبهما * قال الشارح الزركشى ان هذا البيت من اصعب الابيات فى القصيدة من جهة معرفة ان خصم النفس وحكمها ماهو ولذا قالت الشراح ههنا كلمات لا تسمن ولا تغنى بل كلها من قبيل ما لا يعنى واما انا فقد تحيرت فيه برهة من الزمان ثم رأيت فى المكاشفة الناظم المفاهم اعنى محمد البوصيرى فقلت له ما مرادك من هذا البيت يا امام فقال لو تأملت دواعى الانسان لعرفت المرام فقلت له ارجو منك التفصيل فقال

ان الدواعی فی الانسان ثلاثة وهی القلب والنفس والشيطان فاذا اراد القلب ان يعمل خيرا تكون النفس له مانعة فتطلب تركه ومنعه فيختصمان ويريدان ان يحتكما فينصبان الشيطان حكما وهو يأمر بالسوء فعلى هذا كان الشيطان حكما والنفس خصما ولواراد الشيطان ان يعمل عمل الشر يقول القلب له لاتفعل فانه شر ويقول الشيطان لا بل هو خير فاختصما واحتاجا الى الحكم فاحتكما النفس وهی تأمر بالسوء فعلى هذا كانت النفس حكما والشيطان خصما فكل واحد منهما خصم من جهة وحكم من جهة اخرى انتهی بتغيير عبارته وتفصيله والفاء فی (فانت) للتعليل لماقبله فيمكن ان يرتب ههنا قياس تقريره هكذا انك يلزمك عدم اطاعة كل منهما خصما ولا حكما لانك تعرف كيد الخصم والحكم وكل من يعرف كيد الخصم والحكم فيلزم له عدم اطاعة كل منها خصما ولا حكما ينتج انك يلزمك عدم اطاعة كل منهما خصما ولا حكما والكيد المكر والخيانة ويجیء بمعنى الحيلة والمراد من الخصم والحكم الثانی ماسبق لان لامهما للعهد * فان قلت ماكيفية الوسوسة مع انا لانرى الشيطان باحد مشاعرنا فكيف يكون لما فی قلبنا مدعيا وحكما وموسوسا * قلنا نقل عن الاحياء فی كيفيتها ان القلب كالقبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثل هدف ترمى اليه سهام من كل جانب فكلما ادرك شيئا من الحواس الخمس الظاهرة ومن الباطنة كالخيال ونحوه حدث فيه ای القلب اثر وكذا عند هيجان شیء من نحو الشهوة والغضب وهذه الخواطر وهی محركات للارادة التی تحرك الاعضاء فان محمودة فالهام وان مذمومة فوساوس انتهی وفی حديث انس (ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان ذكر الله تعالى خنس وان نسی التقم قلبه) * فان قلت بأی شیء يخلص من وسوسته * قلت قالوا سلاح المؤمن على الشيطان ستة الاستعاذة وكلمة الشهادة والبسملة وترك الطمع وترك الامل وترك الدنيا * وروی ان قوما شكوا الى الحسن البصری من الشيطان قال انه خرج من عندی الآن ويشكو منكم وقال قل للناس يدعوا دنیای حتی ادع دينهم والنافع الكثير فی دفع وسوسته الاشتكاء الى الله والرجاء منه تعالى بحبسه وعدم اخراجه عليه لانه كلب مبير والكلب يلتجأ من شره الى صاحبه * فان قلت انه وان لم يجب عليه تعالى شیء فی افعاله لكن لايخلو فعله عن حكمة ولاشك ان النفس والشيطان شر بديهی فما الحكمة فی خلقهما وتسليطهما على الانسان * قلت اما الحكمة فی خلق النفس فی الانسان وعدم جعله مجردا كملائكة الرحمن

الرحمن فهو للمرء بمنزلة الشيطان وقس عليه حال حزب النفس وجنوده ولاتظنن انحصار الامر بمخالفتهما لنفسهما ويجوز ان يكون من فی منهما للبيان قدم للضرورة والفاء للتعليل والكيد المكر واللام فی الخصم والحكم كما فی قوله تعالى (فعصى فرعون الرسول)

فتفضيله بها على عامة الملائكة لان النفس فيها عوائق وموانع كالشهوات والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولاشك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف اشق وادخل فى الاخلاص وكل شئ شانه كذا فهو افضل وان اردت تفصيل هذا البحث فعليك بالمطولات واما الحكمة فى خلق الشيطان ففيه مسلكان اما المسلك الاول فالقول بان لا اطلاع لنا على حكمة جميع فعله تعالى لانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لانها وان لم تظهر علينا فهى ظاهرة على الراسخين واما المسلك الثانى فبيان حكمته كما قال بعض العلماء ان الحكمة فى خلقه اختبار اوليائه من غيرهم اذ من يتبع عدوه يعنى الشيطان ليس بوليه تعالى وقال بعضهم الحكمة عدم اغترار العابدين بعباداتهم وبعضهم قال الحكمة الاعتبار من حال الشيطان بسبب العصيان والانزجار عن الطغيان واعلام ضرر الكبر والبغيان على اهل الايمان والتفصيل فى المطولات
﴿وخاصية هذين البيتين﴾ انه اذا كان شخص مصرا على معصية ونزعت نفسه الى عدم التوبة فليكتب هذين البيتين فى صحيفة بعد صلاة الجمعة وليمحها بماء الورد وليشربه وليستمر جالسا مستقبل القبلة حتى يصلى العصر والمغرب والعشاء وهو ملازم على الابتهال والتضرع الى الله والصلاة على النبى عليه السلام ويسأل الله التوبة فانه لا يقوم من مقامه حتى يغلب على نفسه ويلهمه الله اليه التوبة يا اخى نصحى لك الاجتناب فى العبادات عن ملل والملازمة على مداومتها بلا زلل

﴿ أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلٍ * لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِذِي عُقُمِ ﴾

ولما رأى الناظم الصادق والناصح العاشق ان نفسه متلوث بالمناهى وملتبس بالملاهى وقد قال تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ وقال الله تعالى ﴿ ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون ﴾ والامر بالمعروف من غير عمل وان كان حسنة لكنه بحسب العرف الظاهر سيئة فلذا اناب الى الله وتاب عما سواه فقال (استغفر الله) الخ اعلم ان الاستغفار بمعنى طلب الغفر وهو الستر وهو ههنا بمعنى تبت الى الله واطلب الستر من الله ورجعت الى الله عما فعلته وقوله (من قول) متعلق باستغفر * فان قيل لو تعلق به يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بفعل واحد لانه فى تقدير استغفر من الله * قلت لا نسلم انه فى ذلك التقدير ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون من قبيل المطلق والمقيد ولو سلم فلا نسلم انهما متعلقان بفعل واحد كيف وان من الاولى متعلقة

﴿ استغفر الله من قول بلا عمل
لقد نسبت به نسلا لذى عقم ﴾

الغفر فى الاصل الستر والاستغفار طلب الستر وغفر الذنب ماجازاه بما يستحق به والغفر المحو وبلا عمل صفة لقول اى من قول ملتبس بترك العمل ولقد الخ جملة استينافية وجواب لقسم محذوف والباء فى به للسببية والضمير يرجع الى القول النسل الولد عقمت المرأة عقما وعقما وذى عقم هو العقيم والمراد التى لا تلد والمعنى انى استغفر الله من قول امر او نهى بلا عمل فانه امر يستحق الزجر والتوبيخ كما قال عز وجل ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ﴾ لان فى الامر بالفضائل نوع ادعاء الاتصاف بتلك الامور ولو كان ذلك الامر بدون الاتصاف بها يكون كنسبة الولد الى عقيم بالبهت والزور ومثل هذا الكلام لا يفضى الى اتيان المرام اذ الموعظة مالم تحل بمقتضاها المذكر لن تجد سمعا يعيها ولا قلبا تلك الموعظة فيه تؤثر كما قيل ان القول الذى يخرج عن اللسان لن يبلغ الآذان والذى يخرج عن الجنان وقع على الجنان

بالطلب المستفاد من السين ومن الثانية بمادة المغفرة والمراد من القول اللفظى وقوله (بلاعمل) ظرف مستقر صفة لقول اى من قول ملتبس بترك العمل والتنوين فى كل من القول والعمل عوض عن المضاف اليه اى من قول ملتبس بترك عملى وقوله (لقدنسبت) جملة استينافية معانية كأنه قيل لم تستغفر من القول الفصيح المشتمل على المصالح العارى عن المفاسد والقبائح فقال مجيبا (لقدنسبت) اللام لتوطئة القسم والنسبة بمعنى الاضافة والباء فى به للسببية وضميره راجع الى قول بلاعمل والنسل الولد كما فى الحديث (تناكحوا تناسلوا) وهو مفعول نسبت والمراد بالولد والنسل العمل مجازا واستعارة حيث شبه العمل بالولد فى كونهما منتفعا بهما فكما ان الولد ينتفع به فى الدنيا كذلك العمل ينتفع به فى الآخرة واستعير العمل لمفهوم الولد فذكر الولد واريد العمل و(لذى) متعلق بنسبت والعقم بالضم داء لادواء له وهو عدم قبول الرحم اوالصلب الولد واراد بذى عقم نفسه حيث شبه نفسه الغير العامل برجل ذى عقم فى عدم انتاج الشئ ثم استعار الرجل الذى له عقم لنفسه فذكر ذوعقم واريد نفسه ﴿وحاصل معنى البيت﴾ استغفر الله تعالى من قولى آمرا وناهيا بلاعمل لان الظاهر ان الآمر بالخير والناهى عن الشر مؤتمر به ومنته عنه فلما لم يكن مؤتمرا به ومنتهيا عنه فى نفس الامر كان ذلك كنسبة الفضل الى غير اهله وكنسبة الولد الى رجل ذى عقم وهو معصية وعصيان لانه زور وبهتان مع ان مثل هذا الكلام الذى لا يعمل به صاحبه لا يفضى الى اتيان المراد كما قيل ان القول الذى يخرج عن اللسان لا يبلغ الآذان والذى يخرج عن الجنان وقع على الجنان وفى حديث روى عن اسامة بن زيد انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (مررت ليلة اسرى بى الى السماء باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء ياجبرائيل قال خطباء امتك الذين يقولون مالايفعلون) وههنا حكاية لطيفة اوردها اسماعيل الحقى فى تفسيره وهى ماروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا مايموت من اهل مجلسه واحد اواثنان من شدة تأثير وعظه وكان فى بلدة ذلك العالم عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحذره وتمنعه عن حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله ماوقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت

أتهدى الانام ولا تهتدى * الا ان ذلك لاينفع
فيا حجر الشحذ حتى متى * تحد الحديد ولا تقطع

فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر عن فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فمات فيلزم لك العمل بكل ما تكلمت به

﴿امرتك الخير لكن ما ائتمرت به * وما استقمت فما قولى لك استقم﴾

لما كان عدم عمله فى قوله غير معلوم بينه بقوله (امرتك الخير) الخ قال شيخ زاده انما ترك العاطف بين قوله امرتك وبين قوله نسبت لان بينهما كمال الاتصال لانه تفسيره وبيانه والامر صيغة تدل على طلب الفعل استعلاء * فان قيل لم خص الامر بالذكر دون النهى وقد سبق منه امر ونهى * قلنا اراد بالامر مايعمهما كما يقال امر السلطان ان لايؤذى احد احدا (والخير) بالنصب من قبيل الحذف والايصال اى بالخير والخير ماله عاقبة حميدة ولما كان قوله امرتك الخير موهما انه عمل به لانه لازم له فى الشرع استدرك وقال (لكن ما ائتمرت به) والائتمار لازم وهو قبول الامر (وما استقمت) عطف على ما ائتمرت والاستقامة دوام قيام العلم والعمل بلا ترك وانما نفى الاستقامة لانها امر عظيم ولذا قال عليه السلام (شيبتنى سورة هود) كما روى عن بعض الصلحاء انه قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى النوم فقلت له روى عنك انك قلت شيبتنى سورة هود فقال نعم فقلت فما الذى شيبك منها أقصص الانبياء ام هلاك الامم قال عليه السلام لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وذلك لان حقيقة الاستقامة هى الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط برعاية حد التوسط فى كل الامور من الطعام والشراب واللباس وفى كل امر دينى ودنيوى ترغيب وترهيب وذلك هو الصراط المستقيم فى الآخرة والتمشى على هذا الصراط الذى يقال له الاستقامة الاعتدالية عسير جدا كما قال فى بحر العلوم الاستقامة على جميع حدود الله على الوجه الذى امر الله بالاستقامة عليه مما يكاد يخرج عن طوق البشر ولذلك قال عليه السلام شيبتنى سورة هود فكل من كان اتم معرفة كان اتم استقامة وقال ابو على الجرجانى كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة فالكرامة الكبرى الاستقامة فى خدمة الخالق لا باظهار الخوارق وقيل لبعض الاولياء فلان يمشى على الماء فقال وكذلك الضفدع والسمك ثم قيل فلان يطير فى الهواء فقال وكذلك الذباب ثم قيل فلان يذهب من المشرق الى المغرب فى ساعة فقال وكذلك الشيطان فقيل

﴿امرتك الخير لكن ما ائتمرت به
وما استقمت فما قولى لك استقم﴾

انما ترك العاطف بين قوله امرتك وبين قوله لقد نسبت لان بينهما كمال الاتصال لانه تفسيره وبيانه الامر صيغة تدل على طلب الفعل استعلاء والائتمار لازم قوله الخير من قبيل الحذف والايصال اى بالخير وهو ماله عاقبة حميدة ولما كان قوله امرتك بالخير موهما انه عمل به استدرك وقال لكن ما ائتمرت به والاستقامة هى الثبات على مقتضيات الاوامر والنواهى الايجابية والندبية التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم كما قيل فى تفسير قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) والاستقامة عند ارباب التصوف درجة عالية بها كمال الامور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما فى حالته ضاع سعيه وخاب جهده كما قال الله تعالى (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) ومن لم يكن مستقيما فى امره لم يرتق مقامه الى غيره وحرم من ابتناء السلوك على الصحة فى سره قال ابو على الجرجانى كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك تتحرك فى طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة ومراعاة هذا المقام فى غاية الصعوبة كما روى عن ابى على اليسوى انه يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له روى عنك انك قلت شيبتنى سورة هود فما الذى شيبتك منها أقصص الانبياء ام هلاك الامم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن ثوبان مولى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال استقيموا ولن تحصوا فيقول الناظم ماتحليت بحلية هذه

لهما القبول عندك قال الاستقامة فى الدين وقوله (فما قولى) الخ الفاء للعطف وهو معطوف على قوله (امرتك) عطف الانشائية على الخبرية لفظا وعطف الانشائية على الانشائية نظرا الى المعنى المقصود ولان قوله امرتك فى الصورة اخبار وفى المعنى انشاء تحسر وتأسف على حاله كما فى قوله * هواى مع الركب اليمانين مصعد * اومن عطف الخبرية على الخبرية لان معنى قوله فما قولى لك ماينبغى ان اقول لك وما فى قوله فما استفهامية يتولد منها معنى مناسب للمقام مثل التوبيخ والتعجب والاعتراف بالقصور ومثل الانكار وقوله (لك) متعلق بالقول فالقول هنا بمعنى الخطاب لانه مستعمل باللام وقوله (استقم) امر من استقام وجملته مقول قول لقولى اى فما خطابى لك باستقم * فان قلت اين امره باستقم بل هو غير موجود فلا يستقيم هذا القول لانه لم يسبق منه هذا القول * قلنا وان لم يسبق منه هذا القول تصريحا لكنه قد سبق تلويحا وضمنا اذ المقصود مما قبله تطويع النفس الامارة واطاعتها للنفس المطمئنة بحيث تأتمر بامرها وتنتهى بنهيها وذلك لا يحصل الا بالاطاعة لها حتى تستقيم وبالجملة انه وان لم يسبق لفظ استقم لكن سبق معناه والمراد ههنا معناه لا لفظه ﴿ وحاصل المعنى ﴾ انى مسئ عاص لانى امرتك ونصحتك بالخير مع انى ما انتصحت وما استقمت به وقلت لك استقم فمجبا ما فائدته اذ وعظ الغير المتعظ غير مؤثر فى السامع كما قيل ولا يستقيم الظل والعود اعوج وكقول الشاعر

وغير تقى الناس يأمر بالتقى * طبيب يداوى الناس وهو مريض

ولذا قيل لبعض الواعظين عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى من الله تعالى ولكن يلزم للمؤمن ان يقبل قول كل واعظ ولا ينظر اليه لان الحكمة ضالة المؤمن اينما وجدها اخذها اف من شر نفسى لم احصل بها راحلة ولم ادرك بسببها رفيقا وقافلة

﴿ وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً * وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ ﴾

لما كان قوله فيما سبق لكن ما ائتمرت به نظريا وخفيا بينه وكشفه فقال (ولا تزودت) الخ الواو عاطفة وتكرير لا لتأكيد النفى والتزود من باب التفعل من الزاد وهو الطعام الذى اتخذ للسفر والمراد منه ههنا الطاعات والعبادات ففيه استعارة مكنية شبه نفسه فى الذهن بالرجل الذى يريد السفر فى كونهما محتاجين لاتخاذ مايلزم لهما فيه فكما ان مريد السفر من مكان يلزم له اتخاذ الزاد والراحلة فكذلك يلزم للنفس التى تريد السفر من الدنيا الى الآخرة اتخاذ زاد وهو تقوى الله تعالى والاعمال الصالحة ثم استعير فى الذهن الرجل الذى

الدرجة والكرامة وتصدير الامر بالاستقامة وهو قوله وما استقمت فما قولى استفهام يتولد منه معنى مناسب للمقام مثل التوبيخ والتعجب والاعتراف بالقصور والتقصير ومثل الانكار والفاء عاطفة على قوله امرتك عطف الانشائية على الخبرية لفظا او عطف الانشائية على الانشائية نظرا الى المعنى المقصود لان قوله امرتك بما فى حيزه فى الصورة اخبار وفى المعنى انشاء تحسر و تأسف على حاله او عطف الخبرية على الخبرية لان معنى قوله فما قولى لك ما كان ينبغى ان اقول لك بل كان الواجب على العمل اولا ثم الامر بالخير ثانيا لما ورد فى الحديث ان الله تعالى قال لداود عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس فلا انسب بحالى ان اقول

وارى عيوب العالمين ولا ارى عيبى وعيبى فهو منى اقرب كالطرف يستجيل الوجوه ووجهه ادنى اليه وهو عنه مغيب

يحكى ان واحدا من كبار المشايخ قدم للامامة فقال استقيموا واستووا رحمكم الله وغشى عليه فلما افاق قال آه مالى آمر غيرى بالاستقامة وانى تحلية نفسى بتلك الكرامة ارى كل انسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذى هو فيه وما خير من يخفى عليه عيوبه ويبدو له العيب الذى لاخيه اللهم بصرنا بعيوبنا وانصرنا على التبراء عن حوبنا

﴿ ولا تزودت قبل الموت نافلة
ولم اصل سوى فرض ولم اصم ﴾

عطف على ما استقمت التزود اخذ الزاد واعداده والنفل بسكون الفاء والنافلة عطية التطوع من حيث

يريد السفر لنفسه ثم فى الخارج ذكر المشبه اعنى نفسه حيث ذكر بضمير التكلم واريد المشبه نفسه وللرمز والاشارة الى هذه الاستعارة التى فى الذهن اثبت التزود الذى من لوازم المشبه به الى المشبه وهذا الاثبات تخييلية ويحتمل ان يكون فى تزودت استعارة مصرحة وتبعية بان يشبه كسب العبادات والاتقاء والسير الى الله باتخاذ الزاد للسفر فى كونهما منتفعا بهما ثم استعير التزود الذى هو اتخاذ الزاد للسفر للاتقاء الله الذى هى اتخاذ الزاد للآخرة فذكر التزود الذى هو اتخاذ الزاد للسفر واريد منه كسب العبادات والاتقاء الله وبتعبية هذه الاستعارة اشتق صيغة تزودت من المصدر الذى هو التزود وصيغة اتقيت الله من المصدر الذى هو الاتقاء وشبه اتقيت بصيغة تزودت ثم ذكر هيئة تزودت واريد اتقيت ونكتة المجاز اى التعبير بتزودت دون اتقيت وتنفلت اشارة الى ان الدنيا دار رحلة والناس عابر واسبيل فلابد من الزاد واثاث السفر كما قال عليه السلام (كن فى الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور) فكما ان الزاد وصلة الى قرب المقصود كذلك النافلة وصلة الى قرب الله تعالى كما قال تعالى فى الحديث القدسى (لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه) وقوله (نافلة) بالنصب مفعول تزودت والمراد من النافلة قربة ليست بواجب ولا فرض وقوله (ولم اصل) عطف تفسير لماقبله ودفع لتوهم انه لم يصل الفرائض ولم يصمها وهو بمعنى ولم اقم الصلاة سوى الفرض والفرض فى اللغة التقدير والقطع وفى الشرع ماثبت بدليل قطعى لاشبهة فيه وقوله (ولم اصم) عطف على لم اصل ومفعوله محذوف بقرينة سابقه اى لم اصم سوى فرض والصوم فى اللغة الامساك وفى الشرع عبارة عن امساك مخصوص عن الاكل والشرب والجماع من الصبح الى المغرب والفرضان فى الموضعين صفة موصوف محذوف اى صلاة فرض وصوم فرض * فان قلت الاقامة بالفرض خير وثواب وله عاقبة حميدة فهلا ينافى هذا القول بقوله لكن ما ائتمرت بالخير * قلت تنوين فرض للتقليل والمراد انى ماقمت بحق العبودية حق القيام بزيادة النوافل فى الليالى والايام والصلاة والصوم المفروضان دينيان كأنه لم يجعلهما معتدا بهما فى جنب الامتثال لقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ❁ وحاصل معنى البيت ❁ ماجعلت شيئا من النوافل زاد السفر قبل الفوت ولاتهيأت للوصول الى مراتب الكمال قبل الموت واقتصرت من قصور همتى على فرض الصلاة والصيام وماقمت بحق العبودية حق القيام بزيادة النوافل كما زاد السلف كما نقل ان الجنيد كان يدخل كل يوم حانوته ويرسل الستر

لايجب والنفل بفتح الفاء الغنيمة ومراده هنا من النافلة قربة ليست بفرض ولا واجب ولا سنة مؤكدة حملا لحاله على الاصلح به والفرض مايكفر منكره ويعاقب تاركه وتنوين نافلة للتقليل وتنوين فرض للتحقير اى فرض مشوب بتقصيرات ومثل هذه اعتبارات مستفادة من المقام بمعونة الذوق وموصوف نافلة محذوف وقوله ولم اصم اى سوى فرض بالاكتفاء ولفظ البيت خبر ومعناه تحسر وتأسف على تضييع العمر فى الغفلات والتقصير فى الصوم والصلوات مع ان افضل السكنات الصيام واحسن الحركات القيام اذ الصلاة افضل العبادات واعلاها واشرف الطاعات واسناها ويحكى الصلاة عماد الدين واحب اعمال

ويصلي اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته * وعن ابي عبدالله بن خفيف انه كان يقول ربما كنت اقرأ في ابتداء امري في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة قل هو الله احد وربما كنت اقرأ في ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت اصلي من الغداة الى العصر الف ركعة * وفي بعض الكتب قال شريك كنت مع ابي حنيفة رحمه الله تعالى سنة فما رأيته وضع جنبه على الارض وكان اصحابه يشهدون انه كان يصلي صلاة الغداة بوضوء العشاء وقال شعبة حسست اباحنيفة وقت دخول الناس مضاجعهم فخرج من منزله ودخل المسجد واشتغل بالصلاة فلم اقدر على السهر والقيت حصيات في نعليه ورجعت فعند قرب الصبح رجعت فوجدته في مكانه يدعو ويبكي ونظرت نعليه والحصيات باقية والتفصيل في المطولات * واما الصوم فما ذكر في الرسالة القشيرية كان سهل بن عبدالله يفطر في كل خمسة عشر يوما مرة وفي رمضان الى رؤية الهلال وكان في كل ليلة يفطر بالماء القراح * وابو تراب النخشبي اكل اكلتين من البصرة الى مكة وابوعثمان المغربي يقول الرباني يأكل مرة في اربعين يوما والصمداني في ثمانين يوما وروي ان سهلا اقتات بثلث درهم في ثلاث سنوات كذا ذكره في شرح الطريقة

خالفت امر رسول شانه قد علا * ولم اطع قوله في كل امر جلا

﴿ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ اَحْيَى الظَّلَامَ اِلَى * اَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ﴾

لما فرغ من الفصل الثاني الكائن في بيان معرفة النفس من كونها امارة بالسوء وكونها غير معدة عملا صالحا وكونها مشتغلة بالهوى وكونها قابلة للتربية كالطفل وبيان تربيتها والاستغفار مما عملت من المحارم شرع في الفصل الثالث في مدائح النبي عليه الصلاة والسلام فقال (ظلمت سنة من) الخ بترك الواو الواصلة اشارة الى ربط ولطافة * فان قلت وما المناسبة بين الفصلين * قلت انه لما بين في الفصل المقدم معرفة النفس اراد ان يبين في هذا الفصل معرفة الرب عملا بما ورد (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ومعرفة الرب انما تكون بمعرفة النبي فيكون مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم راجعا الى مدح الله تعالى اذ مدح النقش راجع الى مدح نقاشه كما لا يخفى وانما اختار صيغة المتكلم وحده اظهارا لتذلله في مقام مدح النبي واعلاما لاستقلال مدحه بانه لا يشوب في مدحه مدح غيره و(ظلمت) مشتق من الظلم وهو في اللغة وضع الشيء في غير موضعه وفي الشرع التجاوز عن الحق الى الباطل والتصرف في ملك الغير بغير اذنه والمراد هنا الترك مجازا من معناه اللغوي لانه يلزم لوضع الشيء في غير موضعه ترك موضعه الاصلي فيكون من قبيل ذكر

اهل اليقين واول ما يحسب به العبد في القيامة ويساق به الى دار السلامة وهي اشمل الواجبات للاشخاص والازمان ثابتة في جميع الاديان ثانية في الذكر للايمان والصوم سبب الولوج في ملكوت السماوات وواسطة الخروج عن رحم مضايق الجسمانيات المعبر عنه بالنشأة الثانية كما اشير اليه بقوله عليه السلام لن يلج في ملكوت السماوات من لم يولد مرتين بل بمجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء واليه يشير الحديث القدسي وهو قوله عليه السلام الصوم لي وانا اجزي به يعني انا جزاؤه ولذلك علق سبحانه نيل سعادة الرؤية بالجوع حيث قال في مخاطبة عيسى عليه السلام تجوع تراني ولكونهما عمدة العبادات خصهما الناظم بالذكر

﴿ظلمت سنت من احيي الظلام الى
ان اشتكت قدماه الضر من ورم﴾

الظلم وضع الشيء في غير موضعه والنقص كما في قوله تعالى (ولا يظلمون فتيلا) السنة يطلق على الطريقة المسلوكة في الدين مطلقا ولكن غلب على ما ورد به النبي عليه السلام قولا وفعلا ولا يكون واجبا ولا فرضا وقوله ظلمت اما ان يكون بمعناه الاول فكأنه ظلم عليها بتركها لان من حقها ان يقام ويؤتى بها او بمعناه الثاني بمعنى نقصت من اعمالي

الملزوم وارادة اللازم و(سنة) بالنصب مفعول ظلمت وهى فى اللغة الطريقة وفى الشرع الطريقة المسلوكة فى الدين غير فرض ولا واجب فالسنة ان واظب النبى عليها كانت مؤكدة وانلم يواظب كانت سنة الهدى وههنا اعم من السنن المؤكدة وسنة الهدى فالمراد الطريقة الشريفة الحنيفية المنسوبة الى النبى عليه الصلاة والسلام التى من سلك فيها يصل الى مقصوده ومن موصولة و المراد به النبى عليه الصلاة والسلام وانما ابهمه للتفخيم اى سنة الذات الفخيم العظيم الكريم الحليم النبى المخلص الرحيم الذى احيي وهو بمعنى ترك النوم للعبادة مجازا لان النوم يشبه الموت فى انتفاء الادراك وانتفاء الانتفاء وكذلك اليقظة تشبه الحياة ففى احيي استعارة مصرحة وتبعية حيث شبه ترك النوم للعبادة بالاحياء فى الانتفاء والسرور فاستعير الاحياء لترك النوم للعبادة فذكر الاحياء واريد ترك النوم للعبادة وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الاحياء صيغة احيي ومن ترك النوم للعبادة صيغة ترك اوسهر وشبه ترك باحيي بواسطة العلاقة فى مصدرهما فذكر احيي واريد ترك النوم للعبادة وانما قيدنا ترك النوم بقولنا للعبادة لان ترك النوم للفسق والمعاصى لايعد احياء بل اماتة وخسرانا و(الظلام) بالفتح ذهاب النور والمراد به الليل مجازا من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم وايقاع احيي على الظلام مجاز كما كان الطرفان مجازين فمعنى احيي الظلام يعنى ترك نيامه فى الاوقات اللطيفة الشريفة المباركة التى يكون فيها خير الانام مشتغلا بالوحى والالهام فى الليالى المظلمة الخالية عن الاغيار والرقباء المانعة وقوله (الى ان اشتكت) الى للانتهاء متعلق باحيي وان مصدرية واشتكت من الاشتكاء وهو اخبار المظلوم عن ظلم من لايستطيع دفع ظلمه فاشتكت بمعنى اظهرت الشكوى كما فى قوله

شكوت وما الشكوى لمثلى بعادة * ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

وههنا ليس على معناه الاصلى بل هو الاظهار والدلالة على الوجع الناشئ من العوارض البشرية والامور الحسية اى اظهرت ودلت قدماه اى رجلاه المكرمتان المحترمتان اللتان تراب نعلهما كحل عين العالمين و(الضر) بالفتح او الضم شدة الحال وهو بالنصب مفعول اشتكت وقوله (من ورم) حال من الضر او بيان له والورم بفتحتين الانتفاخ يعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل عليه الوحى اجتهد فى العبادة وكان يصلى الليل كله ويقوم على احدى رجليه تخفيفا على الاخرى لطول القيام ويتعب نفسه كل الاتعاب حتى ورمت قدماه المحترمتان المكرمتان وانتقلتا من الحالة الاولى الى الحالة

سنة من احيي وايقاع احيي على الظلام مجاز لان المراد من الظلام الليل من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم ومن الاحياء ترك النوم مشتغلا فيه بنوع من القرب وكذا الاسناد اشتكت الى قدماه والى متعلق باحيي والضر شدة الحال وحرف الجر محذوف اى من الضر ومن ورم اما ظرف لغو متعلق باشتكت بدل من الضر او حال اى كائنا منه او صفة اى الكائن منه او يكون من للسببية متعلقا باشتكت وتنوين ورم للتعظيم وهو انتفاخ لا على مقتضى الطبيعة ومن احيي الظلام حتى اشتكت قدماه هو سيدنا ونبينا محمد حبيب الله عليه من الصلوات افضلها ومن التحيات اكملها فانه لما خوطب بيا ايها المزمل قم الليل كان يحيي الليل ويقوم على احدى رجليه حتى ورمت قدماه فنزل طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعب يعنى ضع قدميك على الارض يا من تورمت قدماه من قيام الليل فى عبادة مولاه وابق على نفسك فان لها عليك حقا لانا ما انزلنا عليك القرآن لتهلك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة القادحة وما بعثناك الا بالحنيفية السمحة ولقد غفرنا ما تقدم من ذنبك وما تأخر والحبيب يزيد فى الطاعة ويقول أفلا اكون عبدا شكورا ليرى الناظرين طريق العبودية كى لا يكونوا قوما بورا ولا يطيعوا من الغاوين آثما اوكفورا والله اعلم

الاخرى فانزل الله تعالى تسلية لنفسه الشريفة وتخفيفا له عليه الصلاة والسلام ولامته الضعيفة ﴿طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ اى ضع يامحمد قدميك على الارض ولاتتعب نفسك فان لها عليك حقا لانا ما انزلنا عليك القرآن العظيم لتتعب نفسك وتجعلها فى حالة تقرب الهلاك ثم كانت عادته عليه الصلاة والسلام بعد هذه الآية انه يقوم بعد ثلثى الليل ويتهجد * ثم اعلم ان المفسرين قالوا كانت صلاة التهجد فرضا له عليه الصلاة والسلام لا لامته بقوله تعالى ﴿فتهجد به نافلة لك﴾ الآية فكان هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انهم قالوا ان التهجد سنة لامته عليه الصلاة والسلام كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام (ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل الاخير خير له من الدنيا ومافيها ولولا ان اشق على امتى لفرضتهما) وفى حديث آخر (مازال جبرائيل يوصينى بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتى لاينامون) ثم انهم قالوا ان التهجد من اربعة الى اثنى عشر وقال بعضهم من اثنين الى اثنى عشر ثم انهم اختلفوا فى ان التهجد هل يطلق على قيام الليل كله اولا والاصح عند الخادمى على ماذكره فى شرح الطريقة مايكون بعد النوم * فان قيل لم قدم الناظم الفاهم هذا المدح من مدائحه عليه السلام على غيره * قلت اشارة الى ان هذه الخصلة الحميدة اشرف الخصال واكرم الفعال مع ما فى هذا المدح من التوبيخ لامته من انه عليه الصلاة والسلام كان يعبد ربه غاية العبادة ويطيع له غاية الاطاعة مع رفعة جاهه وعلو منصبه حتى قيل له حين ورمت قدماه المحترمتان أتتكلف وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقال (أفلا اكون عبدا شكورا) اى على ماانعم ربى على من المغفرة مع ايمائه عليه الصلاة والسلام فى ذكر لفظ العبد الى انه لابدله من القيام بوظائف العبودية والمبالغة فى اداء شكر حقوق الربوبية وانكم ايها الامة مع كونكم مختلطين بالمعاصى والذنوب بل بترك اوامر علام الغيوب لاتعبدون الله وتنامون من المساء الى الصباح كأنكم مبشرون بالجنة والكوثر والفلاح فهيهات ماتظنون والله خلقكم للعبادة وانكم لاتعلمون * فان قيل لم قدم من بين عباداته على الصلاة والسلام احياء الليالى * قلت اقتداء بالنظم الكريم لانه تعالى كما ذكر فى القرآن الصوم قدم عليه الصلاة ولان قيام الليالى افضل العبادات لان الليل يكون فيه بين العابد والمعبود خلو من الاغيار وتكون فيه الدعوات اسرع اجابة اذ هو وقت الاخيار ولذا قيل ان العابد فى الليالى يستحق اجرين اجرا لترك النوم واجرا للعبادة مع ان ترك النوم فى الليالى الكثيرة المتوالية واحياء جميعها بالصلاة لايقدر عليه الا رسول الله الوهاب الهى لاتجعلنا ممن ضل وغوى

فاخذته بذنوبه فتوى واحشرنا فى زمرة من لا ينطق عن الهوى

﴿ وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ اَحْشَاءَهُ وَطَوَى * تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْاَدَمِ ﴾

لما بين عبادته صلى الله تعالى عليه وسلم التى هى الوسيلة الى الدرجات العليا فى العقبى شرع فى بيان مقام زهده فى الدنيا واختياره الرياضة فى مرضاة المولى فقال (وشد من سغب) الخ الواو عاطفة لجملة شد معطوفة على احيى ومعنى شد عقد وكلمة من سببية اى بسبب سغب والسغب بفتحتين الجوع مطلقا وقيل السغب الجوع المقارن بمشقة وتعب والمعنى هنا عقد من اظهار سغب ليستن به غيره من الصحابة الكرام عليهم رضوان الملك العلام والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوع اصلا لان قلبه مملوء بنور مولاه لا يحتاج الى الاكل وشرب المياه مع انه يطعمه ربه ويسقيه كما ورد فى حديثه عليه الصلاة والسلام (انا ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى) و(احشاءه) بالنصب مفعول شد وضميره راجع الى الموصول والاحشاء جمع حشى بمعنى القلب وانما جمع مع انه ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه للتعظيم والتفخيم كما فى قوله تعالى ﴿فنعم الماهدون﴾ فيكون مجازا واستعارة بان شبه قلبه عليه الصلاة والسلام بالقلوب الكثيرة فى العظم والخطر ثم استعير القلوب لقلبه عليه الصلاة والسلام وذكر القلوب واريد منها قلبه عليه الصلاة والسلام وقوله (وطوى) عطف على شد عطف تفسير لحرف العطف بمعنى حرف التفسير او من قبيل عطف العلة على المعلول لحرف العطف بمعنى اذ ومعنى طوى لف * وقال الشهاب فى شرح الشفاء فى معنى الحديث انه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله فى الليالى المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء الطى بمعنى الجوع لكن الانسب لهذا المقام كونه بمعنى اللف كما لا يخفى واذا كان بمعنى اللف يكون المراد ههنا تداخل الجسد بعضه فى بعض لانتهاء الجوع الى حد الكمال وقوله (تحت الحجارة) ظرف لطوى بتضمين معنى الوضع و(كشحا) بالنصب مفعول طوى والكشح بالفتح والسكون ما بين الخاصرة والضلع و(مترف) بالنصب حال من الكشح وهو اسم مفعول من الاتراف بمعنى النعومة فالمراد من المترف المفرط فى النعومة واللطافة والادم بفتحتين جمع اديم وهو بمعنى الجلد واضافة المترف اليه من اضافة الصفة الى موصوفها اى الجلد الناعم اللين ﴿وحاصل المعنى﴾ انى سهرت وتركت سنة الذات الفخيم والنبى الحليم المخلص الصفى الذى عقد بطنه الشريف اللطيف لاظهار جوعه الى الاصحاب ليستنوا به ووضع خاصرته اللطيفة الناعمة الجلد تحت الحجارة المقبولة المباركة لتدفع برودة الحجر عنه عليه الصلاة والسلام حرارة الجوع وحاصل معنى البيت

﴿ وشد من سغب احشاء وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الادم ﴾ عطف على احيى شده اوثقه ومن للسببية السغب الجوع والحشى ما احاط به الجوف وطواه لفه الكشح الخصر وهو مفعول طوى ومترف صفة كشحا والترف النعومة الادم جمع اديم وهو الجلد مثل افيق وافق والاضافة لفظية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحراء اذا غلب عليه الجوع يوثق الحجر على بطنه وروى مسروق عن عائشة رضى الله عنها انها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله تعالى فيطعمك قالت وبكيت

اما كناية عن مبالغة رياضته عليه السلام لانه عليه الصلاة والسلام كان فى اكثر اوقاته دائم الجوع حتى قالت عائشة رضى الله تعالى عنها بكيت لما رأيت به من الجوع وشدة السغب فقال (ياعائشة والذى نفسى بيده لوسئلت ربى ان يجرى معى جبال تهامة ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن اخترت الجوع فى الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غنائها وحزن الدنيا على فرحها ياعائشة ان الدنيا لاتنبغى لمحمد ولالآل محمد) الحديث وفى حديث آخر قالت عائشة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عرض على ان يجعل بطحاء مكة ذهبا فقلت لايارب اجوع يوم واشبع يوما فاما اليوم الذى اجوع فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذى اشبع فاحمدك واثنى عليك) *وفى الرسالة القشيرية ان فاطمة رضى الله عنها جاءت بكسرة خبز لرسول الله عليه السلام فقال (ماهذه الكسرة يافاطمة) قالت قرص خبزة ولم تطب نفسى حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال (اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام) واما اشارة الى ماوقع فى غزوة الخندق وبيانه انه عليه السلام لما اخرج بنى النضر من اليهود من اطراف المدينة ذهب ابو عمرو الراهب منهم الى مكة لتحريك المشركين للمحاربة مع النبى فجاء الى بيت ابى سفيان فاخبره بالحال فاكرمه ابو سفيان وشرع فى جمع عسكر فجمع مقدار عشرة آلاف على الفور وخرجوا الى جانب المدينة فوصل هذا الخبر الى سمعه عليه السلام فاستشار مع الاصحاب فقال سلمان الفارسى يارسول الله ان فى بلاد العجم اذا غلب العدو فى بلدة ولم يقدر اهل البلدة على محاربتهم يحفرون اطراف تلك البلدة ويجعلونها خندقا ويحفظونها فاستصوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الرأى فشرعوا فى حفر الخندق خمسين يوما ثم جاء العدو فحاصروا المدينة تسعة وعشرين يوما فوصل للمسلمين فيه مشقة كثيرة واستولى عليهم خمسة انواع من المشقة الاول القحط والثانى كثرة الاعداء والثالث خوف القتل والرابع الجوع والخامس شدة البرد حتى رحم النبى عليه السلام حال الصحابة ونادى من يأتينى باخبار العدو فهو رفيقى فى الجنة ولم يجيبوا له عليه السلام لشدة جوعهم وعدم طاقتهم على الذهاب ثم صرح باسماء اربعة من الصحابة فقالوا يارسول الله لايحركنا من موضعنا مامعنا من الجوع والبرد ثم دعا حذيفة اليمان وارسله للاستخبار فذهب فجاء بخبر فرارهم وهلاك اكثرهم من شدة البرد وروى انه عليه الصلاة والسلام ربط على بطنه الشريف حجرا دفعا لثقل الجوع وتعليما للاصحاب ولذا كان سنة لمن كان جائعا ولم يجد خبزا ان يعقد حجرا على بطنه لانه يسكن الم الجوع وهذا

لما رأيت به من الجوع وشد الحجر على بطنه من السغب فقال ياعائشة والذى نفسى بيده لوسألت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ياعائشة ان الدنيا لاينبغى لمحمد ولالآل محمد ياعائشة ان الله تعالى لم يرض لاولى العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل والله مالى من طاعته وانى والله لاصبرن كما صبروا بجهدى ولا حول ولا قوة الا بالله ربنا افرغ علينا صبرا على فاقتنا ولا تحملنا فوق طاقتنا

من هدايا النبي عليه السلام اللهم لا تبلنا فى الدنيا بالكرب واجعل رتبتنا فى الدارين ارفع الرتب بحرمة النبي ذى المجد والحسب

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ * عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ ﴾

فلما توهم العوام من عقده عليه السلام على بطنه الشريف اللطيف المملوء بالحكم الالهية الحجارة المباركة لاجل السغب الظاهرى ان رياضته عليه السلام وشدة الحجر لضرورته واحتياجه دفع الناظم الفاهم ذلك المقال فقال (وراودته الجبال) الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على القريب او البعيد والمراودة المطالبة بالجد والاشتهاء وصيغة المفاعلة اذا لم تكن للمبالغة فهى للمبالغة وضمير المفعول راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم او المراودة بمعنى المجيئة و (الجبال) بالرفع فاعل راودت وهى جمع جبل و (الشم) بضم الشين جمع اشم بمعنى الرفيع غاية الرفعة وهى صفة الجبال اى جاءت الجبال الرفيعة او طلبت الجبال الرفيعة و (من ذهب) صفة الجبال او حال منها والالف واللام فى الجبال للعهد اذ الجبال التى راودت الرسول عليه السلام خمسة جبال فى حوالى مكة المكرمة اعنى جبل ابى قبيس وجبل حرا وجبل ثور وجبل بطحاء وجبل عرفات و (عن نفسه) متعلق براودته بتضمين معنى الميل يعنى ان الجبال الرفيعة المنقلبة الى الذهب طلبت النبي عليه الصلاة والسلام مائلة لنفسه عليه الصلاة والسلام والفاء للتعقيب بلا تراخ و (ارى) ماض من الاراءة فاعله راجع الى النبي عليه السلام وضمير المفعول راجع الى الجبال ومفعوله الثانى محذوف اى ارى رسول الله عليه السلام الجبال حين عرضت نفسها عليه شمما واستغناء ايما شمم وما زائدة وقيل صلة للتأكيد واى صفة موصوف محذوف هو مفعول ثان لارى واى يفيد فى هذا المقام معنى الكمال لانهم قالوا ان أى كان مضافا الى ماهو من جنس الموصوف فهو يفيد الكمالية كما تقول رأيت رجلا أى رجل اى كامل فى الرجولية والمعنى شمما واستغناء فى غاية الاستغناء وكمال الارتفاع ﴿ وحاصل المعنى ﴾ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرض عن الدنيا واقبل على المولى وآثر متاعب الفقر الظاهرى على مناصب الغنى حتى ان الجبال الشامخة عرضت نفسها عليه وتزينت بانواع الزينة لديه ومالت غاية الميل اليه رجاء ان يوقع النظر عليها فترفع عن الالتفات اليها * وفى هذا البيت اشارة الى ما روى ان جبرائيل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرؤك السلام ويقول لك أتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك ايما كنت فتوقف ساعة فقال يا جبرائيل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبرائيل عليه السلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وفى هذا

﴿ وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فاراها أيما شمم ﴾

راوده طلب منه ان يكون له وعلى مراده ومنه وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه والشمم الارتفاع ويستعمل بمعنى الرفع ايضا والشم جمع الاشم ومن ذهب حال اوصفة اى كائنة او الكائنة منه وما فى ايما صلة للتأكيد واى صفة لموصوف هو ثانى مفعولى اراها اى شمما اى ترفعا لايكتنه كنهه ولا يقادر قدره قال عليه الصلاة والسلام ان ربى عرض على ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذى اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك واثنى عليك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له محمد والذى بعثنى بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال رسول الله امر الله القيامة ان تقوم فقال لا ولكن هذا اسرافيل قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثنى بمفاتيح الارض وامرنى ان اعرض عليك ان احببت

الحديث برهان شاف وبيان كاف على فضل الفقير الصابر على الغنى الشاكر كما اجتمعت عليه السادات السنية والطائفة الصوفية والى هذا المقام اشار من قال من ارباب الكمال همة الرجال تهدم الجبال * وفى هذا البيت تلميح الى قوله تعالى ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ﴾ وايماء مليح الى مزية فضيلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على يوسف عليه السلام من وجوه لان المراودة ليوسف عليه السلام كانت لحسنه الغير الاختيارى ولانها كانت هناك على ما حرم الله تعالى ولانها كانت هناك من ذى عقل تتصور المراودة منه ولان يوسف عليه السلام اختار فى الدنيا ما يزيد فى اللذة واما المراودة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فوقعت لخلقه الاختيارى وعلى ما اباحه الله تعالى ومن جماد لاتتصور المراودة منه وانه عليه السلام ما اختار لذة الدنيا مع انه تعالى قال له عليه السلام لاحساب لما اخذته من الدنيا فعلى هذا يكون فى هذا البيت استعارة تمثيلية بان تشبه الهيئة المنتزعة من الجبال ومراودتها عن نفسه عليه السلام وعدم ميله عليه السلام اليها بالهيئة المنتزعة من زليخا ومراودتها عن نفس يوسف عليه السلام وعدم ميله اليها فى الطلب المطلق فاستعير الهيئة المنتزعة من المشبه به للهيئة المنتزعة من المشبه فذكر المراودة الدالة على مراودة زليخا واريد مراودة الجبال * وقال الشارح الشرخبنى ان الاشم من الشمم وهو الانف ومعناه طلبت الجبال التى هى اولوا انف ميل نفسه عليه السلام اليها يعنى ان الجبال انحنت واطالت انفها اى طرفها الذى كالانف فى الانسان الى النبى عليه السلام فما مال اليه اصلا بل اظهر الترفع والاستغناء

﴿ وَاَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ * اِنَّ الضَّرُورَةَ لَاتَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ ﴾

لما توهم المتوهم ان ضرورته واحتياجه يكون مانعا لعبادته وزهادته دفعه فقال (واكدت زهده) الخ الواو عاطفة او ابتدائية واكدت من التأكيد والتأكيد والتوكيد هو التقرير والتثبيت والزهد قلة الرغبة فى الشئ وفى الاصطلاح الاعراض عن الدنيا وترك راحته روى ان رسول الله عليه السلام كان مضطجعا على سرير مفروش بشئ خفيف رطب اخضر وتحت رأسه وسادة من ادم مملوءة بليف فدخل عليه عمر رضى الله تعالى عنه مع جماعة من الصحابة فانحرف النبى عليه السلام فرأى عمر اثر الفراش فى جنبه عليه السلام فبكى فقال عليه السلام (ما يبكيك يا عمر) فقال فكيف لاابكى ان كسرى وقيصر يتنعمان فيما يتنعمان فيه فى الدنيا وانت على هذه الحالة فقال عليه السلام (يا عمر اماترضى ان يكون لهم فى الدنيا ولنا

ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبرائيل ان تواضع لله فقال نبى عبد ثلاثا رأى زينة الدنيا التى هى للفنا وامسى الى دار البقا تجهز زخارف دنيانا لاحد لم ترق ولا كان من شئ بها تحيز زهادته فيها وقد عرضت له دليل بان القلب للحق مبرز زيوفا رأى كل النقود التى بها ومن مثله فى نقد دنيا مميز اللهم صل عليه وعلى اشياعه وثبت اقدامنا على سنن اتباعه

﴿ واكدت زهده فيها ضرورته
ان الضرورة لاتعدو على العصم ﴾

التأكيد والتوكيد هو التقرير والتثبيت والزهد قلة الرغبة وضمير فيها للجبال او للدنيا لدلالة المقام عليها والمراد من الضرورة شدة الحاجة والفقر والفاقة وضرورته فاعل اكدت وزهده مفعوله وان الضرورة استيناف كأن سائلا قال لما كان فى شدة الحاجة والضرورة فكيف رغب عنها فقال ان الضرورة لاتعدو اى لاتغلب على العصم يقال عدا عليه ظلمه وغلب عليه والعصم جمع عصمة وهى قوة اودعها الله تعالى فى العبد يمنعه عن التعرض لمنهياته ومكروهاته ويجوز ان يراد بالعصم المعصومين بارادة اسم المفعول من المصدر فالمعنى ان النبى الذى

فضله الله على جمع البشر ورفع درجة من ان لا يبلغها قدذى الخطر وشرح صدره ووضع وزره الذى انقض ظهره وبان قرن اسمه فى كل موضع باسمه رفع ذكره وعصمه من حيث الاعتصام بحبل عنايته وحفظه الله وهو خير حافظا بكمال هدايته فلم تمد شدة حاجته على العصمة الازلية بل اكدت ضرورته زهده فى الدنيا الدنية فازاغ بصر همته فى الدنيا وماطغى عين تهمته فى العقبى كما روى انه صلى الله عليه وسلم عرض عليه عشار من النوق وهى الحوامل منها فاعرض عنها وغض بصره مع انها من احب الاموال اليهم وانفسها عندهم لانها كانت تجمع الظهر واللحم واللبن ولعظمتها فى قلوبهم قال الله تعالى (واذا العشار عطلت) فلما لم يلتفت اليها قيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا فلم لا تنظر اليها قال قد نهانى الله تعالى عن ذلك ثم تلا قوله تعالى (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به) الآية هذه معاملته مع الدنيا وفى التوجه الى الآخرة ما كان يريد الا الرفيق الاعلى اعاذنا الله من المقام السفلى ويسر لنا المقام العليا ﴿ وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم ﴾ الاستفهام للاستبعاد بيان لكمال زهده فكيف ظرف لتدعو دعاه اليه طلبه اليه وحمله عليه الدنيا تأنيث الادنى من الدنو اى الاقرب اومن الدناءة اى الاخس وهى

فى الآخرة) قال بلى فنزل جبرائيل وقال سنة الله قد جرت على ان لذة الآخرة تنقص على كل احد بحسب ازدياد لذة الدنيا فكلما كانت لذة الدنيا اكثر كانت لذة الآخرة اقل كما فى قوله تعالى (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) لكن الله يقول قل لمحمد خذ من عظائم الدنيا ما تريد واطلب ما تشاء فانك مجاب لا تنقص من لذاتك فى الآخرة بسبب لذاتك فى الدنيا فقال عليه السلام والله خير وابقى ثم ان (زهده) بالنصب على انه مفعول اكدت والضمير راجع اليه عليه الصلاة والسلام وفيها متعلق باكدت ايضا وضميره راجع الى الدنيا المذكورة ضمنا والاولى ان يكون راجعا الى الجبال و(ضرورته) بالرفع فاعل اكدت والضرورة شدة الاحتياج ومنها الاضطرار ضد الاختيار والاحتياج وان لم يكن فى نبينا عليه الصلاة والسلام حقيقة لكن يكون المراد منه الضرورة الظاهرية والاحتياج الحسى وقوله (ان الضرورة) الخ استئناف كأنه قيل كيف تؤكد الضرورة الزهد فيها مع ان الضرورة توقع الانسان فى المهالك وقد اشار عليه السلام الى مشقة الضرورة وعدم تحملها كل احد فى قوله (كاد الفقر ان يكون كفرا) فقال مجيبا (ان الضرورة لا تعدو على العصم) ويمكن ان يرتب فيه قياس تقريره هكذا ان الضرورة لا تعدو على النبى لان الضرورة لا تعدو على العصم والنبى معصوم ينتج من غير متعارف الشكل الثانى الضرورة لا تعدو على النبى * فان قيل لم اظهر فى مقام الاضمار لان المناسب ان يقول انها * قلت لضرورة الشعر ولئلا يختل مرجع الضمير لانه لو قال لانها لتوهم ان ضميره راجع الى مرجع ضمير فيها كما لا يخفى وتعدو من عدا عليه اذا غلبه واستولى عليه فمعنى لا تعدو لا تغلب ولا تستولى والعصم جمع عصمة وهى قوة زاجرة اودعها الله تعالى فى خواص عباده واكابر عباده تمنعهم عن التعرض لمنهياته مع بقاء اختيارهم وقدرتهم والعصمة مصدر هنا بمعنى المفعول اى المعصوم ﴿وحاصل المعنى﴾ قد اكد فقره الظاهرى واحتياجه الحسى زهده واعراضه عن الدنيا وعدم اقباله على الجبال العليا مع كونها ذهبا فتعب نفسه تعبا فكيف تكون ضرورته غالبة عليه مع ان ضرورته تابعة لعصمته الاحمى وتأييداته الكبرى ومغلوبة له والمغلوب لا يستولى على الغالب بخلاف ضرورة سائر الناس فانها غير تابعة لهم فجاز ان تغلب عليهم وتجذب همتهم الى زخارف الدنيا وزهرتها حفظنا الله تعالى منها

﴿ وَكَيفَ تَدعُو اِلَى الدُّنيَا ضَرُورَةُ مَن * لَولَاهُ لَم تَخرُجِ الدُّنيَا مِنَ العَدَمِ ﴾

لما بين رياضته الشديدة ومجاهدته السديدة اراد ان يشرع فى بيان افضليته وعيان اشرفيته لكن مع ربط انيق وترتيب رشيق حيث كان

هذا البيت تأكيدا لماقبله فقال (وكيف تدعو) الخ الواو عاطفة على مقدر اى انه عليه الصلاة والسلام مائل الى الله تعالى فقال وكيف تدعوه الدنيا ونعيمها والجنة ونعيمها وفيه اشارة الى حديث قدسى (الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وكلاهما حرامان على اهل الله تعالى) والى ان الدنيا والآخرة لاتجتمعان على وجه الكمال ولذا قيل انهما ضرتان اومثل كفتى الميزان * وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى) وكيف استفهام انكاى وتدعو من الدعوة وفاعله ضرورة ومفعوله محذوف اى تدعوه صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورته والدنيا نقيض الآخرة وهى اماما على الارض من الهواء والجو واماكل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل الآخرة والاصل فى الدنيا دنوى بدلالة قولهم دنوت الى الشئ دنوا فقلبت الواو ياء ولم يقلب مثل ذلك فى القصوى لانه ذهب بالدنيا مذهب الاسم فى قولهم الدنيا والآخرة وان كان اصلها صفة فخففت لان الاسم احق بالتخفيف ثم ان المسموع من العرب فى النسبة الى الدنيا دنيى ودنيوى ومنهم من شبه الفها بالف بيضاء فى كونهما علامتى التأنيث فقال فيها دنياوى واما الحاق الهمزة بها فلاوجه له لانه اسم مقصور غير مصروف والهمزة انما تلحق الممدود المنصرف ثم ان الدنيا نصبها بالتنوين غلط لان دنيا وماهو على وزنها لاينون * فان قيل لم سميت الدنيا دنيا * قلت اما لدنوها اى لقربها بالنسبة الى الآخرة اولقرب مشتهياتها الى القلب اولدناءتها وخساستها ولذا من تبع الدنيا يكون خسيسا * فان قلت لوقبل النبى عليه الصلاة والسلام اموال الدنيا وانفقها الى الفقراء هلايكون حسنا من الفقر * قلنا لايكون حسنا لانه لوقبل المال وصرفه الى الفقراء يكون برا ولو لم يقبل لكان ابر والابر يكون ابر من البر والضمير فى (لولاه) مرفوع على انه اسم لولا وخبره محذوف وجوبا اى لولاه موجود وقوله (لم تخرج) جواب لولا وتخرج اما على المبنى للفاعل من الخروج اوعلى المبنى للمفعول من الاخراج وعلى كل تقدير لايخلو من الاشارة الى انه عليه السلام قد بلغ فى السببية الى مرتبة كانه عليه الصلاة والسلام اخرجها من العدم ولذا آثر الناظم الفاهم قوله لم تخرج على قوله لم تخلق فتأمل وفى هذا البيت تلميح الى مانقل فى الحديث القدسى (لولاك لولاك لماخلقت الافلاك) والمراد من الافلاك جميع المكونات اطلاقا لاسم الجزء على الكل واشارة الى ماوقع له عليه السلام فى ليلة الاسراء فانه عليه الصلاة والسلام لماسجد الى الله تعالى فى سدرة المنتهى قال الله تعالى له

عبارة عن الدار التى هى محل الحياة الاولى ولاشك انه اقرب والحياة بالنسبة الى الدار الآخرة وقيل الدنيا ماشغلك عن التقرب الى المولى وخبر لولا واجب الحذف ان كان اعم العام مثل موجود اوثابت والافغير جائز الحذف الابقرينة دالة على خصوصيته قوله لولاه بحذف المضاف الذى هو المبتدأ اى لولا تقدير وجوده ثابت لم يخرج الدنيا من العدم الى الوجود عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان صدق بمحمد وأمر امتك من ادركه منهم ان يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولولا محمد ماخلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش فاضطرب فكتبت عليه لااله الاالله محمد رسول الله فسكن فمن كانت الدنيا رشحة من فيض ديمه وقطرة من زواخر بحار نعمه فكيف تدعو الى الدنيا ضرورة فاقته وكيف تغت حاجته فى عضد اصطباره وطاقته والصبر عند الحاجة مع الوجدان من خواص من عصم بعصمة الرحمن

عليه السلام انا وانت وماسوى ذلك خلقته لاجلك فقال عليه السلام انا وانت وماسوى ذلك تركته لاجلك واشارة ايضا الى ان الدنيا تابعة له عليه السلام ولا خلقت الا له ولا لاصحابه فكيف يكونون تابعين لها اومغلوبين لهواها ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان الدنيا محتاجة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كان الرسول محتاجا اليها لدار او تسلسل وكل منهما باطل كما لا يخفى على اولى الالباب وذوى الآداب الحمد لله ملهم الصواب واليه المرجع والمآب

﴿مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْـ * نِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ﴾

لما ذكر الرسول الاكرم والنبي المحترم صلى الله عليه وسلم وابهم اسمه الشريف تفخيما له اراد ان يتبرك بذكر اسمه فى قصيدته مع ان الابهام اولا والتفصيل ثانيا اوقع فى النفوس فقال (محمد) الخ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو او بالجر على انه بدل من من والاظهر انه مبتدأ وسيد خبره وهو على صيغة اسم المفعول مبالغة من كثرة الحمد ثم نقل من الوصفية الى الاسمية فسمى به النبى عليه السلام لانه محمد وموصوف فى خلقه وخلقه * قال القاضى عياض فى الشفاء حمى اسم محمد ولم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده وميلاده عليه السلام ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله تعالى يعلم حيث يجعل رسالته * فان قيل لم اختار هذا الاسم من بين اسمائه عليه السلام لانه ذكر البخارى فى شرح الارشاد ان للنبى عليه السلام الف اسم وقيل ثلاثمائة وقيل وتسعة وتسعون * قلنا لان هذا الاسم اشهرها وافضلها لانه يفيد المبالغة فى المحمودية وهى تستلزم المبالغة فى الحامدية فيكون هو افضل منها هذا و (سيد) على وزن جيد اصله سيود وهو بصيغة اسم الفاعل من السيادة بمعنى العلو والرفعة قيل فى تعريفه هو الذى يلجأ اليه الناس فى حوائجهم والمراد من الكونين الدنيا والآخرة او عالم الشهادة وعالم الغيب وتفصيل بيان سيادته فى الدارين وان ذكر فى الكتب المفصلة لكن لا علينا ان نذكره ههنا ايضا اجمالا * فنقول اما سيادته فى الدنيا فلانه عليه الصلاة والسلام كان خاتم جميع الانبياء والمرسلين وكان المعراج مخصوصا به دون سائر الانبياء ولانه صلى الله عليه وسلم ارسل الى كافة الثقلين دون سائر الانبياء وارسل الى الجن والملك وبعث رحمة للعالمين حتى الكفار بتأخير العذاب وبلده افضل البلاد ومسجده افضل المساجد والبقعة التى دفن فيها افضل من الكعبة كما سيأتى تفصيله وكذا سيادته

﴿محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم﴾

يجوز فيه الجر بالبدل عن من والرفع بالخبرية لمبتدأ محذوف والنصب ايضا للمدح والكون الاول هو الدنيا والثانى هو الآخرة او الاول عالم الشهادة والثانى عالم الغيب والثقلين الجن والانس وهو تخصيص بعد التعميم والفريقين تخصيص آخر تنبيها على شرفهم وفضلهم كما فى ذكر جبريل بعد ذكر الملائكة ومن عرب صفة الفريقين اى الكائنين منهما والعرب بالفتح والضم اسم جنس كذا العجم والمراد من العجم غير العرب كائنا من كان والدليل على انه سيدهما قوله عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم ولا فخر وكنتم خير امة اخرجت للناس وفضله على الثقلين يستفاد من قوله لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل وفضله على الكونين يعرف مما اشير به الى تحققه عليه السلام فى مقام الوحدة وبروزه برفع الاثنينية والانسلاخ عن البشرية بخلعة الملكية فى الحضرة العندية الاحدية وهو قوله عز اسمه وشانه وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وفى امثال هذه المعانى قيل من لسان حقيقته «وانى وان كنت ابن آدم صورة * فلى فيه معنى شاهد بابوتى * ولولاى لم يوجد ولولاى لم يكن * شهود ولم يعهد عهود بذمتى»

عليه الصلاة والسلام بحسب نوره الروحى مفضل على الجميع ثابت بالآثار وتكاثر الاخبار بل نوره اللطيف اصل انوار جميع الانبياء * قال فى المواهب فى قوله تعالى ﴿ واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا ﴾ الآية عن على وابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما بعث الله تعالى نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد عليه الصلاة والسلام وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه * وفى المواهب ايضا عن عبد الرزاق عن جابر ما اجماله اعلم ان الله تعالى خلق نور نبينا عليه السلام قبل كل شئ فخلق منه القلم واللوح والعرش وحملته والكرسى وسائر الملائكة والسماوات والارض والجنة والنار وايضا نور ابصار المؤمنين ونور قلوبهم ونور انفسهم * واما سيادته فى الآخرة فلما ذكره القرطبى ان الزبانية يأتون بجهنم يوم القيامة وهى تمشى على اربع قوائم وتقاد بسبعين الف زمام فى كل زمام سبعون الف حلقة على كل حلقة سبعون الف ملك فاذا انفلتت من ايديهم لم يقدروا على امساكها لعظم شأنها فيجثو كل من فى الموقف على الركب حتى المرسلين ويتعلق ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بقوائم العرش وهذا قد نسى الذبيح وهذا قد نسى هارون وهذا قد نسى مريم عليهم الصلاة والسلام قائلين نفسى نفسى لا اسئلك اليوم غيرها ومحمد عليه السلام يقول امتى امتى سلمها ونجها يارب فيقوم عليه الصلاة والسلام ويأخذ بخطامها ويقول ارجعى مدحورة الى خلفك فتقول خل سبيلى فانك يا محمد حرام على فينادى من سرادقات العرش اسمعى واطيعى له ثم تجذب وتجعل شمال العرش فيخف وجل اهل الموقف وقوله (والثقلين) عطف على (الكونين) من قبيل عطف الخاص على العام ونكتته دفع قول من قال انه عليه السلام رسول الى الانس لا الى الجن فالمراد من الثقلين الانس والجن لكونهما ثقيلين على الارض * فان قيل ان الجن ليس له ثقل فكيف يطلق عليه الثقل * قلت اطلاق الثقل عليه تغليب من تغليب الثقيل على الخفيف ثم ان عطف قوله (والفريقين) مع دخوله فيما سبق مرتين لنكتة الرد على من خص رسالته عليه السلام بالعرب دون العجم وانما بين الفريقين بقوله من عرب ومن عجم دون الكونين والثقلين لان الكونين والثقلين معلوم فى عرفنا فلا يحتاج الى البيان بخلاف الفريقين وعرب كقفل بمعنى العرب وهو خلاف العجم والعرب مؤنث بتأويل الطائفة يقال العرب العاربة والعرب العرباء وبعضهم خصص العرب بمن سكن فى بلادهم وبعضهم جعله شاملا للبلدى والبدوى وهو

المراد هنا * قال في البصائر ان الاعراب ليس جمع عرب كانوهم لانه لم يكن لها مفرد لكن قال الراغب في مفرداته انه جمع عرب * وفي مصباح اللغة ان عرب يجمع على اعرب كزمن وازمن وعلى عرب كاسد واسد انتهى والمراد من العجم ماسوى العرب فيشتمل الترك والكرد والفرس والروم والهند وغير ذلك واعادة حرف الجر لضرورة الوزن

﴿ نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ * أَبَرَّ فِي قَوْلِ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمٍ ﴾

لما كان معنى السيد مشتبها اراد ان يبينه فقال (نبينا الآمر الناهي) الخ لان المراد من السيد المولى الكريم الرفيع ومثل هذا يأمر وينهى لانه لازمه والنبي من النبأ بمعنى الخبر ان كان مهموزا او بمعنى الارتفاع ان لم يكن مهموزا وفي الاصطلاح انسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ ما اوحى اليه والنبي مرادف للرسول على ماحكى ابن الهمام عن المحققين وقيل الرسول هو المأمور بتبليغ امر لم يكن قبله سواء كان له كتاب ام لا والنبي اعم من ذلك وتفصيل الكلام في كتب الكلام * فان قلت لم آثر النبي على الرسول مع عدم الضرورة لوزن النظم فيه ايضا وان منصب الرسالة افضل من النبوة * قلت اما لان عند الناظم الفاهم الرسول والنبي مترادفان فلا افضلية لاحدهما على الآخر واما لايهام انه لولا جهة الرسالة فيه عليه السلام لكفت جهة النبوة في الافضلية واما لان في معنى النبي الارتفاع دون الرسول فالنبي اولى للمقام لان المقام تفسير السيد وهو بمعنى المرتفع كما سبق فالمناسب تعريفه بما في معناه الارتفاع هذا والآمر من يخاطب الى من دونه بما آل صيغة افعل والناهي من يخاطب بصيغة لا تفعل واطلاق الآمر والناهي على الرسول عليه الصلاة والسلام اما حقيقة كما دل عليه آيات كثيرة كقوله تعالى (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) وغير ذلك وهو الاصوب واما مجاز في الاسناد اى في اسناد الآمر والناهي الى الرسول عليه الصلاة والسلام لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله تعالى والرسول مبلغ وما قال الرسول من عنده فهو ايضا من عند الله تعالى لانه عليه الصلاة والسلام ماينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وحذف مفعول آمر وناه للتعميم اى كل معروف في الاول وكل منكر في الثاني ومن قال ان حذف مفعوله للتعميم باطل لافادته انه آمر بكل شئ فهو يشمل النواهي وناه عن كل شئ فهو يشمل الاوامر فهو غافل عن مادة الامر ومادة النهي لان الامر يقتضي ان يكون مفعوله كل معروف لا كل شئ لان الامر بجملته لا يتعلق بالنهي وكذا مادة النهي تقتضي ان يكون مفعوله كل منكر لان النهي

﴿ نبينا الآمر الناهي فلا احد ابر في قول لا منه ولا نعم ﴾

اما صفة محمد وكذا الآمر الناهي او خبر مبتدأ محذوف والآمر الناهي صفة له او خبر ان بعد خبر النبي فعل من النبأ بمعنى المنبئ كالنذير بمعنى المنذر والرسول فعول من الرسالة بمعنى اسم المفعول من ارسل وفي اصطلاح اهل الشرع النبي من اوحى اليه سواء انزل اليه كتاب اولا فبينهما عموم وخصوص مطلق وانما ترك متعلق الامر والنهي ليعم اى بكل معروف وعن كل منكر وفرقوا بين قولنا لا رجل في الدار بالتنوين وبين قولنا لا رجل بغير التنوين فان الثاني قطعي في الاستغراق لتضمنها من الاستغراقية وهذا هو السبب للبناء والاول غير قطعي حتى يجوز في الاول بل رجلان لا في الثاني بخلاف لفظ احد فانه

لا يتعلق بالامر كما لا يخفى والفاء فى قوله (فلا احد) للجزاء اى اذا كان محمد سيد الكونين ونبينا الآمر الناهى فلا احد والاحد اتفق النحاة واهل اللغة على انه مشترك بين معنيين احدهما بمعنى الواحد نصف الاثنين والثانى جنس العقلاء من الاقل الى غير النهاية والاول فاؤه همزة مبدلة من واو والثانى همزته اصلية غير مبدلة منها وهذا مما شاع وذاع الا انه اشكل عليهم بان اللفظتين صورتهما ومادتهما واحدة ولفظ الوحدة يتناولهما والواو فيهما اصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها وان يكونا مشتقين من الوحدة اما جعل احدهما مشتقا منها دون الآخر فترجيح من غير مرجح واجيب بان الفرق المذكور اشار اليه سيبويه فى الكتاب وغيره واما قولكم لفظهما واحد مادة وصورة فسلم ولكن لا نسلم ان اتحاد لفظيهما يدل على اتحاد معنييهما لم لا يجوز ان يكون معناهما متغايرين وله نظائر كثيرة كقلا فهو قال بمعنى ابغض وقلا فهو قال بمعنى شوى ونضج وايضا ان الذى بمعنى الواحد ليس بعام ويكون فى النفى والاثبات ويطلق على العقلاء وغيرهم ولا يكون بمعنى الجماعة والثانى يختص بالنفى خلافا للمبرد ويختص بالعقلاء ويجئ بمعنى الجماعة ويعم والاول لا يعم والتفصيل فى رسالة مستقلة للشهاب فى حق كلمة احد فان اردت فارجع اليها وقوله (ابر) اسم تفضيل من البر بمعنى الصدق فى الكلام كما يفيد هذا المعنى سياقه وفى قوله (فى قول لا) متعلق بابر اى فى قوله لا ولا كناية عن النفى وقوله (ولا نعم) عطف على لا ابر اى اصدق منه ايضا فى قوله نعم وهو كناية عن الاثبات ولم يكن لا ونعم كناية عن عدم اعطائه عليه السلام واعطائه لانه عليه الصلاة والسلام ما سئل عن شئ قط الا قال نعم كما قال بعض الكمل فى شانه عليه الصلاة والسلام

ماقال لا قط الا فى تشهده * ولا نعم قط الا جاءت النعم

﴿وحاصل معنى البيت﴾ سيدنا ونبينا محمد عليه السلام هو الآمر بما هو مأمور من عند الله من العقائد الرضية والاعمال السنية والناهى عن الامور الدنية والافعال الردية وهو فى كل اخباره صادق وفى تكميل الناقصين حاذق فلا احد اصدق منه فى النفى والاثبات ولا احق منه فى الوعد والوعيد وسائر الحالات لانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وكان صدقه بديهيا ومسلما عند الخصم والكفار كما قال الله الملك الجبار ﴿فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ اللهم اجعلنا رفيقا للصديقين والشهداء والصالحين آمين

﴿هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِى تُرْجَى شَفَاعَتُهُ * لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ﴾

فى الصورتين قطعى فى الاستغراق بخلاف لا واحد فانه مثل لا رجل والفاء فى فلا اما لمجرد العطف على جملة هو نبينا او يكون مع العطف نتيجة لما سبق يعنى لما تقرر انه سيد الانبياء كان شريعته اقوم الشرائع وابر افعل التفضيل من بر فى الحديث صدق وفى ومنه يتعلقان به والمراد من لا ونعم اما الايجاب والتحريم او القبول والرد او التخلى والتحلى وكيف يكون احد ابر منه فى قول من الاقوال والحال ان جميع الفضل والكمال انما افيض عليهم من وجود جوده الفياض

﴿هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لكل هول من الاهوال مقتحم﴾ الحبيب فعيل بمعنى مفعول من حبه الشفاعة طلب العفو او الفضل للغير من الغير وقيل طلب الخير للغير من الغير فطلب ترك الظلم شفاعة على الثانى دون الاول هاله خوفه والهول مصدر اما بمعنى الهائل او المهول اى الامر الصعب اقتحم فى الامر والشئ

لما كان كونه عليه السلام سيد جميع الانام نظريا عند بعض الاقوام اراد ان يثبته بدليل فى غاية الاحكام فقال (هو الحبيب الذى) الخ اى لانه هو الحبيب الذى فيمكن ان يترتب ههنا قياس تقريره هكذا محمد سيد الكونين والثقلين لان محمدا هو الحبيب الذى يرجو كل الناس شفاعته وكل من شانه كذا فهو سيد الكونين والثقلين فينتج المطلوب * ثم اعلم ان جملة هو الحبيب صفة بمدصفة لمحمد واورد ضمير الفصل ليدل على الحصر وهو مبتدأ راجع اليه عليه السلام و(الحبيب) بالرفع خبره وتعريف الخبر باللام لافادة قصره على المبتدأ * فان قلت كيف يجوز حصر الحبيبية فيه عليه السلام مع ان ابراهيم عليه السلام خليل الله تعالى بل كل من اتبع الرسول فهو محبوب الله تعالى كما يدل عليه قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وما اجيب عن هذا السؤال من ان الحصر هنا اضافى يعنى بالنسبة الى بعض الانبياء فيرده المقام اذهو لايناسب المقام لانه مقام المدح فيقتضى المبالغة والحق فى الجواب ان الحصر فى هذا الباب حقيقى ويجوز ذلك الحصر فيه عليه السلام وما اوردتم من ابراهيم عليه السلام خليله لايضر الحصر لانه فرق جلى بين الحبيب والخليل من وجوه لان الخليل فعيل بمعنى الفاعل مسند الى ابراهيم عليه السلام فى قوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) واما الحبيب فيحتمل ان يكون بمعنى فاعل او مفعول ولا شك ان نسبة المفعولية اتم من نسبة الفاعلية فى المرام اذ يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد ولا يقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله لما فيه من ايهام ان يكون مأخوذا من الخلة التى هى الحاجة والثانى ان الخليل يصل الى من اتخذه بالواسطة والحبيب يصل اليه بذاته بلا واسطة والثالث ان الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع كما قال ابراهيم عليه السلام (والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى) والحبيب هو الذى مغفرته فى حد اليقين كما قال تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) والرابع ان الخليل من اعطى بسؤال والحبيب هو الذى اعطى بلا سؤال فالحبيبية بهذه المعانى المذكورة مقصورة على نبينا عليه السلام دون غيره من الانبياء فكيف سائر الناس ويمكن الجواب بان يقال ان حصر الحبيبية حقيقى لكن مع ما بعده اى مع قوله الذى ترجى شفاعته لان الشفاعة العامة خاصة بنبينا عليه السلام دون غيره ولذا روى ان الامام الغزالى قال كنت فى ليلة خارج البلدة واطلعت بالمكاشفة على ان اهل تلك البلدة كلهم نائمون فى ذلك الوقت ولم يكن احد منهم فى عبادة ربه وطاعة خالقه فقلت فى نفسى لوكنت قادرا على احراق اهل هذه

اذا دخل فيه بشدة وامعان والمراد مقتحم فيه اى مدخول فيه وهو صفة هول اى لكل خطب يقع الانسان فيه واللام متعلق بترجى او بشفاعته اى لدفع اولوقت كل هول ومن الاهوال صفة هول جمعه ليشمل الدنيوية والاخروية قوله هو الحبيب من قبيل حصر الصفة على الموصوف وهو حصر حقيقى لا كما فى قولك زيد هو المنطلق وكونه حبيبا ثبت بدلالة الكتاب وعبارة الحديث اما الكتاب فقد استفاد صاحب الكشاف كونه حبيب الله من قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) وجه الاستفادة ان لكل احد مع من يعرفه احد الاحوال الثلاث اما التوديع واما القلى اما المحبة فلما نفى الاولان بقى الثالث وهو كونه حبيب الله هذا ولكن الآية الكريمة تدل على الودادة والخلة لا على صريح المحبة فالاحسن ان يستفاد كونه

البلدة لاحرقتها كلها لتركهم عبادة ربهم ثم تأملت ان احراق العباد مختص
بالله تعالى فندمت ورجعت عن هذا القول فقلت لو كنت شافعا لشفعت لهم كلهم
عامة ثم تأملت ان الشفاعة العامة مقصورة على نبينا عليه السلام فاذا جاء نداء
من هاتف يقول يا شيخ لو لم ترجع عن هذا القول ايضا لانزلناك الى قعر الارض
ومحوتك من دفاتر الاولياء وقوله (الذى ترجى شفاعته) صفة الحبيب وترجى
من الرجاء بمعنى الطلب * قال بعض الفضلاء الرجاء بالمد الطمع ويرادفه
الامل والفرق بينه وبين الرجاء بمعنى الخوف بالاستعمال اذ الاول يستعمل
فى الايجاب والنفى كقوله تعالى (وترجون من الله مالا يرجون) والثانى
فى النفى فقط * فان قيل ما الفرق بين الرجاء والتمنى * قلت قال ابن الجوزى الرجاء
الطمع فيما يمكن حصوله بخلاف التمنى وقيل الرجاء مختص بالطمع فى الممكن
والتمنى عام وهو على صيغة المبنى للمفعول وانما ترك فاعله ليعلم ان شفاعته
عليه السلام يرجوها كل احد من الانام والشفاعة هى طلب العفو والفضل
من الغير الى الغير وشفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام ثابتة بالاخبار والاحاديث
الصحيحة مذكورة فى كتب الاحاديث * قال المحقق الدوانى انه عليه السلام
يشفع لجميع الانس والجن الا ان شفاعته للكفار لتعجيل فصل القضاء
فتخفف عنهم اهوال يوم القيامة وللمؤمنين للعفو ورفع الدرجات فشفاعته
عامة لقوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) * قال فى المواهب الشفاعات
خمس * الاولى فى الاراحة من هول الموقف وهى اعظمها واعمها و الثانية فى
ادخال قوم الجنة بغير حساب * والثالثة فيمن استوجب النار والرابعة فى اخراج
من دخل النار * والخامسة فى رفع الدرجات وزاد السيوطى سادسة هى
فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار وزاد فى المواهب ايضا سابعة
وهى لاهل المدينة خاصة وقوله (لكل هول من الاهوال مقتحم) متعلق بترجى
او بشفاعته واللام فى لكل بمعنى فى كما فى قوله تعالى (ياليتنى قدمت لحياتى)
او للتوقيت كما فى قوله (اقم الصلوة لدلوك الشمس) او فيه حذف مضاف
اى لدفع كل هول والهول الشدة والمصيبة واضافة الكل اليه تفيد العموم
اى كل بلية والمراد بلايا الآخرة بقرينة الشفاعة او المراد بلايا الدارين
كما يفيده قوله من الاهوال لانه عليه الصلاة والسلام دفع ببركة وجوده فى الدنيا
المسخ والخسف والاستيصال واخر العذاب ومقتحم من الاقتحام اما على
صيغة اسم الفاعل اى بلية داخلة بين الناس واما اسم مفعول اى فى كل
بلية مقتحم فيها * ثم اعلم ان هذا البيت اول ابيات المناجات واجابة الدعاء فمن
كان له حاجة دنيوية او اخروية فليقرأ هذا البيت فى مجلس واحد الفا

حبيب الله من قوله سبحانه (قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله)
لانه لما نال من اتبعه لشرف اتباعه
مرتبة محبوبية الاله فهو احرى بان
ينال درجة كونه حبيب الله وهذا
كما استدل على كونه خير الانبياء والرسل
من قوله تعالى (كنتم خير امة اخرجت
للناس) واما الحديث فهو ماروى عن
ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
جلس ناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم فسمعهم
يتذاكرون قال بعضهم ان الله تعالى
اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر موسى
كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله
فخرج عليهم النبى صلى الله عليه
وسلم وقال سمعت كلامكم وعجبكم ان
ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى
كليم الله وهو كذلك وعيسى روحه
وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله
وهو كذلك ألا وانا حبيب الله ولا فخر
وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم
ومن دونه ولا فخر وانا اول شافع وانا
اول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول
من يحرك خلق الجنة فيفتح الله تعالى
فيدخلنيها مع فقراء المؤمنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والآخرين على الله
تعالى ولا فخر ولما كان فى هذا الحديث
ذكر كونه حبيب الله مشفوعا بكونه
شافعا مشفعا نظم الناظم رحمه الله
كونه شفيعا فى سلك كونه حبيبا

وواحدة فان الله تعالى يقبل دعاه ويقضى حاجته بلا تخلف ان شاء الله تعالى * قال المولى ابو سعيد الخادمى ان هذا البيت كان ترياقا لكل حاجتى * وقال استاذنا طول الله بقاؤه ونال ماتمناه انه كان استاذنا الشهير بالحاج عثمان افندى الاقشهرى مفتيا فى بلدة قيصر فعزل منها يوما فكان محزونا ومكدرا واشتهى ان يكون مفتيا ايضا فدعانى مع اثنين من شركائى الى بيته فقرأنا هذا البيت الفا وواحدة فى مجلس بلا تكلم فى اثنائه فبعد زمان قليل ظهر منشوره لافتائه

﴿ دَعَا اِلَى اللهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ * مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمٍ ﴾

لما قصر كمال الحبيبية عليه عليه السلام وكان ذلك صغرى للقياس المقدم وكانت تلك الصغرى نظرية اثبتها بهذا البيت فقال (دعا الى الله) الخ فانه وان لم يكن فى صورة الدليل لكنه دليل حقيقة لان الدليل والعلة اما تصريحى وهو ما كان مصورا فى اللفظ او التقدير باذا وباللام او بالفاء واما تلويحى بان يكون صفة او حالا او غير ذلك وههنا كذلك فيمكن ان يرتب هنا قياس تقريره هكذا محمد هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لان محمدا دعا الى الله تعالى فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم وكل من شانه كذا فهو الحبيب الذى ترجى شفاعته ينتج المطلوب ثم ان دعا من الدعوة ودعوته عليه الصلاة والسلام كانت الى جميع ذى نطق من العرب والعجم واهل الكتاب والمجوس والوثنى والجن وغير ذلك ولاجل هذا التعميم حذف الناظم الفاهم مفعول دعا وكذا آثر دعا على هدى لاجل هذا التعميم * فان قيل ما الفرق بين الارشاد والدعوة * قلت ان الارشاد انما يستعمل فى الاولياء والدعوة فى الانبياء وفى الى الله حذف مضاف اى الى دين الله او الى عبادة الله تعالى او الى شرع الله تعالى وقوله (فالمستمسكون به) الفاء تفريعية اى اذا كان داعيا الى الله تعالى فالمستمسكون الخ وهو من الاستمساك بمعنى التمسك والاخذ باليد وبه متعلق بمستمسكون والضمير راجع اليه عليه الصلاة والسلام لكن المراد شرعه عليه الصلاة والسلام او ما بلغه ففى ضمير به استخدام لانه اريد بالمرجع معنى وبالضمير الراجع اليه معنى آخر لكن الاول حقيقة والثانى مجاز وبعد هذا يكون فى هذا المقام استعارة مكنية بان شبه الشرع بالحبل الممدود من الله تعالى الى العباد فى كونه موصلا الى المقصود كما ان ذلك الحبل لو استمسك به احد فذهب يصل الى الله تعالى كذلك الشرع الشريف ثم استعير الحبل فى الذهن لمفهوم الشرع ثم ذكر الشرع فى الخارج اعنى تقديرا واريد هو ايضا وذكر الاستمساك وهو ملائم المشبه به واريد الشريعة فعلى هذا يكون

﴿ دعا الى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منفصم ﴾

دعا اليه طلبه اليه والله اسم لذات واجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال ومفعول دعا محذوف اى كل احد كما فى قوله تعالى (والله يدعوا الى دار السلام) والفاء للنتيجة استمسك به تمسك والمراد من الحبل الرسول لانه الواسطة فى وصول الخيرات والرابطة فى وصول الكمالات او القرآن كما جاء فى الحديث فى حقه هو حبل الله المتين ونوره المبين وفيه تلميح الى قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله) الفصم بالفاء القطع بغير الفصل والقصم بالقاف بالفصل ومطاوعهما انفعل منهما والبيت استيناف مسرود على نمط التعديد كما فى قوله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) ولهذا ترك العاطف فى قوله

المستمسكون ترشيحا لهذه الاستعارة فيكون باقيا على حقيقته على مذهب ومجازا واستعارة تبعية على مذهب آخر بان يشبه الاطاعة بالاستمساك فى الايصال الى المطلوب ثم استعير الاستمساك لمفهوم الاطاعة فذكر الاستمساك واريد الاطاعة ثم اشتق من الاستمساك مستمسكون ومن الاطاعة مطيعون فشبه مطيعون بمستمسكون فاستعير المستمسكون لمفهوم المطيعون فذكر مستمسكون واريد المطيعون ثم قوله (غير منفصم) ترشيح على الترشيح وكلما زاد ترشيح الاستعارة زاد حسنها ومنفصم اسم فاعل من الانفصام بمعنى القطع من غير فصل واما الانقصام بالقاف فهو القطع بفرق وفصل * ثم اعلم ان فى اول هذا البيت تلميحا الى قوله تعالى ﴿ ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ﴾ والى قوله تعالى ﴿ ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ﴾ الآية وفى المصراع اقتباس من قوله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ﴾ وفى هذا البيت اشارة ايضا الى قوله عليه السلام (ومن تمسك بسنتى عند فساد امتى فله اجر مائة شهيد) كما لا يخفى على من القى السمع وهو شهيد

﴿ فَاقَ النَّبِيِّينَ فِى خَلْقٍ وَفِى خُلُقٍ * وَلَمْ يُدَانُوهُ فِى عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ ﴾

فلما ورد النقض على البيت الاول الذى قد كان دليلا لدعوى حصر الحبيبية عليه عليه السلام من ان دليلك هذا اى قولك دعا الى الله الى آخر البيت جار ايضا فى سائر النبيين مع ان المدعى متخلف عنه اراد ان يثبت دعواه بدليل آخر قوى فانتقل اليه فقال (فاق النبيين) الخ فتقرير قياسه هكذا محمد هو الحبيب الذى ترجى شفاعته دون غيره لان محمدا فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم وكل من شانه كذا فهو الحبيب الذى ترجى شفاعته فينتج المطلوب ثم ان فاق بمعنى ربح وزاد عليه فى الرفعة وهو من الفوق والفوق والتفوق حقيقتهما ان يستعملا فى الرفعة المكانية لكن استعمل ههنا فى الرفعة الرتبية مجازا واستعارة تبعية بان شبه علو القدر ورفعة المرتبة بالتفوق المكانى فى الرفعة المطلقة ثم استعير التفوق المكانى للعلو القدرى ثم ذكر التفوق المكانى واريد العلو القدرى وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من العلو القدرى علا ومن التفوق المكانى فاق فشبه علا بفاق بواسطة العلاقة التى فى مصدرهما ثم استعير فاق لمفهوم علا فذكر فاق واريد علا ويمكن ان يراد حقيقة التفوق فتبصر و(النبيين) جمع نبى وهو بالنصب مفعول فاق والخلق بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام فى اللغة بمعنى التقدير والايجاد وهنا بمعنى المفعول والمراد الكمالات الظاهرة من حسن

﴿ فاق النبيين فى خلق وفى خلق
ولم يدانوه فى علم ولا كرم ﴾

فاقه وعليه زاد فى شئ من الفوق الخلق فى الذات والخلق فى الصفات او المراد من الاول الكمالات الظاهرة ومن الثانى الكمالات الباطنة ولم يدانوه لم يقربها منه وبيان خلقه وخلقه وعلمه وكرمه قد اشير اليه فى بعض الآيات وورد فى الاخبار الثابتة من الثقات والاصل فى جميع ذلك قوله تعالى ﴿ وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ وتوضيحه ان الله تعالى فضل الانبياء

الصورة وتناسب الاعضاء والاشكال والالوان واعتدال الاطراف و (الخلق) بضم الخاء واللام جمع خلق بمعنى الطبيعة الحسنة والمراد الكمالات الباطنة واعتدال قوى النفس وانما افرد الاول وجمع الثانى اشارة الى ان الاخلاق كثيرة والخلق واحد * اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفوقه على سائر الانبياء فى ابتداء الخلق والحسن والكمال والخصال الحميدة من الجلال والجمال وفقك الله تعالى وايانا فى كل حال ان نبينا عليه الصلاة والسلام افضل الانبياء بالآيات والاحاديث * اما الآيات فكما قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) قال اهل التفسير المراد به محمد عليه السلام كما قال تعالى فى مقام آخر (وكان فضل الله عليك عظيما) وقال ايضا (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) قال اهل التفسير اراد به محمدا عليه السلام * واما الاحاديث فكقوله عليه السلام (انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر) وقوله عليه السلام (انا سيد ولد آدم ولا فخر) وقوله عليه السلام (انا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر) وكرواية عائشة رضى الله عنها انها قالت قال عليه السلام (اتانى جبرائيل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد عليه السلام) اما بيان فضيلته فى ابتداء خلقه عليه السلام فيكفيك قوله عليه السلام (كنت نبيا وآدم بين الجسد والروح) وقوله عليه السلام (كنت اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث) وقول العلماء فى تفسير قوله تعالى (واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم) الآية ان الله تعالى اخذ الميثاق والعهد على كل من النبيين ائن بعث محمد عليه السلام وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه كما سبق فنبينا عليه السلام كان نبيا لجميع الانبياء تقديرا * واما بيان فضيلته عليه السلام على سائر الانبياء فى الحسن والجمال والبهجة والكمال فمستفاد من اشارة قوله تعالى (والضحى والليل اذا سجى) حيث استعير الضحى من وجهه عليه السلام والليل من صدغه عليه السلام وكفاك شاهدا حديث انس انه قال قال عليه السلام (ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه وحسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا) وقوله عليه السلام حين سئل عن حسن يوسف وحسنه عليه السلام (انا املح) * واما بيان فضيلته عليه السلام عليهم فى الاخلاق المرضية فيكفيك قوله تعالى فى شانه عليه السلام (انك لعلى خلق عظيم) حيث حصر الله تعالى الخلق العظيم فيه عليه السلام دون غيره وقوله عليه السلام فيما رواه احمد ومالك فى الموطأ (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وحيث اشار فى هذا البيت الى ان الانبياء عليهم السلام كانوا موسومين بالاخلاق المرضية لكنه عليه السلام كان جامعا لجميع الاخلاق

بعضهم على بعض فاعطى لكل نبى فضلا ثم جمع الفضل كله وزاد عليه حتى صار فضلا عظيما ثم اومى الى حسن خلقه وجمال طلعته بقوله (والضحى والليل اذا سجى) حيث استعار الضحى من وجهه البهى والليل من صدغه الذكى واقسم بهما على ما نص عليه بعض اهل التفسير * وكفاك شاهدا قوله عليه السلام (انا املح) وحسبك فى عظمة خلقه (وانك لعلى خلق عظيم) ودليل على انه من الجميع اعلم قوله تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم) وزيادة شرفه (الم نشرح لك صدرك) وناهيك فى كونه اكرم من ارباب الجود والكرم قوله (انا اكرم ولد آدم) صلوات الله وسلامه عليه فى كل وقت وحين

العلية ومشتملا على الاحوال السنية بحيث لايتصور فوقه كمال * فان قلت قدورده النهى عن تفضيل بعض الانبياء على بعض وعن تفضيله عليه الصلاة والسلام على غيره من الانبياء حيث قال عليه السلام فى حديث (لاتفضلوا بين الانبياء) وفى حديث آخر (لاتفضلونى على يونس ابن متى) فكيف يصح من الناظم الفاهم هذا البيت مع مابعده * قلت ان للعلماء فى هذه الاحاديث تأويلات * الاول ان لايفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقيص بعضهم عن بعض * الثانى منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد اذهى شئ واحد لاتفاضل فيها وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا العزم من الرسل قال الله تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) * والثالث انه عليه السلام نهى عن تفضيله على غيره قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم * والرابع ان نهيه عليه السلام كان على طريق التواضع وتحرزا عن العجب والتفصيل فى الكتب المطولة ثم قوله (ولم يدانوه فى علم ولا كرم) الواو للاستيناف كأنه قيل فهل فاق عليهم فى اخلاق العلم والكرم مع كونهما اعظمها واشرفها فقال مبالغة ولم يدانوه اى لم تقاربه عليه السلام الانبياء عليهم السلام فى العلم والكرم ولا تتوهمن من ظاهر هذا الكلام انهم لايعلمون ويجوز عليهم اطلاق الجهل لانه يؤدى الى نسبة النقص والبله والغفلة اليهم عليهم السلام وانهم منزهون عنه وعن الجهل فيما يلزم لهم نعم يجوز ان يقال انه عليه السلام كان اعلم منهم ببعض الامور كامور الآخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان ومايكون * ثم اعلم ان بيان علمه ثابت بقوله تعالى (وعلمك مالم تكن تعلم) وبقوله عليه السلام (انا مدينة العلم) الحديث وغير ذلك ثم ان تفوقها فى الكرم ايضا ثابت بقوله تعالى على ماذكره بعض المفسرين (انه لقول رسول كريم) وبقوله عليه السلام (وانا اكرم ولد آدم ولا فخر) وسيأتى بيان بعض ماوقع من كرمه عليه السلام * وهذا ثانى الابيات التى تمايل فيها النبى عليه السلام عند قرائة الناظم الفاهم فى رؤياه عليه السلام فينبغى لقارئ هذه القصيدة ان يكرره عند اثناء قراءته لكن يلزم ان يكرره وترا

﴿ وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ مُلْتَمِسٌ * غَرْفاً مِنَ الْبَحْرِ اَوْرَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ ﴾

لما توهم ان يرد على البيت الاول شبهة المجاز اوغيره اراد ان يدفعه فقال تأكيدا (وكلهم من رسول الله) الخ الواو اما للعطف او للابتداء لكن الثانى اولى كما لايخفى ولفظة كل مأخوذة من الاكليل الذى هو المحيط بجوانب الرأس فلذلك توجب الاحاطة وهو من الاسماء اللازمة الاضافة ولهذا لاتدخل

﴿ وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر اورشفا من الديم ﴾
معطوف على البيت السابق والكل اما افرادى بحذف المضاف اليه اى واحد اومجموعى وافراد خبره باعتبار اللفظ وفى لفظ ملتمس نوع رعاية الادب مع الانبياء فان الالتماس يستعمل بين المتقاربين بخلاف السؤال ومن متعلق به قدمه للتخصيص اى لامن غيره غرف الماء بيده واغترف منه اخذ منه ملأ كفه غرفا والرشف المص الديمة المطر المتصل وقوله غرفا اورشفا امامفعول للملتمس والالف واللام فى البحر والديم بدل من المضاف اليه اى من بحره وهو سره وقلبه وباطنه ومن ديمه اى اضافته فيكون معناه انهم ملتمسون منه فى كل امر واما حالان بمعنى اسم الفاعل اى غارفين اوراشفين اى ملتمسون منه المطالب والمقاصد فى كل حال مع كونهم اكملين اوكاملين وقوله من البحر يجوز ان يكون بدلا من قوله من رسول الله فيكون من البحر مجاز اللاعلوم والديم الفياضة. ومن شانه الافاضة ومن الانبياء الافاضة عليه وعليهم السلام

الا على الاسماء اذالاضافة من خصائص الاسم قال الاصوليون ان لفظ كل اذا اضيف الى معرفة يوجب احاطة الاجزاء واذا اضيف الى نكرة يوجب احاطة الافراد فيصح قول الرجل كل التفاح حامض اى جميع اجزائه ولا يصح كل تفاح حامض لحلو البعض منه وضمير الجمع راجع الى النبيين (ومن رسول الله) متعلق بملتمس قدم للوزن وللحصر اى منه دون غيره من الانبياء * فان قلت لم اظهر في مقام الاضمار * قلت للتنبيه على وصفه العظيم لان الرسالة صفة عظيمة في غاية العظمة * لا يقال لا يستفاد من قوله (من رسول الله) ان الانبياء ملتمسون من نبينا عليه الصلاة والسلام اذالرسل على ماروى عنه عليه السلام ثلاثمائة وثلاثة عشر * لانا نقول المقام قرينة على ان المراد منه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على انهم قالوا كلما ذكر لفظ رسول الله في كتب هذه الامة فالمراد نبينا دون غيره وله جواب آخر فتأمل وقوله (ملتمس) خبر المبتدأ اعنى (كلهم) والضمير فيه راجع الى الكل باعتبار لفظه والالوجب ان تكون العبارة ملتمسون الفرق بين السؤال والالتماس والامر ان طلب الادنى من الاعلى سؤال ودعاء وطلب المساوى من المساوى التماس وطلب الاعلى من الادنى امر وانما اختار الالتماس لرعاية الادب في حق الانبياء وقوله (غرفا من البحر اورشفا من الديم) غرفا بالنصب مفعول ملتمس والغرف بفتح الغين المعجمة وسكون الراء اخذ الماء باليد ملء الكف ومن البحر متعلق بغرفا والمراد من البحر اخلاقه عليه الصلاة والسلام ففيه استعارة مصرحة حيث شبه اخلاقه الباطنية بالبحر في الكثرة والوفرة وعدم الاختلاط بشئ قليل ثم استعير البحر لخلقه عليه السلام فذكر البحر واريد منه اخلاقه عليه السلام واثبات الغرف ترشيح لها وفي الترشيح ايضا استعارة بان يشبه اخلاق الانبياء بغرفة من البحر في القلة بالنسبة اليه عليه السلام فاستعير الغرفة لاخلاقهم عليهم السلام فذكر الغرفة واريد اخلاقهم و(او) في (رشفا) بمعنى الواو الواصلة والرشف اخذ الماء بالفم اى الجرعة من الماء و(من الديم) متعلق برشفا ويجوز ان يكون كل من البحر ومن الديم حالا اوصفة والديم جمع ديمة وهو مطر ينزل بسكون بلا رعد ولا برق ويدوم واقله ثلاثة ايام واكثره اربعون يوما والياء في لفظة ديمة بدل من الواو لان اصله دومة من الدوام * فان قلت لم خص الغرف بالبحر والرشف بالديم * قلت للاشارة الى ان ماء البحر لا يشرب لكونه مرا بل يجوز استعماله للوضوء والغسل وغير ذلك بخلاف ماء المطر فانه يشرب للطافته بل هو ألذ من جميع ماء العيون وفي الديم والرشف استعارة كما في البحر والغرف لكن المراد من البحر علمه عليه الصلاة والسلام ومن الديم كرمه فتذكر وانما افرد

البحر وجمع الديم اشارة الى ان البحر اسم جنس يطلق على الصغير والكبير بخلاف الديمة ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان جميع الانبياء وكل واحد منهم طلبوا واخذوا العلم من علمه عليه الصلاة والسلام الذى هو كالبحر فى السعة والكرم من كرمه عليه السلام الذى هو كالديم لانه عليه السلام مفيض وانهم مستفاضون لانه تعالى خلق ابتداء روحه عليه السلام ووضع علوم الانبياء وعلم ما كان وما يكون فيه ثم خلقهم فاخذوا علومهم منه عليه السلام او المراد انه تعالى لما خلق نور محمد قبل الاشياء خلق اللوح والقلم والسماوات والارضين والعرش والكرسى والملائكة والجنة والنار وارواح الانبياء والمؤمنين ونور قلوبهم ونور انفسهم من نوره عليه السلام فعلم الانبياء كان كنقطة بالنسبة الى ما فى اللوح واللوح والقلم مخلوقان من نوره عليه السلام فيكون علمهم نقطة من علمه عليه السلام كما لا يخفى * ثم اعلم ان هذا البيت ثالث الابيات التى تمايل فيها النبى عليه السلام فيلزم لقارئه ان يكرره لكن بشرط كونه وترا

﴿وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ * مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ اَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكَمِ﴾

وهذا البيت تأكيد آخر لما قبله آكد من الاول وابلغ فى مدحه عليه السلام وتفوقه على سائر الانبياء والواو للعطف او للحال و(واقفون) خبر بعد خبر للمبتدأ اعنى قوله (كلهم) وقد جمع الناظم الفاهم بين اللغتين حيث افرد الخبر اولا وجمعه ثانيا وواقفون بمعنى مطلعون فمفعوله الثانى محذوف اى مطلعون شيئا ولدى بمعنى عند وضميره راجع اليه عليه السلام وفى لدى ثمان لغات الاولى لدى بالالف المقصورة والثانية لدن بفتح اللام وضم الدال وسكون النون والثالثة لدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون والرابعة لدن بفتح اللام والدال وسكون النون والخامسة لدن بضم اللام وسكون الدال وكسر النون والسادسة لد بفتح اللام وسكون الدال والسابعة لد بضم اللام وسكون الدال والثامنة لد بفتح اللام وضم الدال وكلها بمعنى عند والفرق بينه وبين عند ان لدى مختص بالحضرة دون عند مثلا يقال المال عند زيد فيما يحضر عنده وفى ما فى خزائنه وان كان غائبا عنه ولا يقال المال لدى زيد ولدن زيد الا فيما يحضر عنده ولديه حال من ضمير واقفون متعلق بمحذوف اى كائنين لديه و(عند) متعلق بواقفون والحد بفتح الحاء يجئ على ستة معان الاول بمعنى المرتبة والثانى بمعنى الغاية والنهاية والثالث بمعنى الحاجز والمانع بين الشيئين والرابع بمعنى تشحيذ السيف والخامس بمعنى عقوبة مقدرة تجب اقامتها على الامام والسادس بمعنى التعريف المشتمل على ذاتياته والمراد ههنا هو المعنى الاول وضمير الجمع الى الانبياء عليهم السلام وقوله (من نقطة العلم) من لبيان

﴿ وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم او من شكلة الحكم ﴾
وقف يجئ لازما ومتعديا واقفون اما عطف على ملتمس والجمع باعتبار المعنى او خبر مبتدأ محذوف والجملة حال او عطف على السابقة وعند لحضور الشئ ودنوه وهى ظرف يستعمل فى الزمان والمكان ولدى بمعناه وقوله لديه اى فى حضرته وحد الشئ غايته ونهايته من نقطة العلم اما حال عن حدهم او صفة له اى كائنا او الكائن منها والنقطة فعلة من نقطت الكتاب نقطا معناها الحاصل بالنقط العلم هو الادراك المطابق للواقع ويستعمل

المفعول الثانى لواقفون فتكون زائدة فعلى هذا المعنى يكون حاصل معنى البيت ان الانبياء مطلعون عند النبى عليه الصلاة والسلام على مراتبهم شيئا هو نقطة العلم اوشكلة الحكم فيكون علم نبينا عليه الصلاة والسلام كالنقطة فى جنب علم الله تعالى وحكمته كالشكلة من الحكم فى جنب حكمة الله تعالى ولكون علم سائر الانبياء جزأ من تلك النقطة وحكمتهم جزأ من شكلة الحكمة وهذا الاطلاع كان فى ليلة المعراج حيث حضروا ومجلسه عليه السلام وقعدوا فى حضوره على مراتبهم واطلعوا على علمه وحكمته اويكون فى القيامة تحت اللواء حيث روى ان جميع الانبياء يجمع تحت لواء الحمد الذى هو علم النبى عليه الصلاة والسلام ويجلسون على مراتبهم اوكان فى خلق الارواح قبل الاجساد * ثم اعلم ان النقطة فعلة من نقطه نقطا اى وضع عليه النقطة واظن ان النقطة مشترك بين اللغات كالصابون واو بمعنى الواو وانما قلنا انه بمعنى الواو لانه لوكان بمعناه للزم ان يكون فى بعض الانبياء علم دون حكمة وفى بعضهم بالعكس وهو مخالف لما ثبت انه تعالى اعطى الانبياء علما وحكما كما قال الله تعالى (ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما) وقال ايضا (وكلا آتيناه حكما وعلما) فتأمل والشكلة بالفتح من شكلت الكتاب قيدته بالاعراب اعنى الرفع والنصب والجر والحكم جمع حكمة وهى علم باحوال اعيان الموجودات على ماهى عليه فى نفس الامر وانما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لان النقطة اولى بمزية الظهور ولذا اضيف اليه والشكلة امر زائد خارج من ماهية المفهوم المتوقف على النقطة التى مدار الدائرة عليها ولذا نسبت الى الحكم وهى علوم دقيقة عن العلوم الشرعية * ثم اعلم انه يجوز ان يكون واقفون بمعنى ساكتون حاضرون فى حضور رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مراتبهم ويكون من متعلقا بواقفون بتضمين معنى آخذين وتكون اضافة النقطة الى العلم من اضافة المشبه به الى المشبه اى العلم كالنقطة ﴿فحاصل معنى البيت﴾ على هذا ان الانبياء حاضرون وساكنون فى حضور النبى عليه الصلاة والسلام على مراتبهم آخذون العلم كالنقطة والحكم كالشكلة بالنسبة الى علمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون فى هذا استعارة تمثيلية بان ينتزع هيئة من امور اى من كون النبى عليه السلام رئيسا ومتبوعا لسائر الانبياء وكونهم متوقفين فى حضوره عليه السلام واخذهم العلم منه عليه السلام وكونهم فى امره عليه السلام وشبه هذه الهيئة بالهيئة التى انتزعت من امور محسوسة لنا ككون ملك عظيم قاعدا فى مجلس وكون اتباعه واقفين على مراتبهم وانتظارهم الى كلام الملك واخذهم الفائدة منه وكونهم فى امره ثم استعير

بمعنى المعلوم والشكلة بالفتح فعلة من شكلت الكتاب قيدته بالاعراب وشكلت الطائر والفرس بالاشكال والحكمة استعمال النفس الانسانى فى جانبى العلم والعمل بالاحكام وقيل حسن العلم او العمل ولما كان يحصل بالشكل مزيد تفهيم لا يحصل بمجرد النقط اضاف النقطة الى العلم والشكلة الى الحكمة فالحاصل ان علوم الكائنات وان كثرت فبالنسبة الى علم الله تعالى نقطة اوشكلة ومشربها بحر روحانية محمد صلى الله عليه وسلم فكل رسول ونبى وولى آخذون بقدر القابلية والاستعداد مما لديه وليس لاحد ان يفوقه او يتقدم عليه

الهيئة المشبه بها الى الهيئة المشبهة فذكر الالفاظ الدالة على الهيئة المحسوسة واريد الهيئة الغير المحسوسة لنا * ثم اعلم ان فى هذا البيت ايماء الى قوله تعالى (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) واشارة الى قول الخضر لموسى عليه السلام حين اتباعه لاخذ العلم (ما علمك وعلمى وعلم الخلائق الا كما اخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر بالنسبة الى علم الله تعالى) والى ان فى كل من الانبياء نوعا من العلوم دون نوع وانه عليه السلام جمع انواع العلوم التى فى الانبياء وسائر الخلائق وفى الشفاء خص الله تعالى به عليه السلام الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومصالح امته وما كان فى الامم وما سيكون فى امته من النقير والقطمير وعلى جميع فنون المعارف كاحوال القلب والفرائض والعبادة والحساب وقد وردت آثار بمعرفة حروف الخط وحسن تصويرها وفى حديث يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم) مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب ولم يقرأ من كتاب الاولين قطعا كما قال الله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) الآية بخلاف سائر الانبياء

﴿ فَهْوَ الَّذِى تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ * ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ ﴾

لما كانت الابيات السابقة دليلا على كونه عليه الصلاة والسلام حبيبا كاملا وكانت تلك ثابتة مبينة انتجت المطلوب فلهذا قال (فهو الذى تم) الخ فالفاء فى فهو للنتيجة وهو بسكون الهاء وهو راجع الى نبينا عليه الصلاة والسلام و(تم) بمعنى كمل من تمام الشئ بمعنى كماله والمعنى اسم مكان او مصدر ميمى بمعنى المفعول او مخفف معنى اسم مفعول من عنيت بكلامى كذا اى قصدته فمعنى الشئ هو المقصود منه ومعنى الرجل كماله اى الذى تم به والصورة بمعنى الشكل والهيئة وانما قدم المعنى على الصورة لكون المعنى اصل المقصود والمراد من المعنى والصورة ههنا كماله الباطنى وكمال الظاهرى اعنى حسن خلقه واعظم خلقه او الوحى الباطنى والبعث الظاهرى او طريقته وشريعته او روحانيته وجسمانيته او علمه وعمله او عبادته للحق ومعاملته للخلق وكلمة ثم اما على اصلها اعنى للتراخى الزمانى بناء على ان المراد من اصطفائه حبيبا بعد بعثه ولا شك ان بعثه متراخ عن بلوغه الى مرتبة الكمال وبناء على ان اصطفاءه حبيبا كان فى المعراج حيث حكى ان الله تعالى قال له فى تلك الليلة يا محمد ان الملوك اذا آثاروا عبدا باتياء الملك اياه وجعله ملكا ذا اعتبار بادروا لاظهار شرفه فأى شئ تريد ان نجعل لك فقال عليه السلام اضفنى اليك يارب بالعبودية فارسل

﴿ فهو الذى تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم ﴾

الفاء تارة تدخل على السبب واخرى على المسبب كما فى اذا جاء الشتاء فتأهب وابشر فقد اتاك الغوث والملائم هنا هو الثانى والمعنى اسم مكان او مصدر بمعنى اسم مفعول من عنيت بكلامى كذا اردته وقصدته ومعنى الشئ هو المقصود ومعنى الرجل كماله الخاص به او اريد به ماهيته الكلية وبالصورة مشخصاته ويجوز ان يراد ظاهره وباطنه او جسمانيته وروحانيته او العلم والعمل الى غير ذلك من المحتملات المناسبة وكلمة ثم اما على اصلها على ان المراد من اصطفائه حبيبا بعد بعثه ولا شك ان بعثه متراخ عن بلوغه الى مرتبة الكمال صورة ومعنى واما للتراخى الرتبى والتنبيه على ان مرتبة الاصطفاء اعلى من مرتبة الكمال وحبيبا حال او مفعول ثان بتضمين الاصطفاء معنى الجعل وبارئ النسم اى خالق النسم فاعل اصطفاه قدم المفعول حذر الانفصال والنسم جنس النسمة وهو الانسان واذا حملت كلمة ثم على اصلها يجوز ان يكون اصطفاؤه سبحانه وتعالى اياه واتخاذه حبيب الله فى اوان التشريف بالمعراج والاسراء وتكريمه بديباج العز وتاج العلى كما يحكى ان الله تعالى قال له يا محمد ان الملوك اذا آثروا عبدا باتياء الملك اياه وجعله ملكا ذا اعتبار بادروا الاظهار شرفه على النثار فاى شئ تريد ان نجعل لك نثارا فقال عليه السلام اضفنى اليك بالعبودية يارب فارسل اليه سبحان الذى اسرى بعبده ليلا وقال هذا ما طلبت ولك احسن من هذا وهو اضافتك الينا بالحبيبية فانت حبيب الله صلى الله عليه وعلى آله

اليه (سبحان الذى اسرى بعبده) الآية وقال هذا ماطلبت ولك احسن من هذا وهو اضافتك الينا بالحبيبية فانت حبيب الله فلاشك ان المعراج كان بعد البعثة والكمال واما للتراخى الرتبى فيكون فى ثم مجاز او استعارة تبعية لان الحقيقة فيه التراخى الزمانى وذلك بتشبيه التباعد الرتبى بالتراخى الزمانى فى الاشتمال على مطلق التباعد وتكون نكتة المجاز الاشارة الى ان مرتبة الاصطفاء اعلى من مرتبة الكمال والاصطفاء بمعنى الاختيار والانتخاب و (حبيبا) حال من ضمير اصطفاه اومفعول ثان له بتضمين معنى الجعل والبارئ بمعنى الخالق كما فى قوله «يابارئ البر ابرئني بمستمل» والنسم بفتحتين جمع نسمة وهى النفس اوكل ذى روح وقيل هى الآدمى * ثم اعلم ان فى هذا البيت ايماء الى وجه انتظار الاصطفاء الى المدة الاربعينية وترجيحه على عيسى ويحيى ممن اعطى النبوة فى حال الطفولية وان كان المتبادر الى الوهم عكس هذه القضية وتلويحا الى قوله تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا) الآية وتلميحا الى حديث روى عن واثلة بن الاسقع انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم) ولو تأملت معانى البيت لوجدت فيه اشارة الى شئ كثير كما لايخفى

﴿ مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِى مَحَاسِنِهِ * فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ ﴾

لما بين الناظم الفاهم الصفات الثبوتية له عليه السلام شرع فى بيان صفاته السلبية ثم لما علم مما سبق ان نبينا فائق على جميع الانبياء والاولياء فانهم لم يصلوا الى خلقه الباطنى وخلقه الظاهرى ناسب ان يسلب عنه الشريك فى محاسنه فقال (منزه عن شريك فى محاسنه) الخ منزه خبر مبتدأ محذوف وهو على صيغة اسم مفعول من التنزيه بمعنى التبرئة والتبعيد وشريك نكرة وقع فى سياق النفى فيفيد العموم * فان قيل لم يكن فى هذا المقام نفى حتى يفيد العموم * قلنا وان لم يكن فى الظاهر لكنه فى معنى التنزيه لانه فى معنى لم يكن له شريك وهو فعيل بمعنى فاعل اى معادل والمحاسن جمع حسن على خلاف القياس وهو متعلق بشريك وانما لم يقل فى شمائله ليعم الحسن والجمال ولايخص الخلق والخصال * ولقائل ان يقول ان هذا الحكم اى كونه عليه السلام منزها عن شريك فى كل محاسنه فاسد لانه قد كان سائر الانبياء شريكا له فى محاسن النبوة والرسالة وعدم العبادة لغير الله اللهم الا ان يقال انه ادعائى فليتأمل وقوله (فجوهر الحسن فيه) الخ الفاء للنتيجة اى لما كان منزها عن شريك فى محاسنه لزم ان يكون جوهر الحسن الذى فيه غير منقسم والا اى

﴿ منزه عن شريك فى محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم ﴾

اما خبر بعد خبر لهو اومحذوف نزهه بعد عمايليق به المحاسن جمع حسن على خلاف القياس كالمقابح جمع قبح وفى متعلق بشريك والجوهر معرب كوهر والفاء فيه للنتيجة واضافته الى الحسن بيانية وفيه صفة الحسن اى الكائن فيه اوخبر وغير منقسم خبر بعد خبر ومعناه غير مشترك فيه بل هو المنفرد بذلك الجوهر الفائض من معدن الكمال ومنبع الخير وفى وصفه بالفردية فى الحسن وذكر الجوهر وحديث الانقسام من الحسن واللطافة مالايخفى

لوكان جوهر الحسن الذى فيه منقسما للزم ان يكون مشتركا فيه اذا الانقسام انما يكون بالتقسيم اليه والى غيره لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو ان جوهر الحسن الذى فيه غير منقسم * والجوهر اختلف فيه هل هو معرب اولا قال بعضهم انه معرب كوهر فارسى وقال بعضهم انه مشتق من الجهر اومن الجهارة وهو يجيء بمعنى الحجر المستخرج من البحر المنتفع به كالياقوت والزبرجد والزمرد وبمعنى اصل الشيء وجبلته الذى طبع عليه والجوهر عند الحكماء خمسة الاول الهيولى والثانى الصورة والثالث الجسم والرابع العقل والخامس النفس وعند المتكلمين اثنان الاول الجوهر الفرد الذى لا يتجزأ والثانى النفس وتفصيل الكلام فى علم الحكمة والكلام والمراد منه ههنا هو المعنى الثانى اعنى اصل الحسن ومادته الذى خلق عليه الحسن فلا حاجة الى جعله بمعنى الحجر المنتفع به وجعل اضافته بيانية او جعله بمعنى الجوهر الفرد الذى لا يتجزأ لانه كله تكلف والشارحون وقعوا ههنا فى حيص بيص وقوله (فيه) ظرف مستقر صفة الحسن اى الكائن فيه اوخبر اوحال من الحسن فمن جعله متعلقا بقوله غير منقسم وقع فى تكلف وقوله (غير منقسم) خبر اوخبر بعد خبر ومعناه غير مشترك فيه بل هو منفرد بذلك الجوهر الفائض من معدن الكمال ومنبع الخير * ثم اعلم ان فى هذا البيت لطافة حيث اثبت الجوهر للحسن الذى هو عرض وحكم عليه بعدم الانقسام وهو بحث طويل بين اهل الحكمة والكلام والحمد لله الملك المنعام

﴿ دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِى نَبِيِّهِمِ * وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتَكِمِ ﴾

لما جعل عليه الصلاة والسلام منزها عن الشريك فى جميع اوصافه ومحاسنه توهم منه بعض العوام انه يجوز وصفه عليه الصلاة والسلام بما وصف به النصارى نبيهم عيسى عليه الصلاة والسلام لان ذلك الوصف نهاية الاوصاف وغاية الامداح فدفع ذلك الوهم فقال (دع ما ادعته النصارى فى نبيهم) الخ دع امر من ودع يدع بمعنى اترك ومازعم بعض الصرفية من ان العرب اماتوا ماضى يدع ومصدره فمحمول على قلة الاستعمال والا فالنبى عليه الصلاة والسلام افصح العرب وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قال عليه الصلاة والسلام (لينتهين اقوام عن ودعهم الجماعات اوليختمن على قلوبهم) اى على تركهم اياها وقال الشاعر

ليت شعرى عن خليلى ما الذى * غاله فى الحب حتى ودعه

وعن عروة ومجاهد انهما قرآ (ماودعك) بالتخفيف كذا ذكره حسن چلبى فى حاشية المطول وخطاب دع عام لكل من يصلح ان يكون مخاطبا ممن مدح

﴿ دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم ﴾
دع امر من ودعه تركه وماضيه غير مستعمل كوذر والخطاب لكل من يصلح مخاطبا ممن آمن به وماموصولة والنصارى جمع نصران كسكران وسكارى وهم قوم عيسى عليه السلام سموا انفسهم بذلك لادعائهم انهم نصروا عيسى عليه السلام ومادعته النصارى ما يقتضى التوليد والحلول والاتحاد او الانقسام والنزول فى حق

النبي عليه الصلاة والسلام وقوله (ادعته) عبر بالادعاء لكونه باطلا لان الادعاء يستعمل كثيرا فى الباطل كما ان الدعوى تستعمل فى الحق و(النصارى) جمع نصران كالندامى جمع ندمان والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا نبيهم عيسى عليه السلام اولانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران اوناصرة فسموا باسمها اومن اسمها والمراد من نبيهم عيسى روح الله بن مريم عليه السلام والمراد مما ادعته النصارى مايفضى الى التوليد والحلول والاتحاد اذ النصارى تفرقوا بعد عيسى عليه الصلاة والسلام اثنتين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلاث الملكانية والنسطورية واليعقوبية الملكانية اصحاب ملكان الذى ظهر بالروم واستولى عليها ومعظم الروم الملكانية وهم قالوا ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوتيته ويعنون بالكلمة اقنوم العلم وقالوا ان المسيح قديم ازلى وقد ولدت مريم الها ازليا واطلقوا لفظ الابوة والنبوة على الله تعالى الله عن ذلك وعلى المسيح لما وجدوا فى الانجيل حيث قال انك انت الابن الوحيد والنسطورية اصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون وتصرف فى الانجيل وقال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات وحلت هذه الصفات فى بدن عيسى عليه السلام ولذا يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص واليعقوبية اصحاب يعقوب رجل من النصارى قالوا بالاقانيم الثلاثة كما ذكرنا الا انهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده وبيانهم على الوجه المفصل فى كتاب الملل والنحل وقوله (واحكم بما شئت مدحا) الخ دفع سؤال نشأ مما قبله اى هل لايجوز وصفه عليه السلام بما شئنا من الامداح فقال واحكم على صيغة الخطاب بما شئت اى احمل عليه ما اردته من المدح وقوله (مدحا) حال من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اى حال كونك مادحا فتكون المصدر على هذا بمعنى اسم الفاعل وقوله (واحتكم) اما بمعنى احكم فيكون تأكيدا للاول او بمعنى اتقن فى الحكم بالمدحة حتى لاتجاوز عن الحد الانسانى الى الوصف الصمدانى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لاتشبه الذوات كذلك صفاته تعالى لاتشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لاتنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك وكفى فى هذا قوله سبحانه (ليس كمثله شئ) وقوله (ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقولوا على الله الا الحق) وانه عليه السلام وان وصف باكثر ماوصف الله به تعالى لكن صفاته عليه السلام حادثة وصفاته تعالى قديمة

واجب الوجود تعالى وتقدس واحتكم اما بمعنى احكم فيكون تأكيدا للاول اومن احتكم القوم الى الحاكم تحاكموا اليه والحكم ايقاع النسبة المفيدة اثباتا اونفيا ومدحا اما مفعول مطلق لان الحكم الصادق فيه لايكون الا المدح اوحال بمعنى مادحا ويحتمل ان يكون تميزا اما جعله مفعولا له فغير مرضى وفيه متعلق باحكم اوبشئت اوبمدحا فالحاصل امدحه بأى مدح تقدر بعد ترك مالايجوز فان المجاهدة بمدحه قربة من القرب كما ان ترك الادب فى حقه كفر

فَانسُبْ الى ذاتِه ماشِئْتَ من شَرَفٍ * وَانسُبْ الى قَدرِه ماشِئْتَ من عِظَمٍ

لما كان معنى قوله (واحكم بما شئت) الخ خفيا اذ لايطلق كل شئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسره بهذا البيت فقال (فانسب الى ذاته) الخ الفاء للتفسير والنسبة الاضافة * والذات قال صاحب الكشاف ان التاء فى الذات ليست كالتاء فى بنت بل جرت مجرى التاء فى نحولات ولهذا جوزوا اطلاقه على الله تعالى مع تحاشيهم عن اطلاق علامة التأنيث انتهى * وقال ابن سيدة التاء فى ذات وشاة ليست للتأنيث لانها غير موقوف عليها هاء وتاء التأنيث هى التى يوقف عليها هاء انتهى * وقال الجار بردى اصل ذات ذوى فحذفت الياء فبقى ذو وعوض التاء فصارت ذوت فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت ذات وكذلك شاة وجملة الكلام على ماحققه التفتازانى فى سورة آل عمران ان الذات وان كان فى الاصل مؤنث ذو لكن تاءه قد انسلخ عنها الدلالة على التأنيث واجريت مجرى التاء الاصلية ثم اطلق على معنى النفس والحقيقة ولذلك قالوا فى النسبة ذاتى باثباتها وجوزوا اطلاقه على الله تعالى مع امتناع اطلاق العلامة عليه تعالى لوجود التاء وقد يطلق الذات ويراد به ماقام بذاته وقد يطلق ويراد به المستقل بالمفهومية ويقابل الصفة وقد يطلق ويراد به الرضى وقد يطلق ويراد به مفهوم الشئ كذا فى كليات ابى البقاء والتنوين فى (شرف) للتعظيم والتعميم اى من شرف عظيم وكرم كثير من تناسب الاعضاء وجمال الخلق وكرم اليد وطيب العرق وذكاء اللب وصفاء الجنان وبلاغة الكلام وفصاحة اللسان وسائر كمالات الانسان فانه منبع الاحسان ومبدع الرحمن وقوله (وانسب الى قدره) والقدر المقدار والمراد مقدار المرتبة و(عظم) على وزن كبر جمع عظمة بمعنى الفخامة * فان قيل ما الفرق بين الشرف والعظمة * قلنا ان الشرف تنسب الى الذات والعظمة تنسب الى الصفات كما قال النبى عليه الصلاة والسلام فى مكتوبه الى هرقل (من محمد رسول الله الى هرقل عظيم ملك الروم) فعظيم فى مكتوبه بالنسبة الى مرتبته لا ذاته فالمراد بما شئت من عظم علو قدره ومرتبته وجمال طوره وعظمته والمعجزات والارهاصات والمعراج والمناجات والامامة الى الانبياء والدنو الى جنابه الاعلى والتفضيل فى القيامة باللواء والوسيلة والشفاعة العظيمة وهذا البيت اجمال ماسيأتى من الابيات المشتملة على امداحه عليه الصلاة والسلام

فَاِنَّ فَضلَ رَسُولِ اللهِ لَيسَ لَهُ * حَدٌّ فَيُعرِبَ عَنهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

لما كان فى مضمون البيت السابق شبهة بعض المشبهة من انه لايجوز اطلاق

فانسب الى ذاته ماشئت من شرف وانسب الى قدره ماشئت من عظم

اما للتفسير لقوله واحكم اوللعطف على قوله دع نسبه اليه اضافه اليه والذات يطلق على الحقيقة وعلى الهوية المخصوصة والشرف كمال يتعلق بالحقيقة والعظمة كمال يتعلق بالمرتبة والوصف وقيل العظم يشمل الذاتى والوصف والقدر المقدار والمراد مقدار المرتبة وما اسم موصول منصوب المحل على المفعول ومن للبيان والتنوينان للتعظيم فالمعنى انك لا تخف من الغلو والاغراق فى وصف من اشرق بتبليغ رسالته الآفاق واضف الى ذاته ما شئت من الشرف والكمال وانسب الى قدره ما اردت من العظمة والجلال فان صفات ذاته من المجد والكبريا وسمات قدره لغاية العزة والعلا خارجة عن طوق البشر فبيت العبارات وطاحت الاشارات فى بداية شرح شمائله فضلا عن نهاية احاطة فضائله

فان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

فضل عليه فاق والحد النهاية اعرب مراده بين الفاء الاولى لمجرد العطف ويحتمل ان يكون للتعليل لمحذوف اى لاتطمع فى استيفاء كمالاته واستقصاء نوادر حالاته والثانية فى جواب النفى والفعل منصوب بان مقدرة بعد

الفاء وهي للعطف ايضا اى ليس له
حد فيعرب ناطق عنه بفهم اما على
طريقة قوله يطير بجناحيه اولان
النطق يطلق على الجنان ايضا والباء
اما متعلق بيعرب اوبناطق وانما آثر
الناطق على المتكلم لان الناطق لايطلق
على الله تعالى فقوله بفم تأكيد لذلك اعلم
ان المستفاد من البيت هو انتفاء الحد
المقيد كما ترى وهو لايستلزم انتفاء الحد
مطلقا لان انتفاء الخاص لايستلزم
انتفاء العام فهذا على قول من يقول
بتناهي كمال الانسان الكامل واما على
قول من يقول انه غير متناه فالبيت
لايساعده الا اذا اريد بنفي الخاص نفي
العام على سبيل المجاز والحق ان
من اطلع على الحقيقة المحمدية وعلم
تدرجه بانسلاخه عن العوارض
البشرية مدارج المعارج الاحدية
اعترف بعدم تناهي فضله على الاطلاق
كما يعترف باستحالة تناهي كمالات
الملك الخلاق عليه الصلوات الله
كفاء فضله الرائق وكماله الفائق

﴿لو ناسبت قدره آياته عظما
احيي اسمه حين يدعى دارس الرمم﴾

المناسبة هي الاشتراك في شئ اواكثر
وقدر الشئ مبلغه في الكمال اوالنقصان
وغلب استعماله في الكمال خصوصا
عند الاطلاق والآية العلامة والعظم
العظمة الاحياء والاحداث الحياة وهي
صفة تقتضي الحس والحركة الارادية

جميع الاوصاف الكاملة عليه بل انما يقتصر على توصيفه بما ورد من الشرع في وصفه في نفسه اثبته وعلله فقال (فان فضل رسول الله) الخ فالفاء للتعليل فيمكن ان يرتب ههنا قياس من الاقتراني بادنى تغيير بان يقال يجوز ان تنسب الى ذات رسول الله ماشئت من شرف وتنسب الى قدره ماشئت من عظم لان رسول الله ليس لفضله حد فيعرب عنه ناطق بفم وكل من شانه كذا فيجوز ان تنسب الى ذاته ماشئت من شرف وتنسب الى قدره ماشئت من عظم فينتج المطلوب واما تقريره من الاستثنائي فظاهر بان يقال يجوز ان تنسب الى ذات رسول الله ماشئت من شرف لانه لما كان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم جاز ان تنسب الى ذاته ماشئت من شرف لكن المقدم حق فالتالي مثله والفضل بمعنى الزيادة والتفوق وهو مصدر مضاف الى فاعله والحد ههنا بمعنى الغاية والنهاية اوبمعنى الوصف المحيط والفاء في (فيعرب) جواب للنفي ويعرب منصوب بان المقدرة وهو من الاعراب وهو يجئ بمعنى اظهار والابانة ويجئ بمعنى التحسين يقال جارية عروب اى حسناء وبمعنى التغيير يقال عربت معدة الفصيل اذا تغيرت والمراد ههنا هو الاول و(عنه) متعلق بيعرب والناطق بمعنى المتكلم والباء في (بفم) للاستعانة متعلق بناطق والنطق لايكون الا باللسان فالتعبير عنه بالفم من ذكر المحل وارادة الحال وتقييد النطق بالفم اما للتوكيد على طريقة قوله تعالى (يطير بجناحيه) اولان النطق يطلق على مايجرى على الجنان ايضا كما هو مذهب بعض العلماء وانما قيد الحد بقوله يعرب عنه ناطق بفم احترازا عن الحد المعلوم له عليه السلام عند ربه عزوجل فانه تعالى يعلم فضل رسوله اذ لو لم يعلم لزم الجهل والتالي باطل وبما قررنا اندفع ما اورده شيخ زاده فتأمل وفي هذا البيت تلميح الى قوله تعالى (فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

﴿لَو نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَماً * أَحيَى اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ﴾

لما اراد الناظم الفاهم ان يدفع التوهم الناشئ من ايراد اوصافه عليه السلام انه مبين اوصافه ومورد لكل امداحه قال معترفا بعجزه عن وصفه على ما يناسب له عليه السلام (لو ناسبت قدره) الخ كلمة لو حرف شرط وهو لانتفاء الثاني لانتفاء الاول اى لو ناسبت قدره آياته عظما احيي اسمه لكن ما احيي اسمه حين يدعى دارس الرمم فلم تكن آياته مناسبة لقدره يعني ان آياته غير مناسبة لعلو قدره وعظم مرتبته بل المناسب لقدره ان يعطى ازيد مما فيه وافضل من الآيات التي اعطيها * فان قلت الآيات صيغة جمع وصيغة الجمع

من صيغ العموم فيدل على جمع الافراد وهو باطل قطعا لان من افراد آياته القرآن والمعراج على قول الرؤية ايضا فلوكان المراد من الآيات جميع الافراد للزم كون القرآن والمعراج على قول الرؤية غير لائق بشانه عليه السلام وهو باطل قطعا لان القرآن كلام الله القديم وكذا المعراج على هذا شئ عظيم لائق بشانه بل فاضل عنه * قلت اجيب عنه بوجوه اما اولا فبانا لانسلم ان صيغة الجمع باقية ههنا على عمومها كيف وهو عام قدخص منه البعض فيكون المراد بالآيات غير القرآن والمعراج واما ثانيا فبانا لوسلمناه على عمومه فلانسلم ان القرآن والمعراج داخلان فى الآيات لان المراد منها ماعداهما بقرينة كون اضافتها للعهد اى الآيات التى صدرت عنه عليه السلام بالاختيار وهما حاصلان بالاضطرار واما ثالثا فبان المراد من الآيات الآيات السابقة بقرينة ان الالف واللام فيها للعهد وهما غير داخلين فيما سبق فتدبر واما رابعا فبان يقال ان المراد بالآيات الآيات الدالة على عظمته اعنى المقصودة فى الدلالة على العظمة لا فى الشرافة والقرآن والمعراج غير ظاهرين فى الدلالة على العظمة وفيه مافيه ثم ان (ناسبت) من المناسبة وهى الاشتراك فى شئ اواكثر (وقدره) بالنصب مفعول ناسبت وقدر الشئ مبلغه فى الكمال اوالنقصان وغلب استعماله فى الكمال خصوصا عند الاطلاق و (آياته) بالرفع فاعل ناسبت وهى جمع آية بمعنى العلامة و(عظما) بالنصب تميز عن اسناد ناسبت وهو بمعنى العظمة وجملة (احيي) جواب لو واحيي من الاحياء وهو ايجاد الحياة واعطاؤها و(اسمه) بالرفع فاعل احيي والمراد من الاسم اما مرادف العلم او بمعنى التسمية بمعنى ذكر الاسم واسناد احيي اليه مجاز اذ المحيي هو الله و(يدعى) على صيغة المجهول من دعاه اذا طلبه ودعا الله سأله وضمير يدعى راجع الى الله تعالى و (دارس الرمم) بالنصب مفعول احيي والرمم جمع رمة كالقطع جمع قطعة وهى العظام البالية يقال درس الرسم اذا عفا فدراستها زيادتها فى البلى واضافة الدارس اليها من اضافة الصفة الى الموصوف اى الرمم الدارسة (وحاصل معنى البيت) انه لوكانت آياته العظام مناسبة لمقدار كماله لاحيي الله تعالى بعد وفاته ببركة اسمه العظام البالية والاجساد الفانية لكن مااحيي الله تعالى بعد وفاته تلك العظام لستر غايات كمالاته بين الانام * فان قلت لم لم يعط صلى الله تعالى عليه وسلم هذه المعجزة اعنى احياء الموتى بعد وفاته ببركة اسمه حين يدعى الله تعالى كما اعطى سائر المعجزات * قلت لواعطيها ايضا لكان ايمان المؤمنين بعد عصر سعادته عليه الصلاة والسلام

والاسم هنا اما مرادف العلم اوبمعنى التسمية اى ذكر الاسم واختلاف البصرية والكوفية فى استقاقه مشهورة دعاه طلبه ودعاه بزيد سماه به ودعى الله سأله درس بلى والرمم جمع الرمة وهى القطعة البالية من العظم قوله آياته فاعل ناسبت وقدره مفعوله وعظما تميز كطاب زيد نفسا واراد بالآيات امارات نبوته مثل خاتم النبوة وتظليل الغمامة اومعجزاته سوى القرآن لانه صفة الله تعالى فلا يناسب شيئا لذاته واسناد احيي الى اسمه مجاز اذ الفاعل الحقيقى هو الله تعالى ودارس مفعوله وضمير يدعى الى الله تعالى اى حين يدعى الله تعالى باسمه ويسأل فحاصل المعنى انه لو كانت آياته العظام مناسبة بمقدار كماله لاحيي الله تعالى ببركة اسمه اموات العظام والاشباح كما احيي بيامن ذاته اموات القلوب والارواح ولقامت القيامة بدعاء كل من يدعو باسم من اسمائه ولبرزت

ايمانا بالمشاهدة وايمان الغيب اولى من الايمان بالمشاهدة كما لا يخفى ومن فهم من هذا البيت ان مراد الناظم ان احياء الموتى لم يعط له عليه الصلاة والسلام اصلا فقال معترضا على الناظم ان هذا البيت مخالف لما سيأتى من قوله (وكل آى اتى الرسل) الخ اذ يفهم منه ان احياء الموتى اعطى اليه عليه السلام اذ كان ذلك معجزة لعيسى عليه السلام وهذه المعجزة اتصلت الى عيسى عليه السلام من نور نبينا عليه الصلاة والسلام انتهى فقد خبط خبط عشواء وركب متن عمياء اذ ليس مراد الناظم انه لم تعط له عليه السلام هذه المعجزة اصلا بل مراده ان تلك المعجزة لم تعط اليه عليه السلام بعد وفاته الى يوم القيامة والا فهو عليه السلام جامع لجميع المعجزات التى ظهرت فى ايدى سائر الانبياء مع معجزات خاصة به عليه الصلاة والسلام وان كنت فى ريب مما ذكرناه فانظر الى ما ذكر فى دلائل النبوة من انه مات فى زمانه عليه السلام فتى من الانصار فزمله من فى اطرافه فجاءت امه الضعيفة العمياء فاخبروها بموته فقالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تغيثنى فى كل شدة فلا تحمل على هذه المصيبة بحرمة نبيك فبعد هذا الدعاء كان ابنها الميت حيا فكشف وجهه فقام واكل الطعام مع الحاضرين وكذا ماروى ان جابر بن عبد الله دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة فذبح له غنما فجاء ابنه الكبير فسأل من اخيه الصغير قائلا كيف ذبح ابونا الغنم فقال الغلام الصغير له جئ حتى اريك فاطاعه الغلام الكبير فشد يديه ورجليه فاخذ السكين وذبحه فذهب برأسه الى امه فبكت امه فخاف الغلام منها ففر وصعد السطح فمرت امه من خلفه فرمى الغلام نفسه من السطح فمات فصبرت امهما على هذه المصيبة فلفتهما فى خرقة وحفظتهما فى البيت وشرعت فى طبخ الطعام فلما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام حضروا الطعام فنزل جبرائيل فقال له عليه السلام امر الله تعالى لك ان تأكل هذا الطعام مع ابنى جابر فاعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام جابرا فجاء جابر الى زوجته فسألها فقالت ليسا بحاضرين هنا فجاء جابر اليه عليه الصلاة والسلام فقال انهما ليسا بحاضرين يا رسول الله فامر رسول الله تكرارا باتيانهما فجاء جابر فاقدم على زوجته فاضطرت واخبرت بالسر فجاء جابر اليه عليه الصلاة والسلام باكيا فاخبره بالقضية فتفكر رسول الله فنزل جبرائيل فقال ان الله تعالى يأمرك ان تدعو لهما ويقول منك الدعاء ومنا الاجابة فدعا رسول الله لهما بالحياة فاحياهما الله تعالى فقاما واكلا معه عليه السلام ومثل هذا كثير وفير كما لا يخفى على من هو بكتب الاحاديث خبير * ثم اعلم ان خاصية هذا

الطامة الكبرى بطلب كل من يستشفع بعظم قدره وكبريائه ولكن اقتضت الحكمة الالهية سر غايات كماله واخفاء نهايات عظمة قدره وجلاله اما لامتياز المصدق المؤمن بالغيب عن المتمادى فى غواية الشك والريب اذ التصديقات والعبادات عن ظهر الغيب عظيم شانها وبعد بروز الآيات وظهور الدلالات لا ينفع نفسا ايمانها واما لغيرة المحبة عن خلوة الحبيب لدى الاغيار وهذا سر يعرفه من فى قلبه من المحبة اوار

البيت انه لوقرئ على محتضر قد اشتدت سكرات موته فى آخر وقته ان تم اجله يموت والا فيفيق ويخلص من المذلك الوقت وشدته كذا اخبر به الاستاذ طال بقاءه

﴿لم يمتحنا بما تعيي العقول به * حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم﴾

لما توهم مما سبق انه عليه الصلاة والسلام فى غاية العظمة ونهاية المهابة فلا يبالى بامته الضعيفة كسلاطين الزمان لانهم اذا وصلوا الى المرتبة العليا لم يبالوا بالرعايا بل كلما فاقت مراتبهم يحملون رعاياهم على الاعمال الشاقة والافعال التى لا وسع لهم عليها ولا طاقة دفعه فقال (لم يمتحنا بما تعيي العقول به) الخ لم يمتحنا من الامتحان بمعنى الاختبار والابتلاء اومن المحنة اى لم يحملنا على المحنة والباء فى (بما) متعلق بيمتحن وما عبارة عن الشرع الشريف و(تعيي) مضارع من عي لامن اعيي والفرق بين العي والاعياء ان كل عجز حصل بعد حركة وسكون فهو اعياء وكل عجز حصل فى رأى وعقل فهو عي وههنا حكاية وهى ان الكسائى تعلم النحو فى كبر سنه وكان سبب تعلمه انه مشى يوما حتى اعيي فيجلس عند قوم ليستريح فقال عييت بالتشديد بغير همزة فقالوا له لا تجالسنا وانت تلحن قال الكسائى فكيف اقول قالوا ان اردت من التعب والمشقة فقل اعييت وان اردت من التحير فى الامر والرأى فقل عييت مخففا فقام الكسائى من فوره وسأل عمن يعلم النحو فارشدوه الى معاذ فجاء وقرأ عليه حتى نفد ماعنده ثم خرج الى البصرة الى الخليل بن احمد كذا ذكره الحقى فى تعريفاته و(العقول) جمع عقل وهو فى الاصل بمعنى الحبس سمى به الادراك الانسانى لحبسه عما يقبح ومنعه مما لا يحسن وفى الدرر العقل فى الاصل بمعنى الدية سميت به لانها تعقل الدماء من ان تسفك ومنه العقل والعقل والنفس والذهن واحد بالذات الا انه اذا كان مدركا يسمى عقلا واذا كان متصرفا يسمى نفسا واذا كان مستعدا للادراك يسمى ذهنا * ثم اعلم ان العقل له معان منها جوهر مجرد غير متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف قال التفتازانى هذا ماقيل جوهر ليس بجسم ولا جسمانى ومنها قوة للنفس الانسانية بها تتمكن من ادراك الحقائق ولعل هذا ماقالوا قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات ومنها القوة الغريزية التى يلزمها العلم بالضروريات ونفس العلم بذلك ومنها قوة مميزة بين الامور الحسنة والقبيحة ومنها هيئة محمودة للانسان ومنها قوة للنفس بها تنتقل من الضروريات الى النظريات ومنها جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله وهى النفس الناطقة التى يشير اليها كل احد بقوله انا * ثم اختلف فى محل العقل فقيل نور فى بدن الآدمى وقيل فى الرأس ونوره فى القلب وقيل فى القلب

﴿لم يمتحنا بما تعيي العقول به
حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم﴾

امتحنه به ابتلاه عيي بالامر اذا لم يهتد لوجهه العقل قوة مهيأة لادراك الكليات بالذات والجزئيات بواسطة الآلات حرص عليه اشتد ميله اليه ورغبته فيه وحرصا مفعول له او حال اى ذا حرص علينا فلم نرتب عطف على لم يمتحنا وكالنتيجة له الارتياب التشكك وقوله نهم امامن هام يهيم اذا تحير اومن وهم يهم اذا غلط والادراك الجازم المطابق هو العلم والراجح الظن والمرجوح الوهم والمساوى الشك وحاصل المعنى ما كلفنا بما يعجز عن العمل به اصحاب العقول وما حملنا مالا طاقة لنا به ببركة الرسول بل وضع الله بحبه عنا الاصر والاغلال ورفع التكاليف الشاقة التى كانت على الامم السالفة والقرون الماضية فرجعنا بعقولنا المطمئنة الى ربنا راضية مرضية فلم نشك ولم نغلط فى العقائد الدينية ولم نضرب فى تشييد مبانى القواعد اليقينية اذ من المعلوم ان الانسان اذا وقع فى خطب معجز يرتاب ويغلط ويضعف جزمه ويرتد منه الى غيره

واشراقه الى الدماغ * ثم اعلم ان الحكماء اثبتوا العقول العشرة وسموا جبريل بالعقل العاشر والعقل الفعال وقالوا انه خلق العالم الاصغر من السطح المقعر لفلك القمر من العناصر الاربعة والمواليد الثلاثة وزعموا انه لا يصدر من الواحد الا واحد وكله كذب وتفصيل قواعدهم في علم الحكمة وقوله (به) متعلق بتعي والضمير راجع الى الموصول وقوله (حرصا) بالنصب مفعول له او حال اى ذا حرص وعلى متعلق بالحرص والحرص شدة الرغبة في الشيء والميل اليه وصرف الهمة له والفاء في (فلم نرتب) نتيجة لما قبله من المقدمات ينتج هذا المطلوب فترتيب قياسه هكذا ان نبينا عليه الصلاة والسلام لم نرتب به ولم نهم لانه عليه الصلاة والسلام لم يمتحنا بما تعيي العقول به ومن امتحنا بما تعيي العقول به نرتاب ونهيم به ينتج من الشكل الثاني عين المطلوب وترتيبه من الشكل الاول سهل لمن هو اهل (ونرتب) من ارتاب بمعنى شك و(نهم) مضارع من هام اذا التحير كقوله

كل البلابل في افصاح خصلته * سحبان هام به مافاز بالزمل

﴿ وحاصل معنى البيت ﴾ انه عليه السلام لم يختبرنا ولم يبتلنا ولم يحملنا على تعب ومحنة باتيان معجزات تعجز عنها العقول ولم يكلفنا شيئا من التكاليف الشاقة كما كان في امم من قبلنا مثل تعيين القصاص في العمد والخطأ وحرمة الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وقتل النفس في التوبة وقطع الثوب المتنجس بالمقراض وترك العمل في يوم السبت وعدم جواز الصلاة في غير الكنائس وفرض خمسين صلاة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغيرها بل اتانا بالحنفية السهلة السمحاء فلم نتحير في متابعته ولم نشك في رسالته قال الحسن في تفسير قوله تعالى (عزيز عليه) اى ان تدخلوا النار (حريص عليكم) اى ان تدخلوا الجنة وقال في التفسير الكبير المراد انه حريص بايصال الخيرات اليكم في الدنيا والآخرة وقال الفراء الحريص الشحيح ومعناه انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار انتهى * قال في المواهب قال تعالى في شانه (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم وبالجملة في هذا البيت تلميح الى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه الآية) وايماء الى قوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) واشارة الى قوله تعالى (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) وتلويح الى قوله عليه السلام (بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء) والى قوله عليه السلام (لقد جئتكم بها بيضاء نقية) اللهم انت خالق الورى اجعلنا من اهل المغفرة والتقى بحرمة النبي الذي في صورة قد بدا

﴿ اعيي الورى فهم معناه فليس يرى * للقرب والبعد منه غير منفحم ﴾

﴿ اعيي الورى فهم معناه فليس يرى في القرب والبعد منه غير منفحم ﴾

اعيي اى اعجز الورى مفعوله وفهم فاعله والاسناد مجازى اى اعجز الله الورى في فهم كنه كماله وادراك عظمة جلاله فان معنى الرجل كماله الانساني الخاص به ويقال للمقصود ايضا وليس اذا دخل على الفعل ففيه ضمير الشان وذلك الفعل خبره والقرب والبعد اما زمانيان او مكانيان وانما تعرض للقرب والبعد ولم يتعرض لزمانه ومكانه لانه قد اشتهر وتواتر بحيث لا ينكر احد والمراد بالمنفحم العاجز عن الاتيان بمثل ما اوتي به او العاجز عن بيان كماله وهو الانسب بالسياق والرؤية ان كانت بصرية فغير منفحم مفعولها القائم مقام الفاعل وان كانت قلبية فالمفعول الثاني احد الجارين مع مجروره وكل منهما اما متعلق بليس او يرى ويجوز نصب غير على انه مفعول يرى اى ليس يرى احد منهم غير منفحم ويجوز ان يكون منهم حالا من غير منفحم وضمير منهم للورى ويروى فيه وهو متعلق بمنفحم وضميره للنبي او لمعناه والمعنى انه اعجز الورى فهم كمالاته وابكم اولى النهى شرح حالاته فلا يرى في القرب والبعد احد غير عاجز في فهم معانيه وفضائله ولا يوجد منطق غير منفحم في شرح ما فيه من شمائله

لمااحتمل ان يتوهم من قوله فلم نرتب ولم نهم وانا وصلنا الى فهم حقيقة معناه دفعه فقال (اعي الورى فهم معناه) الخ الاعياء التعجيز والورى بمعنى الخلق والالف واللام فيه للاستغراق فالمعنى اعجز جميع المخلوقات لان استغراق المفرد اشمل وهو بالنصب مفعول اعي و(فهم) بالرفع فاعله وهو مضاف الى مفعوله اى فهمهم معناه ومعنى الرجل كماله الخاص به والفاء فى (فليس) فصيحة اى اذا اعجز المخلوقات عن فهم معناه فليس يرى الخ و(ليس) قالوا ان اصل ليس لا ايس والايس اسم للموجود فاذا قيل لا ايس فمعناه لا موجود ولا وجود ثم كثر استعماله فحذفت الالف فبقى ليس ❁ ثم اعلم ان القاعدة فى كلمة ليس انه اذا دخل على الفعل يكون اسمه ضمير شان فههنا كذلك و(يرى) مضارع على صيغة المجهول اما من الرؤية البصرية اومن الرؤية القلبية فان كان من الاولى يكون قوله الآتى مفعولها القائم مقام الفاعل وان كان من الثانية فالمفعول الثانى احد الجارين مع المجرور وقوله (للقرب) وقع فى بعض النسخ بفى وبعضها باللام فاللام بمعنى فى والقرب والبعد اما زمانيان اومكانيان و(منه) وقع فى بعض النسخ بدله منهم فعلى الاول يكون الضمير راجعا الى معناه وعلى الثانى يكون راجعا الى الورى والانفحام قبول الالزام والمراد به العجز عن اتيان كال معناه ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان فهم معانيه الخفية البهية وكمالاته العلية السنية اعجز الكائنات باسرها والمخلوقات بشراشرها فلا يبصر بل لا يعلم للقرب والبعد غير العجز عن ادراك حقيقة معناه وغير السكوت عن حقيقة مبناه فكان وصفه عليه الصلاة والسلام اصعب من جميع الجهات بين الانام ولذا قال الشيخ بدر الدين الزركشى ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابى تمام والبحترى وابن الرومى مدحه عليه السلام مع كونهم موسومين بالفصاحة والبلاغة بين الانام لان مدحه عليه السلام كان من اصعب ما يحاولونه فان المعانى دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل علو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ وصفه وقال فى تذكرة القرطبى لم يظهر كمال حسنه عليه السلام والا لما اطاقت اعين الصحابة رضى الله تعالى عنهم النظر اليه انتهى

﴿ كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ❁ صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ ﴾

لما كان فى مفهوم البيت الاول خفاء اتى له بنظير فقال (كالشمس تظهر) الخ الشمس كوكب نهارى مضئ لجميع العالم و(تظهر) من الظهور على صيغة التأنيث لان الشمس مؤنث وتظهر مع ما بعده اشارة الى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا وقد بين عيب التشبيه بها على الاطلاق ابونواس حيث قال

﴿كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من امم﴾ خبر مبتدأ محذوف اى هو كالشمس وتظهر اما صفة مؤكدة كقولنا امس الدابر واللام كما فى قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا او استيناف وبيان لوجه الشبه او يكون حالا ومن الاولى متعلقة بتظهر والثانية بتكل وبعد بضم العين وسكونها كقفل وقفل وصغيرة حال من فاعل تظهر ويجوز ان يكون حالا على مذهب البعض كل الرجل بعيره اعياه والامم القرب اوالمقابلة والمقابلة فى طرف المشبه التوجه والاقبال الى معرفة كماله وصرف الهمة الى احاطة كنه حاله ولك ان تجعل هذا التشبيه من التشبيه المقلوب كما فى قوله « وبدا الصباح كأن غرته ❁ وجه الخليفة حين يمتدح » وانما اختير هذا الطريق فى التشبيه لان ضوء الشمس مستفاد من نور النبوة على ما سيجئ فى الحديث المروى عن جابر رضى الله عنه فلا سبيل الى الرد للمعترض المكابر بل المستفاد من الحديث اى ذات الشمس جزء من نوره وظهور كل الكائنات من ظهوره

يتيه الشمس والقمر المنير * اذا قلنا كأنهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسى * وان البدر ينقصه المسير

وهذا التشبيه وغيره مما ورد فى حقه عليه السلام انما هو على سبيل التقريب التمثيل والافذاته اعلى وامجد * فان قلت المناسب ان يشبه جماله عليه السلام بالقمر والبدر لان القمر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كلل ينزع * قلت نعم كذلك الا ان الناظم الفاهم قصد تشبيهه عليه السلام بالشمس فى العجز عن التمكن من النظر على وجه الكمال الى وجهه عليه السلام وفى اتمية الضياء لان الشمس اتم ضياء من القمر كما لا يخفى وقوله (للعينين) على صيغة التثنية متعلق بتظهر والالف واللام فيه للاستغراق اى لكل عين سواء كانت عين الاولياء او الاصفياء و(من بعد) متعلق به ايضا والبعد بضمتين لغة فى البعد والبعد ضد القرب وهو عبارة عن امتداد قائم بالجسم او بنفسه عند القائلين بوجود الخلاء وقوله (صغيرة) بالنصب حال من فاعل تظهر وقوله (وتكل) من الاكلال وهو التعجيز عن الادراك و(الطرف) العين و(من امم) متعلق بتكل او حال من الظرف والامم بفتحتين القرب ﴿وحاصل معنى البيت﴾ انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى وصفه الذى تقدم من انه عجز عن فهم مبناه وعلم معناه كالشمس التى تظهر للعينين من جهة البعد حال كونها صغيرة وتعجز البصر والنظر من القرب وتصير نفس الرائى حسيرة والحاصل ان الشمس على ما قيل انها قدر كرة الارض مائة وبضعا وستين مرة كما انها تظهر من المسافة البعيدة صغيرة واذا تقرب الشخص لادراك حقيقتها يرى نفسه عاجزة حقيرة كذلك هو عليه السلام يرى فى بادئ النظر انه فرد من افراد البشر واذا تأمل فى جمال ذاته وكمال صفاته عجز وتحير * وفى هذا البيت اشارة دقيقة الى قوله عليه السلام (اللهم اجعلنى فى عينى صغيرا) اى لمشاهدة عظمتك (وفى اعين الناس كبيرا) اى لمكاشفة قدرتك

﴿ وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِى الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ * قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ ﴾

لما بين العجز عن ادراك كمالاته عليه السلام بالغ فيه مع الاشارة الى علة ذلك العجز فقال (وكيف يدرك فى الدنيا) الخ وفى بعض النسخ وقع بالفاء فيكون تفريعا لما تقدم وفى بعضها بالواو فتكون عاطفة (وكيف) ظرف يدرك قدم عليه لصدارته لانه كلمة استفهام والاستفهام لانكار الوقوع و(يدرك) مضارع معلوم من الادراك والادراك بمعنى مطلق التصور او بمعنى الاحاطة بجوانب المرئى قال بعضهم اول مراتب وصول العلم الى النفس الشعور ثم الادراك ثم الحفظ وهو استحكام المعقول فى العقل ثم التذكر وهو محاولة النفس فى استرجاع

﴿ وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلم ﴾ كيف ظرف ليدرك اى فى اى حال يدرك والاستفهام للاستبعاد والنفى واراد بحقيقته كماله الخاص به ونهاية منزلته فى القرب والقبول لا ماهيته فانها معلومة لكل احد من ذوى العقول والنيام جمع نائم والمراد من النيام الغافل تسلوا عنه اى كفوا عنه والحلم ما يراه النائم وتسلوا اما صفة بعد صفة او حال او استيناف وانما قال فى الدنيا لان استتار الحقيقة المحمدية واختفاء قربه من الحضرة الاحدية فى الدنيا لا فى الآخرة فان المراتب والمقادير فيها لكل احد ظاهرة فالحاصل انه لا يدرك فى الدنيا حقيقته قوم غافلون قنعوا بخياله وتسلوا بما رأوا فى النوم من تمثاله فقصروا النظر على صورته البشرية ورؤية افعاله النفسية وظلمات الشواغل الحسية ولم يدركوا بالبصيرة انسلاخه الكلى عن ملابس ذاته ومقادر صفاته ومكائد افعاله وسماته بفناء افعاله فى افعال الحق وصفاته فى صفات الحق واستنشاق روائح روح القرب واستبشاره بالاستشراف على مشاهدة اسرار الوحدانية والعبور عن غيوب الحضرات الجبروتية فهؤلاء النيام اذا انتبهوا بالموت عن منامهم وانجلى بصرهم بانكشاف اغطية ظلامهم وتجردوا عن قيودهم الناسوتية وكشفوا بايدى الغيرة استار الغيرية عن وجه الحقيقة اللاهوتية شموا روائح وحدانية الذات الاحدية من رياض الحضرة الاحدية اى لا يكشف النقاب عن وجه حقيقة الحقائق الا من انسلخ عن ظلام الاثنينية وقيود العلائق فان تعريف لذة السماع للبليد الذى لا يجد منه ذوقا

مازال من المعلومات ثم الذكر وهو رجوع الصورة المطلوبة الى الذهن ثم الفهم وهو التعقل ثم الفقه وهو العلم بغرض المخاطب ثم الدراية وهى المعرفة الحاصلة بعد ترتيب مقدمات ثم اليقين ثم الذهن وهو استعداد الذهن لكسب العلوم الغير الحاصلة ثم الفكر ثم الحدس و(فى الدنيا) متعلق بيدرك وانما قيد عدم الادراك بالدنيا لان استتار حقيقة المحمدية واختفاء كمالاته الاحمدية مخصوص بالدنيا لان فى الآخرة تظهر مراتب كل احد ولذا يرى المؤمنون فى الآخرة ربهم بغير كيف ومكان ولذا قال صاحب الامالى « يراه المؤمنون بغير كيف » لان فى الآخرة تبدل الاعيان الى حالة اخرى ولذا قال بعض العارفين وانما امتنع رؤية الله تعالى فى الدنيا الفانية لان الباقى لا يرى الا بالعين الباقية وقوله (حقيقته) بالنصب مفعول يدرك وضميره راجع اليه عليه الصلاة والسلام وحقيقة الشئ كماله الخاص به يقال حقيقة الله ولا يقال ماهية الله لايهامها معنى التجانس وقوله (قوم) بالرفع فاعل يدرك والقوم اسم لجماعة الرجال خاصة لانهم القوامون بامور النساء فاللفظ مفرد بدليل انه يثنى ويجمع واختصاص القوم بالرجال دون النساء صريح فى قوله تعالى ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء﴾ وقول زهير (ع) « أقوم آل حصن ام نساء » واما فى مثل هذا المقام فذكر الذكور وترك النساء لانهن توابع لرجالهن فيكون تغليبا ❊ ثم اعلم ان فى القوم ثلاثة اقوال احدها انه اسم جمع وثانيها انه جمع لا واحد له من لفظه وثالثها انه جمع له واحد من لفظه كما قال صاحب الكشاف فى سورة الحجرات هو فى الاصل جمع قائم وقوله (نيام) بالرفع صفة قوم وهى جمع نائم والنوم ريح يقوم من اغشية الدماغ فاذا وصل الى العين فترت واذا وصل الى القلب نام والمراد من النيام الغفل اما على طريق الاستعارة او المجاز اما الاول فبان يقال شبه الغفلة بالنوم فى عدم ادراك فائدة ما ثم استعير النوم للغفلة وذكر النوم واريد الغفلة ثم اشتق من الغفلة الغفل الذى هو جمع غافل واشتق من النوم نيام وشبه الغفل بالنيام فاستعير النيام للغفل فذكر النيام واريد الغفل فعلى هذا يكون قوله (تسلوا عنه بالحلم) ترشيحا لهذه الاستعارة واما الثانى فبان يكون مجازا مرسلا تبعيا بان يقال ان الغفلة لازمة للنوم فذكر الملزوم واريد اللازم ثم اشتق من الغفلة غفل ومن النوم نيام فذكر النيام واريد الغفل وقوله (تسلوا) من التسلية بمعنى قنعوا واكتفوا و(عنه) متعلق بتسلوا والضمير اما راجع اليه عليه السلام واما الى حقيقته و(الحلم) بضمتين ما يراه النائم فى نومه من الخيالات ❊ وحاصل معنى البيت ❊ كيف تعلم فى الدنيا الدنية حقيقة الذات المحمدية وحقيقة الصفات

وطيب الرائحة للمزكوم من جملة المحالات فانه لا يعرف الشمس الا من يشاهدها

الاحمدية جماعة غافلة كالنيام قنعوا عن معرفته بالخيالات والاوهام وفى هذا البيت تنبيه الى قوله عليه الصلاة والسلام (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) والحمد لله العلام

﴿ فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ * وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ ﴾

فلما كان المراد بتسليتهم بالحلم خفيا اراد ان يفسره فقال (فمبلغ العلم) الخ فالفاء للتفصيل والتفسير والمبلغ بمعنى المنتهى والغاية و(العلم) الالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه اى منتهى علم الناس و(فيه) متعلق بمبلغ اوظرف مستقر صفة للعلم وفيه حذف مضاف اى فى شانه عليه السلام وان مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ والضمير له عليه السلام والبشر هو علم لنفس الحقيقة من غير اعتبار كونها مقيدة بالتشخصات والصور واما الرجل فهو اسم لحقيقة معتبرة معها تعينات وصور حقيقية فالمتبادر فى الاول نفس الحقيقة وفى الثانى الصورة وفى القاموس البشر بالحركات الانسان ذكرا كان اوانثى واحدا كان اوجمعا نحو قوله تعالى ﴿بشرا سويا﴾ وقوله ﴿فاما ترين من البشر احدا﴾ وقد يثنى ويجمع على البشار * فان قلت هل العلم بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط فى صفة الايمان اوهو من فروض الكفاية * قلت اجاب عنه الشيخ ولى الدين العراقى بانه شرط فى صحة الايمان لانهم قالوا لو قال شخص اؤمن برسالة محمد عليه السلام الى جميع الخلق ولكن لا ادرى هل هو من البشر اومن الملائكة اومن الجن اولا ادرى هل هو من العرب اومن العجم فلا شك فى كفره لتكذيبه القرآن وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعرف فى ذلك خلافا وان كان جاهلا بالقرآن اوكان فى غيب لا يعرف ذلك الاتفاق وجب تعريفه اليه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى قوله (وانه خلق الله كلهم) عطف على انه بشر والخير قد سبق تفصيله والخلق بمعنى المخلوق وضمير كلهم راجع الى الخلق وجمعيته باعتبار المعنى اومبنية على ماذكره القاضى من ان ضمير الجمع قد يرجع الى المفرد وبالعكس انما اكد بالكل دفعا لخلاف البعض ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان نهاية بلوغ علمنا وغاية وصول فهمنا فى مبنى ذاته انه بشر عظيم وجوهر جسيم من افراد الانسان واجياد الاعيان وفى معنى صفاته انه افضل المخلوقات وسيد الكائنات

﴿ وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِهَا * فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ ﴾

لما كان قوله فى المصراع الثانى وانه خير خلق الله كلهم نظريا اثبته واحكمه فقال (وكل آى اتى الرسل) الخ فالواو عاطفة والعطف من قبيل عطف العلة على معلولها

﴿فمبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم﴾

الفاء للعطف ومابعدها كالنتيجة للسابق واراد بمبلغ العلم العلم الحاصل من جميع مايعلم منه والمراد من العلم اما المصدر او المعلوم وفيه مجرور المحل على انه صفة للعلم ويجوز ان يكون منصوبا على الحالية على طريقة واتبع ملة ابراهيم حنيفا ويجوز ان يتعلق بقوله مبلغ والخلق بمعنى المخلوق يعنى غاية ارتقاء هؤلاء النيام ومدارج معرفة النبى عليه السلام انه افضل البشر وخير خلق الله ولا يدرون غاية قربه من حضرة الآله ولا يلاحظون انفراده فى مقام جمعه ورؤيته بحكم الحديث بعين الله وسماعه بسمعه

﴿وكل آى اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم﴾

الآى جمع الآية واتى صفتها والرسل تخفيف الرسل والكرام صفة مؤكدة والباء فى بها اما للتعدية اوللمصاحبة وبها حال من الرسل اى مصاحبين بها والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وانما بمعنى ماوالا اى مااتصلت تلك المعجزات بهم الامن ميامن نوره بل ماظهر وجودهم الامن ظهوره والاصل فى اثبات هذا المرام مارواه جابر الانصارى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن اول شئ خلقه الله تعالى فقال هو نور نبيك ياجابر خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق

اى اذ كل آى فيمكن ان يرتب ههنا قياس من الشكل الاول بادنى تغيير بان يقال نبينا خير الانبياء كلهم لان نبينا عليه الصلاة والسلام كل آى اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم وكل من شانه كذلك فهو خير الانبياء كلهم فينتج المطلوب وترتيبه من الاستثنائى سهل لمن هو اهل (وكل) بالرفع مبتدأ مضاف الى نكرة فيفيد عموم الافراد فيناسب المقام والآى جمع آية بمعنى العلامة الظاهرة واشتقاقها من اى لانها تبين ايا من اى ويستعمل فى المحسوسات والمعقولات والمراد ههنا المعجزات و(اتى) يجئ لمعان كمعنى فعل ومعنى حضره يقال اتى المكان اى حضره وبمعنى جامع يقال اتى المرأة اتيانا اى جامعها ومعنى انفده يقال اتى على شئ اى انفده ومعنى بلغ ومعنى اهلك يقال اتى عليهم الدهر اى اهلكهم وافناهم ومعنى امر كقوله تعالى (وما آتيكم الرسول) اى امركم ومعنى انتسب يقال اتى الرجل القوم اى انتسب اليهم وليس منهم وقد يتعدى الى الثانى بالباء مثل اتيته بالبلية وذكر الزمخشرى انه يجئ بمعنى صار كما فى قولك اتى البناء محكما اى صار وبمعنى كان وقوله تعالى (ولا يفلح الساحر حيث اتى) اى كان والمراد ههنا اما معنى حضر او معنى جاء و(الرسل) بسكون السين لضرورة الوزن جمع رسول * لا يقال المناسب ان يقول كل النبى بها ليعم ويشمل * لانا نقول نبى الناظم هذا القول على ان النبى والرسول مترادفان اوالنبى يفهم بطريق الدلالة مع انه فى الرسل دخل رسل الملائكة كجبريل وعزرائيل وميكائيل واسرافيل فظهر افضليته عليه السلام عليهم جميعا كيف وقد قال جمهور اهل السنة والجماعة ان خواص بنى آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم الاربعة المذكورة وحملة العرش والمقربون والكروبيون والرحانيون وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم قال التفتازانى بالاجماع بل بالضرورة وعوام بنى آدم من المؤمنين افضل من عوام الملائكة فالمسجود له افضل من الساجد وفيه بحث مفصل فى كتب الكلام و(الكرام) جمع كريم وهو اما من الكرم لانهم منعمون على امتهم بالشرائع واراءة طريق الهداية والخلاص من الكفر والضلالة واما من الكرامة عند الله تعالى ولذا جعلهم رسلا وانبياء والباء فى (بها) للملابسة متعلق باتى والضمير راجع الى الآى و(من نوره) متعلق باتصلت وضمير نوره راجع الى محمد عليه الصلاة والسلام والنور هو الجوهر المضئ والنار كذلك غير ان ضوء النار مغمور بالدخان والنار الصرفة كالنفس فى اللطافة ولزوم الحركة لها الا ان كرة النار تتحرك على استدارتها بمتابعة الفلك والنفس تحرك دائما بحركات مختلفة ارادية كذا قالوا و(بهم) متعلق باتصلت ايضا والضمير للرسل * وحاصل معنى

بمده كل شئ وحين خلقه اقامه قدامه فى مقام القرب اثنى عشر الف سنة ثم خلقه اربعة اقسام فخلق العرش من قسم والكرسى من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسى من قسم واقام القسم الرابع فى مقام الحب اثنى عشر الف سنة ثم جعله اربعة اقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم واقام القسم الرابع فى مقام الخوف اثنى عشر الف سنة ثم جعله اربعة اجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكوكب من جزء واقام الجزء الرابع من مقام الرجاء اثنى عشر الف سنة ثم جعله اربعة اجزاء فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء واقام الجزء الرابع فى مقام الحياء اثنى عشر الف سنة ثم نظر الله تعالى اليه فترشح النور عرقا فقطرت منه مائة الف وعشرون الفا واربعة آلاف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبى اورسول ثم تنفست ارواح الانبياء فخلق الله تعالى من انفاسهم نور ارواح الاولياء والسعداء والشهداء والمطعين من المؤمنين الى يوم القيامة فالعرش والكرسى من نورى والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نورى وملائكة السماوات السبع من نورى والجنة ومافيها من النعيم من نورى والشمس والقمر والكواكب

والصالحون من شبابيح نوري ثم
خلق الله اثنى عشر حجابا فاقام النور
وهو الجزء الرابع في كل حجاب
الف سنة وهي مقامات العبودية
وهي حجاب الكرامة والسعادة
والهيبة والرحمة والرأفة والحلم والعلم
والوقار والسكينة والصبر والصدق
واليقين فعبد الله تعالى ذلك النور
في كل حجاب الف سنة فلما اخرج
النور من الحجب ركبه الله في الارض
فكان يضئ منه مابين المشرق والمغرب
كالسراج في الليل المظلم ثم خلق الله
آدم من الارض وركب فيه النور
في جبينه ثم انتقل منه الى شيث وكان
ينتقل من طاهر الى طيب ومن طيب
الى طاهر الى ان وصل الى صلب
عبدالله بن عبد المطلب ومنه الى رحم
امي اى امينة ثم اخرجني الى الدنيا فجعلني
سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة
للعالمين وقائد الغر المحجلين هكذا
كان بدأ خلق نبيك ياجابر فثبت ان
المكونات تكونت بافاضة فيض نور
النبي صلى الله عليه وسلم الذى
هو المستفيض من الفيض الاول
فوجود الانبياء عليهم السلام وكل آى
اتى بها الرسل الكرام انما هي من
نور النبي عليه صلوات الملك العلام

﴿ فانه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن انوارها للناس في الظلم ﴾

الفاء للعطف ومابعدها اما نتيجة
لما سبق او علة له واضافة الشمس الى

البيت ﴿ ان جميع ماأتى الرسل والانبياء من خوارق العادات فانما اتصلت
وحصلت تلك الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة من اثر نوره الاصلي فمعجزات
السابقين معجزة له كما ان كرامات اللاحقين كرامة له فالسابقون واللاحقون
امامهم في الحقيقة له نائبون كالمقدمة والساقة للامير ومعنى البيت لايظهر الا بنقل
ماروى عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله الانصارى وهو انه قال قلت
يارسول الله بابى انت وامى اخبرنى عن اول شئ خلق الله تعالى قبل الاشياء
قال (ياجابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور
يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم
ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا انس
فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق
من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء
الرابع اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي
ومن الثالث باقى الملائكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول
السماوات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة
اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي
المعرفة بالله ومن الثالث نور انفسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله
فالعرش والكرسي من نوري والكروبيون والروحانيون من الملائكة
من نوري وملائكة السماوات السبع من نوري والجنة ومافيها من النعم
من نوري والشمس والقمر والكواكب من نوري والعقل والقلم والتوحيد
من نوري وارواح الانبياء والرسل من نوري والشهداء والسعداء من نوري
فاقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب الف سنة وهو مقام العبودية
وهو حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار
والسكينة والصبر والصدق واليقين فلما اخرج النور من الحجب ركبه في الارض
فكان يضئ منه مابين المشرق والمغرب كالسراج في الليل ثم لما خلق الله
تعالى آدم من الارض ركب فيه النور فوق جبينه ثم انتقل الى شيث) الحديث
فمن هذا الحديث علم ان كل آى وصل الى سائر الانبياء فهو من نوره عليه
الصلاة والسلام لان كل مافي الكونين من نوره

﴿ فَاِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا * يُظْهِرْنَ اَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ ﴾

لما كانت صغرى القياس التي هي البيت الاول غير مبينة اراد ان يبينها
ويثبتها فقال (فانه شمس فضل) الخ فترتيب قياسه هكذا نبينا اتصلت من
نوره الآيات التي اتى الرسل الكرام بها اليهم لان نبينا شمس فضل هم كواكبها

وكل من شانه كذا فانما اتصلت من نوره الآيات التى اتى الرسل الكرام بها اليهم فينتج المطلوب وقوله (يظهرن) علة لصغرى هذا القياس فترتيب قياسه هكذا نبينا عليه السلام شمس فضل هم كواكبها لان نبينا عليه السلام تظهر سائر الانبياء انواره للناس فى وقت عدم وجوده دون حين وجوده عليه الصلاة والسلام وكل من شانه كذلك فهو شمس فضل فينتج المطلوب فالفاء فى (فانه) للتعليل والضمير راجع اليه عليه السلام و(شمس فضل) اى كشمس فضل اذ هو من التشبيه البليغ لان طرفيه مذكوران وبعضهم جعله استعارة مصرحة بان يقال شبه النبى عليه السلام بالشمس فى الظاهرية وازالة الظلمة فاستعير الشمس له عليه السلام فذكر الشمس واريد النبى عليه السلام ولا يضر هذه الاستعارة ذكر الطرفين لانه انما يضر اذا كان على وجه ينبئ عن التشبيه وههنا ليس كذلك واضافة الشمس الى الفضل بمعنى من أى شمس من فضل الله * ثم اعلم ان القسطلانى عد الشمس فى المواهب اللدنية من اسمائه عليه الصلاة والسلام حيث قال واما الشمس فسمى بها صلى الله تعالى عليه وسلم لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته وجلالة قدره وعظم منزلته لانه لا يحاط بكماله حتى لا يسع الرائى ان ينظر اليه ملئ عينه اجلالا له كما ان الشمس فى الرتبة ارفع من انواع الكواكب لانها فى السماء الرابعة والانتفاع بها اكثر من غيرها كما لا يخفى وايضا لما كان سائر الكواكب يستمد من نورها ناسب تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بها لان نور الانبياء استمد من نوره عليه السلام انتهى و(هم) راجع الى الانبياء وجعله راجعا الى اصحاب النبى عليه السلام غير ظاهر والكواكب جمع كوكب والمراد بها اما الاقمار او النجوم والضمير راجع الى الشمس فالاضافة لادنى ملابسة لان الشمس سبب لكونها نجوما ذوات نور وحمل الكواكب على الانبياء اما بطريق التشبيه البليغ او الاستعارة كما سبق فتذكر فلما كان وجه الشبه فى تينك الاستعارتين خفيا اظهر بيظهرن اى تلك الكواكب انوارها اى انوار تلك الشمس للناس اى لجميع العباد (فى الظلم) جمع ظلمة اى فى غيبوبة تلك الشمس فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هى مستمدة من الشمس على قول فهى عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فيها فكذلك الانبياء قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله لجميع ماظهر على ايدى الرسل عليهم الصلاة والسلام من الانوار فانما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من غير ان ينقص منه شئ واول ماظهر ذلك فى آدم عليه الصلاة والسلام حيث جعله الله تعالى خليفته وامده بالاسماء كلها من مقام جوامع الكلم لمحمد عليه الصلاة والسلام فظهر بعلم الاسماء كلها

الفضل بمعنى من أى شئ من افضال الله تعالى او من كمال اى كمال بشهادة التنوين وهم كواكبها اما صفة للشمس او استيناف والكواكب اما على حقيقتها والاضافة الى الشمس باعتبار انها سلطان الكواكب فوجه الشبه كتمانها عند ظهورها او على معناها المجازى وهو الاقمار والبدور والاهلة فيكون من قبيل ذكر العام وارادة الخاص واضافتها باعتبار انها تستفيد الانوار منها ويؤيد ذلك قوله فانما اتصلت من نوره بهم فعلى الوجه الاول ضمير انوارها للكواكب وعلى الثانى للشمس ويظهرن اما حال او استيناف او صفة شمس او حال مؤكدة من مضمون هم كواكبها والاسناد مجازى اى يظهر الله انوارها

على الملائكة القائلين ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ الآية ثم توالت الخلائق فى الارض الى ان وصل الى زمان وجود جسم نبينا عليه الصلاة والسلام لاظهار حكم منزلته فلما برز كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها فى صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط احد منهم كرامة اوفضيلة الا وقد اعطى صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها فآدم عليه الصلاة والسلام اعطى ان الله تعالى خلقه بيد قدرته فاعطى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام شرح صدره تولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوى مع ان المقصود كما مر بخلق آدم خلق نبينا عليه الصلاة والسلام واما سجود الملائكة لآدم فلاجل ان نور نبينا عليه الصلاة السلام كان فى جبهته واما تعليم آدم عليه السلام اسماء كل شئ فكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام علم اسماء العلوم وذواتها ولاريب ان المسميات اعلى رتبة من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهى المقصودة بالذات واما ادريس عليه السلام فرفعه الله تعالى مكانا عليا واعطى سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام المعراج والرفع الى مكان لم يرفع اليه غيره واما نوح عليه السلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق والخسف واعطى سيدنا محمدا عليه السلام انه لم تهلك امته بعذاب من السماء قال الله تعالى ﴿ وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ﴾ واما ابراهيم عليه السلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما واعطى سيدنا محمدا عليه السلام نظير ذلك اطفاء نار الحرب عنه عليه السلام قال تعالى ﴿كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله﴾ وكذلك انه عليه السلام مر ليلة المعراج على بحر النار مع سلامته منه واما اعطى ابراهيم عليه الصلاة والسلام من مقام الخلة فاعطى عليه السلام اياه وزاد بمقام المحبة واما ما اعطى ابراهيم من كسر الاصنام والازلام فاعطى سيدنا محمدا عليه السلام كسرها باسرها فى مكة بمحضر من اولى نصرها من غير تعريض فى القول ولا تمريض فى الصول بل قال جهرا ﴿قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا﴾ واما ما اعطى موسى عليه السلام من قلب العصا حية فاعطى عليه السلام انه لما اراد ابو جهل ان يرميه عليه السلام بحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واما ما اعطى موسى عليه السلام من اليد البيضا فاعطى سيدنا محمد عليه السلام انه لم يزل نورا فى اصلاب وبطون وكان يرى من نوره فى الليلة المظلمة ماسقط على الارض من الخياط واما ما اعطى موسى ايضا من انفلاق البحر فاعطى سيدنا محمد انشقاق القمر كما سيجئ

والمراد من الانوار العلوم والحكم والفوائد الدينية ومن الظلم الجهالات والضلالة ولما كان الجهل يجعل صاحبه كمن يمشى فى الظلمة فلا يهتدى للطريق ولا يأمن ان يلحقه مكروه شبهه بها فلزم بطريق العكس ان يشبه العلم بالنور والمشبه والمشبه به يشتركان فى وجه الشبه التخيلى كما فى قوله « وكان النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع » مع ان الطرفين خيالى ملحق بالحسى كما فى قوله « كأن محمر الشقيق اذا تصوب اوتصعد * اعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد » فالمعنى ان سيدنا صلى الله عليه وسلم

ان شاء الله تعالى فموسى تصرف فى عالم الارض وسيدنا محمد فى عالم السماء والفرق واضح وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف يكفون بحر الارض بالنسبة اليه كالقطرة فى البحر المحيط قال فعلى هذا كان ذلك البحر منفلقا لنبينا عليه السلام فى ليلة المعراج واما ما اعطى موسى من اجابة الدعاء فقد اعطى سيدنا محمد مالا يحصى وسيجئ بيان بعضه واما ما اعطى موسى عليه السلام من تفجر الماء له من الحجارة فاعطى سيدنا محمد ان الماء تفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ واما ما اعطى موسى عليه السلام من الكلام فى الطور فاعطى سيدنا محمد مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو ومقامه عليه السلام كان فوق السماوات العلى وسدرة المنتهى ومقام موسى كان طور سينا واما ما اعطى هارون عليه السلام من الفصاحة فكان نبينا عليه السلام افصح جميع بنى آدم واما ما اعطى يوسف عليه السلام من شطر الحسن فاعطى سيدنا محمد عليه السلام كله وقد سبق وسيأتى بعضه واما ما اعطى يوسف عليه السلام من تعبير الرؤيا فقد اعطى محمد عليه السلام مالا يعده عاد واما ما اعطى داود عليه السلام من تليين الحديد فاعطى نبينا عليه السلام مثل ذلك وزاد عليه ما اعطى من الخشب لبعض الاصحاب حيث كان سيفا قويا واما عد الجن من جنود سليمان عليه السلام فخير منه عد الملائكة مع جبريل من جملة اجناده عليه الصلاة والسلام واما ما اعطيه من الملك فنبينا عليه الصلاة والسلام خير بين ان يكون نبيا ملكا وبين ان يكون نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا واما ما اعطى عيسى عليه الصلاة والسلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى فاعطى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جميع ذلك لانه رد العين الى مكانها بعد ما سقطت فعادت احسن ما كانت وكذا ما روى ان امرأة معاذ بن عفراء كانت برصاء فشكت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح عليها بعصا فذهب البرص منها ذكره الرازى واما احياؤه عليه الصلاة والسلام الموتى فقد سبق فتذكره وما ذكرنا كواحد من العشر بالنسبة الى ما جاء فى هذا البحث من الخبر

﴿ أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ * بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ ﴾

لما بين اجمالا حسن خلقه وصورته عليه الصلاة والسلام بتشبيهه بالشمس اراد ان يذكر بعضا من تفصيله مع جعل بيان بعض خلقه وسيرته تابعا له فقال (اكرم بخلق نبى زانه خلق) الخ اكرم فعل تعجب على صيغة امر الحاضر والفاعل مستتر راجع الى الله اى ما اكرم الله بخلق نبى اى تعجب من اكرام الله بخلق نبى والباء فيه زائدة على ما ذهب اليه الاخفش متعلق باكرم والخلق

شمس من فضل الله تعالى طلعت على العالمين والانبياء اقمارها يظهرن الاقمار الانوار المستفادة منها فى عالم الشهادة عند غيبتها عنها ويخفين عند ظهور سلطان الشمس فينسخ دينه جميع اديانها صلى الله على صاحب الملة ومشيد اركانها وممهد قواعد الشرع وبنيانها

﴿ اكرم بخلق نبى زانه خلق
بالحسن مشتمل بالبشر متسم ﴾

اكرم به صفة تعجب والكرم عبارة عن ايثار الصفح عن الجانى بالاحسان الى المسئ واسبق بالامعان والخلق بمعنى المخلوق والاضافة الى الموصوف والخلقة والبنية وهى شخصه والمراد من الخلق الاوصاف الروحانية والاعراض النفسانية بذكر الفرد وارادة الجمع كما فى قوله تعالى ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ او ارادة الجنس كما فى قوله تعالى ﴿ وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾

بمعنى الذات والصورة والتنوين فى نبى للتعظيم اى نبى فخيم والمراد محمد عليه الصلاة والسلام بقرينة المقام وجملة زانه صفة لنبى وهو من الزينة وزان يتعدى بنفسه كقول امرئ القيس فى قصيدته المعلقة

وفرع يزين المتن اسود فاحم * اثيث كقنو النخلة المتعثكل

والخلق بالرفع فاعل زان وهو بضمتين جمع خلق بمعنى الصفة والسيرة والمراد شمائله عليه السلام وقد اشار فى هذا المصراع الى ان حسن الصورة انما هو حسن ان كانت الاخلاق حسنة و(بالحسن) متعلق بالمشتمل المؤخر وانما قدم ليفيد الحصر والالف واللام للاستغراق يعنى اشتمال جميع انواع الحسن مقصور على نبينا عليه السلام دون غيره و(مشتمل) بالجر صفة بعد صفة لنبى وهو على صيغة اسم الفاعل من الاشتمال بمعنى الاحاطة والاجتماع لانه من شمل بمعنى جمع واحاط لا من شمل بمعنى تفرق والفرق بين الاشتمال والشمول ان الاشتمال يستعمل فى تناول الكل لاجزائه والشمول فى تناول الكلى لجزئياته و(بالبشر) متعلق بالمتسم المؤخر والبشر بكسر الباء تحرك بشرة الوجه عند السرور والبشاشة يقال لقينى فاظهر البشر اى الطلاقة والبشاشة وفى بعض النسخ وقع بدل البشر البر بمعنى الصدق لكن الاول اولى لكون الثانى مستلزما للتكرار حيث سبق بيان ابريته عليه الصلاة والسلام فى قوله (نبينا الآمر الناهى) الخ و(متسم) بالجر صفة بعد صفة لنبى وهو اسم فاعل من الاتسام بمعنى الاتصاف من الوسم بمعنى العلامة ومنه ما فى قول الشاعر

او كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم

﴿وحاصل المعنى﴾ ما اكرم خلق محمد وصورته الظاهرة الذى زينه وحسنه خلقه وسيرته الباطنة فهو كما قال الله تعالى (نور على نور) وقال (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الموصوف باشتمال الحسن واحاطته جميع حالاته ومقالاته وسكناته وقد وردت فى بسط حسن صفاته احاديث مشهورة كثيرة كقول ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مارأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك يتلألأ فى الجدر وقول ام معبد فى بعض ماوصفته به كان عليه السلام اجمل الناس من بعيد واحلاهم واحسنهم من قريب وقول على رضى الله عنه فى آخر وصفه من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ارقبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك مما يطول سرده فى هذا المختصر وكذلك كان عليه الصلاة والسلام هو الموصوف بالاتسام بالبشر التام والبشاشة على طريق الدوام وفيه احاديث

وحسن الصورة عبارة عن تناسب الاعضاء والاجزاء على ماينبغى وحسن الخلق عبارة عن كونه على حد الوسط بغير افراط وتفريط فان كلا الطرفين مذموم وخير الامور اوسطها الاشتمال التلبس مع الاحاطة والبر سعة الخير والبشر تغير البشرة من السرور والبشاشة الاتسام بالشئ الاتصاف به مع الاشتهار وظهور اثره عليه وتنوين نبى للتعظيم وزانه خلق اما صفة نبى او صفة خلق ومشتمل صفة نبى وبالحسن متعلق به ومتسم صفة اخرى له وبالبشر اوبالبر على اختلاف الروايتين متعلق به وتقديم الظرفين للاختصاص يعنى فيا عجبا من نبى جميل الخلق موسم بالبشر والاعطاف موصوف بالجمال والالطاف رؤف عطوف اجمل الخلق واعظمهم خلقا ومنشرح الصدر رحيم حليم طيب القول واللقا فاول مايلقاك يلقاك بالبشر رأت وجهه الانصار لما اتاهم فقالوا تجل البدر من ساكنى البدر عليه من الصلوات اجملها ومن التحيات اكملها

معروفة يطول ذكرها منها قول عبدالله بن الحارث مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله عليه السلام وقول ابى هريرة اذاضحك رسول الله يتلألأ فى الجدر * فان قلت المستفاد من هذا الحديث ثبوت ضحكه عليه السلام مع انه ينفيه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى حيث قالت مارأيت رسول الله عليه السلام مستجمعا قط ضاحكا * قلت ان عائشة انما نفت رؤيتها وابو هريرة اخبر بما شاهده والمثبت مقدم على النافى * وقال ابن حجر والذى يظهر من مجموع الاحاديث انه عليه السلام كان فى اكثر احواله لايزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك فان لم يكن ماذكرته لك كافيا بالوفاء فعليك بما فى المواهب والشفاء فلعله يكون لك به اكتفاء * ثم اعلم ان هذا البيت رابع الابيات الستة التى تمايل فيها النبى عليه الصلاة والسلام ويلزم لقارئه ان يكرره وترا

﴿ كَالزَّهْرِ فِى تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِى شَرَفٍ * وَالْبَحْرِ فِى كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِى هِمَمِ ﴾

ثم ترقى تفصيل اوصافه من خلقه وخلقه فقال (كالزهر فى ترف) الخ فالمصراع الاول لبيان حسن خلقه وصورته والثانى لبيان حسن خلقه وسيرته فقوله (كالزهر) ظرف مستقر مجرور على انه صفة بعد صفة لنبى اومرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو كالزهر والكاف للتشبيه والزهر بفتح الزاى المعجمة نور النبات قيل هو مختص باصفره لكن الاصح انه اعم وجمعه ازهار وازاهر والزهر ايضا يقال لشئ نورانى فى غاية الضياء الذى وجهه يلمع كالسراج الوهاج والمراد ههنا المعنى الاول بقرينة سياقه و(فى ترف) متعلق بالتشبيه المستفاد من الكاف فهو بيان لوجه الشبه والترف بفتحتين النعومة فى الجلد والاولى ان يكون المراد من الزهر الورد لانه سلطان الازهار مع طيب رائحته ولطافة نعومته على سبيل المجاز بذكر العام وارادة الخاص وعلى التقديرين يكون التشبيه مقلوبا والا فلم يكن بشئ انعم واترف واطيب والطف من رسول الله عليه الصلاة والسلام ولو كان التشبيه على حقيقته لزم ان تكون نعومته عليه السلام انقص من الزهر اذ قاعدة التشبيه نقصان مايشبه وهو غير صحيح كيف وقد قال فى المواهب اللدنية وقد جاء فى رواية ابن عساكر انه عليه السلام قال (الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبرائيل والورد الاصفر خلق من عرق البراق) وقوله (والبدر) بالجر معطوف على مدخول الكاف والبدر هو القمر فى ليلة اربعة عشر و(فى شرف) عطف على فى ترف * لايقال فحينئذ يكون من قبيل عطف شيئين بحرف واحد على معمولى عاملين مختلفين وهو فاسد * لانا نقول لانسلم اختلاف العامل على ان المجرور مقدم كما لايخفى والشرف

﴿ كالزهر فى ترف والبدر فى شرف
والبحر فى كرم والدهر فى همم ﴾

اماصفة لنبى فيكون مجرورا محلا او خبرا لمبتدأ محذوف وزهرة النبت نوره والترف النعومة والشرف العلو قوله فى شرف اما وجه الشبه كباقى الظروف فيكون صفة الكاف لما فيها من رائحة الفعل اويكون صفة اوحالا اى فى وقت شرفه بتقدير الكائن اوكائنا فيكون وجه الشبه محذوفا وعلى السامع استخراجها وهذا ابلغ وبعض البروج للبدر بيت الشرف كالسنبلة مثلا فان كمال حسن حاله يكون فيه اكثر والكرم نقيض اللوم وكرم البحر عموم الانتفاع به والدهر الزمان والهمم جمع همة وهمة الدهر توجهه وقصده الى الكمـال باخراج مافى الامكان الى الفعل وهذه التشبيهات كلها من قبيل مافيه المشبه اتم من المشبه به كمافى وبدا الصباح البيت كما روى فى حسن خلقته ولطف سيرته عن انس رضى الله عنه انه قال والله مامسست خزا ولا ديباجا ولا حريرا الين من كف رسول الله ولا شممت مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رأيت احسن خلقا منه خدمته تسع سنين فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم افعله هلا فعلته ومن كمال كرمه انه لما كسر سنه كان يقول (اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون) وعلى علو همته وكون التشبيه فى امثال هذا البيت مقلوبا اشار حسان بن ثابت حيث قال

بمعنى العلو لكن المراد العلو القدرى لا العلو المكانى فتأمل * ثم اعلم ان البدر من اسمائه عليه السلام وقد صادف تشبيهه عليه السلام بالبدر لان التشبيه بالبدر ابلغ عند العرب من التشبيه بالقمر والشمس اما الاول فلان البدر وقت كماله دون القمر واما الثانى فلما سبق ان البدر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من شاهده ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس التى تغشى البصر فتمنع من تمكن الرؤية ولقد احسن من قال

كالبدر والكاف ان انصفت زائدة * فلا تظنن فيه الكاف للشبه

وبالجملة انهم قالوا ان التشبيهات الواردة فى صفاته عليه السلام انما هى على عادة شعراء العرب والافلاشئ من هذه المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية وقوله (والبحر) بالجر عطف على قريبه او بعيده يعنى ان رسول الله كالبحر فى اعطاء ما ينفع لانه كما ان البحر المالح يعطى الانسان لؤلؤا ومرجانا وجواهر كثيرة فكذلك رسول الله عليه السلام ولذا قال فى وجه الشبه فى كرم والفرق بين الكرم والجود والسخاء ان من اعطى البعض فهو سخى ومن بذل الاكثر فهو جواد ومن اعطى الكل فهو كريم وقد ثبت كرمه عليه السلام باخبار كثيرة وآثار وفيرة منها حديث انس مرفوعا (انا اجود بنى آدم) وفى رواية لمسلم ما سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا الا اعطاه فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر وفى رواية اعطى صفوان يوم حنين واديا مملوا ابلا ونعما ولله در ابن جابر حيث قال

هذا الذى لا يتقى فقرا اذا * يعطى ولو كفر الانام وداموا

واد من الانعام اعطى آملا * فتحيرت لعطائه الاوهام

وفى رواية البخارى عن انس انه عليه الصلاة والسلام اعطى العباس من الذهب والفضة مالم يطق حمله والتفصيل فى المطولات وقوله (والدهر) بالجر عطف على القريب او البعيد والدهر بفتح الدال بمعنى الزمان وعلى قول بمعنى الابد وقيل هو مدة الدنيا وقيل زمان طويل وقيل هو الف سنة وسيجئ ما يتعلق بالدهر فتبصر والهمم جمع همة وهى قصد اكمال التوجه يعنى كما ان الدهر الطويل والزمان المديد يقبل الرجل ويعطيه مارغبه ويكمله كذلك النبى عليه السلام وفى البيت تضمين من قول حسان فى وصفه عليه السلام

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر

﴿كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ فِي جَلَالَتِهِ * فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ﴾

لما بين وصفه عليه السلام من بشاشته وزيادة كرمه وتوهم القاصرون انه من خوفه

«له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر»

﴿كأنه وهو فرد فى جلالته
فى عسكر حين تلقاه وفى بهم﴾

الفرد الوتر والمراد هنا المتفرد والكبير يرجع الى الذات والجليل الى الصفات والعظيم يشملهما واراد بجلالته الكمالات الصفاتية وقوله وهو فرد حال وفى جلالته بمعنى مع وخبر بعد خبر ولا يجوز ان يتعلق بفرد وفى عسكر خبر كأن ومتعلق بمحذوف اى كأنه كائن فى عسكر وهو العامل فى حين ولا يجوز ان يتعلق بفرد بشهادة الذوق الصحيح واستلزامه بعض التعقيد اللفظى والخطاب فى تلقاه لغير معين والبهم جمع بهمة وهو الغار الشديد البأس ويقال للجيش ايضا ويروى فى حشم ايضا وهو السماع والمقصود من البيت بيان كمال شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى انه فى ثبات القدم وقوة الجاش فى حال تفرده وتوحده كمن يكون فى قلب الجيوش والشجعان ويجوز ان يراد ان هيبة رؤائه وابهة لقائه يعمل عمل الجيوش والعساكر ويفعل فعل الشجعان والهزابر فصار هذا مظنة ان يتوهم متوهم انه غليظ القلب حاشاه اوقليل البشر فدفعه بقوله

من قومه دفع ذلك فقال (كأنه وهو فرد) الخ كأن للتشبيه لا للظن والضمير ان رجعان اليه عليه الصلاة والسلام والواو فى (وهو) للحال والفرد بمعنى المنفرد اى حال كونه منفردا غير مقارن لاحد و (فى جلالته) متعلق بالتشبيه المستفاد من كأن وهو بيان وجه الشبه والجلالة المهابة والعظمة قيل الكبير يستعمل فى الذات والجليل فى الصفات والعظيم فيهما و (فى عسكر) ظرف مستقر خبر كأن يعنى ان النبى عليه الصلاة والسلام فى كمال متانته وتمام شجاعته كمن كان فى عسكر منفردا لان من كان له عسكر وكان هو واقفا فى وسطهم يلزم له شجاعة البتة والمتانة عادة وقوله (حين تلقاه) ظرف التشبيه وتلقاه من الملاقاة بمعنى الوصول وهو خطاب لكل احد من شانه ان يخاطب * لا يقال انه ركيك لانه يلزم ان يكون شجيعا ومهيبا على المؤمنين مع انه رحيم بهم * لانا نقول التشبيه مقيد بكونه فى عسكر وهو يدل على انه عليه السلام كان شجيعا على عسكر غيره على انه لا يلزم من كونه عليه الصلاة والسلام وقت الملاقات شجيعا الشجاعة على المؤمنين وجعل تلقاه على صيغة التأنيث وارجاع ضميره الى جماعة الاعداء ركيك كما لا يخفى (وفى حشم) عطف تفسير وبيان وتأكيد للعسكر وفى بعض النسخ وفى بهم بضم الباء جمع بهمة وهو الفارس الذى لا يعلم من اين يجئ وبالمقابلة الى العسكر يراد من العسكر الجيش المشاة وهذه النسخة اولى من النسخة الاولى لان التأسيس خير من التأكيد ﴿وحاصل معنى البيت﴾ كأنه عليه السلام والحال انه منفرد بذاته وثابت فى عظمة صفاته وكأنه فى كمال هيبته وجمال ابهته قائم فى قلب عسكر كبير وفى وسط جيش كثير تلقاه ايها المخاطب وتراه فى ذلك الموكب ومن كمال شجاعته ماروى ان ابا جهل كان وصيا ليتيم فجاء اليتيم اليه عريانا يسأله من مال نفسه فطرده ولم يعطه ماله فأيس الصبى فقال اكابر قريش قل لمحمد لك يشفع وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبى عليه السلام والتمس منه ذلك وهو عليه السلام كان لا يرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا أصبوت فقال لا والله ماصبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة فخفت ان لم اجبه يطعنها فى ذكره شيخ زاده فى سورة الماعون وكذا ماذكر فى كتب الاحاديث انه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع يقال له ركانة وكان الناس يأتون اليه من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم فى شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله عليه السلام فقال ياركانة ألا تتقى الله وتقبل ماادعوك اليه فقال له ركانة يامحمد هل من

شاهد على صدقك قال أرأيت ان صرعتك أتؤمن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيأ للمصارعة قال تهيأت فدنا منه رسول الله عليه السلام فاخذه ثم صرعه فتعجب ركانة من ذلك ثم سأله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا ووقف ركانة متعجبا وقال ان شأنك عجب رواه الحاكم فى مستدركه

﴿ كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِى صَدَفٍ * مِنْ مَعْدِنَىْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ ﴾

لما توهم القاصرون والجاهلون العاجرون من البيت السابق انه عليه الصلاة والسلام كان غليظ القلب عبوس الوجه شديد الكلام دفعه فقال (كأنما اللؤلؤ المكنون) الخ كأن للتشبيه وما كافة عن العمل واللؤلؤ الدر البيض وانما اطلق عليه الجوهر الابيض لتلأ لؤه وهو مبتدأ خبره قوله الآتى (من معدنى منطق) اى مستخرج وحاصل من معدنى منطق والمكنون بالرفع صفة اللؤلؤ بمعنى المستور والمصون المحفوظ و(فى صدف) متعلق بمكنون وجعله خبر المبتدأ بعيد كل البعد كما لا يخفى واما جعل اللؤلؤ خبر مبتدأ محذوف وجعل من معدنى صفة صدف بان يقال كأن كلامه عليه السلام اللؤلؤ المكنون فى صدف مستخرج من معدنى الخ فقريب وظاهر فتأمل والصدف ظرف اللؤلؤ * قال الحياتى فى شرح التحفة الصدف حيوان من حيوانات البحر يكون اكثريا فى بحر بلاد الهند والصين فاذا جاء شهر نيسان يخرج على وجه البحر ويكشف فمه الى جانب السماء فاذا سقط فى فمه قطرة واحدة من المطر فى ذلك الوقت تكون تلك القطرة فى بطنه درة ذات قيمة كثيرة يقال لها الدرة اليتيمة والفريدة واذا سقط فى فيه منه قطرتان تكون تانك القطرتان فى بطنه درتين يقال لهما اخوان لكن تكون قيمتهما انقص واقل من الاول واذا سقط فى فيه منه قطرات ثلاث تكون دررا ثلاثا وان اربعا فاربع وقس على هذا لكن كلما زادت القطرات كانت قيمة درها انقص ثم ان الصدف حيوان اولا واذا سقط الدر فى فمه ينزل الى قعر البحر ويتأصل فيه كتأصل الشجر ولا تحرك الى طرف اصلا كالحجر انتهى وفى هذا المصراع استعارة حيث شبه جوامع كلمه ومنظوم اسنانه عليه الصلاة والسلام باللؤلؤ المكنون فى صدف فى كونه بريئا من الفساد ومورثا للسرور والنشاط ثم استعير اللؤلؤ لكلامه ومنظوم اسنانه فذكر اللؤلؤ واريد كلامه وثغره عليه السلام والمعدن بكسر الدال وهو فصيح محل العدن بمعنى الاقامة وهو على صيغة التثنية حذف نونه بالاضافة والمنطق والمبتسم اما مصدران فالاضافة بمعنى اللام والمعدن للمنطق هو القلب لانه يظهر منه الكلام الدال على المرام * لا يقال الكلام فى اللسان لا فى القلب * لانا نقول حقيقة الكلام فى القلب دون اللسان بل هو دليل عليه وترجمان له كما افاده قول الاخطل

ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

﴿ كأنما اللؤلؤ المكنون فى صدف
من معدنى منطق منه ومبتسم ﴾

ما كافة اللؤلؤ المبتدأ المكنون اى المستور صفته وفى صدف متعلق به ومن معدنى خبر اللؤلؤ اى كائن او صادر منهما والمنطق والمبتسم مصدران واراد بالمنطق ما يجرى على اللسان ومعدن الابتسام هو الفم والبادى منه الثغر ومعدن النطق القلب والبادى منه الكلام الدال عليه فان اللسان ترجمان القلب ومنه صفة منطق والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون المنطق والمبتسم اسمى مكان ولما كان الفم يبدو منه شيآن صار كأنه معدنان ويجوز ان يكون فى صدف خبر المبتدأ ومن معدنى بيانه فيكون استعارة كما فى رأيت اسدا يرمى او محذوف والمشبه اى كان ثغره وكلامه ويجوز ان يكون المشبه محذوفا ويكون هو المبتدأ اى كأن البادى منهما اللؤلؤ المكنون او هو الخبر ويكون التشبيه مقلوبا

ومعدن الابتسام هو الفم لانه يظهر منه الاسنان والثغر واما اسم مكان فعلى هذا تكون الاضافة بيانية كما لا يخفى ﴿وحاصل المعنى﴾ انه عليه السلام كان فى غاية البشاشة ونهاية اللطافة ولم يكن غليظ القلب كما يشهد عليه شاهد صدق وكان كلامه وثغره المصون كالدر المكنون وكان فمه عليه السلام فى حفظ الكلام كالصدف المقبول بين الانام * قال صاحب الزبدة فيها قال المحلى حكى ان بعضهم رأى فى المنام ان الصديق يرثى النبى بهذا البيت والبيت الذى قبله

﴿لاطيب يعدل تربا ضم اعظمه * طوبى لمنتشق منه وملتثم﴾

لما اشار الى بعض كمالاته الصورية والمعنوية فى خلقه وخلقه وافضلية قدره فى حال الحياة اراد ان يشير ايضا الى افضليته على جميع المخلوقات فى حال الممات فقال (لاطيب يعدل تربا ضم اعظمه) الخ لا لنفى الحكم عن الجنس والطيب اسم لما يتطيب به ويعدل اى يساوى يقال فلان عديل فلان اى مساويه وجملة يعدل خبر لا واسمها الطيب والمعنى لا شئ طيبا يساوى (تربا) بضم التاء وسكون الراء لغة فى تراب او بمعنى التربة و(ضم) بمعنى لصق ومس والجملة صفة تربا والاعظم جمع عظام والمراد جميع اعضائه عليه الصلاة والسلام وانما خصها بالذكر لكون قيام الاعضاء عليها والضمير فيها راجع اليه عليه السلام ومراد الناظم الفاهم اثبات الطيبة لبدنه عليه السلام بطريق الكناية اذ هو ابلغ من الحقيقة فوصف تراب روضته عليه السلام بانه شريف طيب لا طيب مثله وصف ذاته عليه السلام بطريق الكناية فالتراب انما اخذ الطيب من مقارنته له عليه السلام اذ كان عليه السلام متصفا برائحة الطيب كما روى عن انس انه قال ماشممت مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله عليه السلام وطوبى بمعنى الطيب والحسنى والخير قاله فى القاموس وقال غيره هى فرح وقرة عين وقال الضحاك عطية وقال عكرمة نعمة وشجرة فى الجنة اسمها طوبى وقد يكنى بها عن الجنة وفى الحديث (طوبى للشام فان الملائكة باسطة اجنحتها عليها) وطوبى ههنا اما صفة لتربا اى تربا مقولا فى حقه طوبى او مبتدأ خبره لمنتشق فليتأمل و(منتشق) اسم فاعل من الانتشاق وهو الاشمام يعنى طوبى لمن شم ذلك التراب و(منه) متعلق بمنتشق و(ملتثم) عطف على منتشق هو من الالتثام بمعنى التلثيم والبيت مقتبس من مرثية فاطمة الزهراء رضى الله عنها حيث قالت

صبت على مصائب لو انها * صبت على الايام صرن لياليا
ماذا على من شم تربة احمد * ان لايشم مدى الزمان غواليا

﴿لاطيب يعدل تربا ضم اعظمه
طوبى لمنتشق منه وملتثم﴾

لا لنفى الجنس والطيب اسم لما يتطيب به يعدل ان يساوى خبر لا والتراب والترب والتوراب بمعنى والتنوين فيه للتعظيم وضم اعظمه صفة ترابا والعظم يجمع على عظام واعظم واراد بها جميع بدنه صلى الله عليه وسلم مجازا من قبيل ذكر الجزء وارادة الكل وطوبى فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا وهو فى معنى التعجب والتمنى وقع صفة لتربا اى مقولا فى حقه طوبى واللام فى لمنتشق متعلق به وقد يقال طوبى شجرة فى الجنة وهى مبتدأ والظرف الذى بعدها خبرها ومتعلق بمحذوف اى حاصل لمنتشق والجملة انشائية معنى لانها للدعاء بدخول الجنة ولهذا قطعت عن الجملة الاولى وهذا من قبيل ذكر لازم الشئ وارادة ملزومه والانتشاق الاشتمام ومنه متعلق به والالتثام التقبيل ولا يبعد ان يكون المراد من المنتشق الغابر ومن الملتثم المقيم المجاور فالحاصل ان عند المحب تراب ارض الحبيب انفع من كل كحل واطيب من كل طيب او المعنى ان طوبى الجنة ونعيمها لمن يزور روضة النبى ويشم نسيمها ولعمرى حقيق بان يكون التراب الذى ضم جسمه المطهر اطيب من الكافور والعنبر فان ضم الجنس الى الجنس من سنن الله تعالى ولن تجد لسنة الله تحويلا

﴿ ابان مولده عن طيب عنصره * ياطيب مبتدأ منه ومختتم ﴾ ابانه ﴿١١٠﴾ وابان عنه اظهره وكشف عنه والمولد اسم الزمان والمكان واسناد ابان اليه مجاز العنصر الاصل والمراد من طيب العنصر طهارته وخلوصه عما لاينبغي وجوده والمقصود بالنداء في ياطيب محذوف اي ياايها العقلاء انظروا الى طيب وقت ابتدائه وطيب وقت انتهائه اي الى طيبه فيهما وقد يذكر طرفا الشيء ويراد مجموعه كما في قوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا اي دائما والمراد من هذا النداء التعجب او التعجيب من الطيب المستمر وفي نداء الطيب اشعار بان طيبه شمل جميع العالم بحيث لايجد المنادي اثما توجه غيره فيقع خطابه عليه ويكون اشارته اليه ومنه صفة لمفتتح وضميره اما للنبي اوللعنصر او لطيب العنصر وقوله ومختتم اي منه لمكان العطف والمراد من طيبه المستمر خواصه ولوازمه المستمرة معه وغرائبه وعجائبه وفضائله التي انتشرت وعجائب مفتتحه ومختتمه ومايروى من طيبه الغالب على الكافور والعنبر كثيرة جدا ومذكورة في المطولات منها بعض مايروى عن كعب الاحبار وهو انه كان قريش في شدة من الزمان وقحط فسميت السنة التي حمل فيها رسول الله سنة الفتح والابتهاج وذلك انه اخضرت لهم الارض واتاهم الميسرة من كل مكان فاخصبوا ببركته وقبل ولادته واصبحت يومئذ اصنام الدنيا كلها منكوسة واصبح عرش ابليس عدو الله منكوسا والملك يغمسه في البحار اربعين يوما فافلت منه هاربا حتى اتى جبل ابي قبيس فصاح صيحة اجتمعت اليه جنوده فقال لهم ويلكم هلكتم هذه المرة هلاكا لم تهلكوا مثله قد قالوا وما القصة فقال هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب المبعوث بالسيف

ولله در الناظم الفاهم حيث اشار في هذا البيت الى النوعين المستعملين في الطيب لانه اما ان يستعمل بالشم واشار اليه بقوله لمنتشق واما بالتضمخ واليه اشار بملتثم وهذا مبني على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما لانه كذلك في نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المؤمن في ذلك فان المؤمن لايعدل بشم رائحة تربته عليه الصلاة والسلام شيئا من الطيب * فان قلت لو كان المراد الحقيقة الحسية لادرك ذلك كل احد * والجواب لايلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد بل حتى توجد الشرائط وتنتفي الموانع وعدم الادراك لايدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لايدرك رائحة المسك مع ان الرائحة قائمة بالمسك لم تنتف ولما كانت احوال القبر من الامور الاخروية لاجرم لايدركها من الاحياء الا من كشف له الغطاء من الاولياء المقربين لان متاع الآخرة باق ومتاع الدنيا فان والفاني لايتمتع بالباقي للتضاد ولاريب عند من له ادنى تصديق بشريعة الاسلام ان قبره روض من رياض الجنة وافضلها وانه لاطيب يعدل تراب قبره عليه السلام لتماس جسمه اللطيف الذي هو اطيب الطيب ولذا قال العلماء ان تربة قبره افضل من البيت والمسجد الاقصى والعرش والكرسي * ثم اعلم انهم اختلفوا في زيارة قبره عليه السلام هل هو واجب اوسنة فذهب بعض المالكية الى الاول واستدلوا عقلا ونقلا اما الاول فلان الزيارة تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب فزيارته واجبة واما الثاني فلقوله عليه السلام (من وجد سعة ولم يعد الي فقد جفاني) وفي حديث آخر (من حج ولم يزرني فقد جفاني) فانه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفاء اذى والاذى حرام بالاجماع فتجب الزيارة اذ ازالة الجفاء واجبة وهي بالزيارة فالزيارة واجبة حينئذ وذهب اكثر الشافعية والحنفية الى الثاني كما قال القاضي عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها والاحاديث السابقة مؤولة وبيانها في كتب القوم مفصلة

﴿ اَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ * يَاطِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ ﴾

لما بين شرافة آخره ولطافة انتهائه صلى الله تعالى عليه وسلم في البيت السابق قيل فكيف كان ابتداؤه فاجاب ببيان شرافة ابتدائه ولطافة اوله عليه السلام فقال (ابان مولده عن طيب عنصره) الخ ابان بمعنى اظهر وكشف والمولد بكسر اللام اسم زمان وهو فاعل ابان ومفعوله محذوف اي عجائب كثيرة واسناد ابان مجازي وعن طيب متعلق بابان وكلمة عن قد تكون للبدل

القاطع الذى لاحيلة بمده يبطل عبادة اللات والعزى وسائر الاصنام ولاتأتى موضعا الاوجدنا فيه ذكر الوحدانية علانية وهذه الامة هى التى لعننى ربى من اجلها وجعلنى شيطانا رجيما وسيأتى من هذا النبى مايحزن قلبى ويستخن عينى وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان من دلالات حمل محمد صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقال حمل محمد ورب الكعبة وهو امان لاهل الدنيا ولم يبق كاهن فى قريش ولاقبائل العرب الا حجبت عن صنعتها وانتزع علم الكهنة ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا واصبح الملوك خرسا وهرب وحش المشرق الى المغرب ووحش المغرب الى المشرق يبشر بعضها بعضا وسمع نداء فى الارض ونداء فى السماء ابشروا فقد آن لابى القاسم ان يخرج الى الارض ميمونا مباركا طيبا طاهرا الى خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون على المنكر فياطوباها وقالت آمنة آت اتانى فى منامى بعدما حملته بستة اشهر فقال لى يا امنة قد حملت بخير العالمين طرا فاذا ولدته فسميه محمدا واكتمى شانك وتقول لقد اخذنى بعد ستة اشهر كاملة ما يأخذ النساء ولم يعلم بى احد من قومى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه وكان عبد الله ابوه قد قبض قبل ولادته باربعة اشهر وفى رواية غيرها لابل قبض بعد ولادته باربعة اشهر قالت فسمعت وجبة عظمية فهالنى ذلك وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة من ربيع الاول فرأيت كأن جناح طائر ابيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع كنت اجد ثم التفتت فاذا انا بشربة بيضاء ظننتها لبنا وكنت عطشى فتناولتها ثم رأيت نسوة كالنخل كأنهن من بنات عبد مناف احدقن بى واذا بديباج ابيض قد مد بين السماء والارض واذا قائل يقول خذوه عن اعين الناس ورأيت قطعة من الطير قد اقبلت لها مناقير من الزمرد واجنحتها من الياقوت وكشف لى عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة اعلام منصوبات علم بالمشرق وعلم بالمغرب وعلم على ظهر الكعبة ثم كثر النساء عندى فلما خرج من بطنى درة فنظرت اليه فاذا هو ساجد يرفع اصبعته الى السماء كالمتهلل ثم رأيت سحابا قد اقبلت فغيبته عنى فسمعت مناديا يقول طوفوا بمحمد على شرق الارض وغربها والبحار ليعرفوه باسمه وصورته ونعته ثم انجلت عنه فى اسرع من طرفة عين فاذا اتى به مدرج فى ثوب صوف ابيض اشد بياضا من اللبن واطيب ريحا من المسك ثم اقبلت سحابة اخرى اعظم من الاولى اسمع منها صهيل الخيل وكلام الرجال وسمعت مناديا ينادى طوفوا بمحمد على الجن والانس والسباع واعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل وجمال يوسف

كما فى قوله « جزى ربه عنى عدى بن حاتم » وقد تكون لافادة كون مابعدها سببا لماقبلها كما فى قولك فعلت هذا عن امرك وقد تكون بمعنى بعد كما فى قوله تعالى ﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾ وههنا للمعنى الثانى لان طيب عنصره سبب لاظهار زمان ولادته العجائب كما لايخفى والمعنى اظهر الله زمان ولادته بسبب طيب عنصره عليه السلام عجائب كثيرة وسيبين بعض تلك العجائب ان شاء الله تعالى والطيب معلوم والعنصر بمعنى الاصل فى اللغة العربية كالاسطقس فى اللغة اليونانية والمراد من طيب عنصره عليه السلام طهارته وخلوصه عما لاينبغى كما يقع فى سائر المولودين وكلمة يا للنداء والمقصود بالنداء محذوف اى ياايها العقلاء انظروا بنظر التعجب الى طيب ابتدائه وانتهائه فالمبتدأ والمختتم بمعنى المصدر ويجوز ان يكونا اسمى زمان * فان قلت قد بين طيب ابتدائه من هذا البيت وطيب انتهائه من البيت السابق فاين بيان طيب اواسطه عليه السلام * قلت قد بين طيب اواسطه ايضا فى الابيات السابقة فى بيان شرافة خلقه وخلقه عليه السلام على ان المشهور بين العرب انهم يذكرون طرفى الشئ ويريدون مجموعه كما فى قوله تعالى ﴿وسبحوه بكرة واصيلا﴾ ومثله كان كثيرا * ثم اعلم ان ماروى فى انباء فضائله فى زمان ولادته واخبار عجائبه فى زمان ابتدائه كثير لايعد ولايحصى منها ماذكر فى كتب الاحاديث انه لما استقرت نطفته الزكية ودرته المحمدية فى صدف آمنة القريشية نودى فى الملكوت ومعالم الجبروت ان عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات فى صفف الصفا لصفوفية الملائكة المقربين اهل الصدق والصفا فقد انتقل النور المكنون الى رحم آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون * وقال سهل بن

وبشرى يعقوب وصوت داود وامر سليمان وحكمة لقمان وقوة موسى وصبر ايوب وزهد يحيى وكرم عيسى عليهم السلام انجلت فى اسرع من طرفة عين وعن صفية بنت عبدالمطلب انها قالت كنت قابلته حين ولد فرأيت نوره قد علت ضوء السراج ورأيت فيه ستة علامات رأيته حين سقط على الارض سقط ساجدا والثانية لما رفع رأسه قال بلسان فصيح لااله الاالله انى رسول الله والثالثة رأيت البيت مستضيئا من نوره قد غلبت ضوؤه ضوء السراج والرابعة اردت ان اغسله فهتف هاتف يا صفية لاتتعبي نفسك فانا اخرجناه مغسولا طاهرا طيبا والخامسة اردت ان اعرف أذكر ام انثى فوجدته مختونا مسرورا والسادسة اردت ان الفه فى لفافة فوجدت على ظهره خاتم النبوة بين كتفيه مكتوب لااله الاالله محمد رسول الله هذه شمة من طيب عنصره وقت مفتحة فعليك بشمام نسمة من نسمات طيب مختتمه * قال ابوهريره رضى الله عنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل ابو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر وعمر ابن الخطاب يكلم الناس فلم يلتفت الى شئ حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية البيت مسجى عليه برد حبرة فاقبل حتى كشف عن وجهه فقال وانبياه واصفياه واخليلاه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابى انت وامى ما اطيبك حيا وميتا اما المؤنة التى قد كتب الله عليك قد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها ابدا * ومن المشهور ان معاذا حين اقبلت فاطمة من القبر قال اسألك بحق القبر ومن فيه الا اخبرتنى كيف وجدت حبيبى عند الوفاة فبكت فاطمة وقالت يا معاذ لوشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى سكرات الموت وعيناه تدمع وجبهته ترشح عرقا اطيب من رائحة المسك ماهنأك العيش ايام الدنيا وفى التفاسير ان طيب النبى صلى الله عليه وسلم كان بحيث تجد اصحابه طيب رائحته فى المحلات وكانوا يعرفون بحسن عرفه انه عليه السلام اين ذهب حتى ان زيدا علم من طيب النبى صلى الله عليه وسلم انه جاء الى بيته واستخبر من زينب عن مجيئه عليه السلام واجيب بما اجيب وعجائب حالاته وغرائب طيب ذاته مما لايعد ولايحصى ومنها ما اشار اليه الناظم بقوله

عبدالله التسترى لما اراد الله خلق محمد عليه السلام فى بطن آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة امر الله فى تلك الليلة خازن الجنان ان يفتح الفردوس ونادى مناد فى السماوات والارض ان النور المخزون الذى يكون منه نور النبى الهادى فى هذه الليلة يستقر فى بطن امه الذى يتم فيه خلقه عليه السلام وروى انه كانت قريش فى جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار فسميت تلك السنة التى حمل فيها رسول الله عليه السلام سنة الفتح والابتهاج وفى رواية ان آمنة قالت ثم لما اخذنى مايأخذ النساء ولم يعلم بى ذكر ولا انثى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه سمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالنى ثم رأيت كأن جناح طير ابيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع اجده ثم التفت واذا انا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابنى نور عال ثم قالت ورأيت رجالا قد وقفوا فى الهواء بايديهم اباريق من فضة وكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة اعلام مضروبة علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذنى المخاض فوضعت محمدا عليه الصلاة والسلام فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غابت عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه فى البحار ليعرفوه بنعته وصورته وهذه القصة طويلة تحير منها الافهام حتى ان بعض الفضلاء الكرام وضعوا لمولده عليه السلام كتابا مستقلا فى حسن النظام ومن اراده فعليه الرجوع والقيام

يوم تفرس فيه الفرس انهم * قد انذروا بحلول البؤس والنقم

لما قدر المفعول فى البيت السابق اعنى قوم عجائب اوعلامات وكان ذلك فى غاية الاجمال اراد ان يفصله بذكر بعض منه فقال (يوم تفرس فيه الفرس) الخ يوم بدل من المولد والمراد من اليوم النهار وقد يستعمل فى مطلق الزمان لكن المراد هنا النهار اذ المشهور والاصح انه عليه السلام ولد يوم الاثنين فعن قتادة انه عليه السلام سئل عن صيام يوم الاثنين فقال (ذلك يوم ولدت فيه) وعن ابى عباس انه قال ولد عليه السلام يوم الاثنين وانزل عليه النبوة يوم الاثنين وخرج مهاجرا يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ووضع القبر يوم الاثنين وكذا فتح مكة يوم الاثنين وانزل عليه سورة المائدة يوم الاثنين ومن قال المراد من اليوم ههنا مطلق الزمان فليس له خبرة بكتب الاحاديث و(تفرس) اى نظر وعلم بالفراسة والفراسة قوة يدرك بها الانسان المعانى الباطنة من المخايل الظاهرة و(فيه) متعلق به وضميره راجع الى اليوم والفرس بالرفع فاعله والفرس اسم جمع لاهل فارس وفارس معرب پارس وهو اسم لپارس بن ناسور بن سام بن نوح وهو بلاد كثيرة بناها المزبور وبلاده المشهورة شيراز واصفهان وقد ورد فى مدح اهل فارس حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال (ان الله اختار من بين خلقه من العرب قريشا ومن العجم فارسا) وفى حديث آخر (ابعد الناس عن الاسلام الروم ولو كان الاسلام معلقا بالثريا لتناوله رجال من فارس) (وانهم) ان مع اسمها وخبرها مفعول تفرس والضمير للفرس و(قد) للتحقيق و(انذروا) ماض مجهول من الانذار بمعنى التخويف مع الابلاغ و(بحلول) متعلق بالانذار والحلول بمعنى النزل و(البؤس) الشدة والمضايقة واللام للاستغراق او للجنس او للعهد و(النقم) عطف تفسير للبؤس وهو بفتحتين جمع النقمة بكسر النون وهى الشدة والعقوبة * اعلم انه روى ان الليلة التى ولد فى فجر نهارها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ملك فارس وهو نوشيروان رؤيا تحير منها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا منجما من اهل مملكته الا جمعه مع طائفة من احبار اليهود فقال لهؤلاء انى رأيت رؤيا حيرتنى فاخبرونى بها قالوا اقصصها علينا حتى نخبرك بتأويلها قال لا اطمأن بتأويلكم بعد القصص وانى اريد ان تخبرونى بالرؤيا وتأويلها قبل القصص عليكم فتحيروا ولم يقدروا على اخباره فقال له رجل منهم ان كنت تريد هذا فلتبعث الى سطيح حتى يخبرك فبعث الملك اليه عبد المسيح فبلغ عبد المسيح الى البحرين وكان سطيح يخرج فى كل سنة مرة وكانوا يضعونه على صحيفة من الذهب فيخبر عن احكام السنة الآتية والناس يكتبونها فانتظر عبد المسيح خروجه فلما خرج بدأ الكلام برؤيا الملك

خبر مبتدأ محذوف اى مولده هو يوم وهو زمان مابين طلوع الفجر الى غروب الشمس وقد يستعمل فى مطلق الوقت وهو المراد هنا تفرس اى نظر وعلم بالفراسة والفراسة قوة يدرك بها الانسان بالمخايل الظاهرة المعانى الباطنة والفرس جمع لاهل بلاد فارس وان مع اسمه وخبره قام مقام مفعولى تفرس وضمير الجمع للفرس والحلول النزول والبؤس الشدة المورثة للهم والحزن والنقم جمع نقمة وهى العقوبة روى ان الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس ايوان كسرى كبرى وسقطت عنه اربعة عشر شرفة وما بقى الا ثمانية شرفات على وفق عدد ثمانية من الاكاسرة الذين يملكون الفرس الى عهد خلافة عمر رضى الله عنه وفتح الفارس وقد رأوا كسرى وهو ساسان رؤيا هالته وفزع بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا منجما من اهل مملكته الا جمعه وجمع طائفة من احبار اليهود يقال لهم موبدان فقال لهؤلاء انى رأيت رؤيا هالتنى وخضعت بها فاخبرونى بها وبتأويلها قالوا اقصصها علينا نخبرك بتأويلها قال انى ان اخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم من تأويلها وانه لا يعرف تعريفها الا من عرفها قبل ان اخبره بها فقال له رجل منهم فان كان يريد الملك كسرى هذا فليبعث الى سطيح واسمه ربيع بن ربيعة ابن مسعود بن مازن بن ذلب بن عدى بن مازن بن غسان وانما سمى سطيحا لانه كان مستلقيا على قفاه لا يقعد لانه ما كان فى بدنه عظم سوى عظم جمجمته وقيل ذلك لانه تولد من امرأتين والعظم انما يتولد من (٨) نطفة الرجل ومسكنه بالبحرين وولد فى سيل العرم فبقى الى ملك ذى نواس وذلك

وقال انه رأى رؤيا تحير منها وهى انه رأى خيلا عرابا تملأ المدائن وتسوق الابل العراقية وتخرجها منها * وانما هذه العلامة علامة ولادة النبى الامى العربى الهاشمى محمد الذى هو افضل ابناء الخليل الموصوف فى التوراة والانجيل وتأويل رؤياه ان خيل العرب هم اصحاب ذلك النبى يدخلون بلاد فارس وستفتح لهم ويأخذون المدائن من آل ساسان ثم بكى فقيل مايبكيك فقال اما ابكى وقد بقى من عمرى قليل ولا ادرك بعثة هذا النبى فرجع عبد المسيح فاخبر ساسان فامر ساسان بقتل سطيح فقتلوه وشقوا رأسه

﴿وبات ايوان كسرى وهو منصدع * كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم﴾

ثم شرع فى بيان العلامة الثانية والآية الواقعة فى يوم ولادته فقال (وبات ايوان كسرى الخ) (بات) يجيئ لمعنيين الاول الفعل فى الليل يقال بات فى الليل اى كذا فعله فى الليل والثانى بمعنى صار سواء كان فى الليل اوفى اليوم وهذا عام كما ان الاول خاص ويجوز ههنا كلا معنييه والجملة معطوفة على جملة تفرس والعائد محذوف اى بات فيه فليتأمل (وايوان) بكسر الهمزة اسم معرب لسقف لايكون لجانب مقدمه جدار وهمزته اصلية اذلو كانت زائدة لانقلبت الواو ياء كما انقلبت فى ايام فعلم بهذا ان ايوانا مثل ديوان ووزنهما فوعال والاصل فيهما اووان ودووان فقلبت الواو الاولى ياء لكسرة ماقبلها كراهة التضعيف (وكسرى) معرب خسرو وهو اسم جنس لمن يملك العجم ويجمع على اكاسرة كما ان قيصر اسم جنس لمن يملك الروم . والنجاشى لمن يملك الحبشة. وخاقان لمن يملك الترك. وفرعون لمن يملك مصر. وتبع لمن يملك اليمن والواو فى (وهو) حالية والضمير راجع الى الايوان (ومنصدع) اسم فاعل من الانصداع بمعنى الانهدام والتفرقة اذ روى ان بنى ساسان بنى ذلك الايوان فى تسعين سنة وطلاه بماء الذهب ونقشه بالزبرجد واللؤلؤ وبكل جوهر عظيم القيمة فلما كانت ليلة ولادته عليه السلام اهتز وانصدع ذلك فسقط اربع عشرة شرفات من شرفاته ومابقى الا ثمان شرفات وفى سقوط الاربع عشرة شرافة اشارة الى انه يملك منهم بعده ملوكا بعدد الشرفات الباقية وقوله (كشمل اصحاب كسرى) دفع لما يتوهم ان يقال من انه هل بقى بعد انشقاقه كالاول او بقى فى انشقاقه فقال (كشمل اصحاب كسرى) يعنى كما ان اصحابه تفرقوا وما جمعوا كالاول كذلك ذلك الايوان تفرق وانشق وماجمع وما بنى بعده ويكون كشمل فى التركيب ظرفا مستقرا حالا ولك ان تجعله صفة مصدر محذوف اى وهو منصدع انصداعا كشمل الخ وعلى كلا التقديرين يكون قوله كشمل اصحاب كسرى من قبيل التكملة والاحتراس كما لايخفى على

اكثر من ثلاثين قرنا والقرن اكثر من ثلاثين سنة فبعث ساسان الى سطيح عبد المسيح وهو من خواص اصحابه فبلغ البحرين والسطيح كان يخرج فى كل سنة مرة وكانوا يضعونه على الصحيفة من الذهب ويخرجونه من بيته فيتكلم من احكام تمام السنة الآتية والناس يكتبونها فانتظر عبد المسيح خروج السطيح فلما خرج بدأ الكلام برؤيا ساسان وسقوط شرفات الايوان ويبس بحيرة ساوة وانطفاء النيران وقال ان ساسان كسرى كسرى المداين رأى رؤيا هالته وهى انه رأى خيولا عربيا يملأ المداين ويسوق الابل العراقى ويخرجها منها وانما هذه العلامات علامة ولادة النبى الامى العربى الهاشمى المكى الابطحى محمد الذى هو من اشرف ابناء الخليل الذى كان نعته فى التورية والانجيل فبعد هذا اليوم لايقدر الشياطين على استراق السمع فان الله تعالى جعل الشهب رجوما لهم ولا يروج بعد اليوم امر الكهنة وتأويل رؤيا ساسان هو ان خيل العرب هو اصحاب ذلك النبى الزكى الذى يأتيه الوحى من قبل الملك العلى يدخلون الفارس وسيفتح لهم هذه البلاد ويأخذون المدائن من الملك الثامن من ساسان على عدد شرفات بقين على الايوان ثم بكى وقال مابقى من عمر السطيح ايضا الا قليل فلا يدرك ايام بعثة هذا النبى الجليل المأمور باتباع ملة الخليل فرجع عبد المسيح واخبر ساسان بما قال السطيح وامر رؤيا ربيعة بن نصر ملك اليمن وشق وسطيح الكاهن معه مذكور فى التواريخ الهاشمى فمن اراد استيفاء القصتين واستقصاءها فليرجع اليه والى المستقصى وغيرها من كتب التواريخ وبات ﴿ ايوان كسرى وهو منصدع * كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم ﴾

بات من الأفعال الناقصة وهو اما بمعناه او بمعنى صار وعطف على تفرس فلابد من تقدير فيه والأيوان معرب اسم لمسقف
لايكون بعض جوانبه جدار كسرى بكسر الكاف وفتحها اسم لمن يملك الفرس وجمعه اكاسرة على غير القياس انصدع
انشق وهو منصدع خبريات والواو لتأكيد لصوق الخبر بالاسم كما يكون لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف فعلى هذا اى
على تقدير ان يجعل وهو منصدع خبريات يحمل الواو على واو التأكيد للصوق الخبر باسم ويكون كشمل حالا ولك ان
تجعل كشمل خبريات وقوله وهو منصدع حالا يقال فرق الله شملهم الله اى ما اجتمع من امرهم التأم

انضبط واجتمع وغير ملتئم حال شبه وقوع الانصداع في منزل احتشامه بوقوع التفرقة في اصحابه وخدامه ويجوز ان يكون المراد من كسرى في قوله كشمل اصحاب كسرى يزد جرد بن شهريار وهو آخر الاكاسرة وقد ملك الفرس واستقام الامر وجعل رستم بن فرخ زاد صاحب الجيش وقال له هذه الخزائن بين يديك فاحمل منها من السلاح والذهب والفضة ماشئت واكفنى امر العرب الذين دخلوا في بلادنا فذهب رستم من خراسان في مائتى الف رجل الى وادى العراق ونقضت الدهاقنة عودهم ووثبوا على المسلمين من كل جانب فوجه عمر رضى الله عنه العساكر المنصورة وجعل سعد بن ابى وقاص صاحب الجيش وامر جرير ابن عبدالله والمثنى بن حارثة بمتابعة سعد وانقياده وهما كانا في العراق مع الجيش الكثير فلما لحق بهما السعد واقبلوا على رستم للمحاربة وهو كان كاهنا منجما وكان يكره الخروج الى قتال

من له من علم المعاني ادنى اختلاس * والشمل من الاضداد وهو ههنا بمعنى التفرقة وقوله (اصحاب كسرى) * فان قلت اللازم ان يقول اصحابه بالضمير فما فائدة الاظهار في مقام الاضمار * قلت فائدته تقريره في الذهن ودفع توهم رجوع الضمير الى الايوان * ويمكن الجواب بالتغاير بين كسرى الاول والثانى فلا يكون من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير * ويؤيده ما قاله بعضهم من ان في هذا البيت اشارة الى قصتين حيث اشير في المصراع الاول الى سقوط ايوان كسرى اعنى انقراض ساسانيان وخرابه وفي الثانى اشارة الى ماروى ان كسرى الذى هو يزدجرد بن شهريار وهو آخر الاكاسرة وقد ملك الفرس كلهم جعل رستما من الارامنة وهو غير رستم المشهور من العجم صاحب الجيش ورئيسهم ووهب له جميع خزائنه وقال له خذ من السلاح والذهب والفضة ماشئت وادفع شر العرب عنى فذهب رستم من بلاد خراسان بمائتى الف رجل الى بلاد العراق وتبعه جمع اهل الذمة ونقضوا العهد وكان ذلك في خلافة عمر رضى الله عنه فوجه عمر رضى الله عنه عساكر كثيرة وجعل سعد بن ابى وقاص صاحب الجيش وامر جيشه الذى كان في العراق اولا ان يبايعوا اسعدا فوصل سعد مع العساكر الى عسكر رستم فلما تقابل الفريقان رأى هلال بن علقمة الهيثمى رستما فتوجه اليه فرماه فقتله فاعطاه سعد سلبه فبلغ سلبه سبعين الف درهم سوى قلنسوته فانها بلغت مائة الف وانهزمت الفرس فنهض سعد خلفهم يفرق شملهم ويقتل حزبهم ولم يلتئم بعد ذلك شملهم فوصل الى المسلمين مغانم كثيرة روى انهم اخذوا علم الكفار وذهبوا به مع المغانم الى عمر رضى الله تعالى عنه فقسمه بين المسلمين فبلغ سهم على كرم الله وجهه شبرا منه فباعه بعشرة آلاف دينار

العرب ومع هذا رأى في المنام كان ملكا يجمع سلاح اهل فارس ويعطيها النبى صلى الله عليه وسلم ويعطيها النبى عمر فازداد غمه وجبن
الا انه ماوجد بدا من طواعية يزدجرد وكان في عسكر رستم خمسة آلاف شريف مطبوع شاكى السلاح يدور عليهم
رجاء الحرب وبعث يزد جرد معه عشرين الفا ومائة الف وقيل مائتى الف فلما اصطف الفريقان رأى هلال
ابن علقمة الهيثمى رستما فتوجه اليه فرماه رستم بنشابه فسك بها ركابه وحمل عليه هلال فضربه فقتله فاعطاه سعد
سلبه فبلغ سلبه سبعين الفا سوى قلنسوته فانها بلغت مائة الف وانهزم الفرس ونهض سعد بن ابى وقاص خلفهم
يفرق شملهم ويقتل

وارض الجبال ولم يجتمع بعد ذلك شمله وشمل اصحابه واشار الناظم الى هذا بقوله كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم وباقى قصة فتح المداين مذكور فى التواريخ

﴿ والنار خامدة الانفاس من اسف عليه والنهر ساهى العين من سدم ﴾

معطوف على الجملة الفعلية السابقة بتقدير فيه ولحظ المعطوف عليه من الاعراب لا استهجان فى اختلاف الجملتين المتعاطفين اسمية وفعلية لكون كل واحد منهما فى تقدير المفرد ولك ان تجعل هذه الجملة حالية كما فى قولك لقيتك والجيش قادم خامدة اى منطفئة الانفاس جمع نفس بفتح الفاء الاسف الحزن ومن لابتداء الغاية مع السببية ومتعلقة بخامدة وعليه متعلق بالاسف وضميره اما للفرس او للكفر بدلالة المقام كما فى ولابويه الى المولود لكن يتضمن الاسف معنى الغيظ النهر اى ماؤه عطف على النار ساهى العين اى غافل العين من سدم اى ندم اى ضل الطريق من التحير لان النادم لا يخلو عن حيرة ما والحيرة بظهور العجائب وحدوث الغرائب وفى البيت استعارتان بالكناية حيث ذكر المشبهتين وهما النار والنهر واستعارتان تخييليتان حيث اثبت الانفاس للنار والعين للنهر واراد بالنهر الفرات فانه روى انه فى الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمدت النيران التى حفظوها من الف سنة وطغى الفرات وملأ سماوه وهى بادية بين دمشق وعراق وصلى الله على حبيبه الذى اختص بحسن الاخلاق وطيب الاعراق

﴿ وَالنَّارُ خَامِدَةُ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ * عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ ﴾

ثم شرع فى بيان العلامة الثالثة والرابعة فقال (والنار خامدة الانفاس من اسف) الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على الجملة السابقة ولابد فيه من فيه ايضا ولا يرد ان هذه الجملة اسمية والاولى فعلية فلا يحسن عطفها عليها لكون كل واحدة منهما فى تأويل المفرد وتقديره فحينئذ لا يضر العطف كما لا يخفى و(خامدة) من الخمود وهو انقطاع شعلة النار مع بقاء جمرها و(الانفاس) جمع نفس وهو بالفتح ما يدوم ببقائه الحيوان والمراد ههنا به شعلة النار بطريق الاستعارة بان شبه شعلة النار بنفس الحيوان فى كونهما سببا للدوام واستعير الانفاس لشعلة النار فذكر الانفاس واريد الشعلة والقرينة على هذه الاستعارة ايقاع الخامدة على الانفاس هذا مبنى على ان تكون النار على حقيقتها ويجوز ان يراد من النار الكفار مجازا واستعارة بان شبه الكفار بالنار فى اهلاك من قرب منها فاستعير النار للكفار فذكر النار واريد الكفار فعلى هذا يكون الخمود تجريدا والانفاس تخييلا والاسف ترشيحا ويجوز ان تكون النار استعارة مكنية بتشبيهها بالحيوان المضر والانفاس تخييلها والاسف ترشيحها وقوله (من اسف) متعلق بخامدة والاسف بمعنى الحزن كما فى قوله تعالى حكاية (يا اسفا على يوسف) و(عليه) متعلق باسف والضمير اما راجع الى النار فيكون المعنى ان نار المجوس فى يوم الميلاد قد خمدت شعلتها من اسفها على نفسها وبقائها بين الكفار وكونها معبودا لهم واما راجع الى يوم الميلاد فيكون المعنى ان نار المجوس كانت مشتاقة الى جماله صلى الله تعالى عليه وسلم فتأسفت من فراقه وعدم وصولها اليه عليه السلام فخمدت شعلتها وانطفأ لهبها واما راجع الى الفرس الذين عاونوها باحراقها دائما وعدم اطفائها اصلا فيكون المعنى ان نار المجوس قد خمدت شعلتها لتأسفها وحزنها على عونتها لانهم تفرقوا عن هذا ولم يجتمعوا بعده ابدا وقوله (والنهر) عطف على النار والمراد من النهر ماء الفرات فذكر المحل واريد الحال و(ساهى العين) بالرفع خبر المبتدأ اعنى والنهر والساهى بمعنى الغافل والعين من الالفاظ المشتركة تجئ لمعان كثيرة والمراد ههنا منبع الماء (ومن سدم) متعلق بالساهى ومن اجلية والسدم الحزن والندامة وفى بعض النسخ من ندم بالنون ولابد من تقدير عليه فى هذه الجملة بقرينة سباقه ففى ضمير عليه المقدر يجرى ايضا احتمالات ثلاثة بان يرجع ضميره الى النهر ويكون المعنى ان نهر الفرات قد غفل عن مجراه السابق وافرط فى اخراج الماء فجاوز عينه فى يوم الميلاد للتأسف على نفسه اى لبعده عنه عليه السلام وبقائه فى ارض بعيدة او يرجع الى يوم الميلاد والمعنى ان نهر الفرات كان

مشتاقا الى جماله ورؤيته عليه السلام فتأسف فى ذلك اليوم من عدم وصوله فبكى قطعاً ماؤه فغفل عن مجراه السابق او يرجع الى الفرس لانهم كانوا خدمة ذلك الماء اذ كان عين ذلك الماء فى بلادهم والمعنى ان ماء الفرات قد تأسف على عونته وخدمته فغفل عن مجراه السابق فافرط ماؤه لان عونته قد تفرقوا ابعد ولادته عليه السلام ثم اعلم ان النهر يجوز فيه وجوه الاستعارة التى قد سبقت فتذكرها ورتبها

﴿ وَساءَ ساوَةَ اَنْ غاضَتْ بُحَيرَتُها * وَرُدَّ وارِدُها بِالغَيظِ حينَ ظَمِ ﴾

ثم شرع فى بيان العلامة الخامسة فقال (وساء ساوة ان غاضت بحيرتها) الخ الواو للعطف والجملة معطوفة على قريبها او بعيدها فلا تنس تقدير فيه ههنا ايضا (وساء) اما لازم بمعنى حزن او متعد بمعنى احزن والانسب الثانى وساوة اسم مدينة عظمية والمراد من ساوة اهلها اما بطريق المجاز المرسل بان يكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال او بطريق المجاز الحذفى كقوله تعالى (واسئل القرية) وهى غير منصرفة لكونها مؤنثة وعلما ثم ان ساء ان كان لازما تكون ساوة بالرفع فاعلا له وان متعديا تكون بالنصب مفعوله وفاعله قوله ان غاضت وغاض بمعنى غاب يقال غاض الماء اذا غاب و(بحيرتها) بالرفع فاعل غاضت والضمير الى ساوة والبحيرة اسم لمياه عظيمة فى مملكة عراق العجم بين همدان وقم وتركب فيها السفن ويسافر بها الى ما حولها من البلاد مثل اذرعات والرى وما جاوز ذلك وكانت اكثر من ستة فراسخ وكان ماؤها لطيفا لا يشابه مياه سائر البحار وكان فى اطرافها كنائس كثيرة واسواق غفيرة وكان الكفار يروجون كفرهم عندها وقيل كانوا يعبدونها فلما ولد رسول الله الماحى لجميع طرق الكفر غاب ماء تلك البحيرة * ثم اعلم ان فى البحيرة ايضا مجازا من ذكر المحل وارادة الحال وفى اضافتها الى الضمير الراجع الى ساوة احتراز عن بحيرة طبرية فانها كانت ايضا على حواليها كنائس معتبرة منقوشة بالذهب فغاب ماؤها وقت ميلاده عليه الصلاة والسلام وكان غيبوبة ذلك الماء سببا لخرابها واما ساوة فلم تكن خربة بل بنى اهلها فى موضع البحيرة مدينة عظيمة وهى باقية الآن كذا رأيت فى رسالة مصنفة فى مولده عليه الصلاة والسلام وقوله (ورد) على بناء المفعول والواو اما للحال او للعطف فالجملة معطوفة على غاضت والمعنى واحزن اهل ساوة ان رد الخ ولا يجوز ان تكون معطوفة على ساء والا يلزم ان يكون قوله ورد بيانا للعلامة مستقلة لوقت مولده عليه الصلاة والسلام ولا يكون من تتمة الاولى وهو باطل ومن قال انها معطوفة على جملة ساء فقد اساء فقدبر ورد بمعنى رجع وانصرف وقوله (واردها) بالرفع نائب فاعل لرد والضمير راجع الى البحيرة

﴿ وساء ساوة ان غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغيظ حين ظمى ﴾

اى احزن اهل ساوة وهى بلدة بعينها وان مصدرية غاض الماء غار وبحيرة ساوة اسم ماء مجتمع واسع الطول والعرض بقرب ساوة كبحيرة طبرية غاض ليلة الميلاد بارادة الله تعالى وكانت فى حواليها بيع وكنائس معتبرة ومتسوق لاهلها وكان غيضها سببا لخرابها وان مع ما فى حيزها فاعل ساء ورد اما معطوف على ساء او على غاضت والثانى اقرب وضمير واردها اما الى بحيرة او الى ساوة والرواية فى الغيظ بالضاد والظاء ايضا فعلى الاول الباء للسببية وعلى الثانى للملابسة وحين ظمى اما متعلق بالغيظ او بالوارد او برد وضمير ظمى للوارد والظمأ العطش يعنى لما اراد الله تعالى اظهار شرف حبيبه وقصد ان يبلغ قاصية البلاد يوم الميلاد عرق طيبه قدر غيض بحيرة ساوة فساء واحزن ذلك اهلها واسترق عقول العرب الوارد لشرب الماء وعباد النيران واظهر جهلها فغيض الماء وقضى الامر بالانطفاء ليعلم انه يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء ولا يرضى لعباده الكفر والفحشاء ولذلك خرت الاوثان واحمرت النيران

وما الموصولة اسمه وبالماء ظرف مستقر صلتها ومن بلل بيان لما وبالماء عطف على النار اى كأن بالماء ومن بيان لما والضرم التهاب النار وحزنا مفعول له والعامل فيه متعلق الظرف وهو مقدر فى المعطوف فان الحزن يورث البكاء واجتماع الحرارة فى القلب واللام فى الماء والنار للعهد والمعهود البحيرة والنار التى عبدوها الف عام وكأن هناك بمعنى الظن والغرض من هذا البيت بيان تغير الزمان وانفصام سلك الفساد والنظام عقد الرد ببركة قدوم سيدنا عليه الصلاة والسلام الى يوم التناد

﴿ والجن تهتف والانوار ساطعة والحق يظهر من معنى ومن كلم ﴾

جنه ستره سمى الجن جنا لاجتنابهم تهتف اى تصيح بما يدل على صدق نبوته ويشهد باصطفائه فالمراد من الانوار التى تلوح فى وجود من هو فى صلبه والجمع باعتبار المحال اومعناه المجازى وهو شرائعه وصفاته الحميدة وآثاره الغريبة وكمالاته العجيبة والساطعة الظاهرة ظهورا بينا والحق ضد الباطل من حق الشئ ثبت ومن لابتداء الغاية متعلقة بيظهر والتنوين فى معنى وكلم للتفخيم والمراد من المعانى اما معانى القرآن ومن الكلم الفاظه فان القرآن عبادة عن النظم والمعنى جميعا وهو معجز بنظمه ومعناه دال على صدق نبوته وحقية رسالته او المراد من المعانى الامور المعقولة ومن الكلم الامور المحسوسة روى ان الكهان من العرب كانت تأتيهم الشياطين من الجن بما يسترقون من السمع فلما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها

(والوارد) بمعنى الذاهب لاخذ الماء وقوله (بالغيظ) متعلق (برد) اى بالغضب ورد ان الذاهب الى ماء البحيرة ليأخذ الماء ويذهب به الى بيته جاء الى البحيرة فرأى انه قطع ماؤها فرد عنه وانصرف بالغضب حيث كان فى يديه كوبان فلما رأى انقطاع الماء ضرب احدهما على الآخر فكسرهما (وحين ظمى) ظرف للوارد اولرد (وظمى) اصله ظمئ اى عطش فحذف همزته لضرورة الشعر

﴿ كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ * حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ ﴾

لما اراد الناظم الفاهم تكملة البيتين السابقين قال (كان بالنار الخ) فالمصراع الاول تكملة للبيت الاخير والثانى للاول وكان من الحروف المشبهة بالفعل (وبالنار) ظرف مستقر خبر كان متعلق بحصل المقدر اى كأنه حصل بالنار والمراد من النار نار المجوس و(ما) موصولة و(بالماء) متعلق بمقدر اى ما حصل بالماء و(من بلل) بيان لما والمراد من الماء بحيرة ساوة والمعنى ان اهل ساوة ظنوا ان الماء الذى عبدوه قد انقطع ويبس وصار بحال كانه كانه موضع ذلك الماء موقد نار وكان البلل الذى حصل بالماء يبس بالنار ولما كان هذا الظن بعيدا عن الاذعان علله بقوله (حزنا) اى لاجل حزن وقع فيهم يظنون مثل هذا الظن وقوله (وبالماء) الواو عاطفة وبالماء معطوف على بالنار وبالنار عطف على بالماء من قبيل عطف شيئين بحرف واحد على معمولى عامل واحد وهو كان (ومن ضرم) بيان (ما) والضرم التهاب النار واشتعالها والالف واللام فى (بالنار) للعهد اى نار المجوس التى لم تخمد الف عام * ومعنى هذا المصراع ان عبدة النار كانوا محزونين حتى ظنوا انه وقع فى موقع نارهم بلل حاصل بالماء ﴿ فائدة ﴾ قال فى تفسير روح البيان ان اول من عبد النار قابيل حيث قتل اخاه هابيل ونفاه آدم عليه السلام بامر الله الى ارض اليمن فخرج مع اخته اليها فجاء الشيطان فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فاصطنع انت ايضا نارا واعبدها فاصطنع النار وعبدها فتبعه بعض الانام من اولاده واولاد اولاده الى يوم القيام

﴿ وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ * وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى وَمِنْ كَلِمِ ﴾

ثم شرع فى بيان العلامة السادسة والسابعة فقال (والجن تهتف الخ) الواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقها او الواو حالية والجن مقابل الانس وهو جوهر نارى يتشكل باشكال مختلفة وانما سموا به لكونهم فى الستر عن اعين الناس والجن فى اللغة بمعنى الستر قالوا ان كونهم مستورين عن اعين الناس من نعم الله علينا وكذا استتار الملائكة اما الجن فلكونهم فى صور قبيحة غاية القبح حتى لو رآهم احد من الناس لمات او زال عقله واما الملائكة فلكونهم فى غاية الحسن والجمال حتى لو رآهم على صورتهم

الملكية احدلزال عقله اومات فلاتسع حوصلة الانسان رؤيتهما * ثم اعلم انه روى ان الجن كانوا ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون فى الهواء وصنف فى صورة الحيات والكلاب وصنف يرحلون ويظعنون * وقالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفى مسلميهم مبتدعة واهل الاهواء وكلهم مكلفون تهتف اى تصيح وتصوت وتتكلم بولادته عليه السلام اذ روى ان فى الهواء وارجاء مكة تسمع اصوات الجن يبشرون بولادته عليه السلام * وفى المواهب مر فى ذلك الوقت جن المشرق الى المغرب والمغرب الى المشرق يبشرون بولادته عليه السلام * ومن اراد بهتف الجن اخبارهم الكهنة باستراق السمع فقد بعد عن المرام حيث اشير اليه فى قوله وبعدما عاينوا فى الافق ولو اريد منه ههنا ماسيأتى لزم الاستدراك فتأمل * فان قيل ان قوله (الجن تهتف) جملة اسمية والجملة الاسمية تدل على الدوام فتقتضى ثبوت صوت الجن ودوامه وهو غير ثابت * اجيب عنه بان هذه الجملة لاتدل على الدوام لان خبرها فعلية ومايدل عليه ماكان له صرافة فى الاسمية كمالايخفى * وقوله (والانوار ساطعة) بيان لعلامة اخرى فالواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقها (والانوار) جمع نور وهو جوهر مضيء كامر (وساطعة) من السطوع بمعنى الظهور وهذه الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات * ففيه اشارة الى ان نوره عليه السلام باق الى يوم القيام ويرى ذلك النور من فى قلبه نور وهذه الجملة اشارة الى ماروى فى المواهب والشفا من انه روى عن آمنة ام رسول الله عليه السلام انها قالت لما ولدته عليه السلام خرج من رحمى نور اضاء له قصور الشام * قال فى اللطائف وخروج هذا النور اشارة الى مايجيء به من النور الذى اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب) الآية واما اضاءة ذلك النور قصور الشام فهو اشارة الى ماخص به الشام من النور بنبوته فانها دار ملكه انتهى ويجوز ان يكون المراد من الانوار شريعته عليه السلام على طريق الاستعارة بان يشبه شريعته بالانوار فى رفع الظلمات * والواو فى (والحق) اما عاطفة او حالية والحق ضد الباطل ويجوز ان يكون المراد منه شانه عليه السلام بان شبه شانه بالحق فى العلو لان الحق يعلو ولايعلى عليه ويظهر من الظهور بمعنى يجلى ومن (من معنى) لابتداء الغاية متعلق بيظهر وتنوينه للتعظيم كتنوين كلم والمراد من المعنى معانى القرآن (ومن الكلم) الفاظه والمعنى ومن علاماته عليه السلام انه كانت الشريعة ظاهرة بسبب وجوده من معانى القرآن والفاظه فان معناه دال على احكام الشريعة والفاظه دالة على صدق نبوته معجز غاية الاعجاز هذا على ان يكون الواو للعطف وان يكون الحق بمعناه الحقيقى واما

وبين المقاعد التى كانوا يقعدون عندها للاستراق فرموا بالنجوم فعرفت الجن ان ذلك لامر حدث من الله تعالى فى العباد بقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو يقص عليه خبر الجن اذ حجبوا عن السمع فعرفوا ماعرفوا انكروا من ذلك حين رأوا مارأوا قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا الى قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فلما سمعت الجن القرآن عرفت انها انما منعت من السمع من قبل ذلك لئلا يشكل الوحى بشيء من خبر السماء فيلتبس على اهل الارض ماجاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة فآمنوا وصدقوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم

واما لو كان الواو للحال والحق بمعنى شأنه يكون هذا المصراع بيانا وتفسيرا للمصراع الاول على طريق اللف والنشر المشوش بان يكون المراد من المعنى نوره عليه السلام ومن كلم كلمة الجن ويجوز ان يكون المراد من المعنى الامور المعقولة ومن الكلم الامور المحسوسة والكلام طويل لايليق اتيانه فى هذا المختصر

﴿ عَمُوا وَصَمُّوا فَاعلانُ الْبَشَائِرِ لَمْ * تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الْاَنْذارِ لَمْ تُشَمِ ﴾

لما نشأ من البيت السابق توهم ان يسئل بانه اذا اخبر الجن بنبوته ودلت الانوار على حقيقته وهل آمن به قومه اولا دفعه فقال (عموا وصموا) الخ اى لم يؤمن قومه لكونهم فى العمى والصمم فقوله (عموا) فعل ماض من العمى بمعنى عدم الرؤية يعنى ان الكفار لم يروا الانوار الساطعة والشرائع الرافعة لعمى ابصارهم واطلاق العمى عليهم مع كونهم اولى ابصار لعدم جريهم بموجب رؤيتهم (وصموا) كعموا يعنى ان الكفار لم تسمع كلام الجن وتبشيرهم لصمم آذانهم فقوله (عموا) ناظر الى قوله فيما سبق (والانوار ساطعة) وقوله (صموا) ناظر الى قوله (والجن تهتف) لكن على سبيل اللف والنشر المعكوس ويمكن ان يكون البيت ناظرا الى المصراع الثانى فى البيت السابق فيكون عموا ناظرا الى الكلم وصموا الى المعنى كالاول فتأمل والفاء فى (فاعلان البشائر) للتفصيل لانه تفصيل قوله وصموا كما ان قوله (وبارقة الانذار) تفصيل قوله عموا على طريق اللف والنشر المعكوس كقوله تعالى ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت﴾ الآية والاعلان بمعنى الاظهار و(البشائر) جمع بشير بمعنى المخبر بالاخبار السارة ففى العبارة حذف مضاف اى اعلان اخبار البشائر و(لم تسمع) على صيغة التأنيث والضمير راجع الى الاعلان * لا يقال انه مذكر فلا يصح ارجاع الضمير اليه * لانا نقول انه قد اكتسب التأنيث من المضاف اليه على طرز قوله «وما حب الديار شغفن قلبى» وقوله (وبارقة الانذار) عطف على اعلان البشائر وبارقة من برق بمعنى لمع وتاؤها للتأنيث اوللمبالغة والانذار الابلاغ على وجه التخويف وفيه استعارة مكنية حيث شبه الانذار فى الذهن بالسيف فى كونه مخوفا وادعى للسيف فردان فرد متعارف وفرد غير متعارف وهو الانذار ثم استعير السيف للفرد الغير المتعارف اعنى الانذار ثم ذكر فى الخارج المشبه اعنى الانذار واريد الانذار الذى كان فردا غير متعارف للسيف فحينئذ يكون قوله بارقة تخييلا لهذه الاستعارة و(لم تشم) بمعنى لم تنظر ولم تبصر وضميره راجع الى البارقة

﴿ مِنْ بَعْدِمَا اَخْبَرَ الْاَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ * بِاَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ ﴾

بان دينهم المعوج لم يقم ﴾ اى صار الكفار عميا وصما فاعلان البشائر تفسير لقوله عموا وصموا على سبيل اللف والنشر الغير المرتب واضافة الاعلان الى البشائر اضافة المصدر الى مفعوله والبشائر جمع بشير وهو المبشر اى المخبر بالخبر السار وقد يوصف به الخبر مجازا فاعلان المخبرين بالاخبار السارة بقدوم سيدنا لم يسمع ولم يقبل كما فى سمع الله لمن حمده اولانهم لما لم يعملوا بمقتضاه فكأنهم لم يسمعوا والبارقة من برق بمعنى لمع اوهدد والتاء للتأنيث او للمبالغة والانذار الابلاغ على وجه التخويف اى الانذارات المهددة اواللامعة لم تشم اى لم يلتفت اليها ولم ينظر من شام البرق نظر اليه ومن متعلق بعموا وصموا او بلم يسمع ولم يشم وما مصدرية والكاهن من يخبر بما يلقى اليه الجن او من يخبر عن تأثيرات الكواكب والاعوجاج فى المحسوسات عدم الاستقامة الحسية وفى غير المحسوسات عدم كونها على ما لا ينبغى وقام بامره كفاه وقامت تفقت وقامت الدابة وقفت من الكلال والقيام هو استواء النصف الاسفل والمراد من دينهم طريقهم التى يدينونها العبادة غير الله تعالى نعوذ بالله منها وهو فى الاصطلاح قانون سماوى سائق لذوى العقول الى الخير بالذات يعنى ان الاقوام الذين اتخذوا غير الاسلام دينا ومع الموائد السماوية امسوا لم يلاحظوا باعينهم الى غرائب والآثار الدالة على صدق النبى المختار ولم يضخوا بآذانهم عجائب الاسرار الملقاة اليهم من قبل الكهان والاخبار فعموا عن مشاهدة الآيات وصموا عن سمع البينات نبذ واوراء ظهورهم دلائل رسالة

ثم فصل قوله عموا وصموا تفصيلا ثانيا فبين قوله صموا بهذا البيت فقال (من بعدما اخبر الاقوام كاهنهم) الخ مع الاشارة الى ان عدم اتباعهم الرسول عليه الصلاة والسلام من عنادهم وكفرهم لا من جهلهم لان كاهنهم كان صادقا ومعتمدا عندهم فعدم تصديقهم اياه من عنادهم فقوله (من بعد) متعلق بصموا اولم تسمع اوبهما معا على سبيل التنازع ومن جوز تعلقه بعموا او بلم تشم فهو غافل عن كون هذا البيت تفصيلا لصممهم الا ان يقال انه جوزه بعد ربط البيت الثانى كما لا يخفى و(ما) مصدرية و(الاقوام) جمع قوم وقد سبق تفصيله وهو بالنصب مفعول اخبر و(كاهنهم) بالرفع فاعله وهو من يبتدع القول ويخبر عما سيكون من غير وحى وفى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هذين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطى ويصيب قال عليه السلام (من اتى عرافا اوكاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل الله على محمد) قالوا هذا فى حق من اعتقد صدق العراف والكاهن واما من سألهم لاستهزائهم اولتكذيبهم فلا يلحقه ماذكر فى الحديث بقرينة حديث آخر (من صدق كاهنا لم تقبل منه صلاة اربعين يوما وليلة) قال ابن ملك اللائح لى فى التوفيق ان يقال مصدق الكاهن يكون كافرا اذا اعتقد انه عالم بالغيب واما اذا اعتقد انه ملهم من الله اوان الجن يقولون مما يسمعون من الملائكة فصدقه فلا يكون كافرا انتهى فظهر مما ذكرنا فساد ماقيل وتصديق الكاهن فيما اخبر به من المغيبات كفر على اطلاقه فتدبر (بان دينهم) متعلق باخبر والدين فى اللغة الاطاعة والجزاء وهنا بمعنى الطريق و(المعوج) بالنصب صفة دينهم وهو اسم مفعول من الاعوجاج وهو يستعمل فى المحسوسات والمعقولات فان استعمل فى الاولى يكون بمعنى عدم الاستقامة وان فى الثانية يكون بمعنى مالا ينبغى و(لم يقم) بمعنى لم يدم * وفى المواهب وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يهودى قدسكن بمكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا وقيل لهم قد ولد لعبد الله ابن عبد المطلب غلام فذهب اليهودى معهم الى امه فاخرجته لهم فلما رأى اليهودى العلامة خر مغشيا عليه فقال ذهبت النبوة من بنى اسرائيل يامعشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب انتهى وامثاله كثيرة شائعة بين الانام وتفصيلها لا يتحمله المقام

النبى صلى الله عليه وسلم مع ظهورها بين ظهرانى هؤلاء الاقوام فاكبوا على وجوههم فى عبادة الاصنام فكبكبوا فى عذاب النار لان اولئك هم الذين على ابصارهم غشاوة وفى آذانهم اوقار فلم يروا بواسطة غشاوة التعامى الآيات والانوار الساطعة ولم يسمعوا بشوم وقر الغفلة البينات والبراهين القاطعة بعدما اخبرهم الاخبار والكهان بان دينهم المعوج لا يقوم بعد هذا الزمان وقال ابو اسحاق حدثنى نافع الجرشى عن اهل اليمن انه كان لهم كاهن فى الجاهلية فلما ذكروا له امر رسول الله صلى الله وسلم وانه انتشر فى العرب قيل له انظر لنا فى هذا الرجل واجتمع الناس اليه فى اسفل جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف قائما متكئا على قوس له فرفع رأسه الى السماء طويلا ثم قال ايها الناس ان الله اكرم محمدا صلى الله عليه وسلم واصطفاه وطهر قلبه وحشاه فليس للكفر بعد ذلك رواج ولن يقوم بعد هذا دين له اعوجاج ولكن مكثه ايها الناس فيكم قليل ثم اسند الى جبله راجعا من حيث جاء وامثال هذا فى الكتب المعتبرة مسطورة مشهورة

﴿وبعد ماعاينوا فى الأفق من شهب * منقضة وفق مافى الأرض من صنم﴾

ثم شرع فى بيان التفصيل الثانى لقوله عموا فقال (وبعدماعاينوا الخ) مع الاشارة فى المصراع الثانى الى علامة اخرى فى يوم ولادته عليه الصلاة والسلام الواو عاطفة وبعد عطف على محل من بعد و(ما) مصدرية و(عاينوا) ماض من المعاينة بمعنى المكاشفة التامة وفى (الافق) متعلق بعاينوا (والافق) بسكون الفاء للتخفيف جوانب السماء و(من شهب) بيان لما والشهب بضمتين جمع شهاب وهو شعلة نار او بمعنى الكواكب لانه فسر قوله تعالى (فاتبعه شهاب ثاقب) بشعلة نار و نجم كما لا يخفى وقوله (منقضة) يجوز فيه الاحوال الثلاثة. الجر على انه صفة شهب وهو الاظهر. والنصب على انه حال منه. والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وهو اسم مفعول من انقض بمعنى سقط * روى ان الله تعالى اذا قضى امرا كان يسمعه حملة العرش فيسبحون فيسبح من تحتهم الى سماء الدنيا فيقولون م تسبحهم فيستخبرون حتى ينتهى الخبر الى سماء الدنيا فيختطف وتسترقه الشياطين ثم يأتون به الكهنة على الارض فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون فيكذبون وكان ذلك فى الجاهلية فلما ولد عليه السلام كانت الشياطين مرجومين من السماء وممنوعين من الصعود اليها بنجوم ونيران ترميها الملائكة اليهم * فان قيل قوله تعالى (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثة رسول الله عليه السلام وكذا يدل هذا البيت عليه ايضا وقوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر لخلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب ان تكون الفائدة الاخرى حاصلة قبلها ايضا * اجيب عنه بان ذكر الفائدتين لا يقضى اقترانهما بحسب الزمان لم لا يجوز ان يكون المعنى وجعلناها بحيث تصلح لان ترجم بها فان الرجم مصدر سمى به ما يرجم به * ويؤيد هذا المعنى ما روى عن جماعة من المفسرين من ان السماء لم تكن تحرس فى الفترة بين عيسى و محمد خمسمائة عام فلما بعث محمد منعوا من السماء وحرست بالملائكة والشهب قوله (وفق ما) بالنصب صفة مصدر منقضة اى انقضاضا موافقا لانقضاض (مافى الارض ومن صنم) بيان لما * والفرق بين الصنم والوثن ان الوثن ما كان له جثة من الخشب او الحجر والفضة او غير ذلك والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من جعل الوثن صنما وهذا القول اشارة الى سقوط اصنام العرب فى وقت ولادته عليه السلام منكوسة حيث كان لهم فى داخل البيت اصنام فلما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سقط كل مكبا على وجهه والتفصيل فى الكتب المفصلة

﴿حتى غدا عن طريق الوحى منهزم * من الشياطين يقفوا اثر منهزم﴾

﴿وبعد ماعاينوا فى الافق من شهب منقضة وفق ما فى الارض من صنم حتى غدا عن طريق الوحى منهزم من الشياطين يقفو اثر منهزم﴾ بعدما منصوب معطوف على محل من بعد او مجرور عطف على بعد وما موصولة ومن شهب بيانه والمعاينة الرؤية بالعين فى الافق متعلق به والافق طرف السماء والشهب شعلة من النار منقضة اى ساقطة من انقض السهم سقط صفة شهب او حال منه او خبر مبتدأ محذوف فيجوز فيه الاعرابات الثلاث وفق منصوب على نزع الخافض اى على وفاق الاصنام او صفة مصدر محذوف اى سقوطا وفاق سقوط الاصنام وحتى اما عاطفة او ابتدائية ومنهزم اسم غدا ويقفوا خبره ومن الشياطين صفة منهزم واثر ظرف ليقفوا قفاه تبعه وطريق الوحى ابواب السماء وكان للشياطين مقاعد هناك يسترقون السمع وقدمر ان ليلة الميلاد ان كبت الاوثان وسقطت وقذفت الشياطين فهبطت فوافق الهبوط السقوط

لما بين فى البيت السابق انقضاض الشهب اراد ان يفصله و يبين فائدة انقضاضها فقال (حتى غدا) وحتى لانتهاء الغاية وغدا بمعنى اعرض لانه استعمل بـ(عن) وغدا اذا استعمل بعن يكون بمعنى الاعراض كصار وذهب ورغب و(طريق الوحى) كناية عن السماء لان جبرائيل كان يجئ بالوحى منها و(منهزم) بالرفع فاعل غدا وهو اسم فاعل من الانهزام بمعنى الفرار من العدو بسرعة و(من الشياطين) صفة منهزم وهو جمع شيطان وجملة يقفو حال منه وضميره المستتر راجع الى المنهزم و(يقفوا) كينموا من القفو بمعنى التبعية كقوله

ومن يقف آثار الهزبر ينل به * طرائح حمر الوحش اذ هو راتع

وقوله (اثر) بالنصب مفعول يقفو والاثر بمعنى العقب يقال الاثر يدل على المسير كالبعرة تدل على البعير يعنى ان الشياطين يصعدون الى السماء راكبا بعضهم على بعض فتنقض الشهب قبل ادراكهم السماء فينصرفون منها بالانهزام والفرار تابعا بعضهم اثر بعض وتدركهم الشهب ولا تخطئ ابدا فمنهم من تحرقه وتجعله رمادا ومنهم من يحرق بعض اجزائه ومنهم من يفسد عقله * لا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق * لانا نقول انه ليس من النار الصرفة كما ان الانسان ليس من التراب الخالص على ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها كما لا يخفى

﴿ كَأَنَّهُمْ هَرَباً أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ * اَوْعَسْكَرٌ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِى ﴾

لما كان فرار الشياطين وانهزامهم امرا وهميا اراد ان يقرره فى اذهان السامعين بتشبيهه بالمحسوس مع الاشارة الى علامة عجيبة كانت بسبب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (كأنهم هربا ابطال ابرهة الخ) (كأن) للتشبيه وضميره راجع الى الشياطين و(هربا) بالنصب حال من اسم كأن وهو بفتحتين الفرار خوفا و(ابطال) بالرفع خبر كأن وهو جمع بطل بمعنى الشجعان و(ابرهة) اسم ملك اليمن من الحبش رئيس اصحاب الفيل * شبه الناظم النحرير فرار الشياطين من السماء تابعا بعضهم اثر بعض بفرار شجعان الملك ابرهة فى الانهزام وكونه بسبب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى قصته اختلاف فالذكر ماذكره بعض المفسرين وهو ان ابرهة من الحبشة كان ملك اليمن ذا اتباع كثيرة فركب يوما مع اصحابه للصيد فرأى عيرا فقال من هؤلاء قالوا ان لهم بيتا فى مكة يزورونه فى كل سنة فغضب ابرهة فارسل اليهم رجالا حتى منعهم عن سبيلهم فقال لوزيره هل ينبغى ان لا يكون لنا بيت ويكون الناس زائرين له وكان العرب يزورون بيتهم فى مكة ويأتون اليه من كل فج عميق فانى اريد ان ابنى كنيسة لم يكن مثلها فى الدنيا فركب ابرهة مع المهندسين فخرج الى الصحراء فرأى ارضا

﴿ كأنهم هربا ابطال ابرهة
اوعسكر بالحصى من راحتيه رمى
نبذا به بعد تسبيح ببطنهما
نبذ المسبح من احشاء ملتقم ﴾

ضمير كأنهم للشياطين هربا حال منه بمعنى هاربين لما كان من معنى الفعل ويجوز ان يكون تمييزا عن الحكم التشبيهى ابطال خبر كان وهو جمع بطل وهو الشجاع ابرهة الاشرم اسم رئيس اصحاب الفيل ورمى صفة العسكر وضميره يعود اليه وفى ايثار بناء المجهول رعاية لقوله تعالى ولكن الله رمى وبالحصى متعلق به وكذا من والتقديم للتخصيص وضمير راحتيه للنبى صلى الله عليه وسلم ونبذا مصدر نبذته من فوق القيته وهو منصوب اما بنبذ المقدر او برمى كما فى قعدت جلاسا وضمير به للحصى والضمير فى ببطنهما لراحتيه نبذ المسبح اى مثل نبذ المسبح اراد به يونس عليه السلام ومن الملتقم الحوت الذى التقمه ومن احشاء متعلق بنبذ والمقصود تشبيه النبذ بالنبذ لا المنبوذ بالمنبوذ وان فى البيتين اشارة الى ثلاث قصص يحتاج بيان حاصل معناها الى معرفتها الاولى قصة اصحاب الفيل وهى ابرهة الحبشى لما نازع ملك اليمن يعنى ارباط وتفرقت الحبشة عليهما فانحاز الى كل واحد منهما فرقة منهم ثم سار احدهما الى الآخر فلما تقارب الناس خرج اليه ابرهة وهو يكنى بابى يكسوم وكان رجلا قصير الجسمان ذا دين

فى النصرانية وخرج اليه ارباط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا وفى يده حربة وخلف ابرهة غلام يقاله عتوده يمنع ظهره فرفع ارباط الحربة فقرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه وعينه وشفته فبذلك سمى ابرهة الاشرم وحمل عتوده على ارباط من خلف ابرهة فقتله وانصرف جند ارباط الى ابرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن فلما بلغ ذلك الى النجاشى غضب غضبا شديدا وقال عدا على امرى فقتله بغير امرى ثم خلف لاندع ابرهة حتى نطأ بلاده وتجز ناصيته فحلق ابرهة رأسه وملأ جرابا ترابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشى ثم كتب اليه ايها الملك انما كان ارباط عبدك وانا عبدك فاختلفنا فى امرك الا انى كنت اقوى على امر الحبشة واضبط لها واسوسه منه وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك وبثت بجراب تراب من ارضى ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه فى فلما انتهى ذلك الى النجاشى رضى عنه وكتب اليه ان اثبت بارض اليمن حتى يأتيك امرى فاقام ابرهة باليمن وبنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليه الحاج فكتب الى النجاشى انى بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن امثالها ملك كان قبلك ولست ارضى حتى اصرف حجاج العرب فلما تحدث العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشى غضب رجل من بنى كنانة حتى اتى القليس فقعد فيها وقضى حاجته فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملته الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنى عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل ان معه الف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ابى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن والى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجران فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه رأى منها عند ام هانى نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى فكان الحجر يقع على كل واحد منهم فيخرج من اسفله وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا فى كل طريق ومنهل وذوى ابرهة فساقطت انامله وارابه ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها

واسعة على بعد مسافة ثلاث ساعات من بلدة يقال لها صنعا اليمن فامر ان يبنى فى ذلك الموضع كنيسة فبنوا فيه واتموا وعلقوا فيها قناديل من الذهب والجواهر ووضعوا فيها كراسى مكللة باللؤلؤ وانواع الجواهر وملؤها بالاموال النفيسة وسموها قليسا ووضع ابرهة فيها رجالا حافظين وخدمة وجعل على حيطانها استارا منقوشة بالذهب واللؤلؤ وقال لحافضها ان اتى احد من اهل الحجاز اليها فأذنوا له فى الدخول لعلهم اذا رأوها تركوا بيتهم وتوجهوا اليها ثم ذهب ستة نفر من اهل الحجاز الى ارض اليمن للتجارة فقالوا بينهم ان كنيسة ملك اليمن قد شاع خبرها فلا نتركها حتى ننظرها فجاؤ الى بابها فقال الخادمون لهم من انتم قالوا نحن من اهل مكة فأذنوا لهم فى الدخول فلما نظروا اليها تعجبوا فقال احد الخادمين لهم أهذه احسن ام بيتكم قالوا بيتنا احسن واعلى لانكم تفرحون بالجواهر والذهب ونحن لاننظر اليها ولكن الكعبة قد بناها نبى الله ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام ولها خواص كثيرة منها انه مامن احد يأخذ باستارها او بحلقة بابها ويسأل ربها حاجته الاوقد تجاب دعوته فوقع بينهم نزاع فغلق احد تلك الستة باب الكنيسة وسلوا سيوفهم وقتلوا الخادمين كلهم وتغوطوا داخلها ولطخوا بعذرتهم حيطانها ثم خرجوا وفروا الى ارض الحجاز فلما اطلع ابرهة على هذه الاحوال زال عقله من غضبه وقال لوزيره هيئ لنا آلات الحرب فجمعها واحضر عساكر كثيرة وجنودا وفيرة فارسل وزيره وكان معهم اربعون فيلا ثم ركب ابرهة ايضا وعزم على ان يقتل اهل مكة ويحرق البيت فلما وصلوا الى قرب مكة نزلوا ثمة واستاقوا ابل قريش وغنمها وكان لعبد المطلب فيها اربع مائة ناقة فلما بلغ الخبر الى عبد المطلب جد النبى

وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه* عن عائشة رأيت قائد الفيل وسائقه اعميين مقعدين يستطعمان وفى المروى من القصة ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج ليتخلصها فجهزه واستعظمه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال ابرهة مالك الهاك مالك اما تعلم انى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر قال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه فامر بابله ثم رجع عبد المطلب واتى باب البيت فاخذ بحلقته وتقول اللهم ان المرء يمنع رحله فامنع حرمك عن تسلط من لا يخشى عقابك «يارب لا ارجو سواكا* يارب فامنع عنهم حماكا* ان عدو البيت من عاداكا* فامنعهم ان يخربوا اقراكا» فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير فقال والله انها الطير غريبة ماهى هجرية ولا تهامية وان لها لسانا وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم وكان ذلك سبب بشارة والثانية قصة رمى الحصاة وهى ماثبت برواية محمد بن اسحاق الواقدى من انه فى غزوة بدر الكبرى لما تراصف الفريقان نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لاتحملوا حتى نوديهم ثم خفق رسول الله خفقة ثم انتبه فقال ابشر يا ابابكر هذا جبريل معجزا بعمامته اخذ بعنان فرسه يقودها اتانا نصر الله وعونه وقال له جبريل خذ قبضة من حصباء الوادى فناوله كفا من حصى عليه تراب وفى الكشاف لما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جائت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك ماوعدتنى فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلى رضى الله عنه اعطنى قبضة من حصباء الوادى فناوله وباقى القصة فى الروايتين مشترك وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه وفيه ومنخره منها شئ فانهزموا واردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وفى رواية حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كان صوت حصيات وقعت فى طست ورمى رسول الله تلك الحصيات فانهزمنا وهذا القدر يكفى لما نحن فيه واما تفاصيل هذه الغزوة فيها لها قصة فى شرحها طول والثالثة ان يونس عليه السلام ابرم لقومه لطول ماذكرهم فلم يذكروا

عليه الصلاة والسلام لبس لباسا نفيسا وعمامة لطيفة وركب ناقة وتوجه الى ابرهة فلما وصل الى الفيل الذى كان اعظم الفيلة وكان اسمه محمودا قال انى جد محمد عليه الصلاة والسلام نبى آخر الزمان فرجع الفيل القهقرى ووضع وجهه على الارض وتملق اليه فمشى عبد المطلب حتى وصل الى سرير ابرهة فدعا الله تعالى وقال اللهم ياسميع يابصير ياعليم ياخبير انت جعلت نور حبيبك فى ستين سنة فبحرمة صاحبه لاتجعلنى حقيرا ولا خجيلا بين يدى الظالمين فوقعت الهيبة فى قلوبهم فقام ابرهة ونزل عن سريره وقال مرحبا بك ياسلطان مكة يا شيخ الحرم لاى حاجة جئت فقال انما جئت لان جيوشك قد اخذوا اربعمائة من ابلى فانا اطلبها فضحك ابرهة وقال انى ظننت انك تسألنى الكعبة قال عبد المطلب لست انا بصاحب الكعبة فان لها صاحبا يحفظها واما الجمال فلى فامر ابرهة ان يعطوه جماله وركب ناقته فجاء الى مكة واخبر الحال الى اهل مكة وذكر كثرة جيشه فقالوا انا لانستطيع محاربته فخرجوا وفروا حتى خلت مكة منهم فجاء عبد المطلب فاخذ حلقة البيت فدعا وتضرع فوثب النور من جبهته فوقع فى الكعبة ونصب الى السماء فلما رأى عبد المطلب هذه الحال قال يا قوم ارجعوا فقد كفيتم فلا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فالتفتوا الى السماء فاذا طيور كثيرة نشأت من جانب البحر واجتمعت فوق عسكر ابرهة ومع كل طائر ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه كل حجر كعدسة وعليه مكتوب اسم من يرمى به فرمت الطيور تلك الاحجار فما اصاب احدا منهم حجر الا اهلكه فهلك القوم كلهم الا ابرهة فهرب وفوقه طير حتى وصل ابرهة الى ملكه فحكى له الحال ولما اتم حكايته رمى الطير حجره فاصابه فهلك فلما رأى عبد المطلب هذه الحال نزل من جبل ابى قبيس فاخذ اموالهم وكان سبب

واقاموا على كفرهم فظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا لمرضاة الله تعالى وما غضبهم الا له وما ابغض الكفر واهله الا لمحبة الله سبحانه وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله فى المهاجرة عنهم كما صبر اولوا العزم من الرسل فابتلى ببطن الحوت اذ ذهب مغاضبا فى ساحل البحر ليركب ففرق احد ابنيه فتبعه يونس لاستخلاصه فلم يتمكن ورجع خائبا فاذا الذئب ذهب بابنه الآخر فاقتفى اثره فلم يظفر به فعاد متحيرا ولم يجد عياله وركب السفينة فتلاطمت الامواج واستشرفت السفينة على الغرق فقالوا انما طرأ هذا من شوم مذنب فساهم فكان من المدحضين فالقى نفسه فى اليم فالتقطه الحوت فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين والظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل ظلمتى بطنى الحوتين وظلمة البحر فببركة التهليل والتسبيح واعترافه بالخطأ نجاه الله سبحانه كما قال فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين وباقى القصة يطلب من التفاسير فحاصل معنى البيتين ان الشياطين لما رجموا بالشهب عن مقاعد الاستراق وهربوا عن رجم ساكنى السبع الطباق كانهم ابطال ابرهة فى الهرب من الابابيل حيث التفت ساقهم بالساق وعسكر قريش رمى بالحصى من كف النبى الكريم الاخلاق بعد ما سبح الحصى ببطن راحتيه وذكر الله بالجبروت كما سبح يونس عليه السلام فى بطن الحوت

﴿ لا تنكر الوحى من رؤياه ان له
قلبا اذا نامت العينان لم ينم
وذاك حين بلوغ من نبوته
فليس ينكر فيه حال محتلم ﴾

الخطاب خطاب الزبون والوحى هو الاشارة والافهام من الله تعالى ويستعمل بمعنى الموحى اسم مفعول الرؤيا الرؤية فى النوم ويطلق على المرئى فيه ايضا من للتبعيض اوللبيان ومتعلق بمحذوف وهو صفة اوحال وان استيناف وتقديم الاختصاص وتنوين قلب للتعظيم والشرطية صفة القلب والنوم فترة طبيعية يعترى الحيوان فيتعطل بها حواسه ونوم القلب يعطل القوم المدركة وذاك اى القلب الموصوف اوالوحى من رؤياه وتنوين بلوغ

دفع هذه البلية نوره عليه السلام ولذا قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك) الخ ومن اراد تفصيل القصة فعليه بالرجوع الى قصص الانبيا وقوله (اوعسكر بالحصى) الخ تشبيه آخر واشارة الى معجزة اخرى له عليه السلام (فعسكر) معطوف على ابطال يعنى ان الشياطين فى الفرار كعسكر الكفار و(بالحصى) متعلق برمى المؤخر والحصى احجار صغيرة و(من راحتيه) متعلق ايضا (برمى) المؤخر و(راحتيه) بمعنى كفيه وضميره راجع اليه عليه السلام يعنى ان الشياطين فى الفرار كعسكر الكفار الذين انهزموا برميه عليه السلام اليهم حصيات ففروا بلا قرار حيث روى انه لما التقى منهم الجمعان اخذ رسول الله بقبضة من الحصيات وقال شاهت الوجوه فرماها اليهم فلم يبق احد منهم الا امتلأت عينه بالغبار والحصيات فانهزموا وفروا * فان قلت المشهور والثابت بالاحاديث انه كان تلك الحصى كفا ويشهد له البيت الآتى فكيف يصح قوله فى هذا البيت من راحتيه بصيغة التثنية * اللهم الا ان يقال تثنية الراحتين باعتبار الوقتين فى الغزوتين اعنى فى بدر كما رواه البخارى وفى احد كما رواه مسلم وسيجئ تفصيل الغزوتين فى فصل الجهاد

﴿ نَبذاً بِهِ بعد تسبيح بِبَطنِهِما * نَبذَ المُسَبِّحِ مِن اَحشاءِ مُلتَقِمِ ﴾

لما بين العلامات العجيبة التى وقعت قبل بعثته عليه السلام اراد ان يشرع بيان بعض ما وقع من معجزاته عليه السلام بعد بعثته فقال (نبذا به بعد تسبيح ببطنهما) الخ (نبذا) مصدر منصوب اما بنبذ المقدر اوبرمى * والتقدير نبذ نبذا ومعنى النبذ الرمى من اليد والباء فى (به) زائدة لتقوية العمل والضمير راجع الى الحصى * فان قيل هذا زائدة لافائدة فيه لانه قد سبق فى البيت الاول بعينه ففى الاعادة استدراك * قلت

للتعظيم وعوض عن المضاف اليه اى بلوغه بمعنى كماله اووصوله ومن للابتداء اى من وقت نبوته اوامر نبوته ويجوز ان يكون المراد حين قرب من نبوته يقال بلغ البلد اى قرب واشرف عليه روى ان النبى عليه السلام كان يوحى اليه فى المنام ستة اشهر الى ان استعلن له جبريل عليه السلام وكان جميع مدة الوحى ثلاثة وعشرون سنة فيكون زمان الوحى فى المنام وهو ستة اشهر جزأ من ستة واربعين جزأ من النبوة ولهذا قال عليه السلام الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة والفاء للنتيجة ﴿١٢٧﴾ وضمير فيه لحين البلوغ والمراد من المحتلم العاقل البالغ اى لا ينكر الامور الغريبة والآثار العجيبة فى تلك الحال والحمد لله الكبير المتعال

﴿ تبارك الله ماوحى بمكتسب
ولا نبى على غيب بمتهم ﴾

تبارك الله اى ثبت ودام وعظم وكثر خيره وتمت وزادت ميـامنه والطافه على العد والاحصاء ووسعت رحمته كل شئ بلا انتهاء واخزابه حشوا مليحا وحاشاى ان اسميه حشوا وما وحى بمكتسب استيناف والاكتساب والكسب طلب الشئ بمباشرة اسبابه التى جرت السنة اى العادة العالية بحصوله بعدها كتركيب المقدمتين بالشرائط المعتبرة فى الانتاج مع التأمل فى حاصلهما وجرت العادة بعدها بافاضة النتيجة ولهذا عدها الشيخ الرئيس من المعدات فالمعنى ان شيئا من النبوة والرسالة ليس بمكتسب بل محض عناية ومجرد فضل ورحمة والله يختص برحمته من يشاء ولا يجوز لاحد ان ينكر احدا من الانبياء فيما يخبر عن غيب فانهم معصومون عن الرذائل ومحفوظون على الفضائل لا يخبرون الى احد خطايا ولا كتابا الا ويقولون صوابا بانه تعالى لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ﴿ كم ابرأت وصبا باللمس راحته * واطلقت اربا من ربقة اللمم ﴾ كم مفعول فيه اى كثيرا من المرء ابرئ من المرض وابرأه والوصب المرض والارب الحاجة فان قرئ بكسر العين فصفتان وان قرئ بالفتح فالمضاف محذوف اى ذا وصب وذا ارب وراحته فاعل ابرأت وضمير اطلقت اليها ويجوز ان يكون المراد من راحة يمنه وبركته ودعائه فيكون المراد من اللمس الوصول الربقة العروة التى يشد بها البهيمة اللمم الجنون وصغار الذنوب ومنه قوله تعالى والفواحش الا اللمم وقيل انه مقاربة المعصية من غير مواقعة فيكون المراد

لا نسلم انه لا فائدة فيه كيف واعادته للتأكيد والتقرير على ان الاول مطلق وهذا مقيد فلا يكون عين الاول كما لا يخفى وقوله (بعد تسبيح) ظرف نبذا او رمى وكان التسبيح صادرا من الحصيات واختلف فى كيفية ذلك التسبيح و(ببطنهما) متعلق بتسبيح والباء بمعنى فى او ظرف مستقر على انه صفة تسبيح اى كائن فى بطنهما وضمير التثنية راجع الى الراحتين * فان قلت الراحة بمعنى باطن اليد فلو رجع هذا الضمير اليهما يلزم استدراك قوله ببطن كما لا يخفى * قلت لا نسلم ان الراحة بمعنى باطن اليد لا مطلق اليد ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون فى ضمير ببطنهما استخدام بان يراد بمرجعه اعنى الراحتين معنى باطن اليد وبالضمير الراجع اليه مطلق اليد مجازا من ذكر اللازم وارادة الملزوم او من ذكر الجزء وارادة الكل ولو سلم فلم لا يجوز ان تكون اضافة البطن الى الضمير بيانية فتأمل ﴿ وحاصل معنى هذا المصراع ﴾ ان رسول الله عليه السلام رمى تلك الحصيات بعد تسبيحها فى راحتيه عليه السلام حيث روى انه عليه السلام لما اخذ بقبضة من الحصيات بالوحى سبحت فى كفه عليه السلام وهو يسمع ثم اعطاها ابابكر فسبحت ايضا فى كفه وهو يسمع ثم اعطاها عمر فسبحت فى كفه ايضا وهو يسمع ثم اعطاها عثمان ثم اعطاها عليا فسبحت فى كفهما وهما يسمعان وقد كان مثل ذلك كثيرا ايضا فى اوقاته عليه السلام كما بينوه فى الكتب المفصلة * ثم اتى بتشبيه لذلك الحكم مع الاشارة الى قصة لطيفة فقال (نبذ المسبح) الخ وهو بالنصب مفعول رمى والاداة محذوفة اى كنبذ المسبح وهو مضاف الى مفعوله وفاعله محذوف اى نبذ الله المسبح والالف واللام فى المسبح للعهد اى المسبح المعهود وهو يونس النبى عليه الصلاة والسلام و(من) متعلق بنبذ و(الاحشاء) جمع الحشى وهو بمعنى البطن

من الوصب والأرب اعم من الظاهرى والباطنى * وروى انه صلى الله عليه وسلم مسح ضرع شاة حامل فدرت فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود رضى الله عنه وتفل فى عين على رضى الله عنه يوم خيبر فصح من وقته وصب على جابر بن عبدالله وضوءه فبرأ من الارض والاغماء ومن جملة ماينقل راحة الناظم من وصب الفلج بلمس راحة النبى صلى الله عليه وسلم حين ناداه فلج وكله من مثل هذه الامور فليطلب من مظانها ﴿ واحيت السنة الشهباء دعوته * حتى حكت غرة فى الاعصر الدهم * بعارض جادا وخلت البطاح بها * ١٢٨ سيبا من اليم اوسيلا من العرم ﴾

السنة العام وقد يطلق على القحط والشهباء البيضاء لانبات لها حيث لاماء فيها لقلة المطر دعوته اى دعاؤه والاسناد مجازى كانبت الربيع البقل وحتى هى العاطفة وحكاه شابهه والغرة بياض فى الجبهة وضمير حكت للسنة وتنوين غرة للتعظيم والاعصر جمع عصر وهو الزمان والدهم جمع ادهم يقال فرس ادهم وناقة دهماء اذا اشتدت ورقته شبه الاعصر الدهم كلها وهى السنون المقطحة بفرس ادهم وجعل تلك السنة الشهباء التى جئت بدعائه كالغرة فى ذلك الادهم بعارض متعلق باحيت او بدعوته اوبحكت والعارض السحاب الذى يعترض فى الافق جاد المطر جودا والبطاح جمع بطحاء وهو واد متسع ذو حصباء وهو المفعول الاول لخلت وسيبا اى جريا من ساب الماء ثانيهما ان قرئ منصوبا فيكون بها صفة للبطاح مجاز للمبالغة كما فى قوله وسالت باعناق المطى الاباطح او على حذف المضاف اى ذوات سيب وان قرئ مرفوعا فيكون مبتدأ بها خبره والجملة مفعول ثان وضمير بها للبطاح ومن اليم صفة للسيب او حال واليم البحر العظيم النفاع الذى يقصد اليه والسيل الماء الكثير الجارى المجتمع من الامطار والعرم الوادى روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قحط الناس فى عام وامسك المطر قام اليه رجل وهو يخطب يوم الجمعة على منبره فقال يا رسول الله قد قحط المطر واحمر الشجر فادع الله تعالى فرفع يديه ودعى الله تعالى ان يسقيهم الغيث ومافى السماء قدر راحة سحابا فما استتم دعاءه حتى نشأت سحابة فامطرت من الجمعة الى الجمعة فقام اليه فى الجمعة الاخرى ذلك الرجل اوغيره وهو يخطب فقال يارسول الله تهدم البيوت وانقطع السبل فادع الله لنا فرفع النبى صلى الله عليه وسلم

وجهه اما على حقيقته لان يونس كان فى بطون ثلاثة الاول بطن الحوت الاول والثانى بطن الحوت الثانى والثالث بطن البحر اومن قبيل (فقد صغت قلوبكما) والملتقم بمعنى المبتلع والمراد به الحوت * ثم اعلم ان التشبيه فى النبذ المطلق لافى المنبوذ كمالايخفى ﴿ وحاصل معنى هذا المصراع ﴾ كرمى الله تعالى نبيه يونس عليه الصلاة والسلام من بطن الحوت الى ساحل البحر بسهولة بلاشدة * وقصته ان يونس عليه السلام بعثه الله تعالى الى قوم كانوا مائة الف وسبعين الفا فلم يجبه احد من قومه وعادوه فخرج من المدينة فقال اللهم انزل عليهم رجزك وعذابك فنزل جبرائيل وقال له ان الله تعالى يقول ارجع اليهم فادعهم اربعين ليلة اخرى فان اجابوك فنعم والا فانا مرسل اليهم العذاب فرجع يونس فدعاهم سبعة وثلاثين يوما فلم يجيبوه فاخبرهم بالعذاب الى ثلاثة ايام فلما جاءت ليلة الاربعين خرج يونس من عندهم بغير اذن ربه فلما اصبحوا تغشاهم سحاب العذاب فظنوا انه مطر فنظروا الى السحاب فاذا يخرج من اطرافه شرر النار فخافوا وندموا وطلبوا يونس فلم يجدوه فقالوا لملكهم ان كان يونس غائبا عنا فان آلهه لم يغب فاجتمع الناس كلهم فى ارض سهلة فتابوا وتضرعوا وكسروا اصنامهم وقبلوا دين الله تعالى وسجدوا له تعالى فاستجاب الله دعاءهم وكشف عنهم العذاب وكان يونس على جبل بعيد من المدينة فلم يقف على هذه الحال فجاء اليه الشيطان فى صورة شيخ فقال يونس له من اين تجيء قال من المدينة قال اى حال تركت اهلها قال ابليس تركتهم يطلبون كذابا يقال له يونس فانه قال لهم يأتيكم العذاب فلم يأتهم فيطلبونه ويريدون قتله فقال يونس كيف ارجع الى قوم كذبونى فذهب مغاضبا الى قومه من غير وحى من الله

تعالى فاتى بحر الروم فاذا سفينة مشحونة فركبها يونس عليه الصلاة والسلام فلما ركبها تحركت السفينة حتى كادت تغرق فقال الملاحون ههنا رجل عاص وعبد آبق وهذا رسم السفينة اذا كان فيها العبد الآبق لا تجرى ومن رسمها ايضا ان يقترعوا فى مثل هذا فمن وقعت القرعة عليه القوه فى البحر فساهم اى قارع اهل السفينة ثلاث مرات فوقعت فى كلها على يونس عليه السلام فكان يونس من المدحضين اى من المقروعين فقام يونس فقال انا الرجل العاصى والعبد الآبق فالقوه اوالقى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت ثم جاء حوت آخر اكبر منه فابتلع هذا الحوت فنزل به الى قعر البحر فمكث فى بطنه اربعين يوما فنادى فى الظلمات الثلاث وسبح الله تعالى فقال (لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) فاستجاب الله تعالى دعاءه بحرمة تسبيحه فاخرجه الى ساحل البحر فانبت الله عليه شجرة اليقطين ليستظل بظلها ثم مشى الى قرية فاقبل عليه اهل تلك القرية فاكرموه وعظموه وتمام القصة فى قصص الانبياء للامام الثعلبى

﴿ جاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجارُ ساجِدَةً * تَمْشِي اِلَيْهِ عَلَى ساقٍ بِلا قَدَمِ ﴾

لما ذكر فى البيت السابق معجزته عليه السلام اعنى تسبيح الحصى فى كفه عليه السلام انتقل منها الى بيان معجزة اخرى مع المناسبة بين المعجزتين اذ كلتاهما كانتا جمادا وشهدتا بنبوته وغير ذلك مما لو تأملت لوجدته بديعا فقال (جاءت لدعوته الاشجار) الخ (جاءت) اى اتت لدعوته اى وقت طلبه تشهد على نبوته عليه السلام كما سيجئ حكايته و(الاشجار) بالرفع فاعل جاءت وهى جمع شجر * قال فى اخوان الصفاء فى الفرق بين الشجر والنبات والنجم ان الشجر ما هو قائم على ساقه مرتفع فى الهواء يورق فى الصيف ويتناثر ورقه فى الشتاء يخرج الثمر ولو غير مأكول والنبات ما يبزر من الحب والبزر والنجم ما ينبت من غير بزر وينبسط على وجه الارض من الحشائش والكلاء وكلها ذو طعم ولون ورائحة انتهى * والمراد من الشجر هنا شجر النخل * وقيل غير ذلك و(ساجدة) بالنصب حال من الاشجار والسجدة هنا اما على حقيقتها او المراد منها الخضوع والانقياد كما جاء الركوع بمعنى الخضوع فى قوله تعالى (يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى من الراكعين) ولما توهم ان يسأل عن كيفية مجيئها بانه هل خلق لها قدم او جاءت بلا قدم دفعه فقال (تمشى اليه) فهذه الجملة استيناف او حال و(اليه) متعلق به والضمير راجع اليه

يديه وقال اللهم حوالينا لا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احوق بها كالاكليل

﴿ جاءت لدعوته الاشجار ساجدة تمشى اليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرا لما كتبت فروعها من بديع الخط فى اللقم ﴾

لدعوته اى لطلبه والضمير فيه وفى اليه للنبى صلى الله عليه وسلم والنبات ان كان له ساق فهو شجر والا فهو نجم وحشيش قال تعالى والنجم والشجر يسجدان ساجدة اى خاضعة وهى حال وكذا تمشى وبلا قدم صفة ساق كأنما سطرت حال او استيناف وما كافة وسطر وكتب بمعنى والمراد من السطر آثار فروع الشجر بسبب المجئ واللام فى لما كتبت اما بمعنى الباء او بمعناه فيكون صفة سطرا وضمير المفعول العائد الى الموصول محذوف اى كتبته ومن بديع الخط بيان له بمعنى المبدع اسم المفعول اى الغريب والعجيب واللقم وسط الطريق وروى باللقم كقولك جلست بالمسجد اى فى المسجد يعنى ان تلك الاشجار كتبت على صفحة الطريق بفروعها خطا جميلا من تأمل فيه علم حقية نبوته وصدقه فى جميع ما اخبر به وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالحجون وهو كئيب حزين فقال اللهم ارنى آية لا ابالى من يكذبنى بعدها

ونادى شجرة من قبل عقبة اهل المدينة فجائت تشق الارض حتى انتهت اليه فسلمت عليه ثم امر فرجعت فقال لاابالى من يكذبنى بعدها وقد يروى اغرب من هذا وهو ان صناديد قريش واقيالهم اجتمعوا يوما عند ابى طالب وقالوا ياوجه العرب ويا سيد بنى هاشم قد ابتلينا ببلاء ابن اخيك ابى القاسم يذم دين آبائنا ويطعن فى آلهتنا فاطلبه ولا تجل كى يرينا آية فنؤمن به فقبل مقالتهم فلما جاء النبى عليه السلام سبحان الملك العلام تغير عليهم الحال وقاموا بلااختيار للتعظيم والاجلال وقد كان فى قصدهم الاهانة والاذلال فلماجلس قال ابو جهل يا محمد نريد ان نشاهد آية من آيات نبوتك فادع ربك يخرج لنا شجرة من هذا الحجر واشار الى حجر كان يرى امامهم فدعا النبى صلى الله عليه وسلم فانشق الحجر وخرجت منها شجرة وسجدت نحو النبى وجاءت ساجدة مع الحجر ويخط فروعها خطوطا فلمادنا من النبى عليه السلام سلمت عليه فقال ابو جهل ادع ربك حتى يعيدها فى الحجر فدعا فعادت شجرة والتأم الحجر وكان ذلك سببا لايمان بعضهم ولكن اباجهل قال مارأيت ساحرا مثلك يا محمد صلى الله عليه وسلم

عليه السلام على ساق متعلق بتمشى وقوله (بلاقدم) اما متعلق بتمشى اوظرف مستقر صفة ساق اوحال منه وفى المعنى تأكيد كمالايخفى وفى البيت انواع من خوارق العادة كفهم الخطاب من النبات مع انهـا ليست من ذوات الادراك ومجيئها وتحركها وقصدها اليه وتواضعها لديه ومشيها على ساق وبلاقدم * قال العصام المجى انما حصل من شجرة واحدة على ماورد فى الاخبار فجمع الاشجار محمول على التكرار يعنى تكرار حركتها مع وجود وحدتها وغفل عما فى المواهب والشفاء اذ ذكر فى المواهب اخرج الامام احمد عن ابى سفيان قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو حزين قد خضب عليه السلام بالدماء حيث ضربه بعض اهل مكة فقال له جبرائيل أتحب ان اريك آية فقال نعم فقال ادع تلك الشجرة التى وراء الوادى فدعاها فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها فقال عليه السلام حسبى حسبى * وعن بريدة جاء اعرابى وسأل منه عليه السلام آية فقال له قل لتلك الشجرة ان رسول الله يدعوك فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت حتى وقفت بين يدى رسول الله عليه السلام فقالت السلام عليك يارسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فامرها فرجعت فدلت عروقها فى موضعها فاستقرت الحديث * وفى حديث جابر ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضى حاجته فلم يرشيئا يستتر به فاذا شجرتان فى شاطئ الوادى فانطلق فاخذ بغصن من اغصان احدهما وقال (انقادى معى باذن الله) فانقادت معه حتى اتى الى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها ايضا وقال (انقادى معى) حتى اذا كان بالمنتصف مما بينهما قال (التئما على باذن الله فالتأمتا) ثم بعد انقضاء حاجته افترقتا الى اماكنهما وامثاله ايضا ذكر فى الشفاء

﴿ كأنّما سطرتْ سطراً لمـا كتبتْ * فروعُها من بديعِ الخطِّ فى اللقمِ ﴾

لما توهم ان يسئل عن كيفية مشى الاشجار على ساقها بلاقدم اجاب عنه فقال بتشبيه بليغ (كأنما سطرت الخ) فكأن للتشبيه وما كافة اى كان الاشجار فى مجيئها سطرت بمعنى كتبت واثرت والضمير للاشجار اولفروعها و(سطرا) مفعول مطلق له واللام فى (لما) للتوقيت اوللتعليل وما موصولة و(كتبت) صلته وضمير الموصول محذوف اى كتبته اوكلمة مامصدرية اى لكتابة الفروع وعلى كل تقدير قوله (فروعها) بالرفع فاعل كتبت والفروع بمعنى الاغصان

والافنان وضميره للاشجار وقوله (من بديع الخط) بيان لما واضافة البديع الى (الخط) من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها اى الخط البديع بمعنى الخط الحسن وقوله (فى اللقم) متعلق بكتبت واللقم بفتحتين بمعنى وسط الطريق ﴿والمعنى﴾ كان الاشجار انتظمت سطور الكتابة الفروع والاغصان فى وسط الطريق خطا حسنا دالا على المعانى الكثيرة * وفى البيت استعارة تمثيلية بان شبه الهيئة المنتزعة من الاشجار واغصانها وانتظامها سطرا وكتابة فروعها خطا حسنا فى وسط الطريق بالهيئة المنتزعة من كاتب حقيقة وانتظامه سطورا بالمسطار وكتابته بالقلم خطا حسنا على الكاغد * وفى هذين البيتين اشارة الى ان المسلمين اولى بالمبادرة لاوامره عليه السلام وبان يقمن على قدم العبودية والاطاعة واذا كانت الاشجار مطيعة منقادة له عليه السلام فامته اولى به

﴿مِثْلُ الغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةً * تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي﴾

ثم انتقل من المعجزة السابقة الى بيان معجزة اخرى مع المناسبة بين هذه المعجزة وتلك من وجوه لان الغمامة كانت تسير مع النبى اين سار واطاعت له عليه السلام وكذلك الاشجار كانت مطيعة ومنقادة له عليه السلام تذهب الى اين امر ولان الغمامة كانت تظلل النبى عليه السلام من حر الشمس كذلك الاشجار كانت تظلل النبى عليه السلام كما روى فى الاحاديث الصحيحة انه عليه السلام اذا نام فى الصحراء كانت تجئ له الاشجار وتظلله ولان الغمامة سبب لانبات النباتات والاشجار وغير ذلك فقال (مثل الغمامة الخ) (مثل) بالنصب على انه صفة مصدر محذوف اى مجيئا مثل الغمامة او بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى الاشجار مثل الغمامة و(الغمامة) بفتح الغين المعجمة بمعنى السحاب وحبط العصام حيث قال الغمامة كالعمامة لانها بكسر المهملة كذا فى القاموس و(انى) بفتح الهمزة بمعنى اين اى الى اى محل سار او بمعنى كيف اى كيف سار النبى عليه السلام سواء سار راكبا او ماشيا سريعا او بطيئا وعلى كلا التقديرين فهو ظرف لقوله المؤخر سائرة و(سار) بمعنى ذهب وضميره راجع اليه عليه السلام و(سائرة) اما بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى سائرة فتكون الجملة بيانا لحال الغمامة او منصوبة على انها حال من الغمامة و(تقيه) بمعنى تحفظه وضمير فاعله راجع الى الغمامة وضمير مفعوله راجع الى النبى عليه السلام والجملة اما حال او استيناف لبيان علة السير فيمكن ان يرتب لهذا قياس بان يقال الغمامة تسير الى اين سار النبى لان الغمامة كانت تظلل النبى وتقيه حر وطيس للهجير حمى وكل شئ شانه كذا فهو تسير الى اين سار النبى فينتج المطلوب و(حر وطيس) بالنصب مفعول ثان لتقى لكن من قبيل الحذف

خبر مبتدأ محذوف اى مجئ الاشجار والمذكور من الخوارق مثل الغمامة فى كونها معجزة انى بمعنى اين او بمعنى كيف اى من اى موضع سار ماشيا او راكبا او سريعا او بطيئا وسائرة اما مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى فيكون استينافا او بيانا لحال الغمامة او منصوب على انه حال من الغمامة وتقيه حال من الضمير فى سائرة او استيناف على الثانى وبدل من الجملة الاسمية وبيان ايضا على الاول من وقاه الشئ حفظه عنه الوطيس التنور يقال حمى الوطيس اذا اشتد الحرب والهجير والهاجرة ما بين الزوال والعصر والباء فيه اما للتجريد او بمعنى فى ويكون متعلقة بحمى وهو صفة وطيس وروى باللام فيكون للاختصاص ويكون قوله للهجير صفة للوطيس وحمى حالا بعد مضمرة يقول هذه المعجزات المسوقة اليه بالفضل والكرامة فى كونها معجزة مثل الغمامة التى كانت تقيه اشعة الشمس واوارها وتدور لتظلله من الشمس طبق مدارها كما قيل وظلله من حر الشمس سحابة تسير وتلوى ايما احمد يلوى وتلك الغمامة كانت تسير معه عليه السلام من صغر سنه وبها عرفه بحيراء الراهب على ما رويه الواقدى ان اباطالب اراد الخروج فى قريش الى الشام فلما تهيأ للرحيل حب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له ابو طالب وقال والله لاخرجنه معى وكان ثم من عمره وقتئذ اثنى عشر سنة فكلم اباطالب اخوته واخواته وقالوا مثل هذا الغلام لا يخرج به فكاد ابو طالب يخلفه حين كلف فيه فرآه يوما يبكى فقال له مالك يا ابن اخى فسكت رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال له لعل بكاءك انى اخلفك فقال نعم فقال ابو طالب والله لا افارقك ابدا فخرج به فلما نزلوا بقرب الشام وبها راهب يقال له بحيراء فى صومعة وكان من علماء النصارى فصنع لهم طعاما ودعاهم اليه وانما حمله على ذلك انه حين رآهم رأى غمامة تظلل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزل ابو طالب تحت الشجرة اظلت الغمامة على الشجرة ثم قال لهم الراهب احب ان لا يتخلف منكم احد فحضروا واكلهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الراهب الى الغمامة وهى واقفة عليه فقال الم اقل لكم لا يتخلف منكم احد فقالوا ما تخلف الا غلام حديث السن فقال الحارث بن عبد المطلب كيف تخلف ابن عبد المطلب من بيننا فجاء به واجلسه على الطعام فنظر الراهب ان الغمامة جاءت معه ثم قال لابى طالب ماهذا الغلام منك فقال هو ابن اخى قال فما فعل ابوه قال هلك وامه حبلى قال صدقت قال فما فعلت امه قال هلكت قال صدقت فلما اكلوا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسألك بحق اللات والعزى الا اخبرتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألنى باللات والعزى فوالله ما ابغضت شيئا بغضهما قال فبالله الا اخبرتنى فقال رسول الله سلنى فسأله عن اشياء من احواله حتى نومه فاخبره فوافق ذلك ما عنده ثم جعل ينظر فى عينيه فسأل هل يذهب حمرتها فقالوا لا يفارقه فقال انزع جنبيك فابى عليه حتى قال له ابو طالب انزعها يا ابن اخى فنزعها فنظر الى الخاتم بين كتفيه فجعل يقبله وعيناه تهرقان بالدمع ثم قال لابى طالب ان ابن اخيك يكون نبى هذه الامة وانى اخاف عليه اليهود فارجع سريعا الى مولده وقد اخذ علينا فيه المواثق فقال من اخذه فتبسم الراهب وقال اخذه الله علينا فى كتابه الذى انزل بذلك عيسى بن مريم وقد اديت اليك فى امره النصيحة والسلام ﴿اقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم﴾ اقسم به حلف به وسمى القمر قمرا لغلبة

والايصال اى من حر وطيس والوطيس التنور لكنه مستعار لمعنى الشمس حيث شبه الشمس وقت الزوال بالتنور فى شدة الحر فاستعير التنور للشمس فذكر التنور واريد الشمس وقوله (للهجير) اللام للتوقيت وهو ظرف مستقر صفة لوطيس او ظرف له او ظرف للحر والهجير بمعنى نصف النهار عند اشتداد الحر يقال الهجير يبس النبت والحوض و(حمى) فعل ماض وسكون آخره عارض فى الوقف وهو صفة لوطيس والحمى بمعنى اشتداد الحر يقال حمى النهار بكسر العين اذا اشتد حره ﴿وحاصل المعنى﴾ ان الاشجار ساجدة لديه جائية اليه مثل الغمامة كانت تسير الى ابن سار النبى لكونها حافظة له من حر شمس كائنة وقت الزوال الشديد الحر بقدرة الملك المتعال * والبيت اشارة الى قصة بحيراء الراهب وهى انه عليه السلام لما خرج الى الشام لمصلحة خديجة ارسل الله تعالى على رأسه عليه السلام غمامة بيضاء لتظلله من حر الشمس حتى وصلت العير الى صومعة بحيراء الراهب فنزلت العير عندها تحت شجرة فاحضرت تلك الشجرة مع انها يابسة فخرج الراهب من صومعته ورأى العير والغمامة التى تظلله فعرفه بذلك وقال ليس تحتها الا نبى واتخذ ضيافة ودعا اهل العير ليعرف صاحب تلك الكرامة فذهبوا باجمعهم وتركوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند اثقالهم لاعتمادهم عليه فنظر الراهب ان الغمامة لم تزل من مكانها فسألهم وقال هل بقى منكم احد فى مكانكم فقالوا لا الا الحافظ يحفظ اثقالنا فطلب الراهب منهم ان يأتوا به فاتى به عليه السلام فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تلك الصومعة نظر الراهب الى الغمامة فرآها واقفة على الباب فدخل وقال يا شاب من اى بلدة انت قال من مكة قال من اى قبيلة قال من قريش قال ما اسمك قال اسمى محمد فوقع الراهب عليه وقبله بين عينيه وقال (لا اله الا الله محمد رسول الله) واسلم وحسن اسلامه وتمام القصة مذكور فى كتب السير

﴿اَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ اَنَّ لَهُ * مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ﴾

ثم انتقل بيان معجزة اخرى لها مناسبة للسابقة من وجوه شتى حيث كانت السابقة سماوية وكذا هذه ولانها كانت خاصة بنبينا عليه السلام وكذا هذه ولانها انقادت اليه عليه السلام فكذا هذه فقال (اقسمت) بالقمر الخ (اقسمت) على صيغة المتكلم من القسم بمعنى الحلف لا من الاقسام لعدم مجيئه و(بالقمر) متعلق باقسمت فيكون القمر مقسما به * فان قلت القسم بغير

اسم الله لايجوز من العباد بل الظاهر من كلام مشايخنا انه كفر ان كان باعتقاد انه حلف فيجب التبرئة وحرام ان كان بدونه * وقد قال عليه السلام (من حلف بغير الله فقد اشرك) رواه الترمذى والحاكم باسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما وعن ابن عباس (لان احلف بالله فآثم خير من ان احلف بغير الله تعالى فابر) فكيف يجوز قسم الناظم النحرير بالقمر * قلت الجواب عنه من وجوه * اما اولا فبان يقال فى العبارة حذف مضاف اى اقسمت برب القمر او خالقه كما قدره اكثر المفسرين فى مثل قوله تعالى (والشمس والضحى والليل) وغير ذلك واما ثانيا فبان يقال ان هذا القول وان كان فى صورة القسم لكن لم يكن المراد به القسم بغير الله تعالى فان العرب اذا ارادوا تأكيد مضمون الكلام وترويجه واخبار صدقه يذكرونه فى صورة القسم لانه اقوى من سائر المؤكدات واسلم وليس الغرض به اليمين الشرعى * واما ثالثا فبان يقال ان الحلف بغير اسم الله تعالى انما لايجوز فى مذهب الحنفية والناظم شافعى المذهب كما سبق فيجوز الحلف بغير الله تعالى فى مذهبهم ثم ان القمر يطلق على الكوكب المنير بالليل بعد مضى ثلاث ليال واما قبله فيقال له الهلال و(المنشق) بالكسر صفة القمر وهو اسم مفعول من الانشقاق بمعنى الانصداع * وانشقاق القمر باشارته عليه الصلاة والسلام ثابت بالقرآن والاحاديث * قال فى المشكاة روى ان اباجهل عليه اللعنة ومن تابعه لما عجزوا عن معارضة نبينا عليه الصلاة والسلام وارتفعت يوما فيوما شمس شريعته وجعل الناس يؤمنون به بعثوا الى حبيب بن مالك امير الشام مكتوبا وكتبوا فيه « اما بعد ليعلم الملك انه قد ظهر بيننا رجل ساحر كذاب يدعى ربا واحدا ودينا جديدا وانه يسب آلهتنا وكلما قابلناه بالحجة غلب علينا فاليوم ضعف دينك ودين آبائك فالحق به قبل ان ينشر دينه » فركب حبيب بن مالك ومعه اثنا عشر فارس ونزل بالابطح وخرج لاستقباله ابوجهل وعظماء مكة بالهدايا فاقعده حبيب عن يمينه وسأله عن احوال محمد قال ايها السيد سل بنى هاشم فسأل منهم فقالوا نعرفه بالصدق فى صغره ولما بلغ عمره اربعين سنة جعل يسب آلهتنا ويظهر دينا غير دين آبائنا قال حبيب احضروا محمدا فبعثوا اليه الحاجب فاتى اليه عليه الصلاة والسلام ابو بكر بحلة حمراء وعمامة سوداء فلبسهما رسول الله فجاء الى حضور حبيب وابو بكر عن يمينه وخديجة من خلفه فلما رأى النبى عليه السلام قام اكراما للنبى عليه الصلاة والسلام فلما جلس رسول الله والنور يتلألأ فى وجهه سكتت الالسن ووقعت الهيبة على الناس فقال حبيب يا محمد انت تعلم ان للانبياء كلهم معجزات ألك معجزة فقال عليه

نوره نور الكواكب من قمر دغلبه فالباء فى بالقمر متعلق باقسمت فيكون المقسم به هو القمر المنشق فانه من معجزاته التى هى آثار القدرة الباهرة فان له مع قلب النبى عليه السلام كمال المشابهة والمناسبة الظاهرة او المضاف محذوف اى برب القمر ولا يجوز ان يتعلق بقوله نسبة لان مافى حيز ان لايتقدم عليها وان مع اسمه اى نسبة وخبره اى له جواب القسم والضمير فى له للقمر ومن قلبه متعلق بنسبة او بالقدر فى له وضمير قلبه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد من النسبة ههنا الامر الجامع بترقى قسمه راعى مقتضاه وماهتك حرمته ومبرورة القسم صفة نسبة لان الاضافة لفظية اوحال منه والمبرورة القسم اى الصادقة بلاشك يعنى لو قسم احد ان للقمر المنشق نسبة اى شبها بقلبه المنشق يكون بارا او صادقا ووجه الشبه والجامع اما اللطف والصفاء والنزاهة والاشراق اوصبع القلوب وتربية الالباب والهداية عن الضلال او للاخذ من العالى والاضافة الى السافل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذهب الى موضع فلاقاه ابوجهل مع يهودى وقال يا محمد ارنى آية اراها فيؤمن واؤمن بك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اية آية تريد فعلمه اليهودى بان يسأل انشقاق القمر لان السحر لايتحقق فى السماء فسأل عنه ابو جهل انشقاقه فرفع النبى صلى الله عليه وسلم اصبعه وامره بان ينشق بنصفين فانفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقى القمر فآمن اليهودى ولم يؤمن ابوجهل لانه من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادى له وانشقاق القمر

من معجزاته الباهرة وآياته النيرة الظاهرة قالت حليمة امه الرضاعية وهي من بنات بني سعد بن بكر فلما كان يوم من الايام خرج محمد مع اخوته من الرضاعة فلما انتصف النهار اذا انا بابني ضمرة يعدو وقد علاه العرق باكيا ينادي ياأماه ياأبتاه ادركا اخي القريشي فما اراكما تلحقانه الا ميتا قلت وما قصته قال بينا نحن نترامى بالجلة اذ اتاه رجل فاختطفه من بيننا وعلا به ذروة الجبل وشق بطنه فما اراه الا مقتولا فاقبلت انا وابوك تعني زوجها نسعى سعيا فاذا انا به قاعد على ذروة الجبل شاخص بعينه نحو السماء يتبسم فانكببت عليه وقبلت بين عينيه وقلت له فداك نفسي ما الذي دهاك قال خير يا امه بينا انا الساعة قائم مع اخوتي نتقاذف بالجلة اذ اتاني ثلاثة رهط في يد احدهم ابريق فضة وفي يد الثاني طست من زمرد خضراء مملوءة ثلجا فاخذوني من بين اصحابي وانطلقوا بي الى ذروة الجبل فاضجعني بعضهم على الجبل اضجاعا لطيفا ثم شق صدري وانا انظر اليه فلم اجد لذلك حسا ولا الما ثم ادخل يده في جوفي فاخرج احشاء بطني فغسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها وقام الثاني فقال للاول تنح فقد انجزت ما امرك الله تعالى فدنا مني فادخل يده في جوفي فانتزع قلبي وشقه باثنين فاخرج منه علقة سوداء فرمى بها وقال هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله ثم حشاه بشيء كان معه ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور وانا الساعة اجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي وقام الثالث فقال تنحيا فقد انجزتما ما امر الله تعالى فيه فدنا مني فامر يده على مفرق صدري الى منتهى الشق فالتأم وانا انظر اليه ثم انهضني من الارض انهاضا

الصلوة والسلام ماذا تريد فقال حبيب اريد ان تغيب الشمس وتخرج القمر وتنزله الى الارض وتجعله منشقا نصفين ثم يعود الى السماء قمرا منيرا فقال عليه الصلاة والسلام (ان فعلته أتؤمن بي) قال نعم بشرط ان تخبرني بما في قلبي فصعد رسول الله الى جبل ابي قبيس وصلى ركعتين فدعا ربه فنزل جبرائيل عليه السلام فقال ان الله تعالى سخر لك الشمس والقمر والليل والنهار وان لحبيب بن مالك بنتا سطيحة يعني ساقطة على قفاها وليس لها يدان ولا رجلان ولا عينان فاخبره بان الله تعالى قد رد عليها جوارحها فنزل رسول الله عليه الصلاة والسلام من الجبل وجبريل في الهواء وصفت الملائكة صفوفا فاشار باصبعه عليه الصلاة والسلام الى الشمس فركضت حتى غابت واشتد الظلام وطلع القمر بدرا منيرا فاشار اليه باصبعه فجعل القمر يركض ركضا حتى نزل الى الارض فانفلق فلقتين ثم عاد قمرا منيرا ثم عادت الشمس كما كانت اول مرة ثم قال حبيب بقي عليك الشرط فقال النبي عليه الصلاة والسلام (ان لك ابنة سطيحة والله تعالى قد رد جوارحها) فقال حبيب قائما يا اهل مكة لا كفر بعد الايمان اعلموا اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال ابو جهل أتؤمن بهذا الساحر ثم خرج حبيب بن مالك الى الشام مسلما ودخل قصره فاستقبلته بنته قائلة اشهد ان لا اله الا الله وان محمد عبده ورسوله) فقال لها يا ابنتي من اين علمت هذه الكلمات قالت اتاني آت في المنام فقال لي ان اباك قد اسلم وان كنت اسلمت نرد عليك اعضاءك سالمة فاسلمت في منامي فاصبحت كما تراني وتمام القصة مذكورة في محلها وقوله (انه) بكسر الهمزة لانه وقع في جواب القسم و(له) ظرف مستقر خبر ان والضمير راجع اليه عليه الصلاة والسلام قوله (من قلبه) متعلق بنسبة قدم عليه للحصر ومن بمعنى الباء والـ(نسبة) بمعنى المشابهة يعني ان للقمر المنشق مشابهة لقلب النبي عليه الصلاة والسلام في الانشقاق و(مبرورة القسم) بالنصب على انه حال من فاعل اقسمت فيكون الالف واللام عوضا عن المضاف اليه اي وانا مصدوق في قسمي واما صفة للنسبة او حال منها فعلى هذا يكون المعنى ان للقمر المنشق نسبة لقلبه حتى لو حلف احد على وجود تلك النسبة يكون بارا في قسمه وانشقاق قلبه اشارة الى شرح صدره حيث روى مسلم عن انس ان جبريل اتاه وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه وشق صدره عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب ثم املأه بالحكمة ثم اعاده في مكانه وقد كان شرح الصدر له عليه السلام مرتين

﴿ وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ * وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي ﴾

لما ذكر بعض معجزاته السابقة الواقعة قبيل هجرته عليه السلام اراد ان يبين بعض المعجزات التي وقعت في هجرته عليه السلام فقال (وماحوى الخ) الواو عاطفة (وماحوى) مبتدأ محذوف الخبر اى ومن معجزاته عليه السلام ماحوى اى جمع واحاط فما اسم موصول عبارة عن ذات الرسول عليه السلام او عنه وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه * فان قلت المناسب لهذا المقام ان يقول ومن بدل وما لانهم قالوا ان من مختص بذوى العقول وما لا لغيره وقد نص عليه الصلاة والسلام في مجادلة عبد الله بن الزبعرى * قلت اختار ما دون من لكونه عبارة ههنا عن الوصف حيث بين بالخير والكرم وهما غير ذى العقل فيناسبه ما دون من او نقول ان ما ههنا بمعنى من مجازا كما قال جمهور المفسرين ان ما قد يستعمل في ذوى العلم مجازا كما في قوله تعالى (والسماء وما بنيها) وماحوى بمعنى جمع واحاط و(الغار) الالف واللام فيه للعهد والغار بمعنى الكهف اى الكهف المعهود الذى كان في جبل ثور في قرب مكة المكرمة والمراد بالـ(خير) الفضائل و(من) الـ(كرم) الفواضل والفعال الجليلة والخصال الجميلة وفي العبارة اما حذف مضاف اى ذى خير وذى كرم او من باب المبالغة كرجل عدل والمراد بهما الجامعان لهما من النبي والولى على طريق اللف والنشر المرتب فالخير المطلق خير البرية والكرم يراد به افضل الامة * قال عليه السلام (ما نفعنى مال احد مثل ما نفعنى مال ابى بكر) وقال عليه السلام (لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين لرجح ايمانه) (وكل طرف) والواو للحال او استينافية و(الطرف) بمعنى العين والتنوين للتحقير و(من الكفار) اما حال من طرف او صفة له والمراد من الكفار الذين تفحصوا عن رسول الله عليه السلام و(عنه) متعلق بعمى المؤخر قدم للوزن وضميره راجع اليه عليه السلام افرده لكونه الاصل المتبوع و(عمى) اما فعل ماض وهو الاظهر او هو صفة ﴿ وحاصل المعنى ﴾ لما اجتمع اكابر قريش في دار الندوة للمشاورة في الاهانة له عليه السلام تمثل لهم ابليس بصورة شيخ فجلس معهم فقالوا ما دخلك علينا بغير اذن قال اللعين انا رجل من نجد رأيت فيكم حسن النية والاجتماع لامر حسن فاحببت ان اجلس معكم فقالوا هذا ليس من اهل تهامة لا بأس وتكلموا فقال بعضهم احبسوه في بيت ولا تعطوه شرابا ولا طعاما حتى يهلك قال اللعين بئس الرأى لانه له اقارب يجتمعون ويأخذونه من ايديكم وقال اخر اخرجوه وغربوه من بينكم قال اللعين ايضا بئس الرأى لان له لسانا لطيفا ووجها مليحا والله ليجتمعن عليه خلق كثير ثم ليأتينكم ويخرجنكم من بلادكم قالوا صدق الشيخ قال ابو جهل خذوا من كل بطن شابا بسيف صارم ومروهم ان يخرجوا اليه ويقتلوه فيتفرق دمه في القبائل قال اللعين

لطيفا ثم انكبوا الى وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا يا حبيباه انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وتركونى قاعدا في مكانى هذا وجعلوا يطيرون حتى دخلوا خلال السماء وانا انظر اليهم ولو شئت لاريتك موضع دخولهم

﴿ وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمى ﴾

وماحوى مبتدأ محذوف الخبر اى من جملة معجزاته ماحوى واجمع احاط وما اسم موصول ومن بيانه والغار نقب في الجبل والخير ماله عاقبة حميدة وهو صيغة تفضيل على غير القياس وتنوين خير وكرم اما للتعظيم او عوض من المضاف اليه اى خير البشر وكرمه جعله نفسه وذاته صلى الله عليه وسلم محض الخير والكرم وكل طرف مبتدأ وعمى خبره ماضيا كان او صفة وعنه متعلق به والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ومن الكفار صفة طرف والجملة في محل الحال

هذا الرأى صواب فاجتمعوا عليه ليأتوه ليلا فاخبر جبريل بتلك الحال النبى عليه السلام وامره بالخروج فاقام رسول الله عليا فى فراشه فخرج وجاء الى بيت ابى بكر وذكر الحال فقال أتخرج معى فقال ابو بكر سمعا وطاعة فخرجا حتى وصلا الى باب الغار فدخل اليه ابو بكر اولا فرأى فيه جحرا فاخرج بردته فمزقهـا وحشا تلك الحجرة فبقى ثقبة فسدها بعقبه وقال ادخل يارسول الله فدخل والكفار جاؤا طالبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فلم يجدوه فسألوا عليا فقال لاادرى فطلبوا اقطار مكة حتى جاؤا الى باب الغار فلم يروهما وسيأتى تفصيل هذه القصة فى الابيات الآتية

﴿ فَالصِّدْقُ فِى الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا * وَهُمْ يَقُولُونَ مَابِالْغَارِ مِنْ اَرِمِ ﴾

ثم شرح فى بيان تفصيل قوله وماحوى الغار فقال (فالصدق فى الغار) الخ الفاء للتفصيل والصدق مصدر بمعنى الصادق والمصدوق الذى انحصر فيه الصدق اوذو الصدق اوعلى طريق المبالغة و(فى الغار) خبر مبتدأ * فان قيل الظاهر ان يقول فيه لسبق ذكره فلم عدل الى غير الظاهر * قلت اعاد ذكره للاستلذاذ ولئلا يتوهم رجوعه الى الكرم والى الخير * لا يقال اعادة ذكره لضرورة الوزن * لانا نقول ذكره بالضمير لا يخل بالوزن ايضا بان يقول فالصدق فيه مع الصديق لم يرما مع انه على هـذا يكون البيت اسلم لفظا واحسن معنى فتأمل و(الصديق) صيغة مبالغة بمعنى كثير الصدق وفى هذا المصراع اشارة الى قوله تعالى ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به ﴾ الآية وخبر قوله والصديق محذوف اى كذلك و(لم يرما) بفتح الياء وكسر الراء من ورم انفه اذا غضب لان الغضبان ينتفخ انفه والجملة حال فيكون المعنى لم يغضبا عـلى القضاء والقدر بل لم يجئ الى قلبهما اثر وفى بعض الرواية قرئ لم يرما بضم اليـاء عـلى انه مجهول يروم من الروم بمعنى الطلب * ومن اللطائف انهما مطلوبان وليسا بمطلوبين بل انهما محبوبان ولكن كانا عن اعين الاعداء محجوبين وقيل اصله لم يرم فهو مؤكد بالنون الخفيفة من ورم بمعنى انتفخ فابدلت النون الفا فى الواقف كما فى قول امرئ القيس (ع) قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل * فيكون ضميره راجعا الى الصدق وتكون الجملة خبرا عنه * والمعنى والحال ان الصديق لم تنتفخ من لدغ الحية رجله المباركة حيث روى ان ابابكر لما سد الثقبة فى الغار برجله المباركة وكان فيهـا حية فلدغت رجله فشكا الى النبى عليه السلام من لدغها فاخذ النبى عليه السلام من بزاقه الشريف فوضع عليه فبرئ باذن الله وارتفع عليه الورم وقرأ بعض الناس لم يريا على انه

﴿ فالصدق فى الغار والصديق لم يرما وهم يقولون مابالغـار من ارم ﴾

هـذا البيت كما قبله والصدق فى الخبر مطابقته للواقع مع الاعتقاد وصـدق فى وعده انى بما التزم ورجل صدق اذا كان متحاشيا عمـا لاينبغى والصديق صيغة مبالغة مشتقة منه واراد بالصدق النبى صلى الله عليه وسلم ومن الصديق ابا بكر رضى الله عنه وروى والتصديق مقام والصديق فيكون اشارة الى قوله والذى جاء بالصدق وصـدق به اى والذى صدق به فيكون المضاف فيهما محذوفا اى صاحب الصدق وصاحب التصديق والخبر فى الثانى محذوف اى كذلك للاحتراز عن العبث اولتخييل العـدول الى اقوى الدليلين ولم يرما من ورم جلده غضب لان الغضبان ينتفخ فالمعنى لم يغضبا عـلى القضـاء والقدر ولم يتغيرا من حالهما باستشعار الخوف لكمال تمكنهما وصدق تعينهما وروى بعض لم يريا وماذلك من الناظم وانما حمله على ذلك العجز عن التأويل وهو حال ويحتمل ان يكون خبرها وفى الغار حالا اويكون خبرا بعد خبر والمصراع حال والضمير للكفار ومن زائدة لتأكيد النفى يقال مابالدار ارم وارم اى احد فان الله تعالى قد سلب ادراكهم واعمى ابصارهم سبحان من بقدرته الاظهار والاخفاء وبتقديره الاعادة والابتداء وفيه مافيه فتأمل

تثنية مضارع من الرؤية لكن رده شيخ زاده وانا من الداخلين معه وقوله (يقولون) الواو حالية والضمير للكفار وجملة يقولون خبر مبتدأ * والقول ههنا بمعنى الحكم اى والكفار يحكمون و(ما بالغار من ارم) مقول الكفار وما مشبهة بليس والباء في (بالغار) بمعنى في وهو خبر ما و(من) زائدة و(ارم) بالرفع اسم ما وهو بمعنى احد يقال ما في الدار ارم اى احد ﴿ وحاصل المعنى ﴾ ان رسول الله عليه السلام وابابكر دخلا الغار وسكنا فيه راضيين بقدر الله تعالى وحكمه غير غاضبين والكفار جاؤا باب الغار لعلامة الآثار فلم يروهما بحفظ الملك الجبار حتى روى ان بعضهم قفوا اثرهما الى باب الغار ثم انقطع الاثر فيه فصعدوا على الجبل فوق الغار فقال ابوبكر رضى الله عنه يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا قال عليه السلام يا ابابكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما

﴿ ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى * خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ ﴾

لما توهم ان يسئل عن سبب عدم رؤيتهم بان يقال ما منعهم من الرؤية قال مجيبا (ظنوا الحمام) الخ (الظن) قد يراد به العلم المطابق وقد يراد به غالب الرأى وقد يراد به الجانب المرجوح اى الوهم وهو المراد ههنا و(الحمام) طير يألف البيوت * قال في اخوان الصفاء الحمام خاصته ان يحمل كتابا الى بلد بعيد وهو القائل في طيرانه وذهابه يا وحشتنا من فرقة الاخوان يا طول الاشواق الى الخلان يا رب ارشدنا الى الاوطان * وقال في حلبة الكميت اختلف الناس في صورة الحمام هل هو بكاء او غير ذلك فمنهم من جعله بكاء وقال انها تبكى على فرخ لها صاده جارح في عهد نوح عليه السلام فما من حمامة الا وهى تبكى عليه الى يوم القيامة * قلت والذى يظهر لهذا الفقير والله اعلم ان ذلك يختلف باختلاف المسامع فتارة يسمعه الخلى فيطرب ويسميه غناء وتارة يسمعه العاشق فيحزن ويسميه بكاء انتهى و(العنكبوت) دويبة تنسج في الهواء والجمع عناكب والمذكر عنكب وهى اقنع الاشياء وعلى رزقها احرص الاشياء وتبيض وتحيض واول ما تلد تلد دودا صغارا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته في ثلاثة ايام ويقوى على النسج ساعة يولد من غير تعليم والذى تنسج لا تخرجه من جوفها بل من خارج جلدها * قال في حياة الحيوان اذا وضع نسج العنكبوت على الجراحة الطرية في ظاهر البدن حفظها من الورم ويقطع سيلان الدم واذا لكت الفضة بنسجها جاء جلاؤها * والعنكبوت الذى ينسج على الخلاء اذا علق المحموم يبرأ باذن الله تعالى واذا لف في خرقة وعلق على صاحب حمى الربع نفع انتهى * وفي الجامع الصغير قال عليه السلام (العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه) وروى الثعلبى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال

من الدروع وعن عال من الاطم ﴾ استيناف وكذا وقاية الله والظن قد يراد به العلم المطابق وقد يراد به غالب الرأى وقد يراد به الجانب المرجوح وهو الوهم الحمام والحمامة مثل تمر وتمرة وعلى متعلق بلم ينسج وهو مفعول ثان لظنوا الثانى ولم يحم اى لم تطف من حام حوله طاف ودار وهو يحتمل ان يكون ضميره للعنكبوت والمفعول الثانى من ظنوا الاول محذوفا على طريق قوله «علفتها تبنا وماء باردا» اى ظنوا انه ما ذكر وما باض على باب الغار الذى فيه خير البرية واما ان يكون مفعولا ثانيا لظنوا الاول باللف والنشر الغير المرتب وقاه حفظه والمضاعفة مؤنث اسم مفعول من ضاعف والمضاعفة اما في النسج واما في اللبس وكلمة من للبيان والتبعيض ان كان التقدير عن درع مضاعفة من الدروع مؤنث سماعى وعن حصن عال من الاطم اى من الحصون اويكون للبيان فقط اى من الدروع المضاعفة ومن الاطم العالية فعلى هذا يكون عال ترخيما لعالية للضرورة ثم قصة الغار مشهورة وتفصيلها في المطولات مذكورة وايرادها في هذا المختصر يؤدى الى الاطناب فيكتفى بقدر ما يحتاج اليه وهو انه لما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفحل امره واشتد ببيعة الاوس والخزرج ازره خافوه على انفسهم فازدادوا له عداوة وبغضاء واجتمعوا في دار الندوة ليتوامروا في امره فاعترضهم ابليس

ابى جهل وهو ان يخرجوا اليه من كل قبيلة من قريش شابا جلدا بسيف قاطع فيقتلوه فيتفرق دمه فى القبائل بحيث لا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضون بالدية واستحسن الشيخ النجدى هذا الرأى وتفرقوا عن تراض فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فاخبره بمكيدة قريش وامره بمفارقة مضجعه تلك الليلة فامر النبى صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب ان ينام على فراشه ويتسجى برده فنزل فيه (ومن يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) فلما مضى عتمة من الليل جاء القوم الى بابه يترصدونه مع القوم فيثبتون فيقتلونه وسمعت فى فضائل القرآن ان الله تعالى انزل عليه اول سورة يس فى الليلة وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم ببابه فقرأ عليهم الآية وفى يده حفنة من تراب فذرها عليهم فاخذ الله بابصارهم وخرج من بينهم وانطلق الى ابى بكر فقال يا ابا بكر قد اذن لى بالهجرة فخرج فى الهجرة ابو بكر وقد كان يمشى امام رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط الحواة من الارض ثم يقفوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى دلائل النبوة ان ابا بكر كان يمشى مرة امامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فقال له عليه السلام ماهذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من فعلك فقال اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون فداءك فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على اصابعه

طهر وابيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيوت يورث الفقر * وفى الحلية نسجت العنكبوت مرتين على الانبياء مرة على داود عليه السلام حين كان جالوت يطلبه ومرة على النبى عليه السلام فى الغار * وروى الديلمى فى مسند الفردوس عن على رضى الله عنه ان النبى عليه السلام سئل عن الممسوخ فقال (هم ثلاثة عشر. الفيل. والدب. والخنزير. والقرد. والجريث. والضب. والوطواط. والعقرب. والدعموص. والعنكبوت. والارنب. وسهيل. والزهرة الحديث) قال فى الزبدة نهى عليه السلام عن قتل العنكبوت والحمام الكائنتين فى الحرم و(على خير البرية) متعلق بالفعلين الآتيين على سبيل التنازع و(البرية) بمعنى المخلوق والالف واللام فيه للاستغراق اى جميع المخلوقات وقوله (لم تنسج ولم تحم) فيه لف ونشر مشوش لان الاول للثانى والثانى للاول و(لم تحم) بمعنى لم تبض ﴿وحاصل المعنى﴾ ان الكفار لعدم يقينهم بالنبى المختار حسبوا ان العنكبوت لم تنسج على باب الغار وان الحمامة لم تحم حول الغار فظنوا ان ليس فى الدار ديار ورجعوا من تتبع الآثار وقالوا لو كان احد فى الغار لما كانت هذه الآثار حتى قال واحد منهم لامية بن خلف ندخل الغار فقال امية ما نصنع فى الغار وان عليه عنكبوتا كانت قبل ميلاد محمد سيد الابرار

﴿ وِقَايَةُ اللهِ اَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ * مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْاُطُمِ ﴾

لما كان هذا المقام مظنة ان يتوهم بان الهجرة والاختفاء فى الغار غير لائق بشان النبى المختار بل اللائق بشانه ان يلبس الدرع ويتحصن فى قلعة ويحارب مع الكفار دفعه بقوله (وقاية الله اغنت الخ) مع الاشارة الى ان هذا ابلغ فى الاعجاز مع المقاومة معهم لان فيه تنبيها على كونهم فى غاية الضعف ونهاية الهلاك حيث كان اوهن البيوت مقابلا لهم ومانعا من مطلوبهم وانهم فى غاية الحماقة ونهاية البلادة حيث لم يفهموا من الآثار كونهما فى الغار ثم از (الوقاية) بمعنى الحفظ مضاف الى فاعله ومفعوله محذوف اى وقاية الله اياه اعنى الرسول عليه السلام و(اغنت) ضميره راجع الى الوقاية اى جعلت الرسول الله غنيا (عن المضاعفة من الدروع) والمضاعفة اسم مفعول من ضاعف يضاعف والتضعيف ضم شئ الى شئ * فان قلت ان الله تعالى حفظه وجعله مستغنيا عن احتياج درع فما فائدة اتيان المضاعفة * قلت فى اتيانها اشارة الى شدة الكفار وكثرتهم يعنى اشارة الى انه لو قوبل معهم وحورب بهم يحتاج الى دروع كثيرة وقلعة مرتفعة اونقول ان فى البيت سلوكا الى مسلك برهانى وهو ان يذكر الدعوى المشتملة على دليلها وههنا كذلك حيث كان هذا البيت فى تقدير وقاية الله تعالى اغنته عن مضاعفة من الدروع

لان وقاية الله تعالى اغنته عن درع واحد وكل ما اغنى عن درع واحد اغنى عن مضاعفة به يتنج المطلوب و(من الدروع) حال من المضاعفة وهى جمع درع وهو مايلبس فى الحرب (وعن عال) عطف على مضاعفة اى عن مكان مرتفع وعال اصله عالى حذفت الياء للضرورة ويجرى القياس السابق ههنا ايضا و(الاطم) بضمتين جمع اطمة وهو بمعنى القلعة الحصينة ﴿والمعنى﴾ حفظ الملك الجبار نبيه المختار جعله مستغنيا عن الدروع والاسلحة المتعددة وعن الحصون العالية المرتفعة وجعل الغار له بقدرته بمنزلة الحصن الحصين وصير نسج العنكبوت فى قوة الدرع المتين * فان قلت ما الحكمة فى هجرته عليه الصلاة والسلام الى المدينة واقامته بها الى ان انتقل الى ربه عز وجل * قلت ان حكمة الله تعالى قد اقتضت انه عليه السلام تتشرف به الاشياء فلو بقى فى مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه قد تشرف بمكة اذ كان تشريف مكة بالخليل واسماعيل عليهما الصلاة والسلام فاراد الله تعالى ان يظهر شرفه عليه السلام فامره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به حتى اجمعوا ان الموضع الذى ضم اعضاءه الكريمة افضل من جميع البقاع * ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه من كان فى ارض مخوفة من الوحوش فليقرأه سبعا او تسعا وليجعل فى اطرافه دائرة فان تلك الوحوش لا تضره ولا تدخل داخل تلك الدائرة * قال الاستاذ طول الله تعالى بقاه وجعل آخرته خيرا من اولاه جربناه مرارا فوجدناه صادقا

﴿ مَاسَامَنِى الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ بِهِ * اِلَّا وَنِلْتُ جِوَاراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ ﴾

لما ذكر فيما تقدم محفوظيته عليه السلام ترقى الى بيان حافظيته فى الدنيا فقال (ماسامنى الدهر الخ) سامنى من السوم بمعنى اذاقة الشدة والمحنة ومنه قوله تعالى (يسومونكم سوء العذاب) وفى بعض النسخ ماضامنى من الضيم بمعنى الظلم وعلى كلا التقديرين فالمعنى ماظلمنى الدهر * فان قلت كيف يسند الظلم الى الدهر وقد نهى عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام حيث قال (لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله) وفى حديث ابى هريرة بلفظ (ولا تقولوا خيبة الدهر) وفى حديث آخر (لا يسب احدكم الدهر) قلت قوله فان الدهر هو الله فيه ثلاثة تأويلات الاول ان المراد بهذا القول اى المدبر للامور والثانى انه على حذف مضاف اى صاحب الدهر والثالث ان التقدير مقلب الدهر وقال بعضهم انه من الاسماء الحسنى * وقد وقع فى القرآن حكاية (وما يهلكنا الا الدهر) وبالجملة ان النهى عن السب لكونه راجعا الى سب فاعله وخالقه ومن اراد هذا البحث على وجه الكمال فعليه بالرجوع الى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات للشيخ الاكبر ففى اسناد سام الى الدهر مجاز اى ما ابتلانى خالق الدهر

حتى حفيت رجلاه فلما رآها ابوبكر على هذه الحالة حمله على كاهله وجعله يشتد به حتى اتى به الغار وقال ابوبكر رويدك يارسول الله حذرا عليه فدخل ابوبكر الى الغار فلم ير جحرا الا ادخل اصبعه فيه حتى جاء الى جحر كبير فادخل رجله فى تلك الجحر حذرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الى فخذه ثم خرج وقال يارسول الله قد مهدت لك المواضع كلها تمهيدا والله خليفتى عليك فجاءت قريش يقفوا اثر النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاء عدو الله ابليس قال فيم انتم انا شريككم فى هذا الامر فقالوا طرا اردنا ان نقتل محمدا الكذاب وجعلوا يطالعون الى موضع النبى الى مضجعه فرأوا عليا كرم الله وجهه ورضى الله عنه فى مكانه قد اشتمل برد النبى صلى الله عليه وسلم قالوا اخدعنا الكذاب وبان سحره اليوم فقال لهم عدو الله ابليس قد انطلق محمد منذ هوى من الليل فخرجوا باجمعهم فنظروا الى اثر قدميه وكان عليه السلام شثن الكفين والقدمين فاقبلوا الى باب الغار فغطى الله اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه فلم يستبن اثر الاقدام اذ قعد منهم رجل يبول قال ابوبكر يارسول الله قد رآنا القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يا ابابكر مارأونا ولو رأونا ما قعد ذلك يبول بين ايدينا فتفرقوا وليطلب القصة تمامها من المستقصى

﴿ ماضامنى الدهر يوما واستجرت به الا ونلت جوارا منه لم يضم ﴾ ضامه ظلمه واسناده الى الدهر مجاز لانه صدر من الموحد ويوما مفعول فيه والمراد به مطلق الوقت وروى ضيما بدل يوما وروى ايضا ماسامنى الدهر ضيما اى ما كلفنى وضيما مفعول

وقوله (ضميا) مفعول مطلق من لفظ فعله على تقدير كون النسخة ماضامنى ومن غير لفظه على تقدير كونه ماسامنى ووقع فى بعض النسخ يوما بالنصب على الظرفية والواو فى (واستجرت) حالية واستجرت من الاستجارة من قولهم استجار فلان من فلان اى طلب الخلاص والنجاة كما فى قوله تعالى ﴿وان احد من المشركين استجارك﴾ وقيل بمعنى الالتجاء والاستغاثة ويجوز ان تكون الواو للعطف لكن الاول اولى ولا يرد عليه انه يلزم فى الماضى قد اذا كان حالا وهو موجود لانه اعم من الملفوظ والمقدر وههنا مقدر والباء فى (به) اما للسببية او للاستعانة والضمير راجع اليه عليه السلام وفيه حذف مضاف اى بسبب مدحه عليه السلام والاستثناء مفرغ حذف فيه المستثنى منه اى ماظلمنى الدهر مع انى ملابس بطلب خاص بسبب مدحه فى حال من الاحوال الا فى حال الوصول والواو فى (ونلت) لتأكيد اللصوق كما فى قوله تعالى ﴿وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم﴾ ونلت بمعنى وصلت والمراد من (الجوار) اما على حقيقته بان يراد الجوار فى الدنيا بالمؤالفة به عليه السلام والمصاحبة معه او يراد بالجوار الاستراحة والخلاص من جميع فتن الدنيا وهو المناسب لتعلق (منه) به وضميره راجع الى الضيم وقوله (لم يضم) صفة جوار وايراده لدفع توهم ناشئ من الاستثناء اذ استفيد منه كون الجوار من جنس الظلم فدفعه بقوله لم يضم * ثم اعلم ان قوله الا ونلت يجوز ان يكون من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم وان لم يتعرض له الشارحون بل كونه من هذه القبيل احسن لانه كدعوى الشئ ببينة كما لا يخفى على الفطن لا يقال انه لا حكم فى هذا المقام قبل الاستثناء حتى يكون قبله شئ مشابه للمدح فيؤكد * لانا نقول هذا الكلام مبنى على ماذهب اليه الشافعية من وجود الحكم قبل الاستثناء لان الناظم شافعى كما مر غير مرة ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ما اذاقنى الله تعالى فى زمان من الازمان ضررا من امور الاكوان والحال انى قد التجأت اليه الا وقد نلت خلاصا ووجدت فيه مناصا لم يغلب ولم يظلم * ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه اذا كتبه من يريد السفر فترك المصراع الاول فى داره مع اهله واخذ المصراع الثانى معه فسافر فهو يصل الى اهله باذن الله تعالى سالما من الآفات

﴿ وَلَا الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ * إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ ﴾

لما بين فى البيت السابق حافظيته عليه السلام فى دار الدنيا اراد الترقى منها لبيان حافظيته فى الدارين فقال (ولا التمست) الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة سامنى وتكرير النفى للتأكيد ولا التمست على صيغة المتكلم من الالتماس وهو طلب المساوى من المساوى وهنا مستعمل بمعنى الطلب مطلقا اما تجريدا

مستجير ولا شك ان الاستجارة بعد الضيم ولكنه اريد به اتصال الاستجارة بالضيم حتى كأنهما فى وقت واحد وجعل الواو للعطف على ضامنى والاستثناء باعتبار اقتران الفعلين وحصولهما فى حيز النفى غير مرضى عند من له ذوق سليم والمستثنى منه محذوف اى فى حال من الاحوال اويوما لانه فى معنى وقت من الاوقات والواو فى ونلت اى وجدت واو الحال عند صاحب المفتاح كما فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وانما جاز الحال من النكرة بدون التقديم عليها لكونها فى حكم الموصوف وما قال ان هذا لكونها مستغرقة كالمبتدأ فى وما رجل الا قائم عائد الى هذا وعند صاحب الكشاف لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف فيكون الواو المتخللة فى الكلام عنده اربعة العاطفة والحالية والاعتراضية والمؤكدة للصوق الصفة بالموصوف لكنه لم يعهد فى العربية صفة مصدرة بالواو وتحقيق هذا البحث يطلب من بعض حواشى علقناها على شرحى الكشاف والمفتاح والمراد ههنا من الجوار الحماية والرعاية لانه يستلزمهما ولم يضم صفة جوار اى لم يظلم ولم ينقص مما ينبغى ان يراعى من حقه

﴿ ولا التمست غنى الدارين من يده الا استلمت الندى من خير مستلم ﴾

الالتماس هنا السؤال والطلب المطلق وغنى الدارين بالمال الوافر والدين الكامل واتى الناظم كليهما على وجه الكمال ومعنى من يده اى بشفاعته وبركته والتوصل به وهو متعلق

اوحقيقة وغنى الدنيا انمايكون بالسعة والكفاية وفى الحديث (ليس الغنى من كثرة العرض انما الغنى غنى القلب) ويكون غنى الدنيا ايضا بصحة البدن والسلامة من بليات الدنيا وغنى الآخرة انمايكون بالفوز والنجاة من الجحيم والدخول فى جنة النعيم ولذا ورد فى الخبر (اكثر اهل الجنة بله) اى حمق لانهم يرضون بغنى الآخرة اعنى الجنة ولايطلبون جمال الله قال تعالى فى التنزيل (والله خير وابقى) و(من يده) متعلق بالتمست والمراد من اليد ذاته عليه السلام من قبيل ذكر الجزء وارادة الكل اواليد هنا بمعنى الطرف والجانب يقال حصلت المصلحة من يد فلان اى من طرفه وجانبه وفى الحديث (وهم يد واحدة على من سواهم) اوبمعنى الاحسان ونعمه عليه السلام فيكون ايضا مجازا من قبيل اطلاق اسم ماهو بمنزلة العلة الفاعلية الصورية على المعلول والاستلام بمعنى الاخذ والندى العطاء كما فى قوله « ولافضل فيها للشجاعة والندى » وهو بالنصب مفعول (استلمت) و(خير مستلم) كناية عن رسول الله عليه السلام و(مستلم) يجوز ان يكون على صيغة اسم الفاعل اوالمفعول ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ماطلبت غنى الدنيا بالكفاية وغنى العقبى بالسلامة من احسانه وانعامه اومن ذاته عليه السلام الااخذت العطاء ونلت المنى من خير مستلم فكنت بسببه محفوظا من الآفات فى الدنيا ومن البليات فى العقبى عليه الصلاة والسلام فى كل صبح ومسا

﴿ لَاتُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ اِنَّ لَهُ * قَلْباً اِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ ﴾

لما بين اوصافه الكاملة اراد ان يشير الى ان من اتصف بهذه الصفات والنعوت لايستبعد ولاينكر ان يكون قلبه مربوطا به تعالى لايفارقه فى جميع الليالى والايام ولوكان عيناه فى المنام فقال (لاتنكر الوحى) الخ فتكون الاوصاف المذكورة كالعلة والدليل لهذا البيت فترتيب قياسه هكذا اذا كان نبينا عليه الصلاة والسلام متصفا بهذه الصفات فلاينبغى انكارك الوحى من رؤياه لكن المقدم حق والتالى مثله فقوله (انله) الخ كالعلة للتالى بان يقال لاينبغى انكارك الوحى من رؤياه لانه كان له قلب اذا نامت العينان لم ينم فلاينبغى انكارك الوحى من رؤياه لكن المقدم حق والتالى مثله * ثم ان لاتنكر نهى حاضر من الانكار والخطاب عام لمن شانه ان يخاطب و(الوحى) منصوب على انه مفعول لاتنكر والوحى يجئ فى اللغة على معان كالاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفى وفى العرف اعلام الله تعالى لانبيائه وهواماظاهر اوباطن اما الظاهر فثلاثة * الاول ماثبت بلسان الملك فوقع فى سمعه بعد علمه بالمبلغ انه قطعى والقرآن من هذا القبيل والثانى ماوضع له باشارة الملك

بالتمست والمستثنى منه محذوف كما فى البيت السابق ويجوز ان يكون من الحال المقدرة استلمه قبله والندى العطاء ومن خيرا ماصفة له اومتعلق باستلمت وخير مستلم بفتح اللام هو سيدنا عليه الصلاة والسلام فان قيل قد ورد فى الحجر الاسود انه يمين الله فيد النبى عليه السلام كيف يكون خير من يمين الله قلنا ان الله تعالى اقام لحجر الاسود مقام يمينه فى اقامة بعض آداب الحج الذى هو من الفروع واقام يد النبى صلى الله عليه وسلم فى البيعة الايمانية التى هى اصل الامر مقام يده سبحانه

من غير بيان بالكلام كما قال عليه السلام (روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب) * والثالث ما يبدى الله لقلبه فى رؤياه وفى عيانه بلا شبهة بالهام الله تعالى بان اراه نورا من عنده وكل ذلك حجة مطلقا بخلاف الهام الاولياء فانه لا يكون حجة على غير نفسه وقوله (من رؤياه) صفة للوحى اتى به للاحتراز عن وحيه الذى كان فى عيانه بواسطة جبريل فانه بديهى متواتر بين الانام فلا حاجة الى ذكره فى هذا المقام * والرؤيا ما يراه الشخص فى منامه * قال القاضى ابو بكر الرؤيا ادراكات يخلقها الله تعالى فى قلب العبد النائم على يد ملك او شيطان وفى الحديث (ان رؤيا المؤمن كلام يكلمه ربه فى المنام) * ثم اعلم ان الرؤيا اما صادقة وهى ثلاث . تبشير يبشره الملك المؤكل على الرؤيا بما يسره من الاخروى اوالدنيوى . وتحذير يخوفه مما يبعده عن الطاعة ويقربه الى المعصية . والهام يلهمه وهو نفع محض كالحج والتهجد واما كاذبة وهى ايضا ثلاث. رؤيا همة وهى ما تخيلها فى اليقظة فليس لها اعتبار . ورؤيا علة ناشئة من الامراض فليس لها اعتبار ايضا. ورؤيا شيطان وهى اضغاث احلام هذا فى رؤيا غير الانبياء واما رؤياهم فكلها صادقة بل وحى يجب العمل بها وقوله (ان له) علة للنهى وضميرله راجع اليه عليه الصلاة والسلام و(قلبا) بالنصب على انه اسم ان والتنوين للتعظيم وجملة (اذا نامت) صفة قلبا وضمير الفاعل فى (لم ينم) راجع الى القلب *وحاصل المعنى* لا تنكر ايها المنكر ولا تستغرب ايها المقر الوحى الربانى والالهام الصمدانى الحاصل من رؤياه فى المنام لان له عليه السلام قلبا عظيما وصدرا كريما اذا نامت عيناه لم ينم قلبه فى رؤياه وفى البيت تلميح الى قوله عليه السلام (ان عينى تنامان ولا ينام قلبى) والى قوله عليه الصلاة والسلام (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة) وفى رواية ابى هريرة (جزء من خمسة واربعين جزأ) ومن حديث عمر (جزء من سبعين جزأ) وعن انس (جزء من ستة وعشرين جزأ) وفى رواية (من اربعة وعشرين جزأ) وفى تأويل الرواية الاولى قال بعض اهل العلم ان الله تعالى اوحى الى نبيه فى المنام ستة اشهر ثم اوحى اليه بعد ذلك فى اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها الى الوحى فى المنام جزء من ستة واربعين جزأ لانه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين كما سيجىء فتأمل * ثم اعلم ان الحديث الاول اعنى قوله (ان عينى) الخ اعترض عليه بانه مخالف لما وقع فى الوادى من نومه عليه السلام الى ان طلعت الشمس وفاتته وقت صلاة الفجر لانه لو كان قلبه غير نائم لم تفت وقت الصلاة منه عليه السلام * اجيب عنه اولا بان الحديث مقيد بغالب

الاوقات فلا ينافى ماوقع منه نادرا لحكمة ومصلحة من تأسيس سنة واظهار شرع كما قال عليه السلام (لوشاء الله تعالى لايقظنا ولكن اراد ان تكون سنة لمن بعدكم) وثانيا بانه لاينام قلبه من اجل انه يوحى اليه فى النوم وايس فى قصة الوادى الانوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وله اجوبة اخر تركناها واعترض على الحديث الثانى اعنى قوله (الرؤيا الحسنة) الخ بان النبوة قد انقطعت بوفاته عليه السلام فلامعنى لكون الرؤيا جزأ من اجزاء النبوة اجيب اولا بانه ان وقعت منه عليه السلام فهو جزء من اجزاء النبوة حقيقة ان وقعت من غيره عليه السلام فهو على سبيل المجاز ثانيا بان معنى الحديث جزء من علم النبوة فانها وان انقطعت فعلمها باق وثالثها بانه عليه السلام لم يرد بانها نبوة باقية بل اراد ان الرؤيا تشبه النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب والتشبيه بشئ لايستلزم ثبوت وصفه فاحفظ ماتلونا عليك من الكلام فانه ينجيك من اكثر ما كان من مزالق الاقدام والحمد لله المفضل المنعام

﴿ فَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ * فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ ﴾

لما توهم ان يقال ان رؤياه عليه السلام لوكانت وحيا لكان رؤياه التى رآها قبل النبوة وحيا ايضا مع انه ليس كذلك لان الوحى انما يطلق على ماوقع بعد النبوة والبعثة دفعه فقال (فذاك حين بلوغ الخ) فالفاء للتفصيل وذا اشارة الى كون رؤياه وحيا فذاك مبتدأ خبره محذوف اى واقع حين فحين ظرف لذلك المحذوف و(البلوغ) بمعنى الوصول وتنوينه عوض عن المضاف اليه اى حين بلوغه عليه السلام والنبوة من النبأ بمعنى الخبر والمراد بها ههنا سفارة بين الله وبين اولى الالباب لازاحة عللهم ولم يقل من رسالته للاشارة الى كون الرؤيا وحيا غير مختص بالرسول بل يوجد فى كل من الانبياء ولغيرهم فافهم والفاء فى (فليس) جزائية و(ليس) بمعنى لا و(ينكر) على صيغة المجهول من الانكار و(فيه) متعلق بينكر والضمير الى البلوغ من النبوة و(حال محتلم) بالرفع على انه نائب فاعل لينكر والمحتلم بفتح اللام بمعنى من يدرك خياله فى النوم والمراد به رسول الله عليه السلام او بكسر اللام على انه اسم فاعل بمعنى البالغ العاقل ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان ذلك الوحى الذى كان فى رؤياه فى ابتداء نبوته فى بدء بدور رسالته فليس ينكر فى ذلك الزمان وبلوغ ذلك الآوان حال من بلغ مبلغ الرجال موصوف باوصاف الكمال من دعوى الوحى فى المنام فانه من مقدمات الوحى الحقيقى له عليه السلام * فان قلت لم ابتدئ عليه السلام بالوحى المنامى ولم يجئ له وحى ظاهرى اولا * قلت لانه

لو جاء اليه الملك بالوحى الظاهرى بغتة لاحتمل ان لا تحمله القوى البشرية فبدئ بها باوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة بخلاف سائر الانبياء فانهم كانوا يعرفون نزول الوحى من تعليم كتب الاسلاف ونبينا عليه السلام لم يقرأ حرفا من كتب سائر الانبياء المتصفين بكمال الاوصاف عليهم الصلوات والسلام عدد الكاف والقاف

﴿ تَبَارَكَ اللّٰهُ مَاوَحْىٌ بِمُكْتَسَبٍ * وَلَا نَبِىٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمٍ ﴾

لما توهم من البيت السابق ان يسئل بانه لم لم تكن رؤياه فى جميع اوقاته وحيا واخر الى سن الاربعينية ولم لم يكتسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم النبوة فى حاله الاولى دفعه مشيرا الى ان الوحى والنبوة بمحض عناية من الله تعالى لا بالكسب واخبارهم عن المغيبات انما هو باعلام الله تعالى فقال (تبارك الله ماوحى) الخ تبارك الله للتعجيب وتبارك من البركة وهو كثرة الخير ومعناه تزايد على كل شئ وتعالى وتعاظم فى صفاته وافعاله * قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة روى ان الصاحب بن عباد كان يتردد فى معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسئل ابنها اين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم واخذ المتاع وتبارك الجبل فاستفسر عنهم وعرف ان الرقيم الكلب وان المتاع هو مايبل بالماء فيمسح به القصاع وان تبارك بمعنى صعد وقيل معنى تبارك دام دواما ثابتا لا انتقال له ولهذا لا يقال يتبارك مضارعا لانه للانتقال * قال فى البرهان ان هذه لفظة لا تستعمل الا لله تعالى ولا تستعمل الا بلفظ الماضى انتهى وانما خص ذكره بهذه المواضع لان مابعده امر عظيم وقوله (ماوحى بمكتسب) الخ اى لم يكن وحى اصلا فى زمان من الازمنة بكسب كاسب لان الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء فى اى وقت شاء * فان قلت لو كان الوحى والنبوة من فضل الله تعالى من غير كسب لكان من الصفات الجبلية لا الاختيارية ولو لم يكن من الصفات الاختيارية لا يكون مدحا فلا يجوز للناظم الفاهم ذكره فى ذلك الاوصاف والامداح * قلت المدح قد يتعلق بغير الاختيارى بناء على ان الحمد والمدح مترادفان كما هو مذهب صاحب الكشاف والسيد تأمل وقوله و(لا نبى) عطف على وحى وتكرير النفى للتأكيد وهذا القول لدفع توهم بعض القاصرين من ان غير الله تعالى لا يعلم الغيب فلا يجوز اخبار الانبياء عن الغيب وقوله (على غيب) متعلق بمتهم * ولا يرد انه لا يجوز تعلقه به لعدم جواز تقديم مافى حيز الجار عليه * لانا نقول ان هذا فى غير الظرف وفيه يغتفر مالا يغتفر فى غيره على انه يجوز ان يكون تقديمه لضرورة الشعر والمتهم على صيغة اسم

المفعول بمعنى المحمول على التهمة والكذب ﴿وحاصل معنى البيت﴾ تبارك الله وتعالى وتعاظم فى ذاته وصفاته فسبحان الله تعالى لم يكن وحيه اصلا حاصلا بالاكتساب ولا بتحسين القول والخطاب بل موهبة من الله تعالى وعطية من الاله ولا يجوز حمل نبى ثبتت نبوته وتحققت معجزته على التهمة فيما يأتى من المغيبات واخبار امور الكائنات فان من كان نبيا لا ينطق عن الهوى بل ما قوله الا وحى يوحى * وفى البيت تلميح الى قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) الآية وقوله تعالى (وماهو على الغيب بظنين) على القراءة بالظاء وهو المشهور عند اهل التفسير كما لا يخفى على من القى السمع وهو بصير

﴿ كَمْ اَبْرَأَتْ وَصِباً بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ * وَاَطْلَقَتْ اَرِباً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ ﴾

لما استفيد من البيت السابق ان الوحى والبعثة انما هو فضل الله يؤتيه من يشاء ويعلم حيث يجعل رسالته توهم ان يسأل سائل عن حكمة البعث وفائدة الوحى فقال مشيرا الى فائدته (كم ابرأت وصبا باللمس راحته الخ) يعنى ان الحكمة والمصلحة فى بعثه عليه السلام ابراء المرضى من مرضهم الباطنى الذى طبه ومعالجته مخصوص به عليه السلام ولا سبيل الى حصوله الا من جهته عليه السلام فان صلاح القلوب موقوف على ان يكون الطبيب عارفا بربها وباسمائه وصفاته واحكامه وافعاله وان يكون مؤثرا برضاه ومحبا بمحبته وساخطا بمناهيه وتابعا لاوامره ولا سبيل الى تلقى ذلك الا من جهة سيدنا محمد عليه السلام وكذا ابراء المرضى من مرضهم الظاهرى الذى يكون فى ظاهر الجسد وباطنه كما سيذكر ان شاء الله تعالى ثم ان (كم) ههنا خبرية لان قائلها مخبر ومدخولها خبر بخلاف الاستفهامية لانها بالعكس فظهر ضعف قول من قال انها استفهامية فالمعنى كثيرا ما (ابرأت) وهو من الابراء بمعنى الازاحة والازالة و(وصبا) يروى بفتح الصاد وكسرها فعلى الاول يكون بمعنى المرض مطلقا فالمعنى كثيرا ما ابرأت راحته امراض المرضى وعلى الثانى يكون بمعنى صاحب المرض فحينئذ يكون المعنى كثيرا ما ابرأت صواحب المرض من امراضهم والباء فى (باللمس) سببية متعلقة بابرأت و(راحته) بالرفع فاعل ابرأت والضمير له عليه السلام والراحة بمعنى داخل الكف ﴿فحاصل المعنى﴾ كثيرا ما كان المرضى بريئين من مرضهم بسبب راحته المباركة الشافية * ثم اعلم انه يجوز ان يكون المراد من اللمس اللمس الحقيقى كما ثبت فيما روى ان اباجهل قطع يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فاخذها رسول الله عليه السلام والصقها فلصقت كالاول * وعن ابن

عباس رضى الله عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح عليه السلام صدره فقال (اخرج) فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى وايضا تفل فى عين على وكان قد رمد رمدا شديدا فاصبح بارئا ومثل ذلك كثير وفير ولا يلزم علينا ذكر جميع ماورد فى الخبر الشهير ويجوز ان يكون المراد من اليد المستفادة من الراحة ذاته عليه السلام وباللمس لمسه المعنوى وهو كونه وسيلة الى دواء المرضى وكونه لهم شفاء كما كان دواء لداء اهل الشقاء وهذا غير مخصوص بزمانه عليه الصلاة والسلام بل هو باق الى يوم القيامة لانه لو ربط احد قلبه به عليه الصلاة والسلام وصلى عليه ودعا الله ان يجعله وسيلة له لكان البتة باذن الله تعالى لدائه دواء * وقد وقع مثله من اكابر العلماء والاولياء * قال فى المواهب نقل عن القشيرى ان ولده مرض مرضا شديدا حتى اشرف على الموت واشتد عليه الامر قال فرأيت رسول الله عليه السلام فى المنام فشكوت اليه مابولدى فقال اين انت من آيات الشفاء فانتبهت فتفكرت فيها فاذا هى فى ستة مواضع من كتاب الله تعالى ١ (ويشف صدور قوم مؤمنين ٢ وشفاء لما فى الصدور ٣ يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ٤ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ٥ واذا مرضت فهو يشفين ٦ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) قال فكتبتها ثم محوتها بالماء وسقيته اياها فكأنما نشط من عقال * وقال ابو بكر الرازى كنت باصبهان عند ابى نعيم فقال له شيخ ان ابابكر بن على قد سعى به عند السلطان فسجن فرأيت النبى عليه السلام فى المنام وجبرائيل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح فقال لى النبى عليه السلام قل لابى بكر يدعو بدعاء الكرب الذى فى صحيح البخارى حتى يفرج الله عنه قال فاصبحت فاخبرته فدعا به فلم يمكث الا قليلا حتى فرج عنه * ودعاء الكرب مارواه الشيخان وهو قوله عليه الصلاة والسلام (لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض ورب العرش الكريم) * ويقول هذا الفقير المعترف بالعجز والتقصير وقع ايضا فى زماننا مثل ماذكرنا وهو انه كان لاستاذنا العلامة زوجة ابتليت بمرض فى قلبها كانت لاتسكن اصلا فى كل صباح ومساء الا وتصيح بصوت رفيع حتى سئم منها جيرانه فاخذ دواء من اطباء كثيرين ومانفعها فقال لى الاستاذ يوما اكتب منا كتابا الى روضة المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى يكون شفيعا لهذا الداء فكتبت اليه عليه السلام كتابا زينته اولا بالصلاة والسلام ووصفته بكونه شفيعا لامراض لاتحصى ورجوت فى آخره منه الدواء والاستشفاء لهذا الداء فارسله الاستاذ مع الحجاج الى

روضته فحسبنا الايام الى يوم الذى وصلت الحجاج فيه الى المدينة فانقطع صوتها ومرضها فى بيته فحمدنا الله حمدا كثيرا * وقوله (اطلقت) عطف على ابرأت اى كثيرا مااطلقت الاطلاق التخلية والعفو والاخلاص من القيد و(الارب) بكسر الراء بمعنى صاحب الاحتياج و(من ربقة) متعلق باطلقت والربقة بالكسر حبل له عقدة يشد به البهائم و(اللمم) بفتحتين صغار الذنوب لكن اريد به ههنا مطلق الذنوب بقرينه ان المقام مقام المبالغة ثم انه يجوز ان تكون اضافة الربقة الى اللمم بمعنى اللام ﴿فيكون المعنى﴾ كثيرا مااطلقت راحته عليه الصلاة والسلام صاحب احتياج من قيد لاجل ذنبه سواء كان ذنبه ظاهريا فيكون على هذا اشارة الى اطلاقه عليه السلام اسارى الكفار من ربقتهم حين شدهم المؤمنون فى الغزوات اوادعائيا فيكون اشارة الى ماروى عن ام سلمة انها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحراء فنادته ظبية يارسول الله قال ماحاجتك قال صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وارجع قال عليه الصلاة والسلام أوتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها عليه السلام فانتبه الاعرابى وقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله) وغير ذلك ويجوز ان يكون من اضافة المشبه به الى المشبه اى من لمم كالربقة يعنى انه عليه الصلاة والسلام قد اطلق اصحاب الحاجات من لممهم الذى كالربقة كما ان الربقة تمنع الحيوان من وصوله الى مطلوبه كذلك اللمم يمنع الانسان من وصوله الى مطلوبه فيلزم الاطلاق اذ الوصول الى المقصود لايكون بالقصد والتحويل لابد من رفع العصيان والمحو وهو انما يكون به عليه الصلاة السلام

﴿وَاحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ * حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصُرِ الدُّهُمِ﴾

لما ذكر تأثير دعائه عليه الصلاة والسلام فى الارض شرع فى بيان تأثير دعائه فى السماء فقال (واحيت السنة الشهباء الخ) الواو عاطفة والجملة معطوفة على اطلقت و(احيت) من الاحياء ضد الاماتة و(السنة) بالنصب مفعول احيت بمعنى العام والحجة و(الشهباء) بالنصب صفة السنة وهى مؤنث اشهب وهو الفرس الذى غلب عليه البياض و(السنة الشهباء) كناية عند العرب عن السنة التى لاماء فيها ولا كلاء والمراد باحيائها انبات النبات واحداث نضارتها فى هذا المقام مجاز واستعارة وهو اما ان يكون فى احيت استعارة تبعية بان شبه تزيين الارض بانبات النبات واحداث نضارتها بالاحياء فى الانتفاع مطلقا ثم استعير الاحياء لتزيين الارض واحداث نضارتها ثم اشتق من الاحياء احيت

ومن التزيين زينت ومن الانبات انبتت فذكر احيت واريد زينت اوانبتت واما ان يكون فى السنة الشهباء استعارة بالكناية بان شبه السنة الشهباء فى الذهن بالموتى فى عدم الانتفاع ثم استعير الموتى فى الذهن لمفهوم السنة الشهباء وفى الخارج ذكر السنة الشهباء واريد نفسها ثم انبت الاحياء الذى هو من ملائم المشبه للسنة الشهباء فكان استعارة مكنية وتخييلية وعلى كلا التقديرين يكون اسناد احيت الى دعوته مجازا من اسناد الشئ الى سببه اذ المحيي والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى وضمير (دعوته) راجع اليه عليه الصلاة والسلام و(حكت) بمعنى شابهت كما فى قوله

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

والضمير المستتر فيه راجع الى السنة وجعله رجعا الى الدعوة دعوى بلا دليل كما لا يخفى على من له عقل قليل وا(غرة) بالنصب مفعول حكت والغرة بياض قدر الدرهم فى جبهة الفرس و(فى الاعصر) متعلق بحكت والاعصر جمع عصر وهو الدهر والزمان و(الدهم) بضمتين جمع ادهم وهو بمعنى الاسود مثل ما فى قول القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب حين قال له الحجاج لاحملنك على الادهم ثم ان وجه الشبه فى تشبيه السنة بالغرة قلة البياض يعنى كما كانت الغرة بياضا قليلا فى الفرس الاحمر والاسود كذلك كانت تلك السنة قليلة البياض اعنى لخلوها من النبات او الحسن والضياء كما لا يخفى على اولى النهى * وفى الاعصر الدهم استعارة مكنية وتخييلية وترشيحية بان شبه السنون الجدباء فى الذهن بالفرس فى كونهما غير مقبولين فاستعير ذلك الفرس لمفهوم تلك السنين فذكر فى الخارج مايدل على تلك السنين واريد تلك ثم اثبات الغرة تخييل وذكر الدهم ترشيح والبيت اشارة الى ماروى عن انس انه قال اصابت الناس سنة جدب على عهده عليه الصلاة والسلام فبينما النبى عليه الصلاة والسلام يخطب فى يوم الجمعة قام اعرابى فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله تعالى لنا فرفع يديه ومانرى فى السماء سحابا ولا قزعة فو الذى نفسى بيده ماوضعهما حتى صار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر تحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الى الجمعة الاخرى فقام رجل وقال يارسول الله هدم البناء وغرق المال فادع الله تعالى لنا فرفع يديه فقال (اللهم حوالينا ولا علينا) فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادى قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الاحدث بالجود وهذه الواقعة مشهورة شائعة معروفة

بعارض جاد اوخلت البطاح بها * سيبا من اليم اوسيلا من العرم

فلما كان احياء دعائه عليه السلام السنة الشهباء مظنة ان يسئل انه هل كان احياؤه عليه السلام بسبب المطر او بلا سبب بل معجزة اخرى واجاب عنه فقال (بعارض جاد) الخ الباء متعلق باحيت او حكت منها واختر اعزهما والا (عارض) بمعنى السحاب و(جاد) من الجود بفتح الجيم بمعنى المطر الشديد الذى لايكون فوقه مطر وضميره المستتر راجع الى العارض فيكون المعنى بسبب سحاب امطر مطرا شديد الامطار فوقه ومن لم يكن له خبرة بكتب اللغة جعله من الجود بضم الجيم وجعل فى العارض استعارة بالكناية او جعل فى جاد استعارة تبعية والقوم صرحوا بانه مهما امكن الحقيقة فى مقام لايصار فيه الى المجاز فتأمل فيه فانه للافهام مجاز واو فى (اوخلت) بمعنى الى و(خلت) من الخيال بمعنى الظن والحسبان وهو على صيغة الخطاب والخطاب عام و(البطاح) جمع ابطح او بطحاء وهو مسيل واسع للماء والمراد اودية المدينة ومكة وما حوالهما والباء فى (بها) للسببية متعلق بخلت والضمير راجع الى العارض وتأنيثه باعتبار كون السحاب مؤنثا سماعيا و(سيبا) بالنصب مفعول ثان لخلت والسيب على وزن الغيب بمعنى الجرى و(من اليم) ظرف مستقر صفة السيب واليم بفتح الياء البحر بالسريانية وقد عربته العرب ويجوز ان تكون السيب بمعنى العطاء قال فى القاموس يقال فاض سيبه على الناس اى عطاؤه فعلى هذا يكون فى اليم استعارة مصرحة فتأمل ووقع فى بعض النسخ سيب بالرفع على انه مبتدأ وخبره قوله من اليم وكذلك قول (سيلا) وهو بمعنى الماء المجتمع الجارى بغتة من كثرة المطر * وفى الحديث (اللهم انى اعوذ بك من السيل والبعير الصؤل) و(العرم) بفتح العين وكسر الراء بمعنى المطر الشديد واسم واد ببلدة سبأ فانه كان يجئ عليهم منه سيل عظيم وعلى كل من التقادير فالبيت كناية عن كثرة الامطار فى تلك السنة * وفى هذا البيت صنعة تلميح الى قصة بلاد سبأ وسيل العرم وسبأ اسم لحى سموا باسم الاب الاكبر لانهم من اولاد سباء بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانوا فى بلدة يقال لها مأرب فى ارض اليمن وكان هناك وادعظيم وفاض يوما وهدم ابنيتهم فلما كانت بلقيس ملكة على تلك البلدة جمعت عمالا وحديدا وحجرا كثيرا فبنت امام ذلك الوادى سدا عظيما ووضعت اثقابا وميازيب فى اعلاه واوسطه واسفله فاتخذ اهل تلك البلدة فى اسفل الوادى عن يمين البلدة وشمالها جنانا كثيرة فكانت فى كثرة النعمة والفواكه آية من آيات الله تعالى حتى ان المرأة كانت تجعل الزنبيل على رأسها وتمر بين الاشجار ولاتحرك شجرا ولاتقطف ثمرا فيمتلئ الزنبيل من كثرة الفواكه وكانت بلدتهم طيبة

ليست بسبخة ولم يكن يرى فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ولا وباء واذا دخل المسافر فيها كان يموت عليه من البرغوث والقمل فقد كانت سعادة النشأة الاولى حاصلة لهم فلم يشكروا الله تعالى بل قالوا لا نعرف لله علينا نعمة فارسل الله اليهم ثلاثة عشر رسولا وقيل نبيا فذكروا لهم نعم الله وقالوا لهم اشكروا لله تعالى فلم يسمعوا مواعظهم ولم يؤمنوا فسلط الله على سدهم فارة عمياء فنقبت احجار ذلك السد وكان الوادى ممتلئا كالبحر فانهدم السد فهجم الماء على بيوتهم وجنانهم فخربت وغرقوا جميعا باولادهم واموالهم وفى المثل تفرقوا ايدى سبا وايادى سبا فخذما آتيتك وكن من الشاكرين

﴿ دَعْنِى وَوَصْفِى آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ * ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ ﴾

لما ورد على الناظم الفاهم سؤال ناشئ مما ذكره من اوصافه ومعجزاته بانه لا حاجة الى بيانك لتلك الاوصاف لانها كانت كالشمس فى الظهور ولا حاجة الى تعريف الشمس اجاب عنه فقال (دعنى الخ) (دعنى) امر من ودع يدع بمعنى اتركنى و(وصفى) مفعول معه من دع اى مع وصفى والوصف بمعنى اصل المصدر لا الحاصل بالمصدر مصدر مضاف الى فاعله ومفعوله (آيات) وهى جمع آية بمعنى العلامات والمعجزات وقوله (له) اما متعلق بظهرت او ظرف مستقر صفة الآيات او متعلق بوصفى والضمير راجع اليه عليه السلام اى لاثبات حقيقة شرف محمد عليه السلام والضمير المستتر فى (ظهرت) راجع الى الآيات وقوله (ظهور) بالنصب مصدر نوعى لظهرت و(القرى) بكسر القاف والقصر بمعنى الضيافة وال(علم) بفتحتين بمعنى الجبل كما فى قوله

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

و(ليلا) ظرف لظهور و(على) متعلق ايضا به * وكان من عادة اسخياء العرب ايقاد النار فى رأس الجبل ليراها فى البرية ابناء السبيل ويأتون اليها ويقضون عندها حاجتهم من الاكل والشرب وغير ذلك وتشبيه الآيات بها فى الظهور والاعلان كما لا يخفى على اهل الاذعان ﴿وحاصل معنى البيت﴾ اتركنى ايها الناصح بالاختصار فى الكلام لانه يجر الى الملال والسآم فان ذكر الحبيب لا يشبع منه اللبيب فخلنى مع وصفى له عليه السلام بآيات بينات وعلامات واضحات ظهرت وكشفت ظهورا بينا فى الآفاق فى وقت ظلمة الجهل بمحاسن الاخلاق مثل شعاع نار الضيافة على رؤس الجبال للعلامة فى الليل التى كانت ظلمته فى غاية الكمال لحضور المحتاجين ووصول المشتاقين من ابناء السبيل والمسافرين ودفع احتياجهم من الكرام والحمد لله الملك العلام

﴿ فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظِمٌ * وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ ﴾

﴿ دعنى ووصفى آيات له ظهرت * ظهور نار القرى ليلا على علم * فالدر يزداد حسنا وهو منتظم * وليس ينقص قدرا غير منتظم ﴾

دع امر من يدع ووصفى مفعول معه لا عطف على الضمير المفعول لتأديه الى غير المقصود فتأمل والمراد من الوصف بالنظم المصدر لا الحاصل بالمصدر فهو مصدر مضاف الى الفاعل وآيات مفعوله واراد بهما معجزاته وبراهين رسالته او الآيات القرآنية والمعجزات الفرقانية وله صفة آيات او متعلق بظهرت اى لاجله اى لاثبات حقيقته ظهرت وهو صفة آيات وظهور مصدر نوعى والقرى الضيافة كأنه من القرى وهو الجمع وقوله ليلا على علم لتكميل المقصود من التشبيه وليلا متعلق بظهور لا بظهرت الا اذا اريد بالليل وقت الفترة والجاهلية وعلى علم حال من نار القرى على الوجه الاول وعلى الثانى من ضمير ظهرت والفاء للتعليل ازداد ونقص لازمان وحسنا وقدرا تمييزان ومابعدهما حالان وليس عطفا على يزداد ثم تشبيه الآيات بالدر لنفاستها وعزتها والانتفاع بها والوصول بها الى المطالب وبنار مخصوصة فى وقت مخصوص للاشتهار والاضاءة والابتداء بها الى الضيافة والوقت المخصوص فى المشبهة وقت الفترة والجاهلية وشبه تعداد الآيات ووصفها بكلام موزون مقفى بنظم اللآلى الكبار فى سلك العقد فحاصل المعنى ان الآيات الدالة على نبوته والمعجزات الباهرة برسالته وان غنيت عن الذكر لاشتهارها فان الشمس لا يحتاج الى التعريف فى ظهور انوارها لكنها يزداد حسنا اذا وصفت بكلام منظوم كما يزداد حسنا اذا نظمت

لما كانت الدعوى المستفاد من قوله (دعنى) الخ اى يلزمك تركى مع بيانى اوصافه و اياته وعدم السؤال عنى مجردة اراد ان يدللها و يثبتها فقال (فالدر الخ) فالفاء للتعليل فيمكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال يلزم لك تركى مع بيانى آياته لانه يلزم ترك من بينها بالحسن والشرف وانا ابينها بالحسن والشرف ينتج يلزم لك تركى مع بيانى آياته والكبرى نظرية فاثبتها بقوله فالدر اى اقول انا ابين تلك الآيات بالحسن والشرف لانه لما كانت آياته كالدر الذى يزداد حسنه وهو منتظم وليس ينقص قدرا غير منتظم كنت ناظما لتلك الآيات فانا ابينها بالحسن والشرف لكن المقدم حق والتالى مثله * ثم اعلم (ان الدر) مبتدأ وهو اللؤلؤ المخرج من صدفه وجملة (يزداد) خبر المبتدأ و (حسنا) تمييز من نسبة يزداد و (الواو) فى (وهو) للحال فالمبتدأ مع خبره جملة والجملة حال من فاعل يزداد (ومنتظم) على صيغة اسم الفاعل من النظم بمعنى جمع اللؤلؤ فى السلك ففيه تجريد كما لا يخفى ﴿وحاصل المعنى﴾ ان آياته كالدر يزداد حسنها بالانتظام كذلك معجزاته عليه السلام يزيد حسنها بالانتظام وجعلها ابياتا اذ النظم لباس الكلام فكما ان المحبوب يزيد حسنه بلباس فاخر كذلك الكلام يزيد حسنه بلبسه نظما ولان فى الشعر حكمة كما ورد فى الحديث ولان النظم قريب الى الحفظ ولان فى قراءة الابيات يحصل للقلوب سرور ونشاط وقوله (وليس ينقص قدرا الخ) دفع لتوهم نشأ من الكلام السابق من انه لا حسن لبيان وصفه عليه السلام بغير النظم فالواو للحال وضمير ينقص راجع الى الدر المراد منه الآيات وحسنا تمييز من فاعل ينقص ﴿والمعنى﴾ والحال ان آياته صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقص حسنها باتيانها بلا نظم اذ الشرافة والحسن فى اصلها فبالنظم يزيد حسنها على وجه الكمال وبلا نظم تبقى فى اصل حسنها بلا زوال

﴿ فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ الْمَدِيحِ اِلَى * مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْاَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ ﴾

لما نشأ من البيت السابق من مدح نظمه تزكية نفسه وايهام ايراده جميع مدائحه عليه السلام مع انها لا تعد ولا تحصى بالمداد والاقلام اراد دفعه فقال (فما تطاول آمال الخ) كلمة (ما) للاستفهام الانكارى او التعجبى و (تطال) اى مد عنقه مريدا للاطلاع عليه و (الآمال) جمع امل وهو الرجاء والمديح اما بمعنى المادح ﴿فالمعنى﴾ فيا عجبا او كان بعيدا تطاول رجاء المادح الى اوصافه عليه السلام او بمعنى الممدوح فتكون اضافة الآمال اليه بحذف المضاف اى آمال اصحاب الممدوح وهم المداحون فالمعنى فيا عجبا او كان بعيدا تطاول آمال مداح الممدوح الى اوصافه عليه السلام والى متعلق بتطاول وما موصول وفيه ظرف مستقر صلته ومن بيانية واضافة الكرم الى الاخلاق من اضافة الصفة الى

﴿ فما تطاول آمال المديح الى مافيه من كرم الاخلاق والشيم ﴾

والفاء لتعليل السابق او للعطف على قوله فالدر تطاول اليه اذا اراد البلوغ اليه ومد عنقه ينظر الى الشئ البعيد والآمال جمع امل وهو الرجاء والمديح اما بمعنى المادح او بمعنى الممدوح فاضافة الآمال اليه مجازية او بحذف المضاف اى آمال اصحاب الممدوح به وهم المداحون ومن كرم بيان ماهو عام اى كل مافيه وفى قوله فيه من المبالغة مالا يخفى حيث جعلها متمكنة فيه تمكن المظروف فى الظرف والشيم جمع شيمة وهى الخلق الحسن وكأنه يريد بالشيم الغريزيات وبالاخلاق الكسبيات التخلقيات او بكل كلاهما والتكرار للتأكيد وحاصل المعنى ان آمال المداح لم يبلغ الى مافيه من محاسن الشيم ومكارم الاخلاق صلى الله عليه وسلم مادام السبع الطباق

﴿ آيات حق من الرحمن محدثة * قديمة صفة الموصوف بالقدم ﴾ خبر مبتدأ محذوف اى هذه الآيات
او بعض معجزاته والحق اسم من اسماء الله تعالى ويجوز ان يكون بمعنى الثابت او المثبت فيكون هو النبى صلى الله عليه وسلم وفى التكثير تفخيم فالاضافة على الاول بمعنى من او اللام وعلى الثانى بمعنى اللام فيكون قوله من الرحمن متعلقا به ولا يكون خبرا بعد خبر وانما اختار اسم الرحمن رعاية لقوله الرحمن علم القرآن والحدوث وجود مسبوق بالعدم اى كون الوجود مسبوقا بالعدم والقدم بخلافه وقوله محدثة وقديمة وصفة الموصوف صفات جارية على آيات او يكون كل منها خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون كل من مصراعى البيت واردة على سبيل الاستئناف كان سائلا قال المحدثة هذه الآيات ام قديمة فآيات حق مبتدأ موصوف بقوله من الرحمن محدثة خبره فان الوارد الينا من الرحمن هو النظم المنزل منجما على حسب المصالح وكفاء الحوادث ولا شك انه حادث وقوله صفة موصوف مبتدأ اى المعنى القائم بذاته تعالى وقديمة خبره وهذا الوجه احسن وفى تقديم قوله قديمة نفى لقول من يقول بقدم النظم ولا يجوز ان يكون قوله صفة الموصوف فاعل قديمة لخلو الصفة المشتقة او الخبر المشتق عن الضمير وفى البيت اشارة الى الدليل على كونها قديمة فانها صفة القديم والقديم لا يحدث له شئ ولا يزول عنه شئ وقد عرف فى موضعه قال النبى صلى الله عليه وسلم القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وقال ابو يوسف ناظرت اباحنيفة رحمهما الله ستة اشهر فاتفق رأيى ورأيه ان من قال

اى الاخلاق الكريمة والمراد من الاخلاق الخصال الكسبية والشيم بكسر الشين وفتح الياء جمع شيمة وهى الخلق والعادة والمراد بها الاخلاق الضرورية الوهبية ﴿ ومآل البيت ﴾ بيان عجزه عن عد اوصافه عليه السلام وبيان كثرة آياته

﴿ آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ * قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ ﴾

لما بين فى الابيات السابقة كونه واصفا لآياته عليه السلام ومبيذا بها على احسن النظام وتمنى من المخاطب ترك الكلام فى حقه باللوم والملام فكأنه قال قائل له فينبغى ان تبين منها ماهو المشهور والاوضح عند الانام وهو القرآن الباقى الى يوم القيام توجه الى قوله وشرع فى البيان فقال (آيات حق الخ) (آيات) بالرفع خبر مبتدأ محذوف اى ابهر المعجزات آيات حق او القرآن آيات حق اوغير ذلك او مبتدأ خبره محذوف اى آيات حق منزلة او بالنصب على انها عطف بيان لآيات فى قوله دعنى ووصفى آيات او على المدح والآيات جمع آية وهى طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها ومابعدها سميت بها لانها علامة على صدق من اتى بها وقيل لانها علامة على انقطاع ماقبلها من الكلام عما بعدها واضافتها الى الحق بيانية ان كان الحق صفة مشبهة من حق بمعنى ثبت ولامية ان كان مصدرا ويجوز ان يكون المراد من الحق واجب الوجود تعالى شانه فيكون اسماله تعالى والاضافة حينئذ لامية ايضا اى الآيات المخصوصة للحق تعالى فعلى هذا يكون ذكر الرحمن تبركا باسمه الرحمن * فان قلت لم اختار الرحمن من بين اسمائه تعالى وهى الغفار والرزاق والعلام والستار * قلت اشارة الى ان فى انزال القرآن رحمة عامة الى جميع الخلائق حتى الكفار لتأخير العذاب كما لايخفى و(محدثة) بالرفع خبر بعد خبر يعنى آيات الله الحقة منزلة محدثة وهى اسم مفعول من احدث وضميره راجع الى الآيات لكن باعتبار الفاظها وهى المكتوبة فى المصاحف المقروءة بالالسن المحفوظة فى الصدور وقوله (قديمة) خبر بعد خبر اى الآيات محدثة قديمة * لا يقال هل هذا الاجمع بين النقيضين * لانا نقول الحادث هو الفاظ القرآن والقديم معناه لان الكلام اثنان كلام لفظى وكلام نفسى كما قاله الاخطل ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا فالحادث كلام لفظى والقديم كلام نفسى قائم بذاته تعالى * اعلم ان فى كلام الله تعالى سبعة مذاهب * الاول ماذهب اليه الاشاعرة من ان كلامه تعالى اثنان لفظى مكتوب فى المصاحف حادث. ونفسى قائم بذاته قديم ليس بحرف ولا صوت بل هو المعنى فقط وان فى مذهبهم يجوز سمع ذلك المعنى الذى

هو الكلام النفسى * والثانى مذهب ابى منصور الماتريدى وهو ايضا ان كلامه اثنان . لفظى مكتوب فى المصاحف حادث . ونفسى قائم بذاته قديم ليس بحرف ولا صوت بل هو المعنى فقط * والفرق بين الاول وبين هذا المذهب انه لا يجوز فى هذا المذهب سمع كلامه النفسى اصلا بل المسموع هو الكلام اللفظى كذا فى البداية * والثالث مذهب بعض المتأخرين وهو صاحب المواقف ومن تلا تلوه وهو ان كلامه اثنان . لفظى مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور وهو حادث . وكلام نفسى قديم عبارة عن لفظ ومعنى لكن بلا ترتيب * والرابع مذهب الجلال الدوانى من انه اثنان . لفظى قائم بالمصاحف والصدور وهو حادث . ونفسى قائم به تعالى قديم عبارة عن لفظ ومعنى مع ترتيب علمى * والخامس مذهب الحنابلة من ان كلامه تعالى فى الحقيقة واحد مركب من حروف واصوات قديم الى ان قال بعضهم وافرط بقدم الجلد والغلاف فهم ينكرون الكلام النفسى * والسادس مذهب المعتزلة وهو ان كلامه واحد مركب من حروف واصوات حادثة لكن ليس بقائم بذاته تعالى بل بالغير كاللوح وفؤاد جبريل والنبى وشجرة موسى * والسابع ماذهب اليه الكرامية من انه كلام واحد مركب من الحروف والاصوات حادث لكن قائم به تعالى فالفرق الثلاث ينكرون الكلام النفسى * وتفصيل الكلام فى كتب الانام كالبداية والتمهيد والتوحيد وبحر الكلام والابانة والكفاية والاحكام كما لا يخفى على اولى التبصرة والتذكرة ففى قول الناظم النحرير (محدثة) رد على الحنابلة وفى قوله (قديمة) رد على الكرامية وفى قوله قديمة مع قوله صفة الموصوف بالقدم رد على المعتزلة كما لا يخفى فقوله (صفة الموصوف) خبر بعد خبر وهو فى المعنى علة لكون الآيات اى معانيها قديمة فيمكن ان يرتب هنا قياس بان يقال الآيات اى معانيها قديمة لانها صفة الموصوف بالقدم وكل شئ شانه كذا فهو قديم فينتج المطلوب ولا تتوهمن ان ماهو صفة لله تعالى ما كان حادثا لانه مخالف للمشهور فيما بين الاشعرى وابى منصور

﴿ لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْىَ تُخْبِرُنَا * عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ اِرَمِ ﴾

لما بين ذات الآيات اراد ان يبين بعضا من معجزاتها واوصافها فقال (لم تقترن الخ) مع مناسبة تامة حيث جعل قوله لم تقترن علة اخرى لكون الآيات اى معانيها قديمة اوعلة لكونها صفة الموصوف بالقدم وهو الظاهر فيمكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال الآيات قديمة او الآيات صفة الموصوف بالقدم لانها لم تقترن بزمان الخ وكل شئ شانه كذا فهو قديم او صفة الموصوف بالقدم فينتج المطلوب ثم ان جملة لم تقترن صفة بعد صفة للآيات او حال

بخلق القرآن فقد كفر نعوذ بالله من ذلك ومسئلة الكلام من معظمات الخلافيات فى علم الكلام فالتحقيق فيها موكولة اليه

﴿ لم تقترن بزمان وهى تخبرنا
عن القرون وعن عاد وعن ارم ﴾

صفة اخرى لآيات والزمان عبارة عن مقدار حركة الفلك الاعظم والضمير فى لم تقترن للآيات اى لم تختص ولم تتوقت بزمان دون زمان واهل زمان دون اهل زمان كسائر الكتب فانها كانت تتوقت بزمان وتقوم على وفق الانبياء واما نبينا صلى الله عليه وسلم فهو مبعوث الى الناس كافة ولا نبى بعده فيكون كتابه الى الناس كافة ولا كتاب بعده فيكون قوله دامت بعد هذا البيت بيانا له والافلكل حادث مقترن بزمان والقديم مع كل زمان وهى تخبرنا جملة حالية والقرن ثمانون سنة وقيل ثلاثون ويطلق على اهل ذلك الزمان ايضا وعاد اسم قبيلة وهو قوم هود عليه السلام ويقال لقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم وارم ايضا اسم قبيلة وهى فى الاصل حجارة تنصب فى المفاوز والجمع آرام مثل ضلع واضلاع وقوله تعالى ارم ذات العماد فمن لم يضف جعل ارم اسمه ولم يصرفه لانه جعل عادا اسم ابيهم وارم اسم القبيلة وجعله بدلا عنه ومن قرأه بالاضافة ولم يصرفه جعله اسم ابيهم او اسم البلدة وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد

من فاعل قديمة وهو من المقارنة و(زمان) متعلق بلم تقترن * والزمان عند المتكلمين عبارة عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم * وعند الحكماء عبارة عن مقدار حركة الفلك الاعظم * ثم اعلم ان الآيات التي لم تقترن بزمان هي معاني الآيات لا الفاظها لان الفاظها حادثة مقترنة بزمان بخلاف معانيها التي هي الكلام النفسي لانه صفة له تعالى والله تعالى وصفاته لا يجري عليه زمان اصلا كما حقق في محله وقوله (وهي) الواو للحال وهي مبتدأ راجع الى الآيات وجملة (تخبرنا) خبره وجملة المبتدأ مع خبره اشارة الى دليل كون الآيات من ابهر المعجزات و(عن المعاد) متعلق تخبر والمعاد مصدر ميمي او اسم مكان والمراد به ههنا الرجوع بعد الفناء * واخبار القرآن منه في مواضع كثيرة كقوله تعالى (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة) قال المفسرون نزلت هذه الآية في ابي بن خلف خاصم النبي عليه الصلاة والسلام واتاه بعظم قدرم وبلي وفته بيده وقال يا محمد أترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما رم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم يبعثك ويدخلك النار وكقوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) وقوله تعالى (ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه) وقوله تعالى (افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور) وغير ذلك و(عن عاد) عطف على المعاد اعاد الخافض للنظم اي تخبر الآيات ايضا عن قصة عاد وعاد قبيلة من العرب في ناحية اليمن كما في قوله تعالى في سورة الاعراف (والى عاد اخاهم هودا) الآية وغير ذلك من سور القرآن * وقصتهم ان عادا تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصناما يعبدونها . صداء . وصمود . والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم واخيرهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين حتى جاعوا وجهدوا وكانت عادة الناس في ذلك الوقت اذا نزل عليهم البلاء توجهوا الى البيت المكرم مسلمهم وكافرهم وطلبوا من الله تعالى الفرج فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا فدخلوا مكة ورئيسهم قيل ابن عتر فقال قيل اللهم اسق عاد اما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت تلك السحابة الى بلدهم ففشيتهم فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه وقوله (وعن ارم) عطف على القريب او البعيد والمراد بارم ارم ذات العماد وهي لعاد الثانية فان

فملك الدنيا باسرها ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبني ارم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة فهلكوا وعن عبد الله ابن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم من الذهب وغيره وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل فالله تعالى اخبر انه لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وماذكر في قوت القلوب تصنيف ابي طالب المكي انه قيل لابي يزيد البسطامي قدس سره هل دخلت ارم ذات العماد فقال صه قد دخلت الف مدينة الله في ملكه ادناها ارم ذات العماد ثم اخذ بعد تلك المدائن جابلق منسل الى غير ذلك فظاهر قول ابي يزيد ادناها ذات العماد يخالفه قوله تعالى لم يخلق مثلها في البلاد لكن المستفاد من الآية نفي الخلق في الماضي ويجوز ان تكون تلك المدائن حادثة بعد نزول

القرآن اخبر عن قصتها ايضا فى سورة الفجر بقوله (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد) وذكر قصتهم النيسابورى فى تفسير هذه الآية واجماله انه كان لعاد بن ارم ابنان شداد وشديد ملكا الدنيا كلها ثم مات شديد فبقى الملك لشداد وكان عمره تسع مائة سنة وكان حريصا على قراءة الكتب فقرأ يوما صفة الجنة فاشتهت نفسه ووقع فى قلبه ان يبنى جنة مثل الجنة التى وصفها الله تعالى فارسل طائفة من جيشه ليطلبوا صحراء طيبة الهواء خالية من الاحجار كثيرة المياه والاشجار فساروا فى الارض فوجدوا صحراء مثل ماوصف لهم فى ارض عدن فاخبروه بذلك فطلب شداد من وزرائه اصناف الجواهر والذهب والفضة فجمعوا منها مالايعد ولا يحصى فبعثها شداد الى تلك الارض مع مائة الف رجل من البنائين والصناع فذهبوا اليها وبنوا اساسها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولما فرغوا من بناء حيطانها نصبوا فيها اعمدة من زبرجد اخضر وياقوت احمر وبنوا فوقها قصورا كثيرة وغرفا فوق غرف من ذهب وفضة ومجالس كثيرة ينظر ابواب بعضها الى بعض وجعلوا موضع الملك فى حصنها قصرا مبنيا من ذهب وكان للملك الف وزير فجعلوا حول الحصن الف قصر لكل وزير قصر منها وجعلوا فيها مجارى الانهار من الفضة وهى تجرى باللبن والخمر والعسل حتى فرغوا من بنائها فى ثلاث مائة سنة ثم اخبروا الملك بفراغها فجمع وزراءه واتباعه وانصاره وساروا اليها فلما دنوا منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة فاهلكهم جميعا فلم يبق احد منهم وروى انه لم يدخل تلك الجنة الا واحد من المسلمين والصحيح انها ليست بصحيحة على هذه الصفة لا عقلا ولا نقلا والمراد مما ذكر فى القرآن على الاصح ان عاد بن ارم جد قوم هود

﴿ دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ * مِنَ النَّبِيِّينَ اِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ ﴾

ثم شرع فى بيان كون الآيات فائقة على آيات سائر النبيين والمرسلين فقال (دامت لدينا الخ) ضمير دامت راجع الى الآيات والتقييد (بلدينا) للاحتراز عما دام عندالله وقام به فانه باق فى كل زمان لايتناهى بل لايجرى عليه زمان والفاء فى (ففاقت) فاء النتيجة فما قبلها سبب وعلة لها فيمكن ان نترتب هنا قياسا بان نقول القرآن فائق على كل معجزة لان القرآن جاء ودام وكل معجزة من النبيين جاءت ولم تدم وكل ماجاء ودام فهو فائق على كل معجزة جاءت ولم تدم ينتج القرآن فائق على كل معجزة و(فاقت) بمعنى تفوقت وبرعت (وكل معجزة) بالنصب مفعول فاقت والمعجزة امر خارق للعادة يظهر على يد من يدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز

القرآن ويجوز ان يراد بنفى المثل المثل فى الزينة فلا ينافى صغر الجنة وفى بعض نسخ قوة القلوب ان معنى الآية لم يخلق مثلها فى بلاد اليمن لانهم خوطبوا بما فى بلادهم كما قال الله تعالى او ينفوا من الارض اى ارض بلادهم وبمثل هذه التوجيهات يندفع الاشكال

﴿ دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين اذ جاءت ولم تدم ﴾

ضمير دامت للآيات والفاء داخلة على المسبب اى فاقت بسبب الدوام والمعجزة امر خارق للعادة يظهر على يد مدعى النبوة لتصديق مدعاه والخارق للعادة اربعة معجزة للنبى وكرامة للولى ومعونة للعوام واستدراج للمنافق ومن النبيين صفة معجزة ضمير جاءت راجع الى كل معجزة انثه باعتبار المضاف اليه واذ ظرف وتعليل لفاقت ونبينا داخل فى قوله من النبيين لعمومه فيكون تفضيل الآيات على سائر معجزاته الغير الباقية ايضا ولم تدم اما حال او عطف

عن اتيان مثله * اعلم ان ما كان خارقا للعادة ثمانية اقسام لانه اما ان يصدر عن مؤمن او عن كافر والاول اما عن النبي وهو اما ان يصدر قبل البعثة وهي الارهاصات مثل ماظهر حين ولادته عليه السلام او بعد البعثة وهي المعجزات واما من ولي وهي الكرامات واما من صالح وهي المعونة واما من فاسق وهو الاستدراج والثاني اما بتعليم وتعلم وهو السحر واما بلا تعليم وتعلم فان وافق مطلوبه فهو ابتلاء كما وقع من فرعون والدجال وغيرهما وان لم يوافق فهي الاهانة كما وقع من مسيلمة الكذاب حيث دعا لاعور ليصلح عينه العوراء فاعورت عينه الصحيحة ايضا والمراد من النبيين المعنى العام للمرسلين على مافهم من اساليب كلام الناظم * فان قلت ان في النبيين دخل نبينا عليه السلام ايضا فيلزم فضل معجزته على نفسه وهو باطل * قلت المراد من النبيين من سوى نبينا عليه السلام لانه مستثنى منهم بالاستثناء العقلي كما في قوله تعالى (ان الله على كل شئ قدير) و(اذ) للتعليل و(لم تدم) عطف على جاءت يعني ان معجزات سائر الانبياء قد انقضت واندرست بموتهم بخلاف معجزة نبينا عليه السلام لانها باقية الى يوم القيامة * لا يقال انا لا نسلم ان معجزات سائر الانبياء قد جاءت ولم تدم كيف وان الانجيل باق عند النصارى كما ان التوراة باقية عند اليهود * لانا نقول المراد من الدوام دوامه بلا تغيير لفظ وتحريف حرف وكلا الفريقين قد غيراهما وبسبب تحريفهم كانوا كافرين ولو سلم فالمراد دوام حكمه اعني شريعته وكتب سائر الانبياء قد نسخت بكتابنا وكان الشرع الباقي عند جميع الملل القرآن لا غيره من الكتب المنزلة على سائر الانبياء

﴿ مُحَكَّمَاتٌ فَمَا يَبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ * لِذِي شِقَاقٍ وَلَا يَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ ﴾

لما بين كون الآيات دائمة الى يوم القيامة بل الى ما ينتهي شرع في بيان كونها باقية على حكمها الاصلي بلا تبديل ولا تغيير فقال (محكمات) الخ وهي بالرفع خبر بعد خبر لآيات او صفة بعد صفة لها والمحكمات جمع محكم وهو في اللغة بمعنى المتقن القوي الذي لا يقبل الانهدام وفي اصطلاح الاصوليون ماظهر المراد منه ولم يحتمل النسخ والتغيير فعلى هذا يكون التشديد لضرورة الشعر * فان قلت كيف يجوز حمل محكمات على الآيات لانه يستفاد منه ان جميع الآيات محكم مع ان الاصوليين صرحوا بان بعض القرآن محكم وبعضه مفسر وبعضه نص وبعضه ظاهر وبعضه خفي وبعضه مشكل وبعضه مجمل وبعضه متشابه * قلت الحمل باعتبار معناه اللغوي لا الاصطلاحي على انه يجوز ان يكون في ضمير محكمات استخدام بان يرجع الى الآيات ويراد منها بعضها

﴿محكمات فما يبقين من شبه لذي شقاق ولا يبغين من حكم﴾ خبر مبتدأ محذوف اي هن والمحكمات يحتمل اربعة معان احدها ان يكون من الحكم اي جعلت حاكمة باعتبار ان الكلام يؤخذ منها والثاني من الحكمة اي جعلت حكمية لاشتماله على الحكم كما في قوله تعالى والقرآن الحكيم والذكر الحكيم والثالث من الاحكام اي جعلت محكمة بحيث لا يحتمل النسخ والتبديل ولا يناقض بعضها بعضا والرابع من الحكمة اي جعلت ممتنعات محفوظات من التحريف وعلى قول من يقول ان للمشترك عموما يكون الكل مرادا والفاء للنتيجة او لمجرد العطف والشبهة مايشبه الثابت وليس بثابت الشقاق المخالفة لان كل واحد من المخالفين في شق غير شق الآخر ولذي شقاق اما صفة شبه واما متعلق بما يبقين وقوله لا يبغين اي ولا يطلبن حكما آخر فمن زائدة بخلاف الحديث فانه مسند الى الكتاب وكذا الاجماع الى احدهما وكذا القياس الى احدهما او مايظلمن من حيث هي حاكمة فمن تمييزية فانها حاكمة بالفصل او بالعدل لا غير ولو قرئ حكم بكسر الحاء يكون المعنى ومايظلمن حكما فان الحكم في المنصوص عليه مضاف الى النص لا الى الحكمة والوصف المؤثر او مايظلمن اي لم ينقصن حكما فان الاصل في النصوص التعليل فان الاحكام لابد ان يشتمل على الحكم والمصالح وان كانت العقول تقصر عن ادراكها

فتأمل * ثم انه روى عن على رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام قال (انزل القرآن على عشرة اقسام. بشيرا. ونذيرا. وناسخا. ومنسوخا. ومحكما. ومتشابها .وموعظة. ومثلا . وحلالا . وحراما فمن استبشر بتبشيره وانذر بنذيره وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد متشابهه الى عالمه واتعظ بعظته واعتبر بمثله واحل حلاله وحرم حرامه فاولئك من المؤمنين حقا لهم الدرجات العلى مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهو وارثى ووارث الانبياء قبلى ولا يزال فى كنفه تعالى وحيثما تلا القرآن غشيته الرحمة ونزلت عليه السكينة ويحشر فى زمرتى وتحت لوائى) والفاء فى (فما يبقين) تفريعية اى لما كانت الآيات محكمات فما يبقين الخ ويبقين جمع مؤنث من الابقاء بمعنى الدوام و(من) زائدة و(شبه) جمع شبهة و(لذى) ظرف مستقر صفة شبه و(الشقاق) بمعنى الخلاف والمراد من اهل الخلاف من كان مخالفا الشرعنا (ولا يبغين) عطف على ما يبقين ويبغين بفتح الياء كما كان يبقين بضم الياء وهو من البغى بمعنى الطلب و(من) زائدة و(الحكم) بفتحتين بمعنى الحاكم اى القرآن لا يحتاج الى حاكم آخر فوقه بخلاف الحديث فانه مسند الى الكتاب وكذا الاجماع والقياس فانهما محتاجان الى احدهما وقرئ (حكم) بكسر وفتح على انه جمع حكمة ﴿فالمعنى﴾ ان القرآن لا يحتاج الى حكم زائد لوضوح قوانينها بل جميع الحكم والقواعد مأخوذة منه فلم يكن شئ يشتمل على ما يشتمل عليه القرآن * ثم ان هذا البيت فيه صنعة تلميح الى قوله تعالى (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب) الآية وجناس كامل بين يبقين ويبغين كما لا يخفى على اهل البديع

﴿ ماحُورِبَتْ قَطُّ الاّعادَ مِنْ حَرَبٍ * أَعْدَى الأَعَادى اليها مُلْقِيَ السَّلَمِ ﴾

لما بين فى البيت السابق ان الآيات قد قطعت شبه المشتبهين معان الفصحاء والبلغاء كامرئ القيس وغيره قد عارضوا القرآن دفعه بقوله (ماحوربت الخ) (ما) نافية و(حوربت) ماض مجهول من المحاربة بمعنى المعارضة على سبيل الاستعارة بان شبه المعارضة بالمحاربة فى مدافعة الخصم ومضرته والاستعداد له ثم استعير المحاربة لمفهوم المعارضة ثم اشتق من المعارضة عورضت ومن المحاربة حوربت فذكر حوربت واريد عورضت والمراد من المعارضة للقرآن اتيان مثله فى البلاغة والفصاحة و(قط) ظرف زمان للماضى على سبيل الاستغراق ولا يستعمل الا فى النفى و(الا) للاستثناء والمستثنى منه محذوف اى فى حال من الاحوال الا فى حال عود الاعادى و(عاد) اما من العود بمعنى الرجوع او بمعنى صار وانتقل و(من حرب) متعلق بعاد و(من) لابتداء الغاية و(حرب) بفتحتين بمعنى

﴿ ماحوربت قط الاعاد من حرب اعدى الاعادى اليها ملقى السلم ﴾

اى ماعورضت هى بشئ اوما عورض بها قط ظرف زمان للماضى على سبيل الاستغراق ولا يستعمل الا فى النفى والمستثنى منه محذوف اى فى حال من الاحوال الا فى حال عود اعدى الاعادى مستسلما والمراد سرعة الانهزام حتى كأنه مقارن وان كان بمعنى رجع يكون ملقى السلم حالا وان كان بمعنى صار فهو خبره فاليها على الاول متعلق بعاد وعلى الثانى بملقى ومن حرب متعلق بعاد ومن لابتداء الغاية يقال حربه يحربه حربا مثل طلبه يطلبه اذا اخذ ماله وتركه بلا شئ وحريبة الرجل ماله الذى يعيش به واعدى الاعادى فاعل عاد واعدى بمعنى اظلم على صيغة التفضيل من عدى بمعنى تجاوز اومن عادى وهو من المتشعبة قليل سماعى والاعادى جمع الاعداء والسلم الاستسلام والانقياد فالمعنى انه ماعورضت تلك الآيات بشئ من كلام الفصحاء ولا طولب احد بمعارضتها من العرب العرباء الا ورجع من المحاربة والحرب اعدى الاعداء ملقى السلم الى تلك الآيات الباهرة ومعرضا عن معارضة هذه المعجزات الظاهرة فلم يتصد واحد من مصاقع الخطباء للاتيان بما يدانيها ولم ينهض ناهض من مهرة البلغاء لاظهار مايقرب من الفاظها ومعانيها مع اشتهار

الغضب والغيظ وقيل هو لغة فى الحرب فيكون بمعنى المحاربة وهى بمعنى المعارضة و(اعدى) بالرفع تقديرا فاعل عاد وهو اسم تفضيل من العداوة و(الاعادى) جمع اعداء وهى جمع عدو فاضافة اعدى اليها للمبالغة فيكون اشارة الى انه لا يعارض القرآن الا من كان فى شدة العداوة والبغضاء و(اليها) متعلق بعاد والضمير راجع الى الآيات وفيه حذف مضاف اى الى حقيتها و(ملقى السلم) بالنصب حال من فاعل عاد على تقدير كون عاد بمعنى رجع او بالنصب على الخبرية على تقدير كونه بمعنى صار و(ملقى) اسم فاعل من القى بمعنى متلقيا ومقبلا اليها (السلم) اى السلامة فالمعنى انه ما عورضت تلك الآيات بشئ من كلام الفصحاء ولا طولب احد بمعارضتها من العرب العرباء الا ورجع من المحاربة والمعارضة لما فيها من الفصاحة والبلاغة اكبر المعاندين واقوى المعارضين حال كونه ملقيا متلقيا بالسلامة وكان بريئا من الملامة * روى ان الوليد بن المغيرة كان بين قريش فى غاية الفصاحة فجاء الى النبى عليه السلام ذات يوم لقصد المعارضة فى البلاغة فقال للنبى عليه السلام اقرأ على فقرأ عليه قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) الآية فاستعاده فاعاده صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ما يقول هذا بشر وسكت وقام من المجلس ولم يقل شيئا غير هذا * وحكى عن يحيى بن حكيم انه رام شيئا من المعارضة للقرآن فنظر فى سورة الاخلاص ليأتى بمثلها او ينسج بزعمه على منوالها فاعترته روعة وهيبة من الله فتاب وعاد عن نيته * وروى انهم اتوا السورة القارعة بنظيرة فى زعمهم وهى قولهم «الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب قصير وخرطوم طويل ان ذلك من خلق الله لقليل» ولقوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) بقولهم «القتل انفى للقتل» ثم تفكروا ووجدوا فى قولهم نقائص كثيرة فبعد التفكر بهتوا وسخروا تسخيرا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

﴿ رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا * رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِى عَنِ الْحُرَمِ ﴾

لما بين كون الآيات تدفع المعارضة بل تعيد اليها اعداءها اراد ان يبين ما تدفع به الخصوم من ارباب البلاغة والعلوم فقال (ردت بلاغتها الخ) (ردت) بمعنى منعت ودفعت والبلاغة فى اللغة ما ينبئ عن الوصول والانتهاء وفى الاصطلاح البلاغة فى الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وفى المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ وضمير (بلاغتها) راجع الى الآيات فالمصدر مضاف الى فاعله و(دعوى) بالنصب مفعول ردت والمراد من الدعوى المقاومة باتيان مثله فالمعارض بمعنى المتصدى لاتيان مثله

تلك العصبة بالافراد فى العصبية والقائهم الشر اشر على المضادة بمقتضيات طباعهم الآبية فيها لهام وحى ناطق ببينات حجج وقرآن عربى غير ذى عوج

﴿ ردت بلاغتها دعوى معارضها
رد الغيور يد الجانى عن الحرم ﴾

البلاغة فى اللغة تنبئ عن الوصول والانتهاء وفى الاصطلاح البلاغة فى الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وفى المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ ودعوى معارضها مفعول ردت والمراد منه طلب المقاومة والمقابلة باتيان مثله ورد الغيور صفة مصدر محذوف اى ردا مثل رد الغيور والمراد تشبيه الرد بالرد والغيور شديد الغيرة فعول من غار الرجل على اهله صيغة المبالغة يد الجانى مفعول رد واراد باليد التعرض لانها آلته عبر بها عنه والجناية فعل لا يجوز اتيانه وحرم الرجل بفتح الحاء والراء المهملتين محرمه واهله وروى بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة الرجل

والضمير للآيات و(رد) بالنصب صفة مصدر محذوف اى ردا مثل رد الغيور والمراد تشبيه الرد بالرد وهو مضاف الى فاعله و(الغيور) صيغة مبالغة من الغيرة بمعنى شديد الغيرة وهو صفة موصوفه محذوف اى رد الرجل الغيور * وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله يغار وان المؤمن يغار) وقد جاء ايضا فى الخبر (ان الله غيور يحب الغيور) والغيرة فى الاصل كراهية مشاركة الغير فى حق من الحقوق وغيرة الله منعه عبده من الاقدام على الفواحش وغيرة المؤمن هيجان وانزعاج فى قلبه يحمله على منع التحريم من الفواحش ومقدماتها ممن هو ساكن فى بيته و(يد الجانى) بالنصب مفعول رد والمراد من اليد التصرف بذكر السبب وارادة المسبب لان اليد سبب للتصرف وتصرف الجانى عام للفواحش كالزنا واللواطة ومقدماتهما كالتقبيل واللمس والنظر والمراد من الجانى من يأتى الجناية لحرم الغيور (عن الحرم) متعلق برد و(الحرم) بفتحتين بمعنى محرم الرجل وقرئ بضم الحاء وفتح الراء على انه جمع حرمة وهى مايكون فى حريم الرجل ﴿وحاصل المعنى﴾ ان الآيات ردت بلاغتها وفصاحتها دعوى معارضها ومقابلها مثل رد من وصف بكمال الغيرة ونهاية الحمية مد يد الجانى وتصرف الخائن الباغى عن حول حريم حرمه وعن الوصول الى حصول حرمه * ثم اعلم انه حكى ان ابن المقنع وكان افصح اهل وقته طلب المعارضة للقرآن ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فمر يوما على مكتب يقرأ فيه صبى قوله تعالى (يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى) الآية فقال ان هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر ومن تفحص كتب الانام فى احاديثه عليه الصلاة والسلام وجد فيها كلاما كثيرا يناسب هذا المقام

﴿ لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ * وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ ﴾

لما بين كون الفاظ القرآن فى اعلى طبقات البلاغة والفصاحة توهم ان قائلا قال هل كانت معانيه مناسبة لهذه الالفاظ الموصوفة بالبلاغة والمنعوتة بالفصاحة فقال (لها معان الخ) (لها) خبر مقدم و(معان) مبتدأ مؤخر والتنوين للتكثير والتعظيم والمراد من المعانى المقاصد وما تتضمن من الحقائق والفوائد و(كموج البحر) ظرف مستقر صفة معان و(الموج) مصدر ماج البحر بمعنى اضطرب ويقال لكل فرقة ما ارتفعت منه وهو ههنا كناية عن الكثرة وعدم النهاية و(فى مدد) متعلق بالكاف فى كموج والمدد بفتحتين بمعنى النصرة والعون فان كل موج فى البحر يمد موجا آخر وكذلك القرآن يفسر بعضه بعضا ويمد بعضه بعضا و(فوق) ظرف مرفوع المحل بالعطف على الكاف

﴿ لها معان كموج البحر فى مدد
وفوق جوهره فى الحسن والقيم
فلا تعد ولا تحصى عجائبها
ولا تسام على الاكثار بالسأم ﴾

يعنى لتلك الآيات معان كموج البحر يمد بعضه بعضا لكثرة الماء ونفائس هذه المعانى التى هى كالعرائس الغوانى فوق جواهر البحر فى الحسن والبهاء والنفاسة والصفاء فلا تعد غرائبها ولا تحصى عجائبها ولا يشوب بالشبه تبيانها الساطع ولا ينقطع بالمعارضة برهانها القاطع ولطائفها التى هى كالماء الزلال لا تقابل مع الاكثار بالملال قوله معان مبتدأ ولها خبره والضمير للآيات والمراد من المعانى المدلولات والمقاصد وما يتضمنه من الحقائق والفوائد والكاف بمعنى المثل صفة معان والمثل لا يتعرف بالاضافة فى مثل هذا الموضع والموج مصدر ماج البحر يموج موجا اضطرب ويقال لكل مرتفع منه ايضا والمدد يجوز ان يكون بمعنى العون والنصر فان كل موج فى البحر يمد موجا آخر وقد قيل القرآن يفسر بعضه بعضا ويقوى بعضه بعضا ويجوز ان يكون من مد البحر وهو ازدياده وقت طغيانه فعلى الاول يكون الجار متعلقا لما فى كاف التشبيه من معنى الفعل ويكون بيانا لوجه الشبه نحو زيد كالاسد فى الشجاعة وعلى الثانى يكون متعلقا بمحذوف اما صفة للبحر او حال اى البحر الكائن فى مدد او كائنا فيه فيكون المشبه به موجا فى الوقت الخاص وفوق ظرف

فيكون صفة بعد صفة للآيات والتقدير وللآيات معان كانت اوثبتت (فوق جوهره) والجوهر قدمر غير مرة والضمير للبحر وجوهر البحر مايستخرج منه من اللؤلؤ والمرجان وفى (الحسن) متعلق بالزيادة التى تضمنها لفظ فوق (والقيم) بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة ﴿وحاصل المعنى﴾ ان الآيات البينات لها معان كثيرة كموج البحر فى الازدياد وعدم النفاد واحكام حسنة فوق جواهر البحر من اللؤلؤ والمرجان فى الحسن والقيمة كما لايخفى على اهل العرفان لان الجواهر وان كانت فى صفة عالية يوجد لها قيمة ولو كانت غالية بخلاف الآيات ومعانيها وعجائبها ومحاسنها ولذا قال بعض اهل الحال لو ظهرت حقيقة معانيها لم تطق سطوات نورها السماوات والارض ولذا قال الله تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا) الآية لكن الله تعالى ستر انوار تلك الحقيقة بكسوة صورة الحروف لتطيقها القلوب والالسن فكما ان شرف الابدان انما يكون بشرف الارواح فكذلك شرف الحروف انما هو بشرف معانيها وروى عن رسول الله عليه السلام ان القرآن لايشبع منه العلماء قيل لكمال لذته ونهاية حلاوته ولما فيه من الاسرار العجيبة والبدائع الغريبة والاساليب المستحسنة والعجائب المستكملة

﴿ فَلَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا * وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ ﴾

لما توهم من تشبيه معانى الآيات بموج البحر كون معانيها متناهية اذ موج البحر متناه مع ان معانى الآيات غير متناهية بالاتفاق اراد دفعه بتفصيل ماقبله فقال (فلا تعد ولا تحصى الخ) تعد وتحصى كلاهما على صيغة المجهول فالاول من العد والثانى من الاحصاء والفرق بينهما ان الاول العد واحدا واحدا والثانى جملة جملة و(عجائبها) بالرفع جمع عجيبة وهو مايتعجب منه وكذلك العجاب بالتخفيف والتشديد والاعجوبة وضميرها راجع الى الآيات يعنى ان الآيات لاتعد عجائبها ولا تحصى غرائبها من العلوم الغريبة والاسرار العجيبة والدقائق اللطيفة فى كل حد وزمان وجميع وقت وآن وقوله (ولا تسام) دفع لتوهم مقدر وهو ان القرآن اذا كان مشتملا على معان كثيرة لاتعد ولا تحصى تترك لاعطائها الملالة لناظرها وتقرير الجواب ظاهر (ولا تسام) مضارع مجهول على صيغة التأنيث اى لاتترك لانه من سامت السائمة اذا تركت على حالها او بمعنى لايقاس منها ولا يتعب فالضمير على كلا المعنيين راجع الى الآيات و(على الاكثار) متعلق بتسام و(على) بمعنى مع كما فى قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) الآية والاكثار الاتيان بالكثير والالف واللام عوض عن المضاف اليه اى اكثارها وبالسأم الباء

مرفوع المحل بالعطف على الكاف اى وثبتت اوكانت فوق جوهره وجوهر البحر هو النفيس الثمين الذى يستخرج منه مثل اللؤلؤ وغيره وفى الحسن متعلق بما تضمن لفظ فوق من معنى الزيادة او بمتعلقه اذ يكون تقدير الكلام وكنى فوق جوهره فيكون صلة الكاف الحسن يدل على مرغوبيته وغلاء القيمة على عزته والفاء للنتيجة وعد الشئ يكون اذا كان واحدا واحدا والاحصاء جملة جملة والعجيبة المعجبة وهى مايتعجب منها وكذلك العجاب بضم العين والعجاب بالتشديد ابلغ منه وكذلك الاعجوبة وضمير عجائبها لآيات القرآن وكذلك ضمير لاتسام وروى لاتقام ومعناها واحد اى لايقابل بالملاء قاس النعل بالنعل اى ساواه وقاسه به اى قابله به والسوم فى المبايعة يتضمن التعرض وعلى بمعنى مع والاكثار الاتيان بالكثير والسأم مصدر سئم يسأم سأمة وسأما اى مل يمل ملالة ومللا فالبيت الاول يتضمن تشبيه القرآن بالبحر ومعانيه فى الكثرة بالامواج وفى الحسن والنفاسة بشئ له نفاسة فوق نفاسته فان الجوهرين قط لايماثلان ابدا فى الكمية والكيفية والمصراع الاول يتضمن تشبيهه فى الكم والتعاضد والمصراع الثانى فى الكيف والاضافة فى ضمن التعرض بالتزايد والنصف الاول من البيت الثانى كالنتيجة للنصف الاول من البيت الاول وكذا النصف الثانى وحاصل البيتين ماسبق من المعانى

سببية متعلقة بالاتسام والسأم بفتحتين السآمة والملالة يعنى ان الآيات لكونها فى اعلى طبقات المعجزات لاتترك بالملالة من اكثارها بل كلما ازدادت ازداد فرح قارئها * وفى البيت تلميح الى قوله عليه السلام (ان هذا القران لاتنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الترداد) يعنى ان القرآن لاتنتهى غرائبه لجميع العلماء فى جميع الازمان قال تعالى (لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) وقال تعالى (ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله) قال بعض الحكماء لكل آية سبعون معنى * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هذا القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لاتنقضى عجائبه ولاتبلغ غايته * وكذلك ان هذا القرآن لايمل قارئه ولايسأم من تكرار تلاوته واستماعه ولايذهب رونقه وبهجته كما فى كلام الخلائق بل كلما ازداد التكرار ازداد الحسن ولاتتغير حروفه بتكرار التلاوة والتدريس من العلماء والاعراب والاعجام بل يرد الخطأ الى الصواب كما فى حديث الجامع الصغير (اذا قرأ القارئ فاخطأ اولحن اوكان اعجميا كتبه الملك كما نزل) وفى معنى هذا البيت قول الشيخ ابى القاسم الشاطبى فى وصف القرآن ولله دره

وخير جليس لايمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا

﴿ قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ * لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ ﴾

لما بين فى الابيات السابقة فضائل الآيات اراد ان يبين بعضا من فواضلها السارية الى الغير فقال (قرت بها الخ) (قرت) فعل ماض من القرة بمعنى البرودة يقال قرت عينه تقر بالفتح والكسر قيل هو كناية عند العرب عن الراحة لان بلادهم كانت حارة جدا فالراحة عندهم فى البرودة ولايخفى انه يكون على هذا فى اسناد قرت الى العين برودة جدا والاظهر انه كناية عن السرور فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنة العين للمكروه ذكره القاضى وغيره من اهل التفسير فى قوله تعالى (وقرى عينا) ويجوز ان يكون قرت بمعنى ثبتت وصارت عينه ذات قرار اى مستقرة لاتميل الى الجوانب لطيب ماتنظر اليه والباء فى (بها) للسببية والضمير للآيات وفيه حذف مضاف اى بقراءتها او بنظرها و(العين) بالرفع فاعل قرت والمراد بها الباصرة على كلا المعنيين فى قرت ومن جعله بمعنى النفس على التقدير الثانى فقد وقع فى تكلف فوق التكلف ثم ان قرت فى معناه الاصلى اعنى المضى والمعنى كان قارئها مسرورا بسبب قراءتها ويحتمل ان يكون اخبارا لفظا وانشاء معنى اى لتقر فتدبر و (قاريها) سكن همزته لضرورة الشعر ثم ابدلت بالياء والضمير

﴿ قرت بها عين قاريها فقلت له لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم ان تتلها خيفة من حر نار لظى اطفأت حر لظى من وردها الشيم ﴾ قر قرارا ثبت وقر به عينه فرح به وابتهج وحصل به قرة العين اى زاد نورها والمناسب الاول ان اريد من العين النفس فان الثبات فى الحياة الحقيقية هو الانتفاع بمقاصد القرآن والثانى ان اريد منه الباصرة والقارى اما من قرأ بالهمزة واما من قرا بالالف بمعنى اضافه ولعله اوجه عند من له دراية واللام فى لقد موطئة للقسم والظفر الفوز بالمطلوب والحبل الرسن ويستعار للعهد ولكل مايكون وصلة بين اثنين واراد بحبل الله الذى يجد

للآيات والفاء في (فقلت) للفصيحة وقلت على صيغة التكلم اى اذا كان قارئها مسرورا بسبب قراءتها فوجب ان اقول له اى لقارئها على وجه الرغبة او على طريق الغبطة والله لقد ظفرت فاللام توطئة للقسم و(ظفرت) على صيغة الخطاب خطابا لقارئها وظفرت بمعنى وجدت الفوز والنجاة من كل المكاره والمفاسد ونلت جميع المطالب والمقاصد والباء في (بحبل الله) متعلق باعتصم والحبل بمعنى الآيات والشرائع على سبيل المجاز والاستعارة بان شبه الآيات بالحبل القوى الممدود منه تعالى الى العباد في الايصال الى المطلوب ثم استعير الحبل لمفهوم الآيات فذكر الحبل واريد الآيات واضافة الحبل الى لفظة الله قرينة هذه الاستعارة وقوله (فاعتصم) الفاء جواب شرط محذوف اعتصم امر حاضر من اعتصم والمراد من الاعتصام هنا هو العمل بموجبها بطريق الاستعارة فليتأمل * وفي البيت تلميح الى قوله عليه الصلاة والسلام (انى قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا كتاب الله تعالى وسنة رسوله) عليه الصلاة والسلام والى قوله عليه السلام (وهو) اى القرآن (حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم) الحديث والى قوله عليه الصلاة والسلام (ان هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ان هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه) الحديث ﴿ وفي معنى هذا البيت ﴾ قول الشيخ الشاطبي

وقارئه المرضى قر مثاله * كالاترج حاليه مريحا وموكلا

وبعد فحبل الله فينا كتابه * فجاهد به حبل العدى متحبلا

﴿ إِن تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى * أَطْفَأَتْ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ ﴾

لما فرغ من بيان بعض فضائل الآيات وفواضلها اراد ان يبين ايضا بعضا من خواصها وجعلها داخلة في سلك فواضلها فقال (ان تتلها خيفة الخ) ان شرطية وتتلها مضارع من تلا بمعنى قرأ على صيغة الخطاب خطاب لقارئها المقدم واصله تتلوها فسقط الواو للجزم والضمير راجع الى الآيات و(خيفة) بالنصب على انه مفعول له حصولي لتتلها والخيفة كالخوف بمعنى الخشية و(من) متعلق بخيفة واضافة (الحر) الى (النار) لامية و(لظى) علم من اعلام جهنم او طبقة من طبقاتها وهي غير منصرفة للتأنيث والعلمية ومن قال يمكن ان يكون لظى فعلا وهو فاعله صفة نار فلم يشم رائحة من علم العروض مع ما فيه من المخالفة للقواعد المشهورة بين العوام واهل الفيوض * فان قلت لم خص لظى بالذكر دون سائرها * قلت لكون حرارة لظى شديدة بالنسبة الى سائر الدركات كما ذكره بعض الشارحين تأمل و(اطفأت) جزاء الشرط وهو

بك ويرفعك الله به اليه اى الى دار كرامته فاعتصم انشائية عطف على الانشائية القسمية ان تتلها داخل في مقول القول وكالتفسير للاعتصام تلاه قرأ تلاوة وتلاه تبعه تلوة وكل يصح ههنا وخيفة امامفعول له واما حال اى خائفا ولك ان تجعله تمييزا اى من حيث الخيفة لا من حيث ارادة الوظيفة ومن متعلق به وفي الكشاف لظى علم النار منقول من اللظى بمعنى اللهب الخالص وفي البيت منونا وغير منون بناء على كونه علما واسم جنس والتنوين للتفخيم والتهويل اى لظى لا يكتنه كنهه وعدم انصرافه للعلمية والتأنيث كسقر واطفأت جزاء الشرط ومن متعلق به والورد

ايضا على صيغة الخطاب (ونارا لظى) بالنصب مفعول اطفأت * فان قيل لم اتى بالظاهر مقام الضمير لان الظاهر ان يقول اطفأت نارها * قلت لئلا يلتبس فى المرجع او لئلا يلزم تفكيك الضمائر ووقع فى بعض النسخ «حر لظى» والاول انسب بالاطفاء و(من وردها) كلمة (من) اجلية متعلقة باطفأت وا (لورد) بكسر الواو بمعنى الاشراف على الماء والمصدر هنا بمعنى المفعول اى المورود فالمراد منه الماء والضمير راجع الى الآيات * وفيه استعارة بالكناية بان شبه الآيات فى الذهن بالماء فى كونهما سببا للحياة فاستعير الماء للآيات فى الذهن وذكر فى الخارج المشبه وترك المشبه به ثم اثبت الورد الذى هو من ملائم المشبه به للمشبه فيكون تخييلية ويكون الشبم ترشيحا لهذه الاستعارة ويجوز ان يكون الورد بمعنى ورد القرآن وهو قراءة جزء من القرآن فى كل يوم على سبيل الادمان ويؤيد هذا المعنى اضافته الى الضمير الراجع الى القرآن ووصف الورد بالـ(شبم) بفتح المعجمة وكسر الموحدة اى البارد يقوى المعنى الاول ولكل وجهة لكن يكون الشبم على المعنى الثانى بمعنى الدافع للحرارة كما لا يخفى * وحاصل معنى البيت * ان تقرأ الآيات القرآنية والبينات الفرقانية خشية من حرارة النار وعذاب الملك الجبار اطفأت نارها ودفعت ضرها من اجل ملازمتك ورد القرآن الدافع حرارة النيران * ثم اعلم ان الفقهاء قالوا الافضل فى قراءة القرآن ان يقرأ من المصحف لا عن ظهر القلب لان فى امساك المصحف عمل اليد وكذا فى حمله وفى نظره عمل البصر ويعين على تأمل معانيه ولهذا كان اكثر الصحابة يقرؤن من المصحف * وعن على رضى الله تعالى عنه ثلاث يزددن فى الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن ويقال النظر الى العلماء والقرآن عبادة كالنظر الى الكعبة وقال عليه السلام (اتلوه فان الله تعالى يؤجر على تلاوة كل حرف عشر حسنات) الحديث وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة فى وقت السحر اقرأ سورة طه فلما ختمتها اخذتنى سنة فرأيت شيخا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا ادرى حكمتها فقال الشيخ صدقت لقد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت فى منامى وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب به ثوابها انتهى * وذكر فى المقامات انه اتى رجل الى النبى عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله ما جزاء من علم ولده القران فقال عليه السلام (القرآن كلام الله لا منتهى له لا اعلم حتى

بالكسر الورد والشبم بفتح الشين المعجمة وكسر الباء الموحدة المنقوطة بنقطة تحتانية البارد ولما كان الورد البارد موضع الانتفاع والراحة والتطهر والتطهير والحياة اثبت للقرآن موردا شبما على طريقة الاستعارة التبعية كما فى قوله رأيت من فلان صديقا حميما يريد اثبات الصداقة لفلان على طريقة المبالغة فههنا يريد اثبات كون القرآن موردا باردا على الطريقة المذكورة ولئن تدبرت وجدت وردها من قبيل لجين الماء اى الايات التى هى كالورد فى ان كلا منهما سبب للحياة فان العلم يشبه بالماء فكما ان الماء سبب لحياة الاشباح بل اقوى فقد قيل من صار حيا بالعلم لم يمت ابدا

حتى يأتيني جبريل فلما اتاه سأله عنه قال لا اعلم حتى اسأل رب العزة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله يقرؤك السلام فيقول جزاء من علم ولده القرآن انه يعطى بكل حرف مدينة فى الجنة من الذهب فيها الف قصر فى كل قصر الف بيت) وجاء فى حديث صحيح (من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء الشمس) ولذا قال الشاطبى

هنيئا مريئا والداك عليهما * ملابس انوار من التاج والحلى
فما ظنكم بالنجل عند جزائه * اولئك اهل الله والصفوة الملا

﴿ كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوهُ بِهِ * مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُهُ كَالْحُمَمِ ﴾

لما فرغ من بيان بعض فضائلها وفواضلها وخواصها اراد ان يبين بعضا من شفاعتها يوم القيامة للعصاة فقال (كأنها الحوض الخ) كأن للتشبيه والضمير للآيات والحوض مجاز اى ماؤه والالف واللام فى الحوض للعهد فالمراد الكوثر الذى وعدله عليه السلام وهو ثابت باجماع اهل السنة والاحاديث الصحيحة كقوله عليه السلام (حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه اشد بياضا من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السماء من شرب منه لا يظمأ ابدا) وفى تقديم الحوض على الصراط ترجيح لقول من قال ان الحوض مقدم فى الحشر على الصراط اذ فيه اختلاف * قال القرطبى ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض بعد الصراط والصحيح انه قبله وكذا قال الغزالى ذهب بعض السلف الى ان الحوض يورد اليه بعد الصراط وهو غلط من قائله * قال القرطبى المناسب لكون الناس يخرجون من قبورهم عطاشا تقديم الحوض * وقيل هو اثنان فى القيامة وفى الجنة * وقيل هو فى الجنة لكن ينقل من الجنة الى العرصات ومن العرصات الى الجنة * وقيل هو فى ظهر ملك يسير الى اين سار النبى عليه الصلاة والسلام وقوله (تبيض) بيان لوجه الشبه يعنى ان الآية مشبهة بالحوض فى تبييض الوجه وجملة تبيض بالرفع صفة الحوض * فان قلت كيف يجوز جعل جملة تبيض صفة للحوض مع انه لا مطابقة بينهما فى التعريف والتنكير اذ الجملة نكرة * قلت قد حقق فى محله ان الصفة ثنتان صفة خاصة للموصوف وصفة عامة له فالمطابقة انما تلزم فى الثانى لا فى الاول والصفة ههنا من قبيل الاول كما لا يخفى و(الوجوه) اما على حقيقتها واما المراد بها ذواتها على طريق المجاز اللغوى او الحذف ويؤيد الثانى بيانها بالعصاة و(به) متعلق بتبيض والضمير للحوض و(من العصاة) بيان للوجوه و(العصاة) جمع عاص كالغزاة جمع غاز والواو فى (وقد جاؤه) للحال وضمير الجمع راجع الى العصاة والمفعول راجع الى الحوض والكاف للتشبيه

﴿ كأنه الحوض تبيض الوجوه به
من العصاة وقد جاؤه كالحمم
وكالصراط وكالميزان معدلة
فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم ﴾

ان كان القرآن الحوض اراد به الكوثر وهو نهر فى الجنة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ذكاء من المسك يجرى على جنادل اللؤلؤ والمرجان حافتاه من الذهب ويروى ان العاصى بعد ماعذب فى النار واخرج منها وادخل الجنة محترقا مسودا فيشرب من ذلك الماء ويسبح فيه ينبت لحمه ويستوى اعضاؤه ويحسن وجهه كالبدر والصراط جسر ممدود على متن جهنم ادق من الشعر واحد من السيف يعبره اهل الجنة وتزل به اقدام اهل النار ويتناولهم زبانية اهل النار بالخطاطيف والكلاليب على جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم ومن الناس من يمر مثل البرق الخاطف ومنهم كالريح الهابة ومنهم كالجياد المسرع ومنهم من تحبوا احبوا الى غير ذلك مما ورد فى الحديث ياحسرة على من تزل قدمه ولا ينفعه ندمه فيقول واويلاه هذا ما كنت اخافه فياليتنى قدمت لحياتى ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ويا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا ياليتنى كنت ترابا ولم القى ماتما وعذابا واما الميزان فقد روى الحسن رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سالت دموعها على خد رسول الله

و(الحمم) بضم الحاء وفتح الميم جمع حممة كتهمة وهي بمعنى الفحم والفرق بينها وبين الفحم ان الفحم يقال لمابقي بعد احتراق الحطب والحممة لمابقي بعد احتراق الفحم واما الحمة التي بكسر الحاء فهي بمعنى الماء الحار الذي يخرج من الارض يستشفى به المفلولون والمرضى قال عليه السلام (العالم كالحمة تجنب بها القرباء ويتقرب اليها البعداء) وفي البيت اشارة الى مافي الخبر من ان بعض عصاة المؤمنين يدخلون النار ويحترقون فيها قدر ذنوبهم فيخرجون منها فيلقون في نهر الحياة وفي رواية فيصب عليهم ماء الحياة فيذهب السواد عنهم ويظهر البياض وهذا من فضل ربنا الفياض * وحاصل معنى البيت * ان الآيات البينات تشفع للعصاة يوم العرصات كما يشفى حوض نبينا للعصاة الخارجين من النار بتبييض وجوههم قبيل الدخول الى دار القرار * وفيه اشارة الى قوله عليه السلام (القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فان من جعله امامه اوصله الى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه الى النار) يعني ان القرآن شافع يوم القيامة لصاحب الكبيرة والصغيرة ورافع لدرجات من يتلوه ويعمل به وشاك بليغ مصدق في شكايته لمن يضيعه بعدم العمل وعدم القراءة والنسيان وعدم الترتيل * وعن الزهري من شهد عليه القرآن بالتقصير فهو في النار * فان قيل كيف يمكن شفاعة القرآن في القيامة لانه ان اريد بالقرآن الكلام النفسي فهو قائم به تعالى وكونه شافعا باذنه تعالى يقتضي المغايرة له وهو باطل وان اريد الكلام اللفظي فهو كالعرض في عدم البقاء ولو سلم فلم يمكن انقلابه جوهرا لامتناع انقلاب الحقائق قلنا اجيب عنه بانه تعالى يجعل القرآن اللفظي في ذلك اليوم جسما في صورة يراها الناس كالاعمال عند الميزان وانقلاب الحقائق ليس بباطل مطلقا بل الباطل منه انقلاب الواجب الى الممكن والممكن الى الواجب فليتأمل

﴿ وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةً * فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ ﴾

لمابين فوائد الآيات وخواصها النافعة يوم العرصات توهم ان يسئل ويقال الم تك للقرآن فوائد نافعة في الدنيا كما كانت في الآخرة فقال مجيبا ودافعاله (وكالصراط الخ) الواو عاطفة وكالصراط معطوف على كأنها يعني ان القرآن العظيم مشبه بالصراط المستقيم في كونه موصلا الى المطلوبات والصراط جسر ممدود على متن جهنم يعبره الاولون والآخرون من المؤمنين والكفار والنبي عليه السلام قائم عليه قائلا يارب سلم سلم وهو ادق من الشعرة واحد من السيف والناس في جوازه متفاوتون وروى انه يكون على بعض الناس

صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال مايبكيك ياعائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن لايذكر احد الا نفسه اذا وضعت الميزان ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذه ام بشماله وعند الصراط وعن انس رضي الله عنه قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لاسعد بعدها ابدا وعند خفة كفة الميزان اقبلت الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار فالميزان عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال والحكمة يعلمها الله سبحانه وعدم اطلاعنا على الحكمة لايوجب العبث ولعل الحكمة ان الله تعالى لايخفى عليه حال الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ولكنها تخفى عليهم فيأبى الله تعالى لان يعرفهم حقيقة حالهم ومقادير اعمالهم ليتبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب وباقي مايتعلق بالحوض والصراط والميزان مذكور في المطولات قوله تبيض الوجوه به اما استيناف او حال من اسم كان او خبره ومن العصاة اما حال من الوجوه

ادق من الشعرة وعلى بعض مثل الوادى الواسع بل بعض يمر عليه ولا يعلمه وفى جعل الصراط مشبها به رد للمعتزلة حيث انكروا الصراط وقالوا بانه لا يمكن العبور على مثل ذلك فايجاده عبث ولو امكن ففيه تعذيب للمؤمنين والانبياء ورد بان العبور عليه ممكن والانبياء والمؤمنين يمرون عليه من غير تعب والميزان عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال والعقل قاصر عن ادراك كيفيته قيل توزن كتب الاعمال وقيل تجعل الحسنات اجساما نورانية والسيئات ظلمانية وقيل يوزن العبد مع عمله مرة بالخير ومرة بالشر وقوله (معدلة) تمييز من الاضافة فى (كالميزان) لا فى (كالصراط) وهو مصدر ميمى او اسم آلة ﴿والمعنى﴾ ان الآيات تشبه الميزان من جهة كونه معدلة ففيه رد للمعتزلة ايضا لانهم انكروا الميزان وقالوا لا فائدة له ولا غرض ويجوز ان يكون المراد من الصراط والميزان جنس الصراط والميزان فوجه الشبه بالصراط هو العصمة عن الوقوع فى المكروه والتوصل به الى المطلوب وبالميزان اقامة العدالة والتحاشى عن الظلم وقوله (فالقسط) تفريع عن التشبيه الثانى اى اذا كان القرآن كالميزان فى العدالة فالقسط الخ والقسط من قسط يقسط كنصر ينصر بمعنى العدل واما القسط بمعنى الجور فمن قسط يقسط كجلس يجلس * ولذا روى ان الحجاج دعا سعيد بن جبير فجاء اليه فقال الحجاج له كيف تعلمني يا سعيد قال انك قاسط عادل فاستحسن اهل المجلس جواب سعيد فقال الحجاج لا لانه اراد بقوله انك قاسط معنى انك جائر وظالم كما فى قوله تعالى (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) واراد بقوله عادل عادل عن الحق ومنصرف عنه انتهى * وقوله (من غيرها) ظرف مستقر صفة قسط والضمير للآيات و(فى الناس) متعلق بلم يقم قدم للضرورة اوللقسط اى العدل فيما بين الناس والناس اسم للبشر وهو امامن النسيان اومن الانس ويؤيده قوله

وماسمى الانسان الالانسه * ولا القلب الا انه يتقلب

وانما خص الناس بالذكر لكون احتياجهم الى القرآن اكثر من الجان اولشرافتهم منه * ثم ان المراد من الناس المعهود اعنى امة نبينا محمد عليه السلام دون سائر الامم بقرينة السباق واللحاق و(لم يقم) بمعنى لم يدم ولم يتحقق ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان الآيات البينات كالصراط فى تمييز الحق من الظلمات وكالميزان من جهة العدالة ورفع الخصومات فاذا كان كذلك فطلب العدالة فى الدنيا بين الناس من غير هذا القرآن الذى كالمقياس لم يثبت ولم يدم بل الاجماع بين الخلق على غير ذلك لم يقم فقيام الدنيا واهلها انما هو بالعدالة والعدالة قائمة بالشريعة والشريعة انما قامت بالقرآن فلو لم تكن الآيات

اوصفة لها اى كائنة اوالكائنة منها وقد جاؤه حال كونهم مثل كالحمم وهى جمع حمة وهى جرم جمر انطفأ نارها وبقى مسودة وكالصراط عطف على كأنه اوعلى الحوض والاول ابلغ ويجوز ان يكون اللام فى الصراط والميزان للجنس ووجه الشبه بالصراط هو العصمة عن الوقوع فى المكروه والتوصل به الى المقصود وبالميزان اقامة العدل به وتبيين الراجح من المرجوح ومعدلة تمييز اى من حيث استفادة قوانين العدل واحكامه والفاء فى فالقسط لمجرد العطف كالواو الاان يكون المراد من الميزان مايحترز به من الافراط والتفريط وحينئذ يكون للنتيجة ايضا ومن غيرها وفى الناس متعلق بلم يقم ويجوز ان يتعلق الثانى بالقسط اى العدل فيما بين الناس لم يثبت اولم يدم بغير الآيات ويقم من قام اى ثبت اودام

نابتة لما كانت الدنيا قائمة ولما كانت الخصومات بين الخلائق دافعة

﴿ لاتعجبن لحسود راح ينكرها * تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم ﴾

لما توهم ان يورد في هذا المقام سؤال من طرف بعض بان يقال لو كانت الآيات متصفة بهذه الصفات لما انكرها بلغاء قحطان ولا جحدها فصحاء عدنان اجاب عن هذا السؤال بجواب مطابق للواقع وقاطع لشبهة السائل ودافع فقال (لاتعجبن الخ) (لاتعجبن) نهي حاضر مؤكدة بنون مخففة اي لايكن لك عجب و(لحسود) متعلق به والحسود على وزن الصبور يقال لرجل له حسد شديد والفرق بين الحسد والغبطة ان الاول يستعمل في تمني زوال نعمة الغير او تمني تحويل نعمة الغير الى نفسه والثاني يستعمل في تمني مثل نعمة الغير بلا تمني زوالها عنه و(راح) بمعنى صار واسمه تحته راجع الى الحسود وجملة (ينكرها) خبره وضمير الفاعل في ينكر راجع الى الحسود ايضا والمفعول راجع الى الآيات و(تجاهلا) بالنصب مفعول لينكر والتجاهل اظهار الجهل وليس له جهل في الواقع لان الكفار كانوا يعرفون حقية الآيات من بلاغتها وفصاحتها واخبارها عن المغيبات كما يعرفون ابناءهم لكن يظاهرون الجهل وينكرونها عنادا واستكبارا والواو في (وهو) للحال والضمير راجع الى الحسود و(العين) ههنا بمعنى النفس والذات من بين معانيها واضافته الى الحاذق من قبيل شجر الاراك و(الحاذق) بمعنى الماهر و(الفهم) بالكسر صفة الحاذق وهو بمعنى كثير الفهم وشديد العقل والانتقال وفائدة الاتيان بهذا القيد اعني قوله وهو عين الخ قطع توهم كون انكاره من جهله لابل من عناده مع ان في هذا القيد تعظيما للقرآن العظيم من جهة ان كون عدا الشيء عظيما يدل على عظم ذلك الشيء كما لا يخفى على اهله

﴿ قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم ﴾

فلما كانت علة نهي التعجب من انكار الحسود خفية اراد ان يبينها بتمثيل المعقول بالمحسوس واتيان نظير له من المأنوس فقال (قد تنكر العين ضوء الشمس الخ) (قد) للتقليل و(تنكر) من الانكار و(العين) ههنا بمعنى الباصرة و(الضوء) بمعنى النور وانما قال ضوء الشمس ولم يقل نورها لان الضياء اقوى واتم من النور فبين النور والضياء فرق اذ النور كيفية ظاهرة بنفسها مظهرة لغيرها والضياء اقوى منه ولذلك اضيف الشمس في قوله تعالى ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾ وقد يقال ينبغي ان يكون النور اقوى على الاطلاق لقوله تعالى ﴿الله نور السموات والارض﴾ الآية وانت خبير بان هذا انما يتم اذا لم يكن معنى النور في الآية المنور وقد حمله اهل التفسير على

﴿ لا تعجبن لحسود راح ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر فم طعم الماء من سقم ﴾ الخطاب خطاب الزبون والتعجب انفعال النفس عند ادراك امر غريب باستغرابه والعجب مثله والحسود صيغة مبالغة من الحسد وهو تمني زوال نعمة الغير او تمني تحويلها الى نفسه والغبطة تمني مثل نعمة الغير بلا تمني زوالها عنه والحسود يستعمل في العدو والمعاند ايضا وراح بمعنى صار اسمه ضمير الحسود تحته وينكرها خبر والمجموع صفة حسود والتجاهل اظهار الجهل مع عدمه هو اما حال اي متجاهلا او مفعول له وهو عين الحاذق جملة حالية والعين مقحم يفيد التأكيد والحاذق الكامل الماهر الفهم بكسر الهاء صفة مشبهة صاحب مزية الفهم لان الصفة المشبهة ابلغ من اسم الفاعل اي والحال ان ذلك الحسود هو الحاذق في صناعة البلاغة والفهم لخواص التراكيب ومقتضيات الاحوال وقوله قد تنكر تعليل لقوله لاتعجبن وازالة الاستبعاد ويجوز ان يراد من الانكار عدم الرضى به وعدم طيب نفسه وتأذيه به وكلتا كلمة من لابتداء الغاية واعلم ان المفهوم من البيت السابق ان انكار الحسود دائما هو بواسطة انه مسلوب التوفيق ومحروم عن فضيلة الانصاف وهو يعلم مع ذلك الفضيلة ولكنه لكونه مسلوب التوفيق ينكر تلك الآيات الباهرة ويجحد الرسالة الظاهرة كان العين تنكر ضوء الشمس من الرمد والفم

ذلك يفرق بينهما بان الضياء ضوء ذاتى والنور ضوء عارضى تأمل و(الشمس) كوكب نهارى مضئ للعالم وقد سبق تفصيلها (من رمد) من منشئية متعلق بتنكر والرمد بفتحتين وجع العين يقال رمدت العين من الباب الرابع اذا هاجت * ثم ان فى هذا المصراع تشبيه الحسود المنكر للآيات لتجاهله بمين فيها رمد فى كونهما مشتملين على مايضر ولا ينفع ويورث لصاحبه انكار شئ ظاهر وتشبيه الآيات بضوء الشمس فى الظهور وعدم الخفاء والاشتهار عند الصغار والكبار وتشبيه التجاهل بالرمد فى ايراث الاذى لصاحبه وايراث انكار امر باهر وظاهر ثم اعلم انه يمكن ان يرتب ههنا قياس تعبيره هكذا الحسود مثل من فى عينه رمد والآيات مثل ضوء الشمس والتجاهل مثل الرمد وكل من كان مثل من فى عينه رمد ينكر ما كان مثل ضوء الشمس مماهو مثل الرمد ينتج الحسود كان ينكر الآيات من التجاهل وقوله (وينكر) الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة تنكر الاول و(الفم) يقرأ بتشديد الميم للضرورة واصل فم فوه على وزن سوط فحذف الهاء تخفيفا لشبهها بحرف اللين فبقى الاسم على حرفين فلم يروا ايقاع الاعراب عليه لئلا تثقل اللفظة فابدلوا من الواو ميما فقالوا فم لان مخرجهما من الشفة والدليل على ان الاصل فى فم الواو قولهم تفوهت بكذا ورجل افوه وقولهم فى تصغيره فويه لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها وقوله (طعم) بالنصب مفعول ينكر والطعم بمعنى اللذة و(الماء) اسم جنس يقع على القليل والكثير و(من) منشئية متعلقة بينكر و(السقم) المرض ثم ان فى هذا المصراع ايضا تشبيه الحسود بفم فى صاحبه مرض فى كونه مشتملا على مايمنع عن الوصول الى ماهو الحق فى الواقع وتشبيه الآيات بالماء اللذيذ فى كونه سببا لحياة كل شئ وتشبيه التجاهل بالسقم فى كونه مورثا للاذى الى صاحبه وكونه مانعا من الوصول الى الحق وفيه ايضا يمكن ترتيب قياس كالاول فتأمل ولا تكن من الحاسدين فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

﴿ يَاخَيْرَ مَنْ يَمَّمَ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ * سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الْاَيْنُقِ الرُّسُمِ ﴾

لما اشتغل بذكر معجزاته وبيان ماهو من اعظم آياته اعنى به الكتاب الذى هو البحر البسيط والقرآن الذى هو المحيط وبعد ماذكر ذلك المحبوب اشتاق الى تكرار بيان من هو المطلوب فاتى به مخاطبا بيا الدالة على الحضور لتحصيل العلم له من بيان اوصافه التى هى كالشمس فى الظهور فقال (ياخير من يمم الخ) كلمة (يا) وضعت لنداء البعيد وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا له كما فى قول الداعى ياالله ويارب وهو اقرب اليه من حبل

يجد الماء الزلال مرا من السقم والكمد وفى البيتين اشارة الى قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) يعنى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية ويميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم بحيث لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضى الله عنه انه سأل عبد الله ابن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى فاما ولدى ولعل والدته خانت فقبل عمر رأسه ومعرفة الرسول مستلزمة لمعرفة الآيات ولهذا قال الناظم رحمه الله وهو عين الحاذق

﴿ ياخير من يمم العافون ساحته
سعيا وفوق متون الاينق الرسم
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

جدد النداء تجديدا للحضور بما اشتغل بذكر معجزاته وبيان ماهو اعظم آياته وهو الكتاب الذى جاء من عند الله تعالى فانه البحر المحيط الذى لا تنقضى عجائبها فاقبل ثانيا الى خطاب من هو المقصود بالذات وقال ياخير كل من يقصد اليه ارباب الحاجات والمطالب وافضل كل من يرجى الى ساحته الركائب وخير اسم تفضيل ومن بمعنى الذى والمضاف محذوف اى ياخير كل من او بمعنى الذين وهو عام وافراد الضمير فى ساحته بالنظر

الوريد استصغارا واستبعادا لها محافل الزلفى واماتنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان مايقصده امر خطير يعتنى بشأنه وما وقع ههنا امامن قبيل الاول اوالثالث فتأمل و(خير) اسم تفضيل و(من) من الفاظ العموم و(يمم) بمعنى قصد اى ياخير من قصد (العافون) جمع العافى بمعنى السائل اى السائلون و(الساحة) بالنصب مفعول يمم وهو بمعنى حريم الدار والضمير راجع الى من والساحة من قبيل ذكر المحل وارادة الحال اذشرف المكان بالمكين ولذا قال الشاعر

وماحب الديار شغفن قلبى ＊ ولكن حب من سكن الديارا

والمعنى ياخير من قصد السائلون ذاته ونفسه و(سعيا) بالنصب على انه حال من فاعل العافون ＊ فان قيل كيف يجوز كونه حالا منه مع انه لامطابقة بين الحال وذيه لان الحال مفرد وذاالحال جمع ＊ قلت كونه حالا باعتبار الافراد كذا قيل فتأمل والمصدر اعنى السعى هنا بمعنى الفاعل اعنى ساعين والواو فى (وفوق) عاطفة وفوق ظرف متعلق بمحذوف معطوف على سعيا اى كائنين فوق المتون وال(متون) جمع متن وهو بمعنى ظهر كما فى قوله

وفرع يزين المتن اسود فاحم ＊ اثيث كقنو النخلة المتعثكل

و(الاينق) بتقديم الياء على النون مقلوب الانيق بتقديم النون اصله انوق جمع ناقة فقدمت الواو فصار اونق ثم قلبت ياء لمزيد الخفة و(الرسم) بالجر صفة الاينق وهو بضمتين جمع الرسوم وهى الناقة التى تؤثر فى الارض من شدة الوطئ اوناقة تسير سريعا وعلى كلا التقديرين ففيه تجريد ＊ ثم اعلم ان هذا القول من الناظم الفاهم اعنى وفوق متون الخ تكملة للكلام الاول يعنى ان الكلام الاول يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من قريب وهذا الكلام يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من مكان سحيق ومطلوبا للراكبين على كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم دنيوية واخروية بمشاهدة النبى الشفيق ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ياخير كل من يقصد اليه ارباب الحاجات والمطالب وافضل من تزجى الى ساحته الركائب وكونه خير من يقصد اليه ارباب الحاجات يدل على كونه قاضيا لحاجاتهم ومعطيا لمقاصدهم

﴿ وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ ＊ وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَنِمِ ﴾

ثم كرر النداء لزيادة اشتياقه الى ذاته الاعلى مع بيان اوصافه الاسنى والاشارة الى حكمة عروجه الى سدرة المنتهى فقال (ومن هو الخ) فالواو عاطفة ومن معطوفة على المنادى اعنى خير فالتقدير يامن هو الآية وهو ضمير فصل

الى اللفظ بمه قصده العافى السائل الساحة حريم الدار سعيا حال اى ساعين على ارجلهم وفوق ظرف متعلق بمحذوف معطوف على سعيا اى وكائنين فوق المتون المتن الظهر الاينق قلب الانيق جمع الناقة والرسم جمع رسوم وهى الناقة التى تؤثر فى الارض من شدة الوطء اوالتى تبقى على السير يوما وليلة ومن عطف على المنادى الآية العلامة سواء كان معرفا اولا وقوله المعتبر بمعنى لكل معتبر من قبيل قوله تعالى (علمت نفس) اى علمت كل نفس اولكونه واقعة فى سياق النفى من حيث المعنى لان المعنى يامن ليس الآية العظمى لمعتبر الاهو وكذا المغتنم والمراد من المعتبر المستدل على الحق تعالى وعلى دينه الحق المميز بين الحق والباطل والنعمة يطلق على الانعام وعلى المنعم والمراد هنا هو الثانى ولاشك ان اكمل الموجودات يكون الآية الكبرى وان الذى هو اكثر مظهر للرحمة والهداية يكون النعمة العظمى وكونه آية كبرى ونعمة عظمى يظهر للفطن مما سبق من بيان صفاته ومماسيأتى من شرح كمالاته

﴿ سريت من حرم ليلا الى حرم ＊ كما سرى البدر فى داج من الظلم
وبت ترقى الى ان نلت منزلة ＊ من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم ﴾

يشير الى اعجب امر من الامور بين الله وبين افضل خلقه واخص عبده واحبهم اليه واقربهم لديه واعظمهم قدرا واكملهم مقاما وارفعهم درجة واعلاهم رتبة واجلهم منصبا واكرمهم مثوى واعزهم منزلة وادناهم قربة وافناهم عن انانيته

وابقاهم بهويته واخلصهم لعبوديته واوحدهم لوحدانيته وافردهم لفردانيته واولاهم لتجلى جماله واحظيهم من كشف جلاله وهو العبد المطلق من بين سائر عباده والحبيب المخلص من احبابه والنبى المفضل على انبيائه وهو الحر المعتق عن عبودية الموجودات ورق وجوده فلهذا سماه الله تعالى بعبده عرفها اسمه ورسمه اسما مايسمى به احدا من خلقه الا واشعر ببقاء اسمه ورسمه كما قال عبده زكريا ومن ههنا يقول كل نبى يوم القيامة نفسى نفسى لبقاء وجودهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول امتى امتى لفناء وجوده وفى قوله سبحانه وتعالى (سبحان الذى اسرى بعبده) اشارة الى حرية نبينا عن عبودية الموجودات بوساطة فيض التجليات وخروجه عن رقبة رق وجوده بجذبات جناب الاحدية ورشحات جوده حيث اضاف سبحانه الفعل الى ذاته عز اسمه وقال اسرى ولم يقل سرى فلم يضف الفعل اليه عليه الصلاة والسلام بخلاف ماقال معراج موسى عليه السلام حيث اضاف المجئ اليه قال فلما جاء موسى لميقاتنا اشعارا لبقاء اسمه ورسمه ولهذا اوحى عند قربه من الطور بقوله فاخلع نعليك الى وجوب الانخلاع الكلى عن اسمه ورسمه ثم الحبيب لما دنى فتدلى وكان قاب قوسين او ادنى وتخلف عنه رفيقه عند سدرة المنتهى وقال لو دنوت انملة لاحترقت ثم انه عليه الصلاة والسلام اراد ان يخلع نعليه فسمع من انين العرش ان لا تخلع ياحبيب الله ولا تخيبنى عن التشرف بغبار نعليك فان جميع ذلك من آثار الله حيث انمحت هويتك فى هويته واضمحلت انانيتك فى احديته فانت من الله والى الله ولله وبالله ارادتك منه ورجوعك اليه وسعيك له وقيامك به فالكليم مريد ارادة الله لجاء بنفسه وانت مراد اراده الله فاسرى بك فمن كان مريدا قد سمع جواب لن ترانى ومن كان مرادا يظفر بنيل جميع الامانى ﴿وقصة المعراج﴾ هو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتانى جبريل بالبراق وقيل اسرى به من دار ام هانى بنت ابى طالب والاول هو الظاهر لان صاحب المشارق روى باتفاق الصحيحين عن مالك بن صعصعة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا اذا اتانى آت فقد قال وسمعته يقول فشق مابين هذه فاستخرج قلبى ثم اتيت بطست من ذهب مملوة ايمانا وحكمة ثم حشى ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه وركبت عليه فانطلق بى جبريل حتى اتى الى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم عليه السلام فقال جبريل هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح

يفيد القصر و(الآية) بمعنى العلامة التى يميز بها بين الحق والباطل و(الكبرى) تأنيث الاكبر وتنوينها معتبر للتكثير اى لكل معتبر والمراد من المعتبر المستدل على الحق تعالى وعلى دينه الحق المميز بين الحق والباطل والواو عاطفة و(النعمة) عبارة عن المنفعة المعقولة على جهة الاحسان الى الغير وقيل النعمة على قسمين نعمة المنافع كصحة البدن والامن والعافية والتلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح ونعمة دفع المضار من الامراض والبلايا والشدائد والفقر * وفى كتب التصوف النعم ست. الاولى نعمة النفس وهى الطاعات والاحسان والنفس فيهما تتقلب. والثانية نعمة القلب وهى اليقين والايمان وهو فيهما تتقلب. والثالثة نعمة الروح وهى الخوف والرجاء وهى فيهما تتقلب. والرابعة نعمة العقل وهو الحكمة والبيان وهى فيهما تتقلب. والخامسة نعمة المعرفة وهى الذكر والقرآن وهى فيهما تتقلب. والسادسة نعمة المحبة وهى الالفة والمواصلة والامن من الهجران وهى فيها تتقلب * والنعمة ههنا بمعنى المنعم به لانه عليه السلام نعمة عظمى لكونه رحمة لسائر الخلق مع انه قد صدر عنه نعم كثيرة لا يحصى عدد انواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا و(العظمى) تأنيث الاعظم و(لمغتنم) اما متعلق بالنعمة واما ظرف مستقر صفة للنعمة كما كان قوله (لمعتبر) صفة للآية والمغتنم على صيغة اسم الفاعل من اخذ الخير واغتنم به يعنى انه عليه السلام هو الآية الكبرى

والنبي الصالح ثم صعدبي حتى اتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء فلما خلصت اذا يحيي وعيسى عليهما السلام وهما ابنا خالة قال هذا يحيي وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد علي ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد ﴿١٧١﴾ بي حتى اتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت فرد علي ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى فقيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممايدخلها من امتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفع في سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذا سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ما هذان يا جبرائيل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع الى البيت المعمور ثم اتيت اناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة انت عليها وامتك ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما امرت قلت امرت بخمسين صلاة كل يوم قال موسى ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسئله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى مرة اخرى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا ثم رجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر

لكل من اخذ العبرة لانه اكمل الموجودات ونعمة عظمى لكل من علمه غنيمة وخيرا لانه رحمة وهداية تامة ورافع للظلمات ودافع للشبهات ومقصود للسائلين في الارض والسماوات * ثم اعلم ان هذا البيت والبيت الذي قبله اشارة الى حكمة معراج رسول الله عليه السلام وهو انه اختصم الملأ الاعلى وناظروا في اربع مسائل مقدار الف سنة ولم يوفقوا الحلها فلما بعث نبينا عليه السلام علموا ان هذه المشكلات انما تحل منه عليه السلام فتضرعوا الى الله تعالى لاجله فدعا الله حبيبه الى مقام قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ومن جملته قوله عليه السلام (رأيت ربي باحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت انت تعلم فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت نعم في الكفارات والمنجيات والدرجات والمهلكات قال صدقت يا محمد ثم قال يا ملائكتي وجدتم حلال المشكلات فاسألوا اشكالكم فقال اسرافيل ما الكفارات فقال عليه السلام اسباغ الوضوء في المكاره والمشي بالاقدام الى الجماعة وانتظار الصلاة بعد الصلاة ثم قال ميكائيل وما الدرجات فقال اطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام ثم قال جبرائيل وما المنجيات فقال خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى والعدل في الغضب والرضى ثم قال عزرائيل وما المهلكات فقال شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فقال الله

صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامر بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم فانى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فسئله التخفيف لامتك قال سألت ربى حتى استحييت ولكن ارضى واسلم فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتى وخففت عن عبادى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما رجع من ليلته وقص القصة على ام هانى وقال مثل لى النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانى بثوبه فقال مالك قلت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم وقال وان كذبونى فخرج فجلس اليه ابوجهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال ابوجهل يا معشر بنى كعب فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابى بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء فى غدوة وروحة فلذلك سمى صديقا ومنهم من سافر الى بيت المقدس فاستنعتوه المسجد الاقصى فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالهم وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس تقدمها جمل اورق وانى لما مررت بهم رأيتهم بالروحاء فندلهم بعير فدللتهم عليه وانا متوجه الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بطحان مررت بالعير فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت مافيه ثم غطيت عليه كما كان وان ذلك العير الآن تضرب من البيضاء ثنية التنعيم فخرجوا يشدون ذلك اليوم فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت تقدمها جمل اورق كما قال محمد وسألوا عن الاناء فاخبروهم انهم وضعوه مملوا ماء ثم غطوه وانهم انتهوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا عن البعير قالوا والله لقد انفرنا فى الوادى الذى ذكر وندلنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه حتى اخذناه هذه آيات طريق مكة الى المسجد الاقصى اما بيان حالاته وذكر ما رآه من آياته لايمكنه كنهه ولا يقادر قدره اذ هو عليه الصلاة والسلام رأى ببصره الذى مازاغ وما طغى جلائل آيات ربه الكبرى وقد كان ما كان منه مع ربه فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر فيالها قصة فى شرحها طول وبعد ذلك فلنرجع الى حل اللفظ قوله سريت من حرم الخ هو الحكم المقصود بالنداء يعنى انه جواب النداء وسريت سرى واسريت بمعنى اذا اسرت ليلا وفى الصحاح انما قال

تعالى فى كل ذلك صدق كذا ذكره فى البريقة شرح الطريقة

﴿ سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً اِلَى حَرَمٍ * كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِى دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ ﴾

فلما ذكر النداء فى البيتين السابقين مع الاشارة الى تمام اوصافه واظهار كمال اخلاقه اجمالا اراد ان يأتى بجواب النداء مشيرا ايضا الى اعجب امر آخر من الامور التى بين الله وبين افضل خلقه واخص عباده ولم يعط ذلك الامر لاحد من الانسان بل هو مخصوص بنبى آخر الزمان فقال (سريت من حرم الخ) (سريت) على صيغة الخطاب له عليه السلام وسرى لغة فى اسرى بمعنى سار فى الليل وكان الاسراء الذى حصل له قبل الهجرة بجسده وروحه معا ويدل عليه قوله تعالى (سبحان الذى اسرى بعبده) الآية لان العبد اسم للروح والجسد جميعا * قال الشيخ الاكبر ان معراجه عليه السلام اربع وثلاثون مرة واحدة بالجسد والباقى بروحه رؤيا رآها قبل النبوة (من حرم) متعلق بسريت والحرم بفتحتين حرم الكعبة شرفها الله تعالى * قال فى الدرر اعلم ان البيت لما كان معظما مشرفا جعل له حصن وهو مكة وحمى وهو الحرم وللحرم حرم وهو المواقيت حتى لايجوز لمن وصل اليها ان يجاوزها الا بالاحرام انتهى.* وفى تفسير روح البيان ان حدود الحرم من جهة المدينة على ثلاثة اميال ومن طريق العراق على سبعة اميال ومن طريق الجعرانة على تسعة

اميال ومن طريق الطائف على سبعة اميال ومن طريق جدة على عشرة اميال * ثم ان الحرم عام لكل ما كان فى داخل الحرم فلا ينافى ماقال الرواة من انه عليه السلام كان اسراؤه من بيت ام هانى بنت ابى طالب لان بيتها كان فى الحرم و(ليلا) نصب على الظرفية لسريت وهو تأكيد للاسراء والسرى فى لسان العرب لا يكون الا ليلا حتى لا يتخيل انه كان نهارا ولافادة تقليل مدة الاسراء اى فى جزء من الليل لما فى التنكير من الدلالة على البعضية وهى على ماقيل ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة الاثنين * فان قلت فلم جعل المعراج ليلا ولم يجعل نهارا حتى لا يكون فيه اشكال وطعن وما الحكمة فى اختيار الليل * قلت اجيب عنه بانه انما جعل ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا والليل اخص زمان بجمع المحبين فيه والراحة فى الخلوة متحققة بالليل * وقال بعض الفضلاء لعل تخصيصه بالليل ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم اذ الليل اخفى حالا من النهار * وقيل حكمته انه افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كان شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود فى الليل الى السماء * وقال بعض اهل المعارف حكمته انه لما محا الله آية الليل وجعل آية النهار مبصرة كان الليل محزونا ومنكسرا فكان الاسراء بمحمد عليه الصلاة والسلام فى الليل للعدالة وسيظهر جواب آخر من تشبيه الناظم الفاهم فتبصر و(الى حرم) متعلق بسريت والمراد من هذا الحرم المسجد الاقصى والتعبير عنه بالحرم انما هو للمشاكلة * وقيل اطلاق الحرام عليه لكونه محترما وقوله (كما سرى البدر الخ) تشبيه لسيره عليه الصلاة والسلام وقطع المنازل والانارة والمشبه به قاصر (وفى داج من الظلم) متعلق بسرى و(داج) صفة موصوف محذوف اى فى ليل داج والداجى من الدجى بمعنى الظلمة فداج بمعنى راكد ظلامه و(من الظلم) متعلق بداج بتضمينه معنى راكد و(الظلم) بالضم والفتح جمع ظلمة والمراد اظهار مبالغة الظلمة وما قيل من ان قوله من الظلم ظرف مستقر صفة داج والمراد من الظلم الليل مجازا فبعيد كل البعد * ثم اعلم انهم قالوا ان انكار معراجه عليه السلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكونه بروحه وجسده كفر بلا نزاع واما من المسجد الاقصى الى السماوات العلى ففيه اختلافات فمنكره لا يكون كافرا

﴿ وَبِتَّ تَرْقَى اِلَى اَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً * مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ ﴾

فلما كانت مظنة ان يتوهم من البيت السابق ان سيره انما كان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى دون غيره من المنازل العلى كما ذهب اليه المعتزلة اراد دفعه فقال (وبت ترقى الخ) فبت ماض مخاطب من البيتوتة وفى نسخة «ظلت» بفتح الظاء وكسرها

تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا ١٧٣ وان كان السرى لا يكون الا بالليل للتأكيد كقولهم سرت امس نهارا والبارحة ليلا وسقاه ماء مع ان السقى المطلق لا يكون الا من الماء اراد بالحرم الاول مسجد مكة وبالحرم الثانى المسجد الاقصى فكأنه اراد بالحرم الثانى الموضع المحترم والا فليس بيت المقدس بحرم وليلا مفعول فيه واراد بتنكيره تقليل مدة السرى وانه سرى فى بعض الليل وتنوين الحرمين للتعظيم كاصفة محذوف وما مصدرية اى سرى مثل سرى البدر والبدر القمر ليلة اربع عشرة وتشبيه مسراه بسرى البدر تتضمن تشبيهه به فى سرعة السير والكمال والانارة وقطع المنازل والمشبه به قاصر فى هذه المعانى من المشبه وفى داج متعلق بسرى اسم فاعل من دجى الليل اذا ركد ظلامه والموصوف محذوف اى فى ليل داج ومن الظلم متعلق بداج بتضمنه معنى راكد فظلت معطوف على سريت حذف احد اللامين من ظللت كما فى مست وترقى خبر ظلت من رقى صعد ناله وجده نيلا وناله اعطاه نولا وقوله نلت ان كان من الاول فهو مبنى للفاعل وان كان من الثانى فهو مبنى للمفعول والقاب المقدار وقاب قوسين عبارة عن كمال القرب مع رعاية الادب ومن ثمه قيل ينبغى ان يكون بين الاستاذ والتلميذ من البعد فى المجلس قدر قوسين ومن امابيانية اى منزلة هى كمال القرب او ابتدائية اى منزلة من كمال القرب ولم تدرك صفة منزلة اى ما ادركها ولا يدركها احد غيرك وكذا لم ترم اى ماطلب ولا تطلب لانها لا تتيسر لاحد غيرك او حال

يكون الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام اى والحال انك لم تدرك تلك المنزلة ولم تطلبها لان طلب الشئ مسبوق بادراكه بوجه ما الى هنا

﴿ وقدمتك جميع الانبياء بها والرسل تقديم مخدوم على خدم
وانت تخترق السبع الطباق بهم في موكب كنت فيه صاحب العلم ﴾

قدم قد يكون لازما بمعنى تقدم ومنه مقدمة الكتاب وقد يكون متعديا والضمير في بها لبيت المقدس لدلالة المقام او الى المنزلة المذكورة من قبل- واما الاسناد اليهم فلانهم لما رضوا بتقدمه فيها فكأنهم قدموه والباء بمعنى في كما في صليت بالمسجد ويجوز ان يكون للسببية يعنى قدمتك الانبياء على انفسهم بسبب تلك المنزلة والرسل روى مرفوعا عطفا على الجمع وبالجر عطفا على الانبياء وتقديم مفعول مطلق للنوع والتنوين في مخدوم وفي خدم للتعظيم والمقدم في مرتبة المخدوم والمؤخر في مرتبة الخادم وتأنيث الفعل اما باعتبار المضاف اليه كما في سقطت بعض انامله او باعتبار معنى الجميع لم وباعتبار انضمام المعطوف عليه على رواية الرفع وانت تخترق عطف على الجملة السابقة ولفظ المضارع لحكاية الحال الماضية كما في اخريها بلادهس فجزت اخترق الطريق قطعه والطباق جمع طبق كجبال وجبل وقيل جمع طبقة كرحبة ورحاب وقيل مصدر طابق اى السبع المطابقات والمراد انها مطبقة موضوعة بعضها فوق بعض وبهم حال من ضمير تخترق اى مارايهم لانه في كل سماء مر لبعضهم او مصاحبا بهم فانه جاء في بعض طرق

فعلى كلا النسختين بمعنى صرت و(ترقى) بمعنى تصعد و(الى) متعلق بترقى و(نلت) بكسر النون ماض مخاطب من النيل بمعنى الوصول و(منزلة) بالنصب مفعول نلت و(من) بيان للمنزلة و(قاب قوسين) بالنصب محكى على انه محكى عما وقع في القرآن والقاب بمعنى المقدار والقوسين من قسى العرب وهو عبارة عن كمال القرب مع رعاية الادب وذكر القوس لكونه مذكورا في القرآن والقرآن نزل بلغة العرب والعرب تجعل الاشياء بالقوس وانما كان قاب قوسين عبارة عن كمال القرب لان عادة العرب ان الاميرين او الخليفتين اذا ارادا الصلح وعقدا العهد والصفاء خرجا بقوسهما فالصق كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه ﴿والمعنى﴾ فقد وصلت الى منزلة هى كمال القرب ومعنى قرب الرسول عليه السلام الى الله ودنوه منه انما هو قرب المكانة لا قرب المكان ولا قرب الزمان بل هو قرب اللطف والمحبة بلا مشابهة الى قرب الانسان و(لم تدرك) مضارع مجهول مؤنث والجملة صفة منزلة اى لم يدرك تلك المنزلة احد من الانسان ولا ملائكة الرحمن بل (لم ترم) وهو ايضا على صيغة المجهول من الروم بمعنى الطلب اى فقد وصلت الى منزلة لم يطلب تلك المنزلة احد غيرك لانه ممتنع في حق غيرك فلا وجه لطلب ما هو ممتنع * وفي البيت اشارة الى ما ورد في الحديث من انه عليه السلام قال (عرج بي جبرائيل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه ربه ما اوحى) قال العلامة المرزوقى انه عليه السلام لما قرب الى ربه وكان قاب قوسين قال (اللهم انت ما تفعل بامتى قال الله تعالى انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعانى منهم لبيته ومن سألنى اعطيته ومن توكل على كفيته وفي الدنيا استر على العصاة وفي الآخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك) * ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه اذا كان احد معقودا فاراد الفتح فليأخذ ثلاث بيضات وليطبخها في ماء ثم لينزع قشرها ثم ليكتب المصراع الاول من هذا البيت بالحروف المهملة على اثنتين من تلك البيضات بجعل حروف هذا المصراع منقسمة بينهما والمصراع الثانى على ثالثتهما فليأكل الثالثة المرأة وليأكل البيضتين الاوليين زوجها فان عقده يفتح باذن الله تعالى * قال الاستاذ طول الله بقاءه وقد جربناه ووجدناه صادقا

﴿ وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا * وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ ﴾

فلما دفع شبهة المشتبهين اراد ان يبين بعض ما وقع في ذلك السير من الفضيلة له عليه السلام والخير فقال (وقدمتك جميع الانبياء الخ) قدمتك فعل ماض

من قدم وهو قديكون متعديا وقديكون لازماوهنا من الاول اى جملك جميع الانبياءامامهم واقتدوابك وصيروك امامهم و(جميع) بالرفع فاعل قدمتك وتأنيث فعله باعتبار الاضافة يعنى ان الجمع مضاف الى الانبياء والانبياء جمع وكل جمع مؤنث فالجميع قد اكتسب التأنيث بالاضافة كما فى قولهم قطعت بعض اصابعه وكقراءة تلتقطه بعض السيارة وكقول الشاعر (ع) «وما حب الديار شغفن قلبى» والنبى اعم من الرسول والباء فى (بها) بمعنى فى متعلق بقدمت والضمير راجع الى بيت المقدس بقرينة المقام ويكون الحرم الثانى عبارة عنه وقوله (والرسل) بالجر عطف على الانبياء والرسل بضم الراء والسين جمع رسول لكن يقرأ فى البيت بالسكون لضرورة الوزن وقولهم (تقديم مخدوم) صفة موصوف محذوف بتقدير الجار اى تقديما مثل تقديم المخدوم والمصدر مضاف الى مفعوله و(على خدم) متعلق بالتقديم والخدم بفتحتين بمعنى الخادم والمراد من المخدوم فى هذا المقام رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن الخادم سائر الانبياء عليهم السلام *والبيت اشارة الى ماوقع فى ليلة المعراج من كونه عليه السلام اماماللانبياء فى المسجد الاقصى وصلاته معهم* اذروى انه لما اتى صلى الله تعالى عليه وسلم بيت المقدس نزل عن البراق فربطه فى الحلقة التى كانت الانبياء تربطه فيها فدخل المسجد فاذا المسجد مملوء بالانبياء فاقيمت الصلاة قال عليه الصلاة والسلام فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدى جبرائيل فقدمنى فصليت بهم ثم خرجت من المسجد فجاء جبرائيل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة الحديث ثم اختلف هل كانت تلك الصلاة قبل عروجه عليه السلام الى السماء او بعده* والمستفاد من هذا البيت كونها قبل العروج كمالايخفى * وقال القاضى عياض يحتمل ان يكون صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان فى الحديث مايدل على ذلك ولامانع منه انتهى * ثم انهم اختلفوا فى هذه الصلاة هل هى فرض اونفل فعلى رواية انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم قبل العروج تكون نفلا وعلى رواية انه صلى بهم بعده تكون فرضا اعنى الصبح كذا فى المواهب

﴿ وَاَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ * فِى مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ ﴾

لمابين ماوقع فى المسجد الاقصى ممايدل على كمال مرتبته العليا اراد ان يبين ايضا بعض ماوقع له بعده من الامور العجيبة والاسرار الغريبة فى السماوات العلى ومافوقها من العرش وسدرة المنتهى فقال (وانت تخترق السبع الخ) الواو للعطف اوللحال و(تخترق) من اخترق الطريق اذا قطعه ومر به

حديث الاسراء انه صلى بالانبياء فى السماوات فيكونون تابعوه من بيت المقدس الى السماوات الى ماشاء الله وفى موكب حال بعد حال اى كائنا فيهم والموكب والوكبة جماعة من الفرسان والمراد من الموكب ههنا جماعة من الملائكة وارواح الانبياء ايضا ان كانوا شايعوه وكنت فيه صفة موكب والعلم الراية والمراد من صاحب العلم ههنا المقدم وكبير القوم والذى يدور عليه رحى القوم وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائى والعلم يطلق على الجبل ايضا فالمعنى على هذا صاحب المرتبة العالية الشامخة التى هى اعلى المراتب وصاحب التقدم على الكل وقد خلف الانبياء والرسل وجبريل حتى قال مامنا الاله مقام معلوم ولو دنوت انملة لاحترقت

اى وانت تمر وتقطع وفى اتيان صيغة المضارع مع ان الظاهر صيغة الماضى استحضارا للحال الماضية وفى اتيان لفظ تخترق دون غيره رد للفلاسفة القائلين بان الافلاك اجرام صلبة غير قابلة للخرق والالتيام لانها لوكانت قابلة لهما لكانت اجزاؤها قابلة للتفرق فيلزم ان تكون الجهات محدودة قبلها اذا التفرق لايكون الابالحركة المستقيمة والجواب ان الاجسام محدودة الحقائق تقبل الخرق والالتيام فعلى تقدير تسليمه انما تم فى المحدود دون ماعداه و (السبع) بالنصب مفعول تخترق لكنه صفة موصوف محذوف اى السماوات السبع كما فى قوله تعالى (فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة) اى فزوجة واحدة و (الطباق) صفة بعد صفة للسماوات المحذوفة وهو امامصدر من طابق فحينئذ له ثلاثة اوجه اولها بمعنى مطابقة بعضها بعضا من طابق النعل وهذا وصف بالمصدر وثانيها ان يكون التقدير ذات الطبق وثالثها ان يكون من قبيل قوله فانما هى اقبال وادبار واما جمع فيكون جمع طابق كجبل وجبال وقيل جمع طبقة و (بهم) حال من فعل تخترق والباء للملابسة اى مارابهم والضمير للانبياء والرسل فيكون اشارة الى ماروى انه عليه السلام حيث قال (جاءنى جبريل فعرج به الى السماء فلماجئت الى سماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح الباب قال من هذا قال جبريل قال هل معك احد قال معى محمد قال أأرسل اليه قال نعم فلما فتح صعدناها فاذا رجل قاعد وعلى يمينه وجوه بيض وعلى يساره وجوه سود اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى فسلمت عليه فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم ابوك وهذه الوجوه البيض التى عن يمينه هم ارواح اصحاب اليمين اهل الجنة والتى سود الوجوه فى شماله هم ارواح اصحاب الشمال اهل النار من اولاده ثم عرج بى الى السماء الثانية قال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الاول ففتح فصعدناها فاذا فيها يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ثم الى السماء الثالثة فاذا فيها يوسف عليه الصلاة والسلام ثم الى السماء الرابعة فاذا فيها ادريس ثم الى السماء الخامسة فاذا فيها هارون ثم الى السماء السادسة فاذا فيها موسى ثم الى السماء السابعة فاذا فيها ابراهيم عليهم السلام ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى العرش اسمع فيه صريف الاقلام ففرض الله على امتى خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال مافرض الله على امتك قلت خمسين صلاة قال فارجع الى ربك فاسئل التخفيف فان امتك لاتطيق ذلك فرجعت فوضع عشرها ثم رجعت الى موسى فقلت وضع عشرها فقال ارجع ربك فان

امتك لاتطيق فراجعت فوضع عشرها ثم رجعت الى موسى فقال ارجع الى
ربك فان امتك لاتطيق فى غايته فرجعت فقال تعالى هن خمس فتلك
خمسين لايبدل القول لدى فرجعت الى موسى فقال ارجع الى ربك فقلت
استحييت من ربى) الحديث ويجوز ان يكون الباء فى (بهم) بمعنى مع اى
مصاحبا معهم فيكون اشارة الى ماوقع فى بعض الروايات من انه عليه السلام
لما صلى فى المسجد الاقصى مع الانبياء صعدوا معه الى السماوات العلى
وهذا يناسب لسباق البيت ولحاقه كما لايخفى وقوله (فى موكب) حال بعد
حال اى كائنا فيهم والموكب جماعة الفرسان والمراد به ههنا جماعة الملائكة
على الاحتمال الاول فى بهم بناء على ماروى انه عليه السلام صعد بملائكة
عن يمينه وملائكة عن شماله وجماعة ارواح الانبياء على الاحتمال الثانى فيه
و(كنت) بصيغة الخطاب وهو مع خبره صفة موكب والضمير فى (فيه) لموكب
و(العلم) ههنا اما بمعنى اللواء فيكون كونه عليه السلام صاحب العلم فيهم
كناية عن كونه رئيسهم لان صاحب العلم فى القوم يكون رئيسهم او بمعنى
الجبل فتكون العلم استعارة بمعنى المرتبة كما لايخفى تعبير استعارته فيكون
المعنى فى موكب كنت فيه صاحب المرتبة العالية التى لامرتبة فوقها

﴿حتى اذا لم تدع شأواً لمستبق * من الدنو ولا مرقى لمستنم﴾

فلما دل البيت الاول على انه عليه الصلاة والسلام صعد السماوات مع الملائكة
وتوهم منه انهم عليهم السلام لم يفارقوه حتى وصلوا الى قاب قوسين اراد ان
يدفعه بتخصيص ذلك المقام بنبينا عليه السلام فقال (حتى اذا لم تدع الخ) (حتى)
غاية لقوله تخترق و(اذا) للظرفية المحضة فلا تقتضى الجواب او للشرط فجوابه
محذوف اوقوله خفضت و(لم تدع) بمعنى لم تترك و(شأو) بمعنى الغاية اى
لم تترك منتهى و(لمستبق) اما متعلق بلم تدع او ظرف مستقر على انه صفة (شأوا)
و(لمستبق) على صيغة اسم الفاعل بمعنى طالب السبق وتنوينه للتكثير اى
لكل مستبق سواء كان نبيا او ملكا و(من الدنو) اما متعلق بلم تدع اوصفة
شأوا والمراد من الدنو الدنو الى الله ومن الله والمراد من دنوه تعالى نهاية القرب
ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة اذ لادنو للحق تعالى
ولابعد له (ولا مرقى) عطف على شأوا وتكرير النفى للتأكيد والمرقى بفتح
الميم وسكون الراء بمعنى المصعد و(لمستنم) كلمستبق فى التركيب وهو على
صيغة اسم الفاعل من استنم بمعنى المرتفع والمراد من المستنم هو جبريل الامين
لانه مرتفع مطمئن اى متمكن لانه ذو قوة عند ذى العرش مكين ففيه اشارة
الى ماروى ان جبريل عليه الصلاة والسلام لما صعد به عليه السلام حتى انتهى

﴿حتى اذا لم تدع شأواً لمستبق
من الدنو ولا مرقى لمستنم﴾
حتى غاية لقوله تخترق واذا لمحض
الظرفية وهى التى يبتدأ بعدها الكلام
اوجواب اذا محذوف اوقوله حفضت
يقال فلان بعيد الشأو اى بعيد الهمة
ويراد به الغاية استبق اخذ السبق
اوسعى ليسبق والمراد من الدنو اماقرب
المنزلة الى جناب الحق اوما هو المراد
من قوله تعالى دنى فتدلى ومن متعلق بتدع
اوصفة لشأو فيتعلق بمحذوف والمرقى
اسم المكان من الرقى استنام اليه مال اليه
واستنام اطمأن واستنام طلب الراحة
وحذف الياء من مستنم للضرورة اى
لمستنم من استنم بمعنى تسنم اى ارتفع
وقوى اخذا من سنام البعير مثل استنوق
واستحجر من الناقة والحجر وقرئ ولا
مرقى بلا تنوين على ان لا لنفى الجنس
والمراد من المستنم والمستبق اما جبرائيل اما
كونه مستبقا فلكونه عرفه ودليله واما
كونه مستنما فلانه مرتفع واى مرتفع
ومطمئن اى متمكن فانه ذو قوة عند ذى
العرش مكين مطاع ثم امين وقد قال ومامنا
الا له مقام معلوم ولو دنوت انملة لاحترقت
واما نفوس الكمل القدسية

الى سدرة المنتهى وهى شجرة اوراقها مثل آذان الفيلة فى اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان سأل رسول الله جبرائيل عن هذه الانهار فقال له جبريل اما الباطنان ففى الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات فبقى جبريل فى ذلك المقام فقال لو دنوت انملة لاحترقت ولذا قال تعالى فيهم (وما منا الاله مقام معلوم) وكونه باقيا فى سدرة المنتهى لكون علم العالمين منتهيا اليها غير متجاوز عنها فالتجاوز عنها خاص بالنبى الجليل غير لائق بمن عداه من الملائكة وجبريل * وفى انوار التنزيل روى انها فى السماء السابعة ينتهى اليها علم الخلائق واعمالهم ماينزل من فوقها ويصعد من تحتها ينتهى اليها انتهى

﴿خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْاِضَافَةِ اِذْ * نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ﴾

لما كان مضمون البيت السابق محل شبهة اراد ان يدفعها بتأكيد ذلك المضمون وتقرير ترقيه عليه الصلاة والسلام الى مرتبة لامرتبة فوقها فقال (خفضت الخ) خفضت اما بدل من قوله لم تدع او جواب لاذا والخفض حط رتبة وجعل شئ تحت شئ ومنه الخفض فى الاعراب والمعنى جعلت فى الاسفل وتركت فيه و(كل مقام) بالنصب مفعول خفضت والمقام بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل القيام اى كل مقام من مقامات الانبياء * فان قلت ما الفرق بين المقام بفتح الميم والمقام بضم الميم * قلت الفرق بينهما مختلف فيه قال بعضهم اذا قرئ من الثلاثى يقرأ بالفتح نحو قام زيد مقام عمرو واذا قرئ من المزيد يقرأ بالضم نحو اقيم فلان مقام عمرو ورده المولى ابو السعود حين سأل سائل بقوله

يا وحيد الدهر يا شيخ الانام * افتنا فرق المقام والمقام

فقال الفرق بينهما انه اذا قيل اقيم فلان او قام فلان مقام فلان نظر الى فلان الثانى ان كان المقام له يقال مقام بفتح الميم سواء قرئ الفعل اقام او قام وان كان لغير فلان الثانى فى نفس الامر يقال مقام بضم الميم سواء قرئ الفعل اقيم او قام كالباء من حروف القسم لانها اصل فى القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو فاذا قيل التاء اقيم مقام الواو يقال المقام بالضم لان المقام ليس للواو بل للباء فاذا قيل الواو اقيم مقام الباء يقال المقام بفتح الميم لان المقام للباء فى نفس الامر لانها اصل فى القسم وما وقع فى هذا المقام بفتح الميم كما لا يخفى على ذوى فهم قويم و(بالاضافة) متعلق بخفضت والمراد من الاضافة ههنا معناها اللغوى اعنى النسبة والمعنى بنسبتك الى مقامك لان مقامك ارفع من مقامات جميع الانبياء والملائكة * ويقول هذا الفقير يحتمل ان يكون مراده من الاضافة الاضافة التى وقعت فى سورة الاسراء اى فى قوله تعالى (سبحان الذى اسرى بعبده) حيث اضيف العبد الى نفسه المراد به رسولنا الذى له كمال فى العبودية لاكمال فوقه الى المعبود الذى لامعبود فوقه فيكون

﴿ خفضت كل مقام بالاضافة اذ
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
كما تفوز بوصل اى مستتر
عن العيون وسر اى مكتتم ﴾

قوله خفضت اما جواب اذا او بدل من لم تدع او استيناف مؤكد لكمال ترقيه وتعليه الخفض فى الاعراب الحركة التحتانية وخفضه من العلو الى السفل حطه والخفض فى المرتبة والمقام ان يدرك من ترقى قبله اومعه ويتعداه ويخلفه

اشارة الى كون المعراج بجسده وروحه عليه السلام لان العبد انما يطلق عليهما معا كما سبق و(اذ) ظرف لقوله خفضت * اعلم انهم قالوا ان كلمة اذ تستعمل على اربعة اوجه * الاول ان يكون اسما للزمان الماضى فحينئذ قد يكون ظرفا نحو (فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا الآية) وقد يكون بدلا من المفعول نحو (واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت) وقد يكون مفعولا به نحو (واذكروا اذ انتم قليل) وقد يكون مضافا اليه لاسم زمان نحو يومئذ * والثانى ان يكون اسما للزمان المستقبل نحو (يومئذ تحدث اخبارها) * والثالث ان يكون للمفاجأة نحو خرجت اذ زيد قائم لكن هذا قليل * الرابع ان يكون للتعليل نحو (لن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) وما وقع فى هذا المقام من اول الاول ومن جعله للتعليل فلم يأت بشئ يشفى العليل و(نوديت) فعل ماض مجهول على صيغة الخطاب من النداء بمعنى طلب الاقبال والمنادى هو الله تعالى حيث روى انه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام فى تلك الليلة (ادن يا محمد ادن يا محمد) وقوله (بالرفع) اى ملتبسا برفع الله تعالى اياك فالمراد بالرفع معناه اللغوى اعنى الارتفاع لا النحوى و(مثل) بالنصب صفة مصدر محذوف منصوب على المفعول المطلق و(المفرد) بمعنى المنفرد الواحد فى قومه و(العلم) بفتحتين بمعنى العالى والتشبيه فى الارتفاع والامتياز عن سائر جنسه ﴿وحاصل معنى البيت﴾ جعلت وتركت فى الاسفل كل مقامات الانبياء ومراتب الاصفياء ببركة اضافتك الى رب الكريم وشرافة نسبتك الى الخالق العظيم حين طلب الله تعالى اقبالك بفضله وعنايته مميزا اياك عن سائر الناس مثل ما يطلب المميز فيما بين الانام نحو يا هذا الرجل بالتعظيم والاكرام * ثم اعلم ان فى هذا البيت من صنائع البديع صنعة مراعاة النظير وهى جمع امر وما يناسبه لا بالتضاد حيث جمع بين الخفض والاضافة وبين النداء والرفع والمفرد والعلم وصنعة الطباق وهو الجمع بين المعنيين المتقابلين فى الجملة يعنى بين الخفض والرفع كما لا يخفى على اهل الصنع والصنائع والله الحافظ من الموانع

والمراد من المقام نهاية سير الكامل والكل سائر الى الله مقام معلوم ينتهى اليه وليس له ان يتعداه وذلك بحسب كماله وترقيه الا بمحض العناية ويجوز ان يكون المضاف محذوفا اى كل صاحب مقام وخفض المقام يستلزم خفض صاحبه وبالعكس بالاضافة اى بالنسبة الى مقامك لان مقامات الكمل مخفوضة ونازلة مطلقا واذ ظرف الخفض والنداء طلب الاقبال بالرفع اى ملتبسا برفع الله اياك مصدر معلوم او مجهول والمراد من المفرد المفرد بالفضائل والكمالات

﴿كيما تفوزَ بوصلٍ اىِّ مستترٍ * عن العيونِ وسرٍّ اىِّ مكتتمِ﴾

فلما ذكر سيره ومعراجه عليه الصلاة والسلام من الارض الى السماوات العلى بالاكرام وكانت علته الغائية خفية بين اولى الاوهام اراد ان يبينها باختصار فى الكلام فقال (كيما تفوز الخ) فكى حرف جر بمعنى اللام للتعليل وما زائدة و(تفوز) منصوب بان مقدرة بعد كى او منصوب بكى فيكون كى بمعنى ان واللام مقدرة قبلها وتفوز من الفوز بمعنى الظفر و(بوصل) متعلق بتفوز والمراد من الوصل الوصلة الى الله تعالى و(اى مستتر) صفة لمحذوف اى بوصل مستتر اى مستتر بمعنى كامل الاستتار و(عن العيون) متعلق بمستتر والعيون

جمع عين بمعنى الباصرة والمراد جميع عيون الناس حتى عن اعين الملائكة والانبياء وقوله (وسر) بالجر معطوف على بوصل و(اى مكتتم) كائن مستتر بمعنى كامل فى الاكتتام * ثم اعلم ان فى قوله بوصل اشارة الى رؤيته عليه السلام ربه والمناجاة له * وقد اختلف القوم فى انه عليه السلام رأى الله تعالى فى ليلة الاسراء بقلبه او بعين رأسه * فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرأى بفؤاده فيكون معنى قوله تعالى له (ما كذب الفؤاد ما رأى) على هذا ما كذب الفؤاد ما رأى به الفؤاد * وقال بعضهم رأى بعينه لقوله عليه السلام (ان الله اعطى موسى الكلام واعطانى الرؤية) وقوله عليه السلام (رأيت ربى فى احسن صورة) اى صفة * قال فى الكواشى هذا لا حجة فيه لانه يجوز انه اراد الرؤية بالقلب بان زاده معرفة على غيره * وقال الحقى فى روح البيان يقول الفقير ايراد الرؤية فى مقابلة الكلام يدل على رؤية العين لان موسى سألها فمنع منها فاقتضى ان نفضل نبينا عليه السلام بما منع منه وهو الرؤية البصرية ولا شك ان الرؤية القلبية يشترك فيها جميع الانبياء حتى الاولياء * وقد صح ان موسى عليه السلام رأى ربه بعين قلبه حين خر فى الطور مغشيا عليه وحمله على زيادة المعرفة لا يجدى نفعا انتهى * وقال بعض الفضلاء ذكر الله تعالى فى الآية رؤية فؤاده عليه الصلاة والسلام ولم يذكر رؤية العين لان رؤية العين سر بينه وبين حبيبه والى هذا اشار الناظم بقوله (وسر اى مكتتم) * والحاصل انا نذهب الى صحة رؤيته بعينه وبقلبه لحديث رواه مسلم فى صحيحه (رأيت ربى بعينى وبقلبى) ولكنا عاجزون عن درك كيفيتها وفى قوله (وسر اى مكتتم) اشارة الى اسرار لا تنكشف لاحد غير محمد عليه الصلاة والسلام على ما يدل عليه قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما اوحى) قال بعض الفضلاء ستر الله تعالى بعض ما اوحى الى عبده عليه السلام عن الخلق لئلا يطلع عليه غيره لان ذلك من خواص محبته ومعرفته وعلو درجاته اذ بين الاحباب يجرى من الاسرار ما لا يطلع عليه غيرهم من الاجانب والاغيار انتهى قال الشاعر

لا يكتم السر الا كل ذى خطر * والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندى فى بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

وقال آخر

بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا قلم للخلق يحكيه
سر يمازجه انس يقابله * نور يحير فى بحر من التيه

وقال بعض اهل الحال لو بين كلمة من تلك الاسرار لجميع الاولين والآخرين لماتوا جميعا من ثقل ذلك الوارد الذى ورد من الحق على قلب عبده وتحمل

ومن العلم العالم المشهور العالى القدر يعنى طلب الله اقبالك بفضله وعنايته مثل ما يطلب فيما بين الناس مثل يا هذا الرجل بالتعظيم والاكرام فانه روى ان جبرائيل جاء بالبراق ودعاه بغاية التعظيم والاحترام كما متعلق بالمذكور او بالمحذوف اى كان ما كان كما تفوز اى تظفر بوصل اى مستتر اى بوصل مقول فيه اى مستتر كامل فى استتار لا يطلع عليه احد ولا يكتنه كنهه كما يقال هو رجل اى رجل اى رجل كامل فى الرجولية والعيون اما بمعنى الاعيان اى الخيار او بمعنى البصائر وسر عطف على بوصل وهو الامر المستور والمراد ههنا حقائق ومعان واسرار كاملة لا تنكشف لاحد غيره صلى الله عليه وعلى آله

ذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوة ربانية ملكوتية لاهوتية البسه الله اياها ولولا ذلك لم تحمل ذرة منها لانها انباء عجيبة واسرار ازلية لو ظهرت كلمة منها لتعطلت الاحكام ولفنيت الارواح والاجسام واندرست الرسوم واضمحلت العقول والعلوم * وقال بعض المفسرين ان ما اوحى اليه عليه السلام تلك الليلة على اقسام قسم اداه الى العوام وهو الاحكام والشرائع وقسم اداه الى الخواص وهو المعارف الالهية وقسم اداه الى اخص الخواص وهو الحقائق والنتائج للعلوم الذوقية وقسم آخر بقي معه لكونه مما خصه الله تعالى به وهو السر الذي بينه وبين الله تعالى عز وجل

❁ فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ * وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ ❁

لما بين العلة الغائية للمعراج من الوصلة الى جمال الرب الفراج ومن نيله السر الذي لم يطلع عليه احد من الاولياء والانبياء والملائكة الذين هم في السماوات كالسراج الوهاج اراد ان يبين بعض ما يتفرع على تلك الوصلة من الفضائل والفواضل التي تورث للامة السرور والابتهاج وما يدفع به بلاياهم في الدنيا وما ينجيهم في الآخرة من عذاب ذي ادعاج فقال (فحزت كل فخار الخ) الفاء للتفصيل والتفريع و(حزت) على صيغة الخطاب كقلت من حاز بمعنى جمع والخطاب له عليه السلام اي جمعت و(كل) بالنصب مفعول حزت و(الفخار) بكسر الفاء ما يفتخر به من الفضائل والفواضل والشمائل و(غير) بالنصب على انه حال من فاعل حزت او على انه صفة كل او مجرور على انه صفة لفخار و(جزت) عطف على حزت وهو بالجيم والزاي من الجواز كما كان الاول بالحاء المهملة والزاي من الحوز و(جزت) بمعنى عبرت وذهبت وتعديت و(كل) مقام ككل فخار و(غير مزدحم) كغير مشترك والمزدحم كالمشترك اذ كلاهما اسم مفعول بمعنى المصدر فالمشترك بمعنى الاشتراك والمزدحم بمعنى الازدحام بمعنى الاجتماع والمنازعة * قال بعض الفضلاء المراد بكل فخار غير مشترك مثل الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والشفاعة العظمى والمقام المحمود واللواء الممدود ومن المقام الغير المزدحم مقام المحبة وختم النبوة والرسالة العامة وامثالها مع ما فيه من الاشارة الى ما روي عنه عليه الصلاة والسلام في حديث الاسراء حيث قال (فتقدمت وجبريل على اثري حتى انتهى بي الى حجاب الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال انا جبريل ومعي محمد قال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني فوضعني بين يديه في اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لي تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بي الملك في اسرع من طرفة عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال ملك من ورا

❁ فحزت كل فخار غير مشترك
وجزت كل مقام غير مزدحم
وجل مقدار ما وليت من رتب
وعز ادراك ما اوليت من نعم ❁

حازه جمعه والمراد من الفخار ما يفتخر به من الفضائل والكمالات جازه تعداه وقوله غير مشترك حال كغير مزدحم من الفاعل والمفعول معا فان الكل الذي هو حازه ما شاركه فيه احد وكذا الكل الذي هو جازه ما زاحمه فيه احد ومعنى جزت كل مقام اي غير مقامك والمخصص هو العقل كما في

الحجاب من هذا قال انا صاحب الحجاب الذهب وهذا محمد معي فقال الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزني سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلي لي رفرف اخضر يغلب ضوؤه ضوء الشمس ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى وصلت الى العرش فابصرت امراعظيما ثم تدلى لي قطرة من العرش فوقعت على لساني فماذاق الذائقون شيئا قط احلى منها وانبأني الله بها انبأ الاولين والآخرين) الحديث

﴿ وَجَلَّ مقدارُ ماوُلِّيتَ مِن رُتَبٍ * وَعَزَّ ادراكُ مااُوليتَ مِن نِعَمِ ﴾

لما كان في ليلة المعراج اسرار بين رسولنا وربنا الفراج وكانت تلك الاسرار مكنونة عند الاخيار والابرار حتى عجز كل من بين اخبار تلك الليلة العظيمة عن بيان تلك الامور الجليلة اراد الناظم الفاهم ايضا بيان عجزه عنها ببيان جلالة ماوقع فيها وبيان عدم ادراك احد من الخلائق ما كان بينهما من الاسرار والدقائق فقال (وجل مقدار الخ) الواو للاستيناف و(جل) بمعنى عظم و ال(مقدار) بالرفع فاعل جل و(وليت) ماض مجهول على صيغة الخطاب من ولاه اى جعله واليا و(من رتب) بيان ل(ما) و(الرتب) جمع رتبة (وعز) معطوف على جل و(عز) اى عسر وندر و(الادراك) الاحاطة بالشئ ذاتا وصفة و(اوليت) ماض مجهول على صيغة الخطاب ايضا لكنه من اولاه بمعنى اعطاه والمعنى مااعطيت و(من نعم) بيان لما والنعم بكسر النون وفتح العين جمع نعمة * وفي قوله (ماوليت من رتب) اشارة الى كونه عليه الصلاة والسلام واليا يوم القيامة على اهلها بالشفاعة حيث اعطى له الشفاعة ليلة المعراج وكذا ما اعطى له فيها مااوحى اليه من ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك وقوله تعالى له عليه الصلاة والسلام (لولاك لولاك لماخلقت الافلاك) وكذا اعطى له فيها قوة جبروتية يهلك بها اعداءه وغير ذلك مما لايحيط به قلم * وفي قوله (مااوليت من نعم) اشارة الى اعطائه تعالى له عليه الصلاة والسلام فيها علم الاولين والآخرين وجعل امته خير الامم وارسال النصيحة لامته حيث روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (شكا) اى الله تعالى (من امتي ليلة المعراج شكايات الاولى انه قال اني لم اطلب منهم اليوم عمل الغدوهم يطلبون مني رزق الغد. والثانية انه قال لاادفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيري. والثالثة انه قال انهم يأكلون رزقي ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي. والرابعة ان العزة لي وانا المعز وهم يطلبون العز من سواي. والخامسة اني خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا انفسهم فيها

قوله تعالى خالق كل شئ ولاه العمل اوالبلدة قلده ورأسه فيه ومامو صولة ومن بيان مافي الموضعين عز غلب وعز الشئ تمنع وعز حصوله اوالظفر به اولاه اعطاه والمراد من الادراك العلم ان اريد من النعم العلوم والحكم والحقائق والمعارف وان اريد اعم من تلك فالمراد منه الوجدان وفي البيتين من التجنيس وغيره من المحسنات مالايخفى

وقال قل لامتك ان احببتم احدا لاحسانه اليهم فانا اولى به لكثرة نعمتي عليهم وان خفتم احدا من اهل السماء والارض فانا اولى بذلك لكمال قدرتي وان اتم رجوتم احدا فانا اولى به وان اتم استحييتم من احد لجفائكم اياه فانا اولى به لان منكم الجفاء ومني الوفاء وان اتم آثرتم احدا باموالكم وانفسكم فانا اولى بذلك لاني معبودكم وان صدقتم احدا في وعده فانا اولى بذلك لاني انا الصادق) وكذلك قال تعالى له عليه الصلاة والسلام (يا محمد لم اكثر مال امتك لئلا يطول حسابهم يوم القيامة ولم اطل اعمارهم لئلا تقسوا قلوبهم ولم افاجئهم بالموت لئلا يكون خروجهم من الدنيا بدون التوبة واخرتهم في الدنيا عن الآخرين لئلا يطول في القبور حبسهم) كذا في روح البيان تفسير القرآن لاسماعيل حقي صاحب الكشف والعرفان

﴿ بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا * مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ ﴾

لما بين من اول هذه القصة اللطيفة الى هنا ما يدل على افضليته عليه السلام واشرفيته من جميع الانام وعلو رتبته وسمو درجته وكونه نائلا للنعم الكثيرة والاسرار والكلم الغفيرة وكأن قائلا قال هل اصاب شيء امته من تلك النعم وهل طاب لهم ذلك العروج وكان في حقهم من الكرم اجاب عنهم بالبشارة والسرور وبيان نعمة ما اصابهم من ذلك العبور فقال (بشرى لنا) الخ (بشرى) اما خبر مبتدأ محذوف اي هذه القصة بشرى و(لنا) صفة او مبتدأ اي بشرى قد ثبتت واما بشرى مبتدأ خبره لنا فحينئذ يرد عليه ان بشرى نكرة والمبتدأ لا تكون نكرة ويجاب بانه مخصص لانه موصوف بصفة محذوف اي بشرى عظمى او بانه فاعل في المعنى اي ما ثبت بشرى ثم ان البشرى بمعنى المسرة والفرح و(معشر) بالنصب على انه منادى او على الاختصاص كما في الحديث (نحن معاشر الانبياء لا نورث) والمعشر بمعنى الجماعة قال في كليات ابي البقاء كل جماعة امرهم واحد فهو معشر والتسمية بجماعة الاسلام خاص بهذه الامة لان التسمية باسم المسلم من خصائصهم كما سيأتي وقوله (ان) بكسر الهمزة تعليل للدعوى المستفادة مما سبق اي البشارة مخصوصة لنا فترتيب قياسه هكذا البشارة خاصة لنا يا معشر الاسلام لان لنا من العناية ركنا غير منهدم وكل من شانه كذا فالبشارة خاصة له فينتج المطلوب و(لنا) ظرف مستقر مرفوع على انه خبر ان واسمه قوله الآتي (ركنا) و (من العناية) ظرف مستقر منصوب على انه حال من ركنا قدم على ذي الحال لكونه نكرة وجعله صفة لركنا بعيد كل البعد كما لا يخفى والمراد من العناية مزيد اعتناء بمصالحهم والكرامة عليهم وهي العنايات الازلية التي تورث السعادة

﴿ بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا
من العناية ركنا غير منهدم
لما دعى الله داعينا لطاعته
باكرم الرسل كنا اكرم الامم ﴾

بشرى اسم من البشارة ويراد به الخبر السار المغير للبشرة وقد يراد به الطيبة والبهجة الحاصلة به وقوله بشرى لنا اما خبر مبتدأ محذوف اي حاصل البيان المذكور بشرى ولنا صفة او مبتدأ وخبره محذوف اي بشرى لنا قد ثبت او قوله بشرى مبتدأ ولنا خبره اما على طريقة شر اهر ذا ناب وفيه وجهان احدهما انه فاعل معنى والثاني انه موصوف بصفة محذوفة فعلى الاول ما ثبت بشرى بمثل هذا المذكور الا لهذه الامة وعلى الثاني بشرى عظيم لا تكتنه اختصت لنا او على مذهب سيبويه ان النكرة تصلح للابتداء او يكون منادى كما في قوله تعالى يا بشرى هذا غلام اي تعال فان هذا اوانك ولنا صفة او بتقدير كوني لنا ومعشر الاسلام منصوب على انه منادى او على الاختصاص كما في نحن معاشر الانبياء وان لنا استيناف كما في قوله ان ذاك النجاح في التنكير والمراد من العناية مزيد الاعتناء لمصالحهم وارادة مزيد الخير والكرامة من حضرة واهب العطيات وهي العناية الازلية التي تورث السعادة الابدية ومن جملتها اخراج هذه الامة عقيب

الابدية وهى الخصائص التى لم توجد فى سائر الامم منهـا احلال الغنائم ولم تحل لامة قبلها.ومنها انه جعل الارض لهم مسجدا.ومنها انه جعل تراب الارض لهم طهورا . ومنها الوضوء فانه لم يكن الا للانبياء دون اممهم.ومنها مجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد غيرهم.ومنها الآذان والاقامة . ومنها البسملة حيث لم تنزل على احد من الامم.ومنها التأمين خلف الام.ومنها الاختصاص بالركوع.ومنها الصفوف فى الصلاة كصفوف الملائكة.ومنها الجمعة . ومنها ساعة الاجابة التى فى الجمعة.ومنها انه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ومن نظر اليه لايعذبه ابدا.ومنها تزيين الجنة لهم فيه واستغفار الملائكة لهم فى كل ليلة منه وكون ذنوبهم مغفورة جميعا فى آخر ليلة منه.ومنها السحور وتعجيل الفطر.ومنها ليلة القدر . ومنها ان لهم الاسترجاع عند المصيبة.ومنها ان الله تعالى رفع عنهم الاصر والاغلال .ومنها ان الله تعالى لم يجعل عليهم فى الدين من حرج.ومنها ان الله تعالى رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان . ومنها ان الاسـلام وصف خاص بهم لايشاركهم فيه غيرهم الا الانبياء.ومنها ان شريعتهم اكمل الشرائع.ومنها انهم لايجتمعون على الضلالة . ومنها ان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة .ومنها انهم اقل الامم عملا واكثرهم اجرا.ومنها ان الطاعون شهادة ورحمة لهم وكان على سائر الامم عذابا.ومنها انهم اذا شهد منهم اثنان لعبد بخير وجبت له الجنة.ومنها انهم اوتوا الاسناد وهو خصيصة فضيلة من خصائص هذه الامة.ومنها انهم اتوا تصنيف الكتب.ومنها ان فيهم اقطابا واوتادا ونجباء وابدالا.ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلاذنوب لانها تغفر لهم باستغفار المؤمنين لهم.ومنها انهم اختصوا فى الآخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من بين الامم.ومنها انهم يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء.ومنها انهم يكونون فى الموقف على مكان عال.ومنها انهم يؤتون كتابهم بايمانهم.ومنها انهم يدخل الجنة منهم سبعون الفا بغير حساب .ومنها انهم يدخلون الجنة قبل سائر الامم وركن الشئ جانبه الاقوى الذى يستند ذلك الشئ اليه لغة قال الله تعالى (او آوى الى ركن شديد) وفى الاصطلاح ركن الشئ مايقوم به ذلك الشئ * والمراد هنا معناه اللغوى اعنى معنى المستند يعنى ان لنا مستندا وطرفا قويا وهو النبى عليه الصلاة والسلام وشريعته و(غير منهدم) بالنصب صفة ركنا و(منهدم) اسم فاعل من الانهدام بمعنى الزوال والمعنى غير مخوف انتساخه فان هذه الشريعة باقية الى يوم التناد بعناية رب هاد

﴿ لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ * بِاَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا اَكْرَمَ الْاُمَمِ ﴾

جميع الامم ذلك من مزايا اللطف والكرم حيث ارانا احوال الامم السـابقـة فى القرون الماضية من اهلاكهم بانواع العقوبات وارادتهم باصناف البليات والنكبات وانزاله الهوان بالمسخ وغيره عليهم وايصـاله المكاره والعوادى اليهم لما نبذوا وراء ظهورهم انبـاء الانبياء واقتفوا آثار آبائهم فى اتباع الاهواء فنبهنا به عـلى كمال محـافظة الآداب ان فى ذلك لآيات لاولى الالباب واليه اشار النبى صلى الله عليه وسلم امتى امـة مرحومـة ركن اليه مال وركن الشئ مايعتمد عليه ذلك الشئ ويكون مبناه ومستنده غير منهدم اى غير مخوف انهدامه اى انتساخه فان هذه الشريعة نسخت كل شريعة وهى باقيـة الى يوم التناد وفى تقديم لنـا تعريض الى نسخ سائر الشرائع واشار الى ان لنا شافعا مشفعا لا يخاف رد شفاعته لما للنفى فى المستقبل وفى الماضى للظرف والشرط وفى غـيرهما بمعنى الا نحو ان كل نفس لما عليهـا حافظ دعاه بزيد سماه به ودعاه طلبه فالدعاء الاول من الاول والثانى من الثانى وسـكون اليـاء فى داعينا كما فى اعط القوس باريها والمراد بداعيها لطاعته النبى صـلى الله عليه وسـلم وباكرم متعلق بدعى الله اى سماه به ووجـه تسميته اياه باكـرم الرسل انه ثبت عنه بالاخبار الصحيحة انه قال انا سيد

لما كانت الصغرى المذكورة فى البيت السابق اعنى قوله ان لنا من العناية الخ نظرية اراد ان يثبتها فقال (لما دعا الله الخ) فترتيب قياسه هكذا ان لنا من العناية ركنا متينا لانه لما دعا الله داعينا لطاعته باكرم الرسل كنا اكرم الامم وحيثما كنا اكرم الامم فان لنا من العناية ركنا غير منهدم لكن المقدم حق فالتالى مثله * ثم ان (لما) ظرف بمعنى اذ يليه فعل ماض لفظا او معنى وههنا وليه ماض لفظا ويكون جوابه فعلا ماضيا لفظا كما وقع ههنا او معنى اتفاقا وقد يكون جوابه ماضيا مقرونا بالفاء وقد يكون جملة اسمية مقرونة باذا المفاجأة وبالفاء عند ابن مالك وفعلا مضارعا عند ابن عصفور وقد يكون لما حرف استثناء بمعنى الا فتدخل على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) اى الا عليها وقد يكون فعلا نحو لم المّوا وتكون جازمة اذا دخلت على المضارع * قال فى الارشاد فى قوله تعالى (وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا) ان لما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد منه الوقت المعين انتهى وكذلك ما وقع ههنا و(دعا) بمعنى سمى و(الله) فاعله و(داعينا) مفعول دعا وسكون يائه للضرورة والداعى ههنا بمعنى الهادى والسفير للدعوة والمراد به رسول الله عليه الصلاة والسلام و(لطاعته) اللام بمعنى الى متعلق بداعينا والطاعة بمعنى العبادة والضمير اما راجع الى الله او الى الداعى المراد به الرسول والطاعة له طاعة الله ولذا قال تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) و(باكرم الرسل) متعلق بدعا الله ووجه تسميته تعالى اياه عليه الصلاة والسلام باكرم الرسل قد ثبت بالاخبار الصحيحة كقوله عليه الصلاة والسلام (انا اكرم الخلق على الله وآدم ومن دونه تحت لوائى) وقد سبق تفصيله و(كنا) جواب لما و(اكرم الامم) بالنصب خبر كنا والامم جمع امة والامة بمعنى الجماعة فان كل امة جماعة لنبيهم والنبى امامهم ﴿والحاصل﴾ ان كونه عليه الصلاة والسلام اكرم الرسل سبب لكوننا اكرم الامم لان الامة تابعة والنبى متبوع فاكرمية التابع انما هى من اكرمية المتبوع * وبعض اهل الكلام من العلماء الاعلام جعل القضية بالعكس كما لا يخفى على اولى الافهام * ثم اعلم انه مما يدل على اكرمية هذه الامة حديث ذكره ابو نعيم فى الحلية عن انس انه قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام (اوحى الله تعالى الى موسى نبى اسرائيل انه من لقينى وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال يارب ومن احمد قال تعالى ما خلقت خلقا اكرم على منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل ان اخلق السماوات والارض وان الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون ازارهم اوساطهم

ولد آدم وانا اكرم الخلق على الله وآدم ومن دونه تحت لوائى وقد علم انه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وكنا جواب لما اى كونه اكرم الرسل سبب لكوننا اكرم الامم ويحتمل ان يكون من قبيل قولك لما كان النهار موجودا فى الشمس طالعة يعنى لما سمى الله امته خير امة حيث قال كنتم خير امة اخرجت للناس وجعلناكم امة وسطا عرفنا انه خير الرسل كما استدل به بعض اهل الكلام فيه

ويطهرون اطرافهم صائمون بالنهار ورهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة (ان لا اله الا الله) قال موسى يارب فاجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستأخرت ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال

﴿ رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَى أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ * كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلًا مِنَ الْغَنَمِ ﴾

لما فرغ من قصة المعراج ومايتعلق به من حصول الوصول وقطع كل مراتب من الفروع والاصول وصعوده الى مافوق سدرة المنتهى وبلوغه الى المقصود والمنى شرع في بيان بعض غزواته وشجاعة صحابته في المجاهدة والجهاد لدفع اهل الكفر والعناد وتطهير الارض من اهل الزيغ والفساد فبين اولا وقوع الخوف في قلوبهم بهيبة اخبار بعثته وانباء نبوته فقال (راعت قلوب العدى) الخ (راعت) من الروع بمعنى التخويف و(قلوب العدى) بالنصب مفعول راعت وهو جمع قلب وهو محل الادراك وكيفية ادراكه مجهولة وكونه عبارة عن الروح المسمى بالقوة العاقلة والنفس الناطقة على مافي التلويح لم تقم عليه شبهة فضلا عن الحجة وقد يطلق على المضغة التي في الجانب الايسر والمراد به ههنا المعنى الاول كما لا يخفى و(العدى) بكسر العين مقصورا جمع عدو كالاعداء والمراد بهم اعداء الدين اعني الكفار والمشركين والانباء بالرفع فاعل راعت وهي جمع نبأ بمعنى الخبر وخبر البعثة وان كان في ذاته واحدا جمع بالنظر الى المخبر به لانه كثير اوباعتبار المخبرين اوجمعه مجاز للتعظيم لشانه فتدبر و(البعثة) مصدر بمعنى الرسالة والنبوة والضمير راجع اليه عليه السلام اي كونه مرسلا وكونه مدعيا للنبوة واظهار بطلان اديانهم وكسر اصنامهم في عيانهم ثم اتى بنظير لكون اعدائه متفرقة بخبر نبوته فقال (كنبأة الخ) النبأة بمعنى صوت الاسد وجملة (اجفلت) صفة نبأة وهو من الافعال بمعنى الاهراب اي اهربت وفرقت وافزعت و(غفلا) بالنصب مفعول اجفلت والغفل بضم العين جمع غافل و(الغنم) اسم جنس يقع على الكثير والقليل ﴿وحاصل المعنى﴾ ان اخبار نبوته وآثار بعثته خوفت قلوب الاعداء من الكافرين من اهل الكتاب والمشركين مثل صيحة الاسد اهربت الاغنام الغافلة وفرقت جمعهم بهيبة عالية * وفي هذا البيت اشارة الى نصرته عليه السلام بالرعب اذ ورد في الحديث الصحيح انه عليه الصلاة والسلام قال (نصرت بالرعب مسيرة شهر) وفي حديث (شهرين) حيث وقعت الهيبة في قلوبهم بلا جهاد ولا مقاتلة بل من عند الله تعالى فكانوا يجيئون من الاقطار ويؤمنون بالنبي المختار

﴿ مَازَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ * حَتَّى حَكَوْا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ ﴾

﴿ راعت قلوب العدى انباء بعثته كنبأة اجفلت غفلا من الغنم
مازال يلقاهم في كل معترك حتى حكوا بالقنا لحما على وضم ﴾
راعه اعجبه وراعه خوفه والنبأ الخبر الذي له شأن والنبأة الصوت وهو المراد هنا والبعثة غلب في الاستعمال في النبوة والرسالة جفل جفلا وهو نوع من العدو فعدي بالهمزة والغفل جمع اغفل وهو المتروك بلا علامة ورجل اغفل البليد الغافل الذي لا يحس بالامارات الواضحة والاشارات اللائحة والمعترك موضع الازدحام واسم المفعول من مزيد الثلاثي يصلح لاربعة معان حكاه شابهه وحكى الخبر والسمر قصه والباء للسببية اي بسبب حرب القنا والوضم خشب يقطع القصاب اللحم عليه ويترك معدا الكل من يميل اليه يعني تركهم قتلى بالقراع وقطعهم اكلة للسباع وقوله قلوب مفعول راعت وقول انباء فاعله فيما زال ضمير الشان قوله في معترك اي عند المقاتلات * والبيت الاول ينظر الى قوله عليه الصلاة والسلام نصرت بالرعب مسيرة شهرين والبيت الثاني ينظر الى قوله صلى الله عليه وسلم انا نبي السيف والملحمة عليه افضل الصلوات والتحية

ثم شرع في بيان جهاده وقتاله في المعارك والكتائب وكونه غالبا عليهم بالرماح والقواضب فقال (مازال يلقاهم) الخ (مازال) بمعنى دام مجازا و(يلقاهم) من اللقاء بمعنى الملاقاة وفاعله راجع الى النبي عليه السلام وضمير مفعوله راجع الى الكفار ويقرأ يلقاهموا باشباع ضمة الميم لضرورة الوزن وال(معترك) على صيغة المفعول بمعنى المعركة ومحل الحرب يعني كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلقى الكفار في محل الحرب كلما خرج لاجل المقاتلة ويغلب عليهم وكان عدد مغازيه عليه السلام التي خرج فيها بنفسه تسعا وعشرين مرة قاتل في تسع منها بنفسه وهي بدر واحد والمريسيع والخندق وبني قريظة وخيبر وحنين والطائف وفتح مكة * وسيأتي بيان بعضها ان شاء الله تعالى و(حتى) متعلق بمقدر اي كان يلقاهم في كل معترك ويقتلهم (حتى حكوا) وحكوا من حكى بمعنى شابه كما في قوله

ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

وضمير الجمع راجع الى الكفار يعني شابه الكفار (بالقنا) وهو بفتح القاف بمعنى الرمح والباء فيه للسببية وفيه حذف مضاف اي بسبب ضرب القنا و(لحما) منصوب مفعول لحكوا و(على وضم) ظرف مستقر على انه صفة لحما والوضم بفتحتين خشب او حديد يقطع القصاب اللحم ويلقه عليه ويترك معدا لكل من يميل اليه ويرغب فيه ﴿وحاصل معنى البيت﴾ دام النبي عليه الصلاة والسلام مجاهدا عداء الاسلام في كل معركة وكتيبة حتى تركهم جرحى وقتلى على رؤس القنا مشابهين اللحم الموضوع على الخشب والكلاليب والمتروك في العيان بلا حجب * ولا يخفى ما فيه من تشبيه الاصحاب بالقصاب والكفار بالغنم ورماح الاصحاب بسلاح القصاب في كمال شجاعته واصحابه واتباعه واحزابه وكون قلوب الاعداء في غاية الجبانة في السر والعلانية وكون موتاهم معلقة على الرماح مع فضاحة وافتضاح

﴿وَدُّوا الفِرارَ فَكادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ * اَشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبانِ وَالرَّخَمِ﴾

لما بين خروجه عليه السلام والملاقاة للكفار وقتلهم بعناية الملك الجبار اراد ان يبين بعض ما وقع في تلك الغزوات من انهزام اهل النار وهربهم منه عليه السلام بلا قرار مع شجاعتهم بتواطئ بعضهم بعضا في الفرار فقال (ودوا الفرار) الخ (ودوا) من الود بمعنى المحبة يقال وده اي احبه او بمعنى التمني وضمير الجمع للكفار و(الفرار) بالنصب مفعول ودوا يعني ان الكفار احبوا الفرار من المقابلة له عليه السلام والجهاد لعدم اقتدارهم على المقابلة بل على المقاولة والفاء في فكادوا للعطف والتفسير لودوا وكاد من افعال المقاربة اي قربوا وجملة (يغبطون)

﴿ ودوا الفرار فكادوا يغبطون به اشلاء شالت مع العقبان والرخم تمضي الليالي ولايدرون عدتها مالم تكن من ليالي الاشهر الحرم ﴾ وده احسبه ودا ووده تمناه ودا وقوله فكادوا عطف على ودوا وكالتفسير له والغبطة بمعناه وبه حال من فاعل يغبطون والضمير للفرار اي ملتبس بالفرار ويجوز ان يكون الباء للسببية ويجوز ان يكون الباء للسببية فيجوز ان يكون الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم اشلاء جمع شلو وهو العضو مفعول يغبطون وشال لازم ومتعد اي رفع وارتفع والعقبان جمع عقاب نوع من كرايم سباع الطير يصاد ويصاد به والرخم جنس واحده رخمة نوع من الطير يقع على الفيل والميتات وضمير عدتها لليالي وكثيرا ما

بالنصب خبر كاد وهو من غبط يغبط كضرب يضرب وقال فى القاموس كضرب وسمع والاسم الغبطة بكسر الغين وهى تمنى حصول مثل النعمة الحاصلة للغير من غير طلب زوالها وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور والمراد ههنا هو المعنى الاول والفرق بين الغبطة والحسد قد سبق قبيل مبحث الآيات فتذكر و(به) متعلق بيغبطون والباء سببية والضمير راجع الى الفرار و(اشلاء) بالنصب مفعول يغبطون وهى كاشياء جمع شلو بمعنى العضو و(شالت) بمعنى ارتفعت وجملة شالت منصوب محلا على انه صفة اشلاء فضميره راجع اليها (ومع) حال من فاعل شالت ولا يجوز ان يكون ظرفا لشالت كما ذهب اليه بعض الشارحين لانهم قالوا ان كلمة مع تستعمل على ثلاثة اوجه بمعنى الحال نحو جاءنى زيد مع عمرو وبمعنى الظرف والظرف اما ان يكون بمعنى بعد او بمعنى عند ولا يجوز ان يكون ما وقع ههنا من هذين المعنيين فيكون حالا لا ظرفا كما لا يخفى و(العقبان) بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من سباع الطير يصاد ويصاد به و(الرخم) بفتحتين جمع رخمة وهو ايضا نوع من الطير الذى يقع على الميتة وفى بعض الاوقات يرفع الدجاجة ومن قال ان الرخم جنس واحده رخمة فقد غفل عن كتب اللغات كما لا يخفى على الثقات ﴿ وحاصل معنى البيت ﴾ ان اهل الشرك والعناد انهزموا فى الجهاد وتمنوا الفرار من مجاهدة سيد الابرار ففاربوا من كمال خوفهم ونفرة جوفهم ان يكونوا مثل قطع اللحم التى ترفعها الطيور كى يخلصوا من جهاد نبى الله الغفور

﴿ تَمْضِى اللَّيَالِى وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا * مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِى الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ ﴾

لما بين انهزامهم وفرارهم لخوفهم من القتال اراد ان يبين كون خوفهم باقيا فيهم فى كل حال بلا مفارقة عنهم ولا زوال وكون رهبهم حاملا اياهم على حال لم يعرفوا عدد الايام من الشهور والاعوام حتى تجئ الايام المعدودة فى الشهور الاربعة المعهودة فقال (تمضى الليالى الخ) تمضى بمعنى تمر و(الليالى) فاعل تمضى وفى الليالى تغليب المؤنث على المذكر اعنى الايام فانه وان كان الاصل تغليب المذكر على المؤنث كما فى القمرين للشمس والقمر وكما فى الآيات الكثيرة كقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا) لكن غلب ههنا على خلاف الاصل بناء على الاصل ولان فى ذكر الليالى ايماء الى سوء حال اوقاتهم فان ظلمة الزمان وسواده كناية عن ذلك ولان فيه اشارة الى ان حالهم فى الليالى التى هى اوقات استراحة كانت كذلك فكيف زمان ايامهم المخلوطة بالكدورات ومن لم يجعله من باب التغليب بل جعله من قبيل قوله تعالى (سرابيل تقيكم الحر) فليس له من الفهم نصيب (ولا يدرون) الواو للحال و(يدرون)

يستعمل الليالى ويراد بها الايام والليالى وقد غلب ذلك عند ذكر الشدائد وذلك لان مقاسات ذوى المحن والاحزان فى الليالى اشد مما فى النهار واما ههنا فلان الخوف فى الليالى اكثر كما نبئ عنه قوله تعالى فيه ظلمات ورعد وبرق * والبيتان تأكيد لمغلوبيتهم ومزيد بيان لمقهوريتهم حيث وصفهم بانهم يفرون فيدركهم الشجعان فيغبطون على عضو اختطفه الرخم والعقبان ولكمال حيرتهم تمضى الليالى ولا يدرون مضى الازمان غير انهم يترقبون وينتظرون مجئ الشهر الحرام ليتخلصوا عن قتال المسلمين وقوله كادوا اورث قبولا وحسنا لغلو فى يغبطون اشلاء كلفظ يكاد فى قوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار الخ

من الدراية اى لا يعلمون و(عدتها) بالنصب مفعول يدرون والعدة بكسر العين بمعنى العدد وضميره راجع الى الليالى اى لا يعرفون عدد الايام والليالى لشدة قتاله عليه السلام وغاية خوفهم منه عليه السلام حيث كان تصورهم وفكرهم فى كل زمان وآن التخلص من عذاب الحرب والنيران ومافى (مالم تكن) ظرفية مصدرية اى دوام لم تكن وضمير المؤنث فى تكن راجع الى الليالى و(من) متعلق بلم تكن و(الاشهر) جمع شهر و(الحرم) بالجر صفة الاشهر وهو بضمتين جمع حرام والمراد بالاشهر الحرام اربعة اشهر وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب والمحرم اول الشهور ولذا يدخل عليه الالف واللام فى اكثر استعماله * وعدوا الشهور اثنى عشر شهرا. اولها المحرم وكان اسم المحرم فى صدر الجاهلية المؤتمن لانهم كانوا يأتمنون فيه من الغارات فسمى بالمحرم لتحريم القتال فيه وقيل لتحريم الجنة فيه على ابليس. وثانيها صفر وكان اسمه فى الجهالية ناجر لانه تنجر فيه الابل اى تهزل فسمى صفرا لاصفرار الاشجار فيه او لاصفار مكة من اهلها اذا سافروا يقال دار صفر اى خالية او لاصفرار وجوههم حين وقع فى الناس حمى اووباء. وثالثها ربيع الاول وكان اسمه فيها خوان. ورابعها ربيع الآخر وكان اسمه فيها بصان فسميا ربيعين لارتباع الناس فيهما اى اقامتهم فى الخصب. وخامسها جماذى الاولى وكان اسمها فيها حنين. وسادسها جماذى الآخرة وكان اسمها فيها رنى فسميا جماذيين لجمود الماء فيهما وجميع الشهور مذكورة الا جماذيين. وسابعها رجب وكان اسمه فيها الاصم لانه لا يسمع فيه صوت السلاح فسمى رجب لتعظيم الله وتعظيمهم له وفى الروضة لم يعذب الله امة محمد فى رجب. وثامنها شعبان وكان اسمه فيها عجلان ثم سمى شعبان لانشعاب القبائل فيه وتفرقهم بالغارات اولانشعاب الخير فيه. وتاسعها رمضان وكان اسمه فيها ناتقا فسمى رمضان لانه ترمض فيه الذنوب اى يحرق اولرمض الفصال. وعاشرها شوال وكان اسمه فيها العاذل ثم سمى بشوال لشول الناقة فيه بذنبها ليعلم الذكر انها حامل اولان العرب كانت تشول فيه اى تسرح عن امكنتها. وحادى عشرها ذو القعدة وكان اسمه فيها رنة ثم سمى ذو القعدة لقعودهم فى رحالهم عن العدو والحرب. وثانى عشرها ذو الحجة وكان اسمه فيها برك ثم سمى ذو الحجة لاداء الحج فيه * فاعلم ان تسمية هذه الشهور بهذه الاسامى انما هى بالنظر الى ماوقع يوم تسميتها ولا يلزم كلية وجه التسمية كما لا يخفى * ثم اعلم ان عدد ايام الاسبوع سبعة. اولها السبت كما يدل عليه قول الشاعر

الم تر ان الدهر يوم وليلة * يكران من سبت عليك الى سبت

وكان اسماء ايام الاسبوع فى الجاهلية ايضا غير الاسماء المعهودة حيث كانوا يقولون للاحد اول وليوم الاثنين اهون وللثلثاء جبار وللاربعاء دبار وللخميس مؤنس وللجمعة العروبة وللسبت شيار ثم ان اسماء ايام الاسبوع من الاعلام الغالبة فيلزمها اللام وقد يجرد لفظ الاثنين من اللام ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان الكفار قد بلغوا الى حال قد كانت تمر الليالى ولا يعلمون عددها من شدة الآلام والهموم لما رأوا فيها من المقاسات والغموم وغابوا عن حساب الايام والليالى مالم تجئ ايام الاشهر الحرم والليالى فاذا جاءت تلك الاشهر الاربعة المكرمة كانوا فى بيوتهم بالاستراحة منعمة لكون النبى فارغا عن القتال فى تلك الاشهر بلا زوال لكونه مشغولا بعبادة ربه الكبير المتعال ذى الجمال الجلال

﴿كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ * بِكُلِّ قَرْمٍ اِلَى لَحْمِ الْعِدَى قَرِمٍ﴾

لما بين انهزام المشركين فى المقاتلة وفرارهم وعدم قدرتهم على المقابلة وكان مظنة ان يسئل عن سبب الانهزام وباعث عدم قرارهم فيها والقيام اراد كشف القناع واللثام عن وجه سببه وبيان كون باعثه مقاباتهم بالاسلام وقد ورد (ان الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فى كل عام) فقال بتشبيه لطيف (كأنما الدين الخ) فكأن للتشبيه وما كافة والدين فى اللغة بمعنى العادة بدليل قول الفراء دين الرجل عادته وبمعنى الحساب كقوله تعالى (ذلك الدين القيم) اى الحساب المستقيم وبمعنى الجزاء خيرا وشرا كما فى قولهم كما تدين تدان وقول الحماسة

ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا

وفى العرف وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى ماهو خير لهم بالذات ثم ان الدين يقع على الحق والباطل جميعا لكونه عبارة عما يعتقد سواء كان حقا او باطلا ولهذا يقال دين اليهود والنصارى باطل ودين الاسلام حق والمراد بالدين ههنا الاسلام لان الدين عندالله الاسلام ويمكن ان يراد بالدين ههنا صاحب الدين وداعيه ومظهره اعنى النبى عليه السلام مجازا من قبيل ذكر المسبب وارادة السبب و(ضيف) بمعنى المسافر فالدين مشبه والضيف مشبه به وجملة (حل ساحتهم) صفة ضيف بيان لوجه الشبه مع قيوده وحل بمعنى نزل والساحة بمعنى ما حول الدار وضمير الجمع راجع الى الكفار و(بكل قرم) حال من فاعل حل اى ملتبسا ومصحوبا والقرم بفتح القاف وسكون الراء بمعنى السيد والمراد بكل قرم صحابة رسول الله عليه السلام و(الى لحم العدى) متعلق بقرم المؤخر والمراد من العدى الكفار و(قرم) بالجر صفة بعد صفة لضيف اى صفة لكل قرم وهو الاقرب لفظا ومعنى والقرم بفتح القاف وكسر الراء بمعنى شديد الاشتهاء الى اللحم ﴿وحاصل معنى البيت﴾

﴿كانما الدين ضيف حل ساحتهم
بكل قرم الى لحم العدى قرم﴾

ماكافة دان له اطاعه ودانه جزاه او ملكه او اقرضه او ادان له ودان استقرض وذل والدين فى الاصطلاح ما ذكرناه سابقا ساحتهم مفعول فيه لحل اى نزل وهو صفة ضيف وضمير الجمع للعدى القرم بسكون الراء السيد وبكسرها شديد الشهوة الى اللحم وبكل قرم حال اى ملتبسا ومصحوبا ويجوز كون الباء للاستعانة وقرم صفة والى متعلق به وقوله لحم العدى من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التمكن والمراد من كل قرم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جند الله والسادات الكرام والباذلون مهجتهم فى تشييد قواعد الاسلام

ان دين الاسلام او صاحبه اعنى نبينا افضل الانبياء الفخام مثل سلطان
نزل للضيافة فى ساحة دارهم مستوليا على حيطان بلادهم مصاحبا لجنود
كلهم ازمة الاسلام والسادات الكرام مطيعين لسيدهم مع القيام فى خدمته
بالاهتمام مشتهين الى لحوم العدى واذالة الاشقياء وتمزيق اجسادهم وتخريب
بلادهم واسر اولادهم مع الغلبة فى كل الايام والاسلام لا يقبل الانهزام لانه
يعلو ويغلب فى كل حال ولا يعلى ولا يكون مغلوبا ولو كانت اعداؤه كالجبال
ومن كان خصم هذا الدين المتين فله فى الدنيا والآخرة عذاب مهين ومن
كان فى الدنيا له حبيبا اعطاه الاله من الجنة نصيبا

﴿ يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ * يَرْمِى بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ ﴾

لما اتم بيان انهزام الكفار وسببه وباعثه بكلام لم يبق فيه شبهة للصغار
والكبار اراد بيان شجاعة جيشه عليه السلام ومتانة صحابته الفخام وكون
عسكره تام الاركان وكونه كثيرا كامل الاطراف بلا نقصان فقال (يجر بحر
خميس) الجملة يجر خبر مبتدأ محذوف اى هو يجر والضمير المستتر فيه راجع
الى الدين المراد به رسول الله عليه السلام والعدول عن الماضى الى المضارع
لاستحضار الصورة البديعة اولتأخر الجر بالنظر الى ذات النبى عليه السلام
و(بحر) بالنصب مفعول يجر واضافة البحر الى الخميس من اضافة المشبه به الى المشبه
اى خميس مثل البحر و(الخميس) بالخاء المعجمة العسكر الشجعان * واعلم ان تهيئة
الصفوف للحرب لها خمسة اركان لانهم قسموا العسكر الى المقدمة والميمنة
والميسرة والساقة والقلب وتشبيه الخميس يعنى الجيش المحارب بالبحر انما هو
فى الهيئة والاهلاك وتموج البعض على بعض بلا انفكاك والمراد بجر
العسكر ايرادهم فى المحاربات والذهاب بهم الى المقاتلات و(فوق) صفة
خميس و(سابحة) صفة موصوف محذوف اى خميس كائن فوق خيل سابحة
والسابحة من السبح والسبوح الفرس الحسن الذى يجرى تحت راكبه
بلا اتعاب له ولا مشقة عليه كأنه سفينة تجرى فى البحر وجملة (يرمى) صفة
خميس فضميره راجع اليه او راجع الى البحر و(موج) من ماج البحر اى اضطرب
وارتفع بعضه فوق بعض والمراد بالموج ههنا السهام والرماح ففيه استعارة
مصرحة بان شبه الرماح والسهام بامواج البحر فى الاهلاك والجريان وامتداد
بعضه فوق بعض والهيجان فاستعير الموج للسهام والرماح فذكر الموج
واريد السهام والرماح فيرمى قرينة لهذه الاستعارة وقوله (من الابطال) تجريد
اوفى الموج استعارة بالكناية كما لا يخفى وقوله (من الابطال) ظرف مستقر على انه
صفة لموج اى موج حاصل من الابطال او بيان لقوله المؤخر ملتطم والابطال
جمع بطل بمعنى الشجيع القوى و(ملتطم) بالجر صفة موج وهو على صيغة اسم

﴿ يجر بحر خميس فوق سابحة
يرمى بموج من الابطال ملتطم
من كل منتدب لله محتسب
يسطو بمستأصل للكفر مصطلم ﴾

يجر اما خبر مبتدأ محذوف اى هو يجر
والضمير للدين اوصفة والعدول الى
المضارع للدلالة على الاستمرار
واستحضار الصورة البديعة والخميس
العسكر سمى به لانهم انقسموا الى خمسة
اقسام المقدمة والميمنة والميسرة والساقة
والقلب وجر العسكر ايرادهم
فى المحاربات واصدارهم عنها واضافة
البحر الى الخميس من قبيل اضافة
المشبه به الى المشبه مثل لجين الماء وهو
احد طريقى التشبيه المؤكد اى خميس
كالبحر فى الهيئة والجريان بل فى الهيئة
والاهلاك والتكثر وتموج البعض
فى البعض وفوق صفة خميس او حال
عنه وسابحة صفة موصوف محذوف
اى خميس كائن اوكائنا فوق خيل
سابحة والسبوع الفرس الحسن الجرى
لا تتعب راكبها كأنها تجرى فى البحر
من سبح فى البحر اى جرى يرمى
صفة خميس لانه اسم

الفاعل بمعنى ضارب بعضه على بعض من شدة الهيجان ففي الضمير في الملتطم الراجع الى الموج استعارة بالكناية اذ المراد بالالتطام هنا مصادمة الابطال واصطكاك اسلحتهم كما لا يخفى ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ما زال النبي عليه الصلاة والسلام يجر ويقوم جندا تام الاطوار له خمسة اركان كأنهم بحر وكلهم من الاشراف يجري كلهم على خيول جارية بالجريان اليسير ونوق سارية كجريان السفينة على وجه الماء الكبير الى مضمار المعارك وميدان المهالك يرمي ذلك الجند سهاما ورماحا الى الكفار كامواج البحار وهم ابطال تتصادم وتتصاكك اسلحتهم بالاضطراب بلا فراد من الاعداء ولا اجتناب

﴿ مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلّهِ مُحْتَسِبٍ * يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ ﴾

ثم شرع في عد اوصاف ابطال ذلك الجند العظيم من كون قصدهم من المقاتلة هو الاجابة الى امر الله تعالى الكريم وكونهم ماهرين في استعمال الاسياف والرماح وحاذقين في علوم السهام والسلاح فقال (من كل منتدب الخ) ثم ان (من كل منتدب) بدل من الابطال والمنتدب اسم فاعل من الانتداب والانتداب بمعنى الاجابة للدعوة الى شيء بالحث والاغراء اي من كل مجيب لدعوة الله في قوله (لله) حذف مضاف و(محتسب) بالجر صفة منتدب وهو ايضا على صيغة اسم الفاعل من الاحتساب بمعنى العمل لله تعالى والاخلاص فيه طلبا لمرضاة الله تعالى كما في قوله عليه السلام (من صام رمضان ايمانا واحتسابا الحديث) وقوله (يسطو) صفة بعد صفة او حال وضميره راجع لكل منتدب ويسطو بمعنى يصول ويغلب على الاعداء و(بمستأصل) الباء فيه للمصاحبة او للاستعانة متعلق بيسطو والمستأصل على صيغة اسم الفعل من استأصله اي قلعه من اصله وهدمه بلا بقية اثر والمعنى بآلة مستأصلة قالعة و(للكفر) متعلق بمستأصل وفيه مجاز حذفي اي لاهل الكفر من قبيل قوله تعالى ﴿واسئل القرية﴾ او قلع الكفر كناية عن قطع اهله فتدبر و(مصطلم) بالجر صفة مستأصل وتأكيد له وهو ايضا على صيغة اسم الفاعل من اصطلمه بمعنى اهلكه اي مهلك * ثم ان في هذا البيت ايماء الى قوله عليه السلام (انتدب الله لمن خرج في سبيله) ومعنى الحديث من خرج وقصد الى الجهاد في سبيل الله طلبا لمرضاة الله تعالى كان الله ضامنا وكفيلا لمغفرة ذلك العبد او سارع الله الى ايفاء مقابلة جهاده بالمثوبات او اوجب الله ان يجزله ما وعده من الجنة والحور والغلمان ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان اولئك الابطال المهرة يسطون في ابطال اهل الضلال كلهم مجيبا لدعوة ربهم الكبير المتعال مع الرغبة والميل اليه في الغنى والعيلة ومجتهد في اخلاص النية بلا اعراض ولا خوف من المنية مع الاحتساب الى مرضاة الله بلا غرض

جمع او حال منه ماج اضطرب وارتفع بعضه فوق بعض والموج اما المصدر فقوله من الابطال صفة اي باضطراب كائن من الابطال او الحاصل بالمصدر فقوله من الابطال بيان فقوله ملتطم صفة موج يعني يضرب بعضهم على بعض من شدة الهيجان وقوته وههنا عبارة عن اتباع بعضهم للبعض ومسابقة الابطال وانصباب البعض على البعض واصطكاك اسلحتهم قوله من كل بيان للابطال ندبه دعاه فانتدب اجاب قوله لله متعلق بمنتدب احتسب عمله حسبته من الله اي ترقبا ورجاء لفضله وهو الثواب كما في من قام رمضان ايمانا واحتسابا يسطو اي يصول اما صفة او حال او استيناف استأصله قلعه من اصله اصطلمه اهلكه والباء في بمستأصل باء التجريد او هي للمصاحبة ويجوز ان يكون المراد بعزم او بكر مستأصل فلا يكون تجريدية ويكون للاستعانة او المصاحبة وقوله مصطلم صفة مستأصل واللام في للكفر للتعدية واهلاك الكفر باهلاك اهله وازالة شبههم

غير رجاء مثوبات الله يسطو ويحمل كلهم بآلات قوية مستأصلة للكفرة الدنية وباسلحة مهلكة لجميع اهل الفساد ومطهرة وجه الارض من اهل العناد

﴿ حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ * مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ ﴾

لما بين كون النبي عليه الصلاة والسلام موردا للجنود الكاملة والكتائب المقاتلة وبعض اوصاف ابطال جنوده واحوال شجعان جيوشه كان مظنة ان يسأل عن ثمرة جهادهم وفائدة قتالهم وصيادهم فقال دفعا لذلك الظن ومبينا لثمرة ذلك الفن (حتى غدت الخ) كلمة (حتى) اماغاية ليجر او ليسطو والتخصيص بالاول تخصيص بلا مخصص كما لا يخفى و(غدت) بمعنى صارت و(ملة الاسلام) بالرفع اسم غدت واضافة الملة الى الاسلام بيانية اى ملة هى الاسلام او من قبيل شجر الاراك * واعلم ان الدين والشريعة والملة والناموس متحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار اذ الطريقة المخصوصة الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام تسمى من حيث الانقياد لها دينا ومن حيث يردها الواردون المتعطشون لزلال نيل الكمال شرعا وشريعة ومن حيث تملى وتكتب او يجتمع عليها الناس للقبول ملة من الاملال بمعنى الاملاء او من امل بمعنى اجتمع ومن حيث لها ملك اسمه ناموس ناموسا وقوله (وهى بهم) الواو للحالية (وهى) مبتدأ و(بهم) ظرف مستقر خبر المبتدأ وضمير هى راجع الى الملة اى و٢ الحال انها منصورة بهم و(من بعد غربتها) متعلق بما بعده وضمير المؤنث راجع الى ملة الاسلام والمراد من غربة الاسلام استغراب احياء احكامه كل احد لعدم معرفته وعدم الائتلاف به والمراد منها كونه لا انيس له ولا صاحب ولا حافظ ولا حامى له يواسى امره ويسعى فى مصالحه كالرجل الغريب و(موصولة الرحم) بالنصب خبر غدت والموصولة من الصلة والرحم القرابة وصلة الرحم عبارة عن رعاية الاقارب بزيارتهم وتفقد خواطرهم واعطاء نفقة من تجب عليه نفقته وفى الحديث (صلوا ارحامكم ولو بالسلام) والمراد من صلة الاسلام الاكرام اليه باحيائه وباكثار اصحابه ﴿ وحاصل معنى البيت ﴾ انه قد كانت نهاية جره عليه السلام العسكر الكثير وفائدة صولتهم وحملتهم على اهل النار والزمهرير كون ملة السلام والحال انها منصورة بهم ومصونة عندهم موصولة من احبابه واصحابه الذين هم عززوها باتلاف ابدانهم فى بابه ومن اتباعه واتباع اتباعه ممن اقتدى بكتابه مادار الزمان الى يوم القيامة بدولا به بعد كونها غريبة ذات كربة وبعد ان لم يكن لها صحبة احد * ثم ان فى هذا البيت ايماء الى قوله عليه السلام (ان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء) رواه مسلم فى صحيحه

﴿ مَكْفُولَةً أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ * وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ ﴾

﴿ حتى غدت ملة الاسلام وهى بهم
من بعد غربتها موصولة الرحم
مكفولة ابدا منهم بخيراب
وخير بعل فلم تيتم ولم تئم ﴾

حتى هذه اما غاية ليجر او يسطو وحتى التى يبتدأ بعدها الكلام وهى حرف عطف على التقديرين والدين السماوى يسمى ملة لانها تملى من السماء وهى بهم مبتدأ وخبر اى مضمونة وملتبسة او منصورة والجملة حال ومن بعد غربتها متعلق بغدت او بموصولة الرحم وهو خبر غدت وفيه اشارت الى ماجاء فى الخبر من ان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء وصلة الرحم وهو القرابة او رحم المرأة عبارة عن رعاية ما يستحسن رعايته شرعا وعقلا بالنسبة الى الاقارب الكفيل الضامن والكفل الذى يكفل انسانا اى يعوله ومنه وكفلها ذكريا وهى اما مرفوعة على انه خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر باعتبار المحل واما منصوبة باعتبار اللفظ او حال منه متعلق بمكفولة كنجير والضمير فى منه للنبى او للخير الى طريقة اعدلوا هو اقرب للتقوى او ليجر خميس وروى منهم ويجوز ان يكون من تجريدية اذا جعلت حالا من خيراب والمراد منه ومن خير بعل هو النبى صلى الله عليه وسلم فى زمانه وبعده كل من يقوم مقامه فى اقامة الدين بالحجة والبرها والسيف والسنان او باحدها يقال من بعل هذه الناقة اى من ربها وسيدها وقوله فلم تيتم بضم التاء

ثم اراد بيان كون ملة الاسلام دائمة باحيائهم الى يوم القيامة ومحفوظة من النسخ والتبديل ومصونة عن التغيير والتحويل فقال (مكفولة ابدا) الخ (مكفولة) اما بالنصب او بالرفع فعلى الاول اما بدل من موصولة او عطف عليه بحذف حرف العطف للضرورة او حال منها او خبر ثان لغدت وعلى الثانى اما خبر مبتدأ محذوف اى هى او هى خبر ثان لغدت تدبر والمكفول اسم مفعول من كفل يكفل بمعنى ضمن والكفيل بمعنى الضامن والحافظ فمعنى مكفولة محفوظة ومصونة و(ابدا) منصوب على الظرفية لمكفولة والابد بمعنى الدهر والزمان الطويل وبمعنى الدائم * وفى عنا قيد الفوائد الابد بمعنى الوقت المستقبل الغير المتناهى كما ان الازل بمعنى الوقت الماضى الغير المتناهى وقد يضاف الى جمعهما فيقال ابد الآباد وازل الآزال واما السرمد فاعم منهما انتهى و(منهم) متعلق بمكفولة والضمير للكفار اى من شرورهم واضرارهم وافسادهم و(بخير اب) متعلق ايضا بمكفولة والمراد بالاب رسول الله عليه الصلاة والسلام واصحابه الكرام والعلماء الاعلام مجازا واستعارة مصرحة ووجه التشبيه الكون مظهرا حافظا والسعى فى حمايتها من اعدائها وهذا بعد تشبيه الملة بالابن فى الظهور وكونه نافعا وباقيا بعد وفاة ابيه وكونه محتاجا الى حافظ له وقوله (وخير بعل) عطف على خير اب فقيد ابدا معتبر ههنا والبعل بمعنى الزوج كما فى قوله تعالى ﴿ وبعولتهن احق بردهن ﴾ الآية واصل البعل السيد والمالك سمى الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته كأنه مالك لها ورب والمراد بخير بعل النبى عليه السلام واصحابه وورثته من علماء امته شبه النبى عليه السلام واصحابه وورثته بزوج الملة فى القيام بمصالحها ومنع يد الجانى عنها وهذا بعد تشبيه الملة بالزوجة فى احتياجها الى من يقيم مصالحها ويحفظها ممن يجانيها والفاء فى (فلم تيتم) تفريعية اى اذا كانت الملة محفوظة بخير اب دائما فلم تصر يتيمة فتيتم من يتم ييتم كعلم يعلم يقال يتم الولد اذا مات ابوه وهو صغير قيل اليتم اصل معناه الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل هو فى الآدميين من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الامهات وفى الطيور من جهتهما وقيل انه يقال فى الآدميين لمن فقدت امه والاصح هو الاول (ولم تئم) عطف على لم تيتم وهو ناظر الى قوله وخير بعل من قبيل اللف والنشر المرتب اى اذا كان لها زوج فلم تئم وتئم من آمت المرأة اذا مات زوجها او خلت منه ومنه قوله تعالى ﴿ وانكحوا الايامى منكم ﴾ ﴿ وحاصل معنى البيت ﴾ ملة الاسلام كانت كابن الكرام او كبنت السلاطين العظام محفوظة ومصونة دائما بالاب الذى هو اكرم الانبياء العظام واصحابه الذين هم اشرف الانام وعلماء امته الذين هم ورثته الى يوم القيام وكانت

الاولى وكسر الثانية من ايتمت المرأة اذا صار اولادها ايتاما او بفتح الاولى والثانية من يتم الصبى من باب حفظ اى بقى بلا اب ولم تئم من آمت المرأة بقيت بلا زوج فالمعنى ان ملة الاسلام غدت موصولة الرحم بوجود النبى صلى الله عليه وسلم ومحترمة فى غاية الاحترام وان كانت فى الابتداء مقرونة بنوع من الغربة والكربة واضحة مكفولة بخير آباء وبعول بشرف وجود الرسول وبمساعى من له فى نصرة الرسول مزية القبول فامنت من صغار يلحق الارامل والايتام الى قيام الساعة وساعة القيام صلى الله عليه وعلى اله الكرام

﴿ هم الجبال فسل عنهم مصادمهم * ماذا رأوا منهم في كل مصطدم * وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا * فصول حتف لهم ادهى من الوخم ﴾ هم الجبال حصر ادعائي للمبالغة في المقصود شبههم بها في الحلم والصلابة في الدين والثبات في الحروب والتمكن في مواقعها عنهم اي عن احوالهم واخبارهم المصادمة المقارعة واصطكاك الخيول في الحروب وفي ماذا صنعت وجهان احدهما اي شيء الذي صنعت والاحسن في جوابه الرفع ليطابق السؤال الجواب في الاسمية والثاني بمعنى اي شيء صنعت فيكون مفعولا لصنعت وماذا بمنزلة كلمة واحدة والاحسن في جوابه النصب وهو اما جواب الامر اي يقال لك ماذا رأى او ينهى اليك او يكون بدلا من هم في عنهم او حال اي قائلا ماذا واصطدام الفريقين اصطكاكهما والمصطدم اما مصدر او اسم زمان او مكان والحنين وادي من اودية تهامة في طريق هوازن الى مكة وبدر كان ماء من مياه العرب اربعة

ايام من المدينة الى مكة وهو المعروف في زماننا ببدر حنين واحد جبل باربعة اميال او اقل من المدينة قوله حنينا اي اهل حنين كما في واسئل القرية وكذا الباقي والاولى ان يكون المراد من هذه المواضع انفسها ولا يكون القصد الى حقيقة الامر بالسؤال بل المقصود به بيان التحقق والتقرر بالاشتباه والفصول جمع فصل وهو طائفة من الزمان فصلت وعين مبدؤها ومنتهاها وقد يقال لطائفة من الكلام كذلك الحتف الهلاك وفصول حتف بالنصب اي فصول حتف لهم كما في واختار موسى قومه وبالرفع خبر مبتدأ محذوف اي اوقات حرابه معهم في هذه المواضع فصول حتف واذا اردت من هذه المواضع انفسها فضمير لهم الى اهلها ولهم صفة حتف اي حاصل لهم ويروى بهم اي ملتبس بهم وادهى صفة فصول او حتف وهو اسم تفضيل مبني من الداهية وهي الآفة العظيمة النازلة ودواهي الدهر ما يصيب الناس من عظيم بؤسه وبناء اسم التفضيل من الداهية من قبيل احنك الشاتين على ما ذكره صدر الافاضل ان احنك مشتق من الحنك والمراد اشدهما اكلا وادهى اي اشد داهية وآفة وبلية من الوخم وهو بتحريك الخاء المعجمة مرض يفضي الى الهلاك غالبا وقيل هو الوباء وهو مرض عام يمد ويقصر فجمع الممدود وابية وجمع المقصور اوباؤ وفي البيتين اشارة الى ثلاث غزوات احدها غزوة حنين وهي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة اقام بها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة وكان فتحه اياها في عشر بقين من رمضان سنة ثمان فلما سمعت به هوازن جمعها مالك بن عوف البصري فاجتمعت اليه مع هوازن ثقيف وبنو نضر وخثعم وسعد بن بكر وناس يسير من بني هلال وقصدوا ضرب رسول الله فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه امر الناس بالخروج الى حنين يوم السبت لست

كزوجة لها بعل اشرف البعول وهو النبي الرسول واصحابه وعلماء امته الذين كلهم مرغوب ومقبول حيث كانوا في اقامة امورها ورؤية مصالحها وحفظها من الاغيار من اهل الشرك والكفار فنعم الاباء والازواج الكبار

﴿ هُمُ الجِبالُ فَسَلْ عَنهُمْ مصادِمَهُمْ * ماذا رَأَوْا مِنهُمْ في كُلِّ مُصطَدَمِ ﴾

لما بين بعض اوصاف شجاعته عليه الصلاة والسلام وثمرة جهاده مع ابطاله للكفار شرع في بيان اولئك الابطال ثابتين في المعارك كالجبال وغير فارين من الجدال والقتال فقال (هم الجبال) الخ (هم) مبتدأ راجع الى الابطال السابقة و(الجبال) بالرفع خبر المبتدأ والالف واللام فيه يفيد الحصر لكنه ادعائي والجبال جمع جبل والحمل من قبيل زيد اسد ووجه الشبه التمكن والثبات وعدم الفرار ولو جاءت عساكر الاعداء من الجهات بالشدة والمهابة والمتانة والفاء في (فسل) اما سببية او تفريعية اي ان لم تصدقني فسل وسل امر من سأل يسئل اي فيلزم لك السؤال و(عنهم) ظرف لسل والضمير للكفار ومصادمهم بالنصب مفعول به لسل والضمير للابطال والمصادم بضم الميم مصدر من صادم مصادمة بمعنى التقاء العسكرين للقتال واصطكاك خيولهم وقيل هو بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل الحرب وماذا رأوا بدل من مصادمهم اي

(فسل عنهم) اى شئ رأوا وضمير الجمع فى (رأوا) راجع الى الكفار ومفعول الرؤية محذوف اى رأوه او العامل فى ماذا رأوا المؤخر قدم عليه لاقتضاء الاستفهام الصدارة فى الكلام و (منهم) متعلق برأوا والضمير للابطال المراد بهم الاصحاب و (فى كل مصطدم) متعلق برأوا والمصطدم اسم مكان بمعنى محل الحرب ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان الاصحاب الذين هم الابطال مشبهون بالجبال فان لم تصدقنى فسل عن الكفار مضاربة اولئك الكبار ومقاتلتهم مع اهل النار وسل عنهم ماذا رأوا من اولئك الشجعان فى كل معارك وكتائب وميدان من السيوف والسهام

﴿وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ اُحُداً * فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ اَدْهَى مِنَ الْوَخَمِ﴾

لما ذكر مواضع حروبه عليه السلام فى قوله السابق فى كل مصطدم بالابهام اراد بعض تفصيل من تلك الغزوات وذكر اسماء بعضها للتبرك به فقال (وسل حنينا الخ) الواو عاطفة و (سل) امر كما سبق آنفا و (حنينا) بالنصب مفعول به لسل اى اهل حنين من قبيل (واسئل القرية) وحنين بضم الحاء وفتح النون واد بين مكة والطائف وهو المعروف فى زماننا ببدر حنين وقد وقع فيه محاربة عظيمة بين الفريقين وقصته انه لما فتح رسول الله عليه السلام مكة اقام بها خمس عشرة ليلة فلما سمعت به هوازن

ليال خلون من شوال فخرج فى عشرة آلاف من المسلمين الذين شهدوا فتح مكة ثلاثة آلاف من الطلقاء وانتهى الى حنين مساء ليلة الثلثاء لعشر خلون من شوال وقد بعث مالك بن عوف عيونا فلما رجعوا الى مالك تعرف اوصافهم فقال ما شانكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق والله ما تماسكنا ان اصابنا ما نرى وان اطعتنا رجعت بقومك قال اف لكم بل انتم اجبن اهل العسكر وقال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة وذلك قوله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ثم ساروا ولا يعلمون خبر القوم فى عماية الصبح قال جابر بن عبد الله وكان القوم قد كمنوا فى شعاب الوادى وتهيأوا واعدوا فوالله ما رأينا الا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد فانهزم الناس راجعين وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا لا يلوى احدهم على احد وبقى رسول الله صلى الله عليه وحده وثابت فى مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته البيضاء وابو بكر وعمر وعلى وابو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب واخوه زمعة والفضل بن العباس واسامة بن زيد واخوه ايمن بن عبيد الخزرجى ثم طفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار ويقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب * والعباس اخذ بلجام بغلته يكفه ثم قال يا رب ائتنى بما وعدتنى وقال للعباس وكان صيتا اصح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فجاء الناس كانهم عنق فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا عصابة من الانصار فقال امعكم غيركم قالوا لا يا نبى الله لو عمدت الى برك الغماد من ذى يمن لكنا معك ثم انزل الله تعالى نصرة وهزم عدوهم ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول ابلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به وقال انهزموا ورب الكعبة شاهت الوجوه فمرت كانها غمامة فدخلت فى اعينهم كلهم وانهزموا فركض رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفهم والثانية غزوة بدر الكبرى وهى كانت فى السنة الثانية من الهجرة والذى هاج هذا الحرب هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بان ابا سفيان قد اقبل من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها اموال كثيرة لهم وفيها ثلاثون راكبا من قريش ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش وفيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله تعالى يفتحها لكم فانتدب الناس وخف وثقل بعضهم بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان ابو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الاخبار ويسأل من يلقى نحو فاعل العير حتى اصاب خبرا من بعض الركبان ان محمدا عليه الصلاة والسلام قد استنفر اصحابه لك ولغيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو

الغفاري فبعث الى مكة ليستنفر قريشا الى اموالهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لها في اصحاب فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة فلما بلغ بالابطح جعل يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وشق قميصه وجدع بعيره ويقول يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة اموالكم مع ابي سفيان قد عرض بها محمد مع اصحابه الغوث الغوث فتجهز الناس سراعا فكانوا بين رجلين اما خارجا واما باعثا مكانه رجلا واوعبت قريش ولم يتخلف من اشرافهم احد الا ابالهب بن عبد المطلب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وقال سهيل بن عمرو فقال من اراد ظهرا فهذا ظهر ومن اراد قوة فهذه قوة وكذلك فعل زمعة بن الاسود وعتبة وشيبة اخراجا دورعا لهما ثم خرجوا وهم الف وثلاثمائة رجل وفي قصة ماجرى عليهم في الطريق طول واما رسول الله صلى الله عليه وسلم خلون من شهر رمضان على ناقته الغضباء لابسا سلاحه وخرج معه من المهاجرين احد وثمانون رجلا كلهم قرشي اوخليف اومولى لهم والباقي من الانصار جملتهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا وجعل على الميمنة ابابكر وعلى الميسرة عمر وعلى المقدمة اباعبيدة بن الجراح وعلى الساقة قنس بن صعصعة الانصاري وعلى ميمنة القلب زبير بن العوام وعلى ميسرة القلب المقداد بن عمرو ودفع راية المهاجرين وهي العقاب الى علي رضي الله عنه وعن سائر الصحابة اجمعين ودفع اللواء الى مصعب بن عمير وجعل لواء الانصار مع سعد بن عبادة ورايتهم مع حباب بن المنذر فنزل صلى الله عليه وسلم بمن معه بالبقيع وهو بيوت السقيا وقدم عديا وبسيسا عينين باتيانه بخبر ابي سفيان وغيره ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيوت السقيا ولهم سبعون بعيرا فقط وكانوا يعاقبون الابل الاثنان والثلاثة والاربعة فلما نزل عدي وبسيس ببدر اناخا الى تل قريب من الماء ثم اخذا شنالهما يستقيان وعلى الماء مجدي بن عمرو وهو كان بريداً لابي سفيان فسمعا جاريتين من جواري جهيمة يلازم احدهما الاخرى بدرهم لها عليها وهي تقول ويحك دعيني فانما يأتي العير غدا او بعد غد فاعمل لهم ثم اقضيك حقك فقال مجدي بن عمرو صدقت خلى سبيلها فلما سمعا بذلك انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه الخبر واقبل ابوسفيان بعدهما حتى ورد الماء فقال المجدي ابن عمرو هل احسست احدا قال رأيت راكبين اناخا الى هذا التل واستقيا ثم انصرفا فاتى ابوسفيان مناختهما ففت ابعار راحلتيهما فاذا فيها النوى فقال هذه والله اعلاف يثرب وهذه عيون محمد واصحابه ماارى القوم الا قريبا فصرف وجه عيره الى غير سبيله ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بوادي رقار اتاه الخبر بمسير قيس فاخبرهم واستشار الناس فقام ابوبكر فقال واحسن ثم قام عمر فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لامر الله

جمعها اميرهم مالك بن عوف البصري اجتمع عليه هوازن وثقيف وبنو النضر وسعد بن ابي بكر وغيرهم وقصدوا حرب رسول الله عليه السلام فلما سمع به رسول الله عليه السلام امر الناس بالخروج الى حنين يوم السبت لست ليال خلت من شوال فخرج عشرة آلاف من المسلمين الذين شهدوا فتح مكة وثلاثة آلاف من غيرهم فنظر رجل من المسلمين الى عسكر الاسلام فقال اعجابا من كثرتهم لن نغلب اليوم من القلة فسائت تلك المقالة رسول الله عليه السلام وذلك قوله تعالى (ويوم حنين اذا اعجبتكم كثرتكم) ثم ساروا ولايعلمون كون العدو مخبوأ عنهم وكان الاعداء قد كمنوا في شعاب ظلمة الوادي فحملوا على المسلمين بلا اخبار فوقع ماوقع لكون عسكر الاسلام مغرورين بالكثرة ونسيان القول ان الله هو الناصر فتفرق المسلمون وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته البيضاء وابوبكر وعمر وعلي وخمسة من سائر الصحابة ثم طفق رسول الله عليه السلام يركض بغلته نحو الكفار ويقول (انا النبي لاكذب * انا ابن عبد المطلب) ثم قال (يارب آتني ماوعدتني من النصرة) وقال للعباس (ادع الناس بالنداء) وكان العباس بليغ الصوت فنادى الانصار وغيرهم فاجتمعوا والتقى الفريقان فانزل الله النصرة ونزلت الملائكة

فنحن معك والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيهم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون بل نقول انا معك مقاتلون والذى بعثك بالحق لو سرت بها الى برك الغماد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلى البحر الغماد لسرنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قام سعد بن عبادة فقال يارسول الله لو امرتنا ان نخوض البحر لخضنا قيل لما استنطق رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار قام سعد بن معاذ فقال انا اجيب عن الانصار كأنك يارسول الله تريدنا قال اجل اياكم اريد قال انك عسى ان تكون خرجت لامر اوحى اليك فانا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به حق واعطيناك موثقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يا نبى الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك مابقى منا رجل فصل من شئت واقطع من شئت وخذ من اموالنا ماشئت مااخذت من اموالنا احب الينا مما تركته لعل الله تعالى يريك منا حين نلقى

عدونا بعض ماتقر به عينك فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام اسود فاخذوه فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن ابى سفيان واصحابه فيقول مالى علم بابى سفيان ولكن هذا ابو جهل وعتبه وشيبه وامية بن خلف فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده على الارض ويقول هذا مصرع فلان وفلان وعن عمر رضى الله عنه انه قال فوالذى بعثه بالحق ما اخطأوا تلك الخطوط والحدود وجعلوا يتصرعون عليها وكان ابليس قد يرى لقريش فى صورة سراقة بن خشم وكان من اشراف بنى كنانة فلما التقت الفئتان وهو قوله تعالى فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه رأى ابليس جبرائيل عليه السلام ينزل ومعه الملائكة فرجع القهقرى كراهة ان يأتيه جبرائيل فيعرفه الناس فلن يطيعوه وقال الحارث بن هشام اخو ابى جهل ياسراقة تدعنا وتذهب فقال دعنى فانى ارى مالا ترى ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اصطف الفريقان واثنى على الله وحث اصحابه على القتال ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى الصفوف فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه واقبل المشركون واستقبلوا الشمس فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعدوة الشامية ونزل قريش بالعدوة اليمانية وعدونا الوادى جانباه ثم حمى وطيس الحرب وطلب المشركون الاكفاء وبرز منهم عتبة وشيبة ووليد بن عتبة فكر عليهم حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث فجاءهم نصر الله فقتلوا هؤلاء المشركين ثم نظر معاذ بن عمرو الجموح فرأى اباجهل قد اصدق به بنوا مخزوم فما فارق منه حتى قطع رجله رجله فطرحت من الساق ثم قتله عبدالله بن مسعود وقتل اكثر صناديد المشركين ولما

عليهم فنظر رسول الله الى الكفار فاخذ كفا من تراب فرماهم به وقال (انهزموا ورب الكعبة شاهت الوجوه) فمر التراب كأنه غمامة فدخل فى اعينهم كلهم فانهزموا (وسل بدر) كرر العامل للوزن و(بدر) اسم موضع بين مكة والمدينة وقد وقع فيه محاربة فاعز الله الاسلام واهله مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو فبيض الله وجه النبى واصحابه واخزى الشيطان واحزابه قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر الآية) وقد كانت هذه الغزوة اعظم غزوات الاسلام وكان خروجهم فى رمضان وجملة عسكر الاسلام ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا وكان المشركون قريبا من الالف فكان فى تلك البقعة قتال عظيم فانزل الله سكينته على رسوله وايده بجنود الملائكة فقتل من المشركين فى ذلك اليوم سبعون واسر منهم سبعون وقتل فيها اكثر صناديد قريش فى ذلك اليوم وقد وقع فى هذه الغزوة عجائب ومعجزات لاتحمل هذا المقام ذكرها ولولا الاجمال فى الكلام (وسل احدا) عطف على القريب او البعيد و(احد) بضمتين موضع بقرب المدينة وهو محل المحاربة * وقصته انه لما اصابت قريشا يوم بدر بليات وقتل صناديدهم اجتمعوا لحرب رسول الله واطاعهم قبائل كثيرة وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل وارسلوا اليه عليه السلام اخبار مجيئهم وكان يوم الجمعة

التقى الفريقان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش قاعدا يدعو وكان ابو بكر قاعد عن يمينه ليس معه غيره فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه نعسا ثم ضرب بيمينه على فخذ ابى بكر وقال ابشر ابا بكر هذا جبرائيل معتم بعمامة آخذ بعنان فرسه يقودها اتانا نصر الله وعونه وقال له جبرائيل خذ قبضة من حصباء الوادى فناوله كفا من حصى عليه تراب فرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الادخل عينيه وفيه ومنخريه شئ منها ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم والملائكة يمدونهم فيأسرونهم فكانت الرمية سبب هزيمة القوم واكتناف الملائكة سبب قتلهم وقد من الله تعالى بانزال تلك الآيات وقال وماانزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير وعجائب هذه الغزوة لاتحصى وغرائبها لاتستقصى فلنقتصر على هذا والثالثة غزوة احد قالوا كان سببها ان قريشا لما اصيبت يوم بدر ورجع من بقى منهم الى مكة ووافوا اباسفيان وقد وقف العير بدار الندوة فمشى اليه اكابر قريش مثل صفوان بن امية وعبد الله بن ربيعة وعكرمة بن ابى جهل وابى بن خلف وامثالهم فى رجال ممن اصيب آباؤهم وابناؤهم ببدر فكلموا اباسفيان ومن كانت له فى تلك العير تجارة من قريش فقالوا يامعشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على ضربه لعلنا ان ندرك ثأرنا بما اصاب منا ففعلوا واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعها واطاعها من قبائل كنانة واهل تهامة وخرجوا مسرعين التماس الحطفة لئلا يغزوا وخرج ابوسفيان وهو قائد الناس بهند بنت عتبة بن ربيعة وخرج صفوان بامرأته ﴿١٩٩﴾ برزة بنت مسعود الثقفى وجماعة قريش مع نسائهم يطول تعدادهن ومعهن الدفوف يحترزن الرجال ويذكرون قتلى قومهم وعبأ ابوسفيان الخيل فجعل خالد بن الوليد على الميمنة وعلى الميسرة صفوان بن امية وعلى الرماة عمرو بن العاصى بين يدى ابى سفيان فى القلب وعلى الساقة ابى بن خلف وسار طلحة بين يديه باللواء فتفكروا بذى طوى وكتب العباس بذلك كتابا وبعث به مع رجل من بنى غفار وشرط عليه ان يسير ثلثا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره خبر قريش ومسيرهم وانهم ثلاثة آلاف رجل وممن تابعهم ومأتا فرس وفيهم سبعمائة ذراع وثلاثة آلاف بعير فقدم الغفارى المدينة والنبى صلى الله عليه وسلم بقباء فدفع اليه الكتاب فقرأه عليه ابى بن كعب ودخل عليه السلام منزلة سعد بن الربيع واخبره بكتاب العباس فقال سعد والله انى لارجو ان يكون فى ذلك خير ثم فشا الخبر بمسير قريش والقريش نزلوا الجحفة ثم عشر من خروجهم يوم الخميس بخمس عشرة خلون من شوال السنة الثالثة من الهجرة وبعث عليه السلام انيسا ومونسا ابنى فضالة يوم الخميس يمر فان له الخبر فرجعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبراه ومضوا حتى نزلوا فى ذروع بنى حارثة وبنى سلمة وبنى عبد الاشهل فسرحوا احيلهم وابلهم فى ذروعهم وهم كانوا تركوا اوطانهم ومضوا الى المدينة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحباب بن المنذر يحرض لهم القوم سرا وقال لاتجهر بشئ بين يدى احد فرجع واخبره الخبر فواطأ ذلك خبر العباس فقال رسول الله حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك اصول وبك احول وبات وجوه الانصار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة واسيد بن حضر فى عدد منهم وعليهم السلاح ليلة الجمعة بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرست المدينة تلك الليلة وصلى عليه الصلاة والسلام صلاة الجمعة وخطب الناس فحمد واثنى عليه وامرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم ان لهم النصر ماصبروا وامرهم بالثبات والتهئ وقال ايها الناس انى رأيت فى منامى بقرا تنحر ورأيت كأنى فى درع حصينة ورأيت كان سيفى ذو الفقار انفصم ورأيت كأنى مردف كبشا فاولت البقر نفرا من اصحابى يقتلون واما الدرع الحصينة فالمدينة

فخرج رسول الله الى الخطبة فامر الناس بالتهئ وقال (ايها الناس انى رأيت فى منامى بقرا تنحر ورأيت كأنى فى درع حصينة ورأيت كأن سيفى انفصم ورأيت كأنى مردف كبشا فاولت البقر بنفر من اصحابى يقتلون واما الدرع الحصينة فالمدينة واولت انفصام سيفى بشئ يصيبنى فى نفسى واما الكبش فكبش كتيبة القوم اقتله ان شاء الله تعالى) فشاور رسول الله مع اصحابه فرأى رسول الله الاقامة فى المدينة وقال رجال من المسلمين اخرج بنا يارسول الله الى اعدائنا فخرج رسول الله يوم الجمعة فلما التقى الجمعان انهزم المشركون فالتفت الناس الى الغنائم فاجتمع الكفار فحملوا على المسلمين فوقع حينئذ

واولت انفصام سيفي شيئا يصيبني في نفسي واما الكبش فكبش كتيبة القوم اقتله ان شاء الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا على وكان رأيه ان لا يخرج من المدينة بهذه الرؤيا ووافق رأى عبدالله بن ابى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاقامة بالمدينة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم حضور بدر اخرج بنا يارسول الله الى اعدائنا لا يرون انا جبنا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبس لامته ثم خرج فندم الناس فقالوا يارسول الله اكرهناك ولم يكن لنا ذلك اقعد فى المدينة كما هو رأيك فقال لا ينبغى بنبى اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة فى الف من اصحابه حتى اذا كان بين المدينة واحد بحيث يراه المشركون انخزل عنه عبدالله بن ابى بثلث الناس فقال اطاعهم وعصانى فاتبعهم عبدالله بن عمرو بن حزام يقول ياقوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر عدوكم فلما ابوا الا الانصراف قال ابعدكم الله اعداء فسيغنى الله عنكم قال اصحاب التواريخ غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة وهو قوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فمشى الى احد يوم السبت لنصف خلون من شوال سنة ثلاث من الهجرة وهمت بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس بالانصراف مع ابن ابى فعصمهم الله فلم ينصرفوا وذلك قوله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن جبير على الرمات وهم خمسون رجلا وقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا ترجعوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم واوطأناهم فلا ترجعوا حتى ارسل اليكم فهزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البراء بن عازب فانا رأيت النساء يستندن اى يصعدن الجبال قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبدالله بن جبير الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنظرون فقال عبدالله بن جبير انسيتم ماقال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اغتنم الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين ومابقى فى المركز الا عبدالله بن جبير وحيدا فقاتل حتى قتل رضى الله عنه ونظر خالد بن وليد الى تلك العورة فافترصها ودخل منها على المسلمين فى مائة فارس وتبعه عكرمة بن ابى جهل والمسلمون مشغولون بجمع الغنائم فاتاهم الخيل من ورائهم فانكشف المسلمون واصاب منهم العدو فكان يوم بلاء اكرم الله فيه من اكرم بالشهادة من المسلمين وكانوا اثلاثا فثلث قتيل وثلث جريح وثلث منهزم حتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذف بالحجارة حتى اصيبت رباعيته وشج وجهه وكلمت شفتاه والرامى عبدالله بن قمئة الحارثى قرب منه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا فى الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين وما كان ذلك الا لمخالفتهم امر النبى صلى الله عليه وسلم وعدم ثباتهم على محافظة المركز وفيه اظهار لكمال استغنائه تعالى عن العالمين واختبار بشدائد المحن للمحبين حتى يتبين الراضى بقضائه والصابر على بلائه والشاكر على نعمائه من يحبه على السعة والراحة ويعرض عنه عند الالم والجراحة

للمسلمين ماوقع من الشهادة واصابة المحن لرسول الله عليه السلام وفيه حكم ومصالح له تعالى كاظهار كمال استغنائه تعالى عن العالمين واختبار المحبين حتى يتبين الراضى بقضائه والصابر على بلائه والشاكر على نعمائه وقوله (فصول حتف) بالنصب مفعول لسل اى عن فصول والفصول جمع فصل وهو طائفة من الزمان والحتف الهلاك اى ازمنة الهلاك و(لهم) ظرف مستقر صفة حتف اى حاصل لهم و(ادهى) صفة فصول اوحتف اوحال وهو اسم تفضيل من الداهة بمعنى الآفة العظيمة والبلية النازلة الجسيمة (من الوخم) متعلق بادهى والوخم بفتحتين وبالخاء المعجمة مرض يقال له الوباء

وهو مرض عام لايسلم من ابتلى به غالبا من الموت * ومعنى البيت معلوم

﴿ اَلْمُصْدِرِى الْبِيضِ حُمْراً بَعْدَمَا وَرَدَتْ * مِنَ الْعِدَى كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ ﴾

ثم شرع في بيان كمال مهارتهم في استعمال السلاح وغاية حذاقتهم في تقليب الرماح فقال (المصدرى) الخ (المصدرى) امامنصوب على المدح اى امدح المصدرى اومجرور على انه بدل من الضمير في منهم في البيت السابق والمصدرى جمع مصدر اسم فاعل من اصدره بمعنى جعله صادرا فاصله مصدرين سقط نونه بالاضافة والاضافة فيه كاضافة الضارب الرجل و(البيض) جمع ابيض والمراد به السيوف المصقولة كما في قوله

وقد كانت البيض القواضب في الوغى * بواتر فهى الآن من بعدها بتر

و(حمرا) بالنصب على انه حال من البيض اى متلطخة تلك السيوف المصقولة بالدماء (الحمر) بضم الحاء وسكون الميم جمع احمر و(بعد) ظرف للاصدار وما مصدرية (وردت) بمعنى دخلت واتصلت والضمير للسيوف و(من العدى) ظرف مستقر حال من كل مسود المؤخر و(كل مسود) بالنصب مفعول به لوردت و(من اللمم) بيان للمسود واللمم بكسر اللام جمع لمة وهى الشعر المسترسل الى المنكب والمراد منبتها وهو الرأس والتعبير بالمسود اشارة الى ان الكفار المقتولين بانهم اولو قوة ﴿ وحاصل معنى البيت ﴾ امدح الاصحاب الكرام والابطال العظام بانهم المصدرون السيوف المصقولة متلطخة بدماء الكفار بعدما اتصلت تلك السيوف ووصلت الى رؤسهم وبعدما قطعتهم بابدانهم وافراسهم فنعم السيوف سيوفهم ونعم النفوس نفوسهم

﴿ وَالْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ * أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ ﴾

لما بين كون الاصحاب ماهرين في استعمال السيوف اراد ان يبين كونهم حاذقين في استعمال السهام والسيوف فقال (والكاتبين بسمر الخط الخ) الواو عاطفة (والكاتبين) عطف على مصدرى والكاتب بمعنى الساطر والناقش على شئ والباء في (بسمر الخط) متعلق بالكاتبين والسمر كالحمر جمع اسمر والمراد به نصال الرماح والخط اسم بلدة في البحرين نصب اليها الرماح اعنى خشبها يقال رماح خطية اى رماح حسنة ذات قيمة غالية فاضافة السحر الى الخط لادنى ملابسة و(ما) نافية وجملة تركت حال من الكاتبين و(اقلامهم) بالرفع فاعل تركت اى غير تاركة اقلامهم والجملة استينافية واقلام جمع قلم والمراد بها السهام والرماح مجازا واستعارة بالكناية كما لايخفى تعبيرها و(حرف جسم) منصوب مفعول تركت والحرف بمعنى الطرف او بمعنى الناقة المهزولة كما في قوله

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط

بل فيه سعة الرحمة في صورة نقمة لاوليائه كما في الظفر شدة النقمة في صورة سعة الرحمة لاعدائه ومع هذه الهزيمة هزم الله المشركين يوم الاحد حتى كسفوهم عن عسكرهم وانالنحسهم قتلا ولهذا قال ابن العباس مانصر نبى الله في موطن كما نصر باحد فانكر واعليه فقال بيني وبين من انكر كتاب الله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه والحس القتل الشديد اما قصة قتل سيد الشهداء حمزة فيه واقبال اخته صفية اليه وبكاؤها عليه وموافقة النبى صلى الله عليه وسلم اياها في البكاء واخبار جبرائيل اياه عليهما الصلاة والسلام ان حمزة مكتوب في السماوات السبع بانه اسد الله واسد رسوله مسطورة في الكتب بتفاصيلها اوارادة جميع ذلك بعيد عما نحن بصدده من شرح الابيات

﴿ المصدرى البيض حمرا بعدما وردت من العدى كل مسود من اللمم والكاتبين بسمر الخط ما تركت اقلامهم حرف جسم غير منعجم ﴾ ورد المنهل دخل فيه وصدر عنه خرج عنه اورده جعله واردا واصدره جعله صادرا والمراد بالبيض السيوف المصقولة كما يقال للرماح سمر والمصدرى اما منصوب على المدح اومجرور بدل من هم في منهم والنون سقط بالاضافة حمرا حال اى ملطخة بالدماء وبعد ظرف للاصدار من العدى حال من كل مسود قدمت عليه ومن اللمم بيان مسود واللمة الشعر المسترسل الى المنكب اى بعدما دخلت السيوف كل منبت لمة سوداء من رؤس الكفرة

واضافة الحرف الى الجسم بمعنى اللام على الاول وللبيان اومن قبيل اضافه المشبه به الى المشبه اى جسم كحرف على الثانى والمراد من الجسم جسم من قابلهم من العدى و(غير منعجم) بالنصب حال من حرف جسم ومن جعله صفة له فقد بعد عن المعنى كمالايخفى ومنعجم على صيغة اسم الفاعل من انعجم بمعنى قبل النقطة ومعنى غير منعجم غير منقوط وهو بمعنى مطعون مجازا اواستعارة تبعية كمالايخفى تدبر * ولايخفى مافى هذا البيت من ايهام التناسب من ذكر الكتابة والخط والقلم والحرف ومنعجم ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان الاصحاب كانوا يكتبون وينقشون على صفحات اجسام العدو المرذولة التى هى كالحرف المهزول بالرماح الخطية المأمونة من الانكسار وماتركت اقلامهم التى هى كالرماح طرف جسم من الكفار الا بعد جعله منقوطا ومطعونا ومنقوشا بالآثار

﴿ شَاكِي السِّلاحِ لَهُمْ سِيما تُمَيِّزُهُمْ * وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا مِنَ السَّلَمِ ﴾

لمابين الاوصاف اللطيفة للاصحاب التى هم بها يمتازون عن المشركين واهل الكتاب اراد ان يبين ايضا كونهم ممتازين بذواتهم وسيماهم ماعدا الثياب فقال (شاكى السلاح) الخ (شاكى السلاح) اماصفة للمصدرى اوبدل اوحال منه وشاكى مقلوب شائك اى تام السلاح كما فى قوله

لدى اسد شاكى السلاح مقذف * له لبد اظفاره لم تقلم

وهو جمع شاكى اصله شاكين حذف نونه بالاضافة وتوهم احتمال كونه مفردا لا يصدر عن عاقل فضلا عن فاضل كمالايخفى ثم ان قوله شاكى السلاح اجمال بعد تفصيل و(لهم) ظرف مستقر خبر مقدم و(سيما) مبتدأ والجملة صفة بعد صفة للمصدرى اوحال منه وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والسيما بمعنى العلامة التى تكون فى وجه الانسان يستدل بها على بعض احواله وجملة (تميزهم) صفة لسيما وتميز بمعنى تفرق وضميره المستتر راجع الى السيما والسيما مؤنث بالالف المقصورة وضمير المفعول راجع الى الاصحاب اى للاصحاب سيما تفرقهم عن الكفار وقوله (والورد) جواب سؤال مقدر كأنه قيل يمتاز بالسيما شيآن كانا من جنس واحد لان الاصحاب والعدى كلهم من بنى آدم فاجاب عنه مع تشبيه لطيف بهذا المقال والورد بفتح الواو زهر شجر معلوم يقال له بالعربى ايضا حوجم و(السلم) بفتحتين شجرة يشبه شجرة الورد وشجر الورد يمتاز عنه بحسن الخلقة وبهاء المنظر فالورد مجاز بمعنى الشجر والورد على حقيقته والسلم مجاز بمعنى زهر السلم تدبر ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان اصحاب رسول الله كانوا تامى الاسلحة ممتازين من الكفار واهل الشقاء بالاوصاف اللطيفة وحسن السيما لانهم اشداء على الكفار رحماء بينهم بالتواضع والانكسار كما انه يمتاز شجر الورد من شجر السلم وزهر الورد من نورة السلم وقد ورد فى القرآن فى حق الاصحاب (سيماهم فى وجوههم من اثر السجود) فهم

والكاتبين عطف على المصدرين كتبه سطره وحرزه وجمعه الخط شجر يؤخذ منه خشب الرماح فان المراد من السمر نصال الرماح فيكون الاضافة بمعنى اللام ويجوز ان يكون للملابسة فالمعنى بالرماح السمر الخطية وحرف الشئ طرفه ويقال للناقة المهزولة حرف فالاضافة على الاول بمعنى اللام وعلى الثانى للبيان والمراد من الجسم جسم من قاتلهم من العدى واعجام الحروف نقطها وانعجم مطاوعه فالمعنى ماتركت اقلامهم التى هى الرماح حرف كل جسم قابلهم من العدى الا معجما بآثار الرماح منقوطة اى مطعونة وبه آثارها وفى البيت الاول صنعة التجانس والتقابل بذكر الاصدار والورود والبياض والسواد والحمرة وفى الثانى الاستعارة بالكناية مع التخييلية والاستعارة الترشيحية وصنعة الايهام كما لايخفى على ارباب علم البيان وهذان البيتان مما يشتهى الانفس ويقلق الاسماع ويهز الرائع ويبسط الاذهان ﴿شاكى السلاح لهم سيما تميزهم والورد يمتاز بالسيما من السلم تهدى اليك رياح النصر نشرهم فتحسب الزهر فى الاكمام كل كمى﴾ قال الاخفش شاكى السلاح مقلوب شائك اى تام السلاح ويحتمل ان يكون هنا مفردا فاللام فى السلاح بدل عن المضاف اليه اى تام سلاحهم وان يكون جمعا اى تامين فى سلاحهم فهو صفة للمصدرى البيض او حال بارادة الثبوت والمضى فى الاضافة ولهم سيما تميزهم اما استئناف او حال كخرجت مع البازى على سواد وتميزهم صفة سيما وهي العلامة التى فى وجه

ثمار اشجار حدائق الوجود وازاهير رياض عسكر الاسـلام والجنود

﴿ تُهدى اليك رياح النصر نشرهم * فتحسب الزهر فى الاكمام كل كمى ﴾

ثم شرع فى بيان كونهم منصورين فى جميع الجهـاد وان لم يكن كذلك فى بعضه فى عيون العباد فقال (تهدى اليك) الخ (تهدى) من اهدى يهدى بمعنى توصل او بمعنى ارسال الهدية و(اليك) متعلق بتهدى والخطاب لكل احد وجملة تهدى حال و(رياح) بالرفع فاعل تهدى وهى جمع ريح والمراد من رياح النصر التأييدات بالنصرة كما فى قوله عليه الصلاة والسـلام (نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور) والمراد من الرياح الدولات كما فى قوله

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فعقبى كل عاصفة سكون

واضافته الى النصر بمعنى النصرة مجاز اذ ورد ﴿وما النصر الا من عند الله﴾ و(نشرهم) بالنصب مفعول تهدى والضمير راجع الى الصحابة و(النشر) فى الحقيقة بمعنى الرائحة الطيبة والمراد به هنا اخبارهم الطيبة وانباؤهم العجيبة ففيه استعارة ومجاز كما لا يخفى والفاء فى (فتحسب) للتفريع وتحسب بصيغة الخطاب بمعنى تظن و(الزهر) بالنصب مفعول تحسب والالف واللام فيه للاستغراق بمعنى كل زهر والزهر نورة النبات و(فى الاكمام) ظرف مستقر حال من الزهر اوصفة له والاكمام جمع ايضا فيقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد اى كل واحد من الازهار فى كل واحد من الاكمام ومن جعل الاكمام جمع كم بضم الكاف وجعل اللام فيه عوضا عن المضاف اليه اعنى رسول الله واعتبر القلب فى البيت وقع فى التكلف (كل كمى) بالنصب مفعول ثان لتحسب والكمى بمعنى الشجاع وهو بتشديد الياء فعيل خفف للضرورة * قال اكثر الشراح فى البيت قلب اعنى ان المفعول الثانى لتحسب وهو قوله كل كمى مقدم على المفعول الاول اعنى قوله الزهر فى المعنى فحينئذ يكون المعنى فتحسب كل شجاع فى درعه زهرا فى اكمامه

﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان الاصحاب الكرام كانوا منتصرين فى جميع الجهاد وغالبين على الكفار حتى تهدى وتوصل اليك هدية كلما هبت رياح النصرة وتحركت اخبار تأييداتهم بالبركة والدولة اخبارهم واذا كان كذلك فتحسب كلما رأيت الازهار فى اكمامها كأنها اولئك الاصحاب الشجعان فى الدروع لان الازهار كما كانت ذات رائحة طيبة فكذلك اولئك الاصحاب اولو نشر وفوحة عجيبة

﴿ كأنهم فى ظهور الخيل نبت ربى * من شدة الحزم لا من شدة الحزم ﴾

لما بين كونهم ماهرين فى استعمال السيوف والنصال اراد ان يبين كونهم حاذقين فى استعمال الخيول فى مضمار القتال فقال (كانهم) الخ كأن للتشبيه والضمير للاصحاب و(فى ظهور) ظرف مستقر حال من الضمير والظهور جمع

الانسان بها يستدل على بعض احواله والمراد من الورد اما شجرة لوقوعه فى مقابلة السلم وهو شجر له شوك والمراد من السلم الشوك لوقوعه فى مقابلة الورد او يكون كل على حقيقته وتهدى استيناف او حال والخطاب فى اليك لكل احد ورياح النصرة اما من قوله نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والمراد التأييد وافاضة النصر وما النصر الا من عند الله والمراد من النشر اخبارهم الطيبة وانباؤهم المعجبة الزهر من نبت وشجرة نوره ووردة والكم الورد والكمى الشجاع واللام فى الزهر للاستغراق وكل كمى عام ومقابلة الجمع بالجمع تقتضى الانقسام الآحاد بالآحاد والظاهر ان قوله فتحسب الزهر الى آخره من قبيل القلب كما فى قوله كأن لون ارضه سماؤه والاعتبار اللطيف هو تأكيد التشابه

﴿كأنهم فى ظهور الخيـل نبت ربى من شـدة الحزم لا من شـدة الحزم طارت قلوب العدى من بأسهم فرقا فـما تفرق بـين البهم والبهم﴾ الربى جمع ربوة وفيه ثلاث لغات ضم الراء وفتحه وكسره وهى المرتفع من الارض شبههم بنبت الربى وخيولهم بالربى ولهم عليها سيرة النبات فى الحرب وذلك لان النبت اذا كان على الربوة فاهدابه واعراقه تطول حتى تصل الى الماء فيكون له من الثبوت والرسوخ اكثر مما ليس كذلك من شدة للنسبة السابقة التشبيهية والحزم ضبط الرجل امره واخذه بالثقة والفعل منه حزم بالضمة والحزم بضمتين جمع حزام وهو معروف وقوله لا من شدة الحزم اى فقط والافشد الحزم هو من الحزم

ظهر بمعنى المتن و(الخيل) اسم جنس يقع على الذكور والاناث واضافة النبت الى الربى من قبيل شجر الاراك و(الربى) بالقصر جمع ربوة بالحركات الثلاث فى الراء وتشبيه الاصحاب بنبت الربى وخيولهم بالربى انما هو فى الثبات والتقرر فى مدة كثيرة اذ نبت الربى اثبت على الارض من سائر النباتات لطول عروقه ووصوله الى الماء و(من شدة) متعلق بكاف التشبيه والشدة بكسر الشين و(الحزم) بفتح الحاء وسكون الزاى بمعنى قوة الثبات ومراعاة الاستعمال وقوله (لا من شدة) دفع توهم نشأ مما قبله من ان ثباتهم على الخيول يجوز ان يكون لشدة سروجها وقوة ربطها لا من ذواتهم فدفع بقوله (من شدة الحزم لا من شدة الحزم) والشدة الثانية بفتح الشين كان الحزم الثانى بضم الحاء والزاى جمع حزام وهو ما يشد به سرج الفرس على ظهره بالربط التام والاستحكام التام ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان الاصحاب كانوا ماهرين فى استعمال الخيول وكانوا ثابتين عليها بلا تحرك كأنهم عليها نبت ربى فى الثبات والتقرر وشدة الرسوخ وقوة المتانة لا بما يشد به سرجها ولا بما يستحكم به جلها

﴿ طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَى مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً * فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبُهْمِ وَالْبُهَمِ ﴾

لما بين كون الاصحاب فى غاية الشجاعة ونهاية المتانة ومهارتهم فى استعمال آلات الحروب اراد بيان ما يتفرع عليه من الخوف الحاصل منهم فى عقول العدى وقلوبهم فقال (طارت الخ) فجملة (طارت) ابتدائية وهى من الطيران بمعنى التحرك من مكانها و(قلوب العدى) بالرفع فاعل طارت وفيه مجاز واستعارة فاما فى طارت استعارة تبعية وفى القلوب استعارة مكنية كما لا يخفى وبالجملة المراد من طيران القلب اضطرابه وانزعاجه و(من بأسهم) متعلق بطارت ومن منشئية والبأس بمعنى الشدة كما فى قوله تعالى ﴿ واطعموا البائس الفقير ﴾ وضمير الجمع راجع الى الاصحاب و(فرقا) بالنصب مفعول له حصولى لطارت كما فى قعدت عن الحرب جبنا او مفعول مطلق له او تمييز من نسبته او حال من فاعله تدبر والفاء فى (فما) تفريعية او سببية وما نافية و(تفرق) من التفريق وضميره المستتر راجع الى القلوب و(البهم) الاول بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهمة وهى السخلة ولد الغنم و(البهم) الثانى بضم ففتح جمع بهمة بضم فسكون بمعنى الشجاع ولا يخفى ما فى هذا البيت من الجناس المحرف فى قوله بهم وبهم والجناس الشبيه بالمشتق فى قوله فرقا وتفرق ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان قلوب الاعداء اضطربت من اجل شدة اولئك الاصحاب فى الحرب وفزعت وزالت عقولهم الى ان صارت لا تميز بين الشجاع والسخلة

﴿ وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ * اِنْ تَلْقَهُ الْاُسْدُ فِى آجَامِهَا تَجِمِ ﴾

قوله طارت استيناف وطيران القلب عبارة عن انزعاجه واضطرابه وعدم استقرار ومن بأسهم اى من شدتهم فى الحرب وقوتهم وفى بعض النسخ من خوفهم اى من الخوف منهم الفرق الخوف مع التفرقة مفعول مطلق او حال اى فرقين فبينهما عموم وخصوص مطلق البهمة بالفتح السخلة وبالضم الشجاع وهو المرشد

﴿ ومن تكن برسول الله نصرته
ان تلقه الاسد فى آجامها تجم
ولن ترى من ولى غير منتصر
به ولا من عدو غير منقصم ﴾

اضافة النصرة اما الى الفاعل او الى المفعول ان جعلته مصدرا لمعلوم اى نصرة الدين او نصرة الله تعالى اياه فباء برسول الله على الاول للاستعانة وعلى الثانى للسببية وان جعلته مصدرا لمجهول فالاضافة الى المفعول الغير المسمى فاعله اى منصوبة فالباء تصلح لكلا المذكورين وكان تامة وناقصة وبرسول الله خبره والاجمة غابة الاسد وجمعها آجام والوجوم السكوت من الحزن وتجم جواب الشرط الثانى والشرطية جواب الشرط الاول والولى القريب من وليه ويطلق على الصاحب الصديق انتصر به تقوى وتأيد به الانفصام بالفاء كسر بلا فصل وبالقاف مع الفصل والرواية ههنا بالقاف وغير بالجر صفة ولى وبالرفع خبر مبتدأ محذوف وبالنصب حال ان كان ترى من الرؤية بالبصر والا فهو المفعول الثانى ومن زائدة وقوله فى آجامها قيد يفيد مزيد المبالغة والتأكيد فان الاسد فى اجمة اشد بأسا واصعب رأسا منه فى امكنة اخر وذلك لتوفير الغيرة فى الدفع عن ساحته واستيلاء الحمية فى الذب عن غابته

لمابين كون الاصحاب منتصرين فى كل الغزوات غير فارين من الكفرة واهل النار شرع فى بيان السبب الموصل الى ذلك فقال (ومن تكن الخ) الواو ابتدائية و(من) شرطية و(تكن) بالجزم اما تامة اوناقصة (وبرسول الله) خبر مقدم لتكن والباء فيه اما للاستعانة اوللسببية وتقديمه لضرورة الشعر و(نصرته) بالرفع اسم تكن واضافته اما الى الفاعل اوالى المفعول و(ان) شرطية و(تلقه) مجزوم بان اصله تلقاه وضمير المفعول راجع الى من و(الاسد) بضم الالف وسكون السين جمع اسد بمعنى الهزبر وهو بالرفع فاعل تلقه وتقديم مفعول تلقه على فاعله اشارة الى ان الرجل لايلاقى باختياره الاسد و(فى آجامها) اما متعلق بتلقه اوبتجم المؤخر والآجام بالمد جمع اجمة وهى ارض كثيرة القصب واضافة الآجام الى الضمير الراجع الى الاسد لادنى ملابسة ثم ان هذا القيد اعنى فى آجامها يفيد مزيد المبالغة والتأكيد فان الاسد فى اجمته اشد بأسا واصعب حالامنه فى امكنة اخر لتوفير الغيرة فى الدفع عن ساحته و(تجم) بفتح التاء وكسر الجيم من وجم يجم وجوما بمعنى حزن اوسكت والضمير المستتر فيه راجع الى الاسد وجملته جواب الشرط الثانى والشرطية جواب للشرط الاول ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان الاصحاب الكرام ماكانوا منتصرين فى الجهاد الابنصرته عليه الصلاة والسلام واعانته فانه من كانت نصرته واعانته واغاثته على محاربة الاعداء بواسطة رسول الله فهو منصور ومحفوظ من جميع المصائب والانهزام حتى ان تلقه جميع افراد الاسد المشهورة باهلاك من لاقته فى امكنتها المسماة بالغابة وهى فيها اجرأ منها فى غيرها تسكن على حالها خوفا واحتراما لرسول الله عليه الصلاة السلام * ثم اعلم ان البيت اشارة الى ماروى من تسخير الاسد لمولى رسول الله الذى اسمه سفينة ارسله عليه السلام الى معاذ باليمن فلقيه الاسد فى الطريق فقال سفينة انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعى كتابه فهمهم الاسد وتنحى عن الطريق * وفى رواية اخرى عن سفينة ان السفينة تكسرت فخرجت الى جزيرة فاذا الاسد فقلت له انا مولى رسول الله فجعل يغمزنى بمنكبيه حتى اقامنى على الطريق ودلنى عليها

﴿ وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ * بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ ﴾

ثم اكد البيت السابق لكونه نظيرا بهذا البيت فلذا قال (ولن ترى الخ) الواو عاطفة و(لن) نافية و(ترى) على صيغة الخطاب من الرؤية اما العينة اوالعلمية و(من ولى) كلمة (من) زائدة وتنوين (ولى) للتكثير والولى بمعنى القريب و(غير) اما بالجر على انه صفة ولى اوبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اوبالنصب على انه حال وهذا كله ان كانت الرؤية رؤية البصرية والا فهو المفعول الثانى و(منتصر) اسم مفعول

من انتصر و (به) متعلق به والضمير راجع اليه عليه الصلاة والسلام والمراد بالانتصار به التقوى والتأييد به ومن قال ان المنتصر بكسر الصاد اسم فاعل فهو عن معنى البيت غافل (ولا من عدو) عطف على من ولى اى ولا ترى من عدوله عليه السلام و(غير) بالجر اوبالرفع اوبالنصب و(منقصم) اسم فاعل من انقصم بمعنى انقطع وتفرق * وروى فى بعض النسخ بالفاء وهو كسر بلا فصل كما كان الاول مع فصل ﴿ وحاصل معنى البيت ﴾ ان الاصحاب منتصرون به عليه السلام فى كل الاوقات اذ لن تعلم ولن تبصر ولياله عليه السلام غير منصور به ولا ترى عدوا غير مكسور به بل كل ولى به منتصر وكل عدوله منكسر * اعلم ان جميع الاولياء منتصرون به عليه السلام ولذا قال الولى الشيخ احمد الملثم لم تكن الاقطاب اقطابا ولا الاوتاد اوتادا ولا العماد عمادا الا برسول الله وبتعظيمهم له واجلالهم شريعته وكل من كان عدو الشريعته كان عدوا له عليه الصلاة والسلام وكذا كل من كان عدوا لصاحب الشرع من العلماء وكل من يتكلم بما يتأذى به عليه الصلاة والسلام فهو عدوه ولذا قال الحقى فى روح البيان حكى عن بعض الكبار انه قال كنت فى مجلس بعض الغافلين فتكلم الى ان قال لا يخلص لاحد عن الهوى ولوكان فلانا اراد به النبى عليه السلام حيث قال (حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة) فقلت له اما تستحيى من الله فانه عليه السلام ماقال احببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ما كان من الله كرامة ثم حصل لى غم وهم من استماعى مثل هذا الكلام فرأيت النبى عليه السلام فى المنام فقال لى لا تغتم فقد كفينا امره ثم سمعت انه خرج الى ضيعة له فقتل فى الطريق نعوذ بالله من التطاول على الانبياء وورثتهم من العلماء والاولياء انتهى

﴿ أَحَلَّ أُمَّتَهُ فى حِرْزِ مِلَّتِه * كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فى أَجَمِ ﴾

لما توهم ان يستفاد من الابيات السابقة ان الانتصار به عليه الصلاة والسلام خاص باصحابه دون سائر امته دفع ذلك الوهم بتعميمه فقال (احل امته) بمعنى انزل و(امته) بالنصب مفعول احل والامة نوعان امة الاجابة وهى كل من آمن به عليه السلام وامة الدعوة وهى كل من بلغه دعوة النبى عليه السلام والمراد ههنا الاول و(فى حرز) متعلق باحل والحرز بكسر الحاء بمعنى الحصن ففيه تشبيه الدين بالحصن الحصين فى حفظ من دخله من الاعداء و(كالليث) حال من فاعل احل والليث اسم للاسد و(حل) الثانى صفة الليث بناء على ان اللام فيه للعهد الذهنى اوحال وهو ايضا بمعنى نزل (والاشبال) جمع شبل بكسر الشين وهو ولد الاسد و(فى اجم) متعلق بحل الثانى والاجم بفتحتين بمعنى مكان يسكن فيه

﴿ احل امته فى حرز ملته
كالليث حل مع الاشبال فى الاجم ﴾
احله انزله والامة نوعان امة الدعوة وهى كل من آمن به الحرز مايحرز به الشئ اى يحفظ الملة والدين الذين املى من السماء والشبل ولد الاسد الاجمة والاجم كالتمرة والتمر قوله كالليث حال من ضمير احل وحل اماصفة على طريقة ولقد امر على اللئيم يسبى اوحال على طريقة قوله تعالى حصرت صدورهم شبه النبى صلى الله عليه وسلم بالاسد فى السلطنة وكمال الشجاعة والهيبة وشدة البطش وحمايته لاشباله وجعل امته اشباله واولاده لانه عليه السلام سبب حياتهم الابدية وشبه الملة التى سماها حرزا بالاجم فى ان كلا منهما سبب للحفظ ومنع ضرر الغير وفى تسميتها حرزا اشارة الى قوله تعالى لا اله الا الله حصنى ومن دخل حصنى امن من عذابى والى قوله عليه الصلاة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم الحديث

ا لاسد شبه الناظم الفاهم نبينا عليه السلام بالاسد فى القوة وكمال الشجاعة والهيبة وشدة البطش وحماية الاولاد وشبه امته باولاده فى كونه عليه السلام سبب حياتهم كالاسد وشبه الملة بالاجم فى ان كلا منهما سبب للحفظ ومنع ضرر الغير ﴿ وحاصل معنى البيت ﴾ انزل رسول الله الامين امته فى دينه الحصين كما انزل الليث اولاده معه فى آجامه للتحصين فلا يستولى على امته شخص بظلم ولا ينزل عليهم بلية * فان قلت كثيرا ما نرى امته يغلب عليهم عدوهم وينزل عليهم بليات لا تعد ولا تحصى فكيف يصح هذان البيتان من الناظم الفاهم * قلت مراد الناظم كونهم محفوظين من بليات الآخرة من مثل الخسف والمسخ وغيرهما من البليات التى نزلت على سائر الامم فى الدنيا * ونقول ان امته محفوظة من جميع ما ذكر ومن المغلوبية ومن كان مغلوبا ونزل عليه بليات فليس من كامل امته اذ امته من اتبعه ولا يتبعه الا من اعرض عن الدنيا فانه عليه السلام مادعا الا الى الله واليوم الآخر وماصرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة ومن اعرض عن الدنيا يكون سالما من البلايا ومن كونه مغلوبا للاعداء واما من عدل عن سبيله واعرض عن متابعته واقبل على الدنيا ولحق بالذى قال الله تعالى فى حقه (فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) فقد خرج عن سبيله واعرض عن كونه امة له فله البلايا والمغلوبية للاعداء فتأمل يارجل من حين تصبح الى حين تمسى لا تسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا تحرك الا لاجل الدنيا الفانية ثم تطمع ان تكون غدا من امته واتباعه ويحك وياويلتا ما ابعد ظننا وما افحش طمعنا * ثم اعلم ان فى هذا البيت اشارة الى ماجاء فى الحديث القدسى قال تعالى (لا اله الا الله حصنى ومن دخل حصنى امن من عذابى) والى قوله تعالى (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم) وفى قراءة شاذة (وهو اب لهم)

﴿ كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ * فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ ﴾

لما استفيد من البيت السابق كون الاسلام حصنا حصينا لا يستولى عليه احد من عدوه بل هو يغلب على اعدائه اراد تفصيله فقال (كم جدلت كلمات الله الخ (كم) خبرية للتكثير و(جدلت) من التجديل وهو بمعنى الوضع على الارض اى كثيرا من المرات وضعت على الارض و(كلمات الله) بالرفع فاعل جدلت والمراد من كلمات الله القرآن العظيم اذ الاسلام عبارة عنه و(من جدل) مفعول لجدلت ومن زائدة والجدل بكسر الدال بمعنى كثير الخصومة و(فيه) متعلق بجدل والضمير اما راجع الى الملة بتأويلها بالاسلام والدين او برسول الله فيكون مجازا حذفيا اى فى دين رسول الله و(كم خصم) عطف على كم جدلت و(خصم) بالتشديد

﴿ كم جدلت كلمات الله من جدل فيه وكم خصم البرهان من خصم ﴾ كم ظرف اى كثيرا من المرات الجدالة وجه الارض جدله اوقعه على الجدالة والجدال والجدل الخصومة والجدل بالكسر صفة منه اى كثير الجدال وفيه متعلق به الخصم الالد وخصم من باب المغالبة خاصمته فخصمته اخصم بالضم اى غلبته فى الخصومة وضمير فيه للنبى صلى الله عليه وسلم اوالى ملته بتأويل دينه وقوله خصم اى فيه والمراد من كلمات الله القرآن العظيم ومن البرهان ماهو اعم من العقلى والنقلى والمعجزات الباهرة ومن زائدة فى الاثبات كما فى قد كان من مطر اوباعتبار ان مضمون الفعلين يتضمن النفى وذلك لان كلا منهما يستلزم الافحام والالزام والغلبة وكل منها يستلزم نفى الخصم وعلى اول نكرة فى موضع الاثبات كما فى علمت نفس بقرينة التنكير ومقام المدح للكلمات وزيادة من ويجوز ان يكون للابتداء اى جدالا من جدل كما فى قد كان من مطر على قول اى شئ من مطر

من المبالغة بمعنى كثيرا ماغلب فى الخصومة و(البرهان) بالرفع فاعل خصم والمراد بالبرهان اعم من المعجزات والكرامات الباهرات و(من) فى من خصم زائدة كمن فى من جدل وقدجاز زيادتها فى الاثبات كما فى قولنا قدكان من مطر والفعلان المذكوران ههنا وان كانا مثبتين صورة لكنهما متضمنان معنى النفى تدبر و(خصم) بكسر الصاد بمعنى كثير الخصومة ﴿وحاصل معنى البيت﴾ كم مرة رمت الى الارض فى المجادلة كلمات الله التى جاءت من عنده منكوسا على الرأس شخصا كثير الجدال وكم مرة غلب الدليل القاطع شخصا كثير الخصام

﴿كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِى الْأُمِّىِّ مُعْجِزَةً * فِى الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِى الْيُتُمِ﴾

لما استفيد من البيت السابق انه عليه الصلاة والسلام معجزة فيما كان الخصم مغلوبا وكان مظنة ان يسأل عن تلك المعجزات اجاب عنه ببيان بعض ما اشتهر فقال (كفاك) الخ كفاك بمعنى حسبك والخطاب لكل احد والباء فى (بالعلم) زائدة ككفى بالله واللام فى العلم للعهد الذهنى و(فى الامى) صفة العلم او حال منه والامى منسوب الى الام وهو الاصل وهو فى العرف عبارة عمن لم يعرف الكتابة ولم يقرأ من الخط ولم يتعلم من معلم ولم يجلس بين يدى الاستاذ بطريق العادة بل بقى على اصل الخلقة والفطرة وقيل معنى الامى منسوب الى ام العرب وهم قوم الغالب عليهم عدم معرفة الكتابة والحساب و(معجزة) بالنصب تمييز كما فى طاب زيد نفسا ومعنى المعجزة قدسبق لكن المراد ههنا معنى خرق العادة مطلقا فتذكر ومن اراد به المعنى السابق فلم يتبصر فان كنت ذا بصيرة فتدبر و(فى الجاهلية) متعلق بالعلم اى فى وقت الجاهلية وهى عبارة عن زمان انحرف فيه الشرع السابق ولم يكن فيه الوحى اللاحق وتفرق الناس فى اديانهم ويسمى ذلك الزمان ايضا بالفترة و(التأديب) بالجر على انه معطوف على العلم او بالرفع معطوف على العلم اذ الباء فيه زائدة والتأديب بمعنى كونه عليه الصلاة والسلام مؤدبا يعنى عدم كونه فاحشا ولا متفحشا ولا غليظ القلب لانه عليه الصلاة والسلام كان مجمع محاسن الاخلاق من صباوته الى نبوته عليه الصلاة والسلام و(فى اليتم) متعلق بالتأديب بلا تكلف و(اليتم) بضمتين بمعنى موت الاب وبقاء الابن صبيا بلا اب ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان معجزاته عليه الصلاة والسلام كثيرة وشهيرة فاذا نظرت اليه عليه السلام بعين البصيرة كفاك ايها الطالب لمعجزاته وآياتها العلوم التى لا تعد ولا تحصى فيه عليه السلام بغير تعلم من العلماء ولا كتابة مع الادباء فى زمان كثر فيه الجهل على الانام وزاد فيه الضلال بلا انفصام وكذا كفاك كونه مؤدبا بمكارم الاخلاق والخصال ومتأدبا على وجه الكمال فى آوان تمه وزمان حداثة سنه واول خلقته

﴿كفاك بالعلم فى الامى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم﴾ الباء زائدة ككفى بالله والخطاب لكل احد وفى الامى صفة العلم او حال عنه اى الكائن او كائنا والامى منسوب الى الام وهو الاصل وهو فى العرف عبارة عمن لم يعرف الكتابة ولم يقرأ من الخط ولم يتعلم من معلم بطريق العادة كأنه باق على اصل الخلقة والفطرة وقدم معنى المعجزة وهى حال عن العلم او تمييز كما فى طاب زيد نفسا وفى الجاهلية ظرف العلم اى فى وقت الجاهلية وهى عبارة عن زمان انحرف فيه الشرع السابق ولم يكن فيه الوحى اللاحق وتفرق الناس فى اديانهم والتأديب ان قرئ مجرورا وهو الرواية فهو عطف على العلم اى كفاك التأدب والتأديب اى تنبهه على الآداب لعلمه بها فى وقت اليتم معجزة وان قرئ مرفوعا فهو عطف على العلم اذ الباء زائدة ومبتدأ وخبره محذوف اى كذلك واليتم واليتم كالغفل والقفل واللام فى العلم للمعهود الذهنى وفى الامى للمعهود الخارجى وفى اليتم عوض عن المضاف اليه ويجوز ان يتعلق قوله فى اليتم بالعلم والتأديب جميعاً لان الوقت الواحد يصلح ان يكون ظرفا لحدثين ولكن عند البصريين لا يجوز توارد العاملين على معمول واحد ويقدرون للآخر مثله والاول قول الفراء والكوفيين فى قوله. فان قيل صرح المحققون النحاة ان تعلق حرفى جر بمعنى واحد بفعل واحد لا يجوز بخلاف مررت برجل بارض كذا لان الثانية للظرفية وهنا فى الجاهلية وفى اليتم بمعنى الظرفية فكيف

﴿ خدمته بمديح استقيل به * ذنوب عمرٍ مضى في الشعر والخدم ﴾

لما فرغ من بيان بعض اوصافه وبيان بعض معجزاته ومعراجه وغزواته وبعض اوصاف اصحابه الكرام اراد ان يشرع في الاسترحام من جنابه الكريم والاستشفاع من ذاته الرؤف الرحيم وبيان الغرض من نظم هذه القصيده اللطيفة المباركة الطيبة الشريفة فقال (خدمته بمديح) الخ (خدمته) على صيغة نفس المتكلم من الخدمة اى مدحته والضمير له عليه السلام والجملة استينافية و(المديح) مايمدح به اعني مايبين فيه الفضائل والمراد به هذه القصيدة وجملة (استقيل) صفة مديح اوحال منه من الاستقالة بمعنى طلب العفو وبه متعلق به والباء فيه للاستعانة والضمير راجع الى المديح و(ذنوب) بالنصب على انه مفعول به لاستقيل والذنوب جمع ذنب شامل للصغائر والكبائر و(عمر) الانسان عبارة عن مدة حياته واضافة الذنوب بمعنى في وجملة (مضى) صفة عمر و(مضى) بمعنى ذهب يعني لا كل العمر بل العمر الذى ذهب الخ و(في الشعر) متعلق بمضى والشعر قول موزون وزنا عن تعمد كان البيت ماتركب من المصراعين والقطعة شعر يكون مؤلفا من سبعة ابيات والقصيدة ماتركب من عشرة ابيات فما فوقها والمراد من الشعر ههنا معناه المصدرى اعني اتيان الكلام الموزون عن تعمد وان كان المراد الاول يقدر فيه مضاف اى في استعمال الشعر واتيانه (والخدم) بالجر عطف على الشعر وهو بكسر الخاء وفتح الدال جمع خدمة والمعنى في انواع الخدمة اوفي خدم المخلوقين تدبر ﴿ وحاصل معنى البيت ﴾ ان حاصل المرام من مدحي سيد الانام بهذه القصيدة المشتملة على اوصافه عليه السلام طابي العفو من الله الملك العلام بسبب هذه القصيدة عن ذنوب في مدة حياة مضت في الاشتغال بالشعر في مدح الناس ومذمتهم وتلفت في خدمات ارباب الدنيا لاغراض فاسدة في صحبتهم اذ روى ان الناظم كان في اول الامر من مقربى السلاطين وكان يخدمهم ويدفع احزانهم بانشاد الشعر في مدائحهم وفي مذمة اعدائهم وكان قصده جلب الدنيا واخذ المنصب الاعلى وقد سبقت الاشارة الى بعض هذا في مفتتح الكتاب * ثم اعلم ان في البيت رد العجز على الصدر من قبيل قوله

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعي الندا بسريع

﴿ اذ قلداني ماتخشى عواقبه * كأنني بهما هدى من النعم ﴾

لما كان مظنة ان يسئل عن مضمون البيت السابق من طلب العفو عن الذنوب الحاصلة من الشعر والخدم بانه هل حصل لك من الشعر والخدم ذنوب حتى

يصح تعلقها بالعلم قلنا هذا اذا لم يصح ابدال الثانية من الاول اما اذا صح فيجوز ولا يخفى انه هنا يجوز ان يكون في اليتم بدلا عن قوله في الجاهلية كما في قوله تعالى وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم

﴿ خدمته بمديح استقيل به
ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم
اذ قلداني ماتخشى عواقبه
كأنني بهما هدى من النعم ﴾

ضمير المفعول يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المديح عد الفضائل وبيانها اومايتضمن ذلك وقيل الحمد والمدح اخوان والمديح اسم لما يمدح به وغلب في العرف على المنظوم الممدوح به استقال طلب العفو وباء به للاستعانة عمر الانسان عبارة عن مدة حياته واريد به بعضها بقرينة مضى الشعر اما بمعناه المصدرى اوالحاصل به اى الكلام المقفى الموزون اى في الاشتغال به وفي الشعر حال عن فاعل مضى والخدم جمع خدمة اى في انواع الخدمة واذ قلداني تعليل استقيل قلد الشئ جعله قلادة له وتقليد الهدى ان يجعل في رقبة شئ يعرف به في العادة انه هدى والهدى مايهدى الى مكة على قصد التقرب وضمير عواقبة لما وبهما حال وقوله من النعم هضم لنفسه وفي قوله هدى تفضيل

تطلب العفو عنها قال نعم (اذقلدانى) الخ فاذ للتعليل لطلب العفو و(قلدانى)
على صيغة التثنية وضمير التثنية راجع الى الشعر والخدم وقلد من التقليد
وهو ربط العنق قلادة ثم ان اسناد قلدانى الى الشعر والخدم مجاز من قبيل الاسناد
الى السبب وفى قلد استعارة تبعية بتشبيه لزوم الاثم بالقلادة فى مطلق
اللزوم وعدم الافتراق كما لا يخفى و(ماتخشى) منصوب محلا على انه مفعول
ثان لقلد وتخشى على صيغة المجهول من الخشية بمعنى الخوف و(عواقبه)
بالرفع نائب فاعل لتخشى وهى جمع عاقبة وضمير عواقبه راجع الى ما والمراد
بماتخشى عواقبه الآثام والاوزار الحاصلة بهما و(كأن) للتشبيه و(بهما)
ظرف مستقر حال من اسم كأن وضمير التثنية راجع الى الشعر والخدم
* فان قلت اللائق ان يفرد الضمير ويرجع الى ما لان ما كان كالقلادة دون
الشعر والخدم * قلت ان الشعر والخدم لما كانا سببين قويين فى كون ماتخشى
عواقبه قلادة ذكر السبب واراد المسبب كما لا يخفى و(هدى) بالرفع خبر ان
والهدى بفتح الهاء وسكون الدال مايهدى الى مكة للذبح فيها ومن شانه
ان يقلد بتعليق شئ فى عنقه ليعلم انه هدى فلا يتعرض له بشئ و(من النعم)
بيان للهدى والنعم بفتح النون والعين هو الابل والبقر والغنم * ثم ان فى تشبيه
نفسه بالهدى اشارة الى انه متوجه فى كل امر الى جناب الحق وان فعل
ماتخشى عواقبه من الاقبال على غير الله تعالى على مقتضى قوله تعالى (فاينما تولوا
فثم وجه الله) (وحاصل معنى البيت) ان طلبى العفو من الله تعالى عن ذنوبى
لازم لانه بسبب الشعر والخدم المذمومين لزم على الآثام والاوزار مما تخشى
عواقبه من انواع العقاب فى عاقبة الدار فكأنى عينت للهلاك بسببهما
كالهدى المقلد المعد للهلاك وان لم يتحول قلبى عن خالق الافلاك

(اطعت غى الصبا فى الحالتين وما * حصلت الا على الآثام والندم)

لما استفيد من السابق ان اشتغاله بالشعر والخدم كان فى بعض عمره اراد بيانه
مع بيان سبب اشتغاله وعدم تحصيله شيئا من المحاسن فقال (اطعت غى الصبا)
الخ (اطعت) اى اتبعت و(غى الصبا) بالنصب مفعول اطعت والغى بتشديد الياء
بمعنى الغواية والضلالة و(الصبا) بكسر الصاد والقصر الصباوة والمراد من غى
الصبا الاغترار بالاباطل والالتذاذ بالتماثيل والركون والميل الى العاجل وترك
النظر فى الامر الآجل وفى (الحالتين) متعلق باطعت او ظرف مستقر صفة لغى
الصبا اى الحاصل فى الحالتين والمراد من الحالتين الشعر والخدم * واستفيد من هذا
المصراع ان المقدم والباعث الى الاشتغال بالشعر والخدم اوان الصباوة والشباب
فتأمل والواو فى (وماحصلت) للحال و(ما) نافية و(حصلت) بالتشديد من

لنفسه على سائر الانعام وبيان انه
ليس ممن هو كالانعام بل هم اضل اذ
الهدى موجه جهة جناب الحق فالناظم
رحمه الله يقول خدمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمديح اطلب به العفو
واستقيل ذنوب ايام مضت فى الشعر
والخدمات لانى رأيت ان خدمة
المخلوق والركون اليه ونظم الاشعار
فى مدائح كل واحد وعرضها عليه مما
قلدنى يخاف عواقبه واملا يخشى
مواطبه وانى وان تنزلت عن مدارج
الملكوت وتخلفت عن التدرج الى معارج
الجبروت وابتليت بالحزن الدائم والقلب
الهائم بل انخرطت فى سلك البهائم ولكن
لم يتحول وجه قلبى عن قبلة الاقبال
ومازاغ بصر همتى عن مشاهدة كعبة
حضرة ذى الجلال والجمال بل
مااقبلت على غير حضرة الاله على
مقتضى قوله اينما تولوا فثم وجه الله

(اطعت غى الصبا فى الحالتين فما
حصلت الا على الآثام والندم
فيا خسارة نفس فى تجارتها
لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم)

اطعت اى وافقت وما خالفت غى
الصبا هو الاغترار بالاباطيل
والالتذاذ بالتماثيل والعلوق والركون
الى العاجل وترك النظر فى امر الآجل
والحالتين الصبا وغيره اوالشيب

حصل على كذا اى بقى عليه فالمعنى مابقيت منهما على شئ والا للاستثناء و(الآثام) جمع اثم وهو الذنب (والندم) بفتحتين الندامة والمراد به مايترتب عليه الندامة والا فالندم نفسها توبة وهى موجبة للنجاة * قيل فى البيت لف ونشر مرتب اذ الآثام ناظر الى الشعر والندم ناظر الى الخدم ﴿وحاصل معنى البيت﴾ انى وافقت وماخالفت ضلالة الصباوة والشباب فى الاستعمال بالشعر والاشتغال بالخدمة وتضييع العمر بهما او الحال انى ماحصلت ومابقيت الا على المعاصى والندامة والتحسر والتحزن

﴿ فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِى تِجَارَتِهَا * لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ ﴾

لما بين كون نفسه نابتة على الآثام والاوزار غير محصلة لماينفعها يوم الفرار اراد اظهار التحسر والندامة عليها فقال بالفاء التفريعية (فيا خسارة نفس) الخ كلمة ياللنداء و(خسارة) بالنصب منادى مضاف الى النفس. ونداء الخسارة مجاز لان الخسارة لايتأتى منها الاقبال والمعنى على المبالغة فى شدة التحسر كأنه نادى الخسران وقال «تعال ياخسران فهذا اوانك» * قال ابن الشيخ فى سورة يس ان النداء فى مثل هذا المقام يكون لمجرد التنبيه انتهى والخسارة اصابة الضرر الغير المقصود من التجارة وتنوين (نفس) عوض عن المضاف اليه اى نفسى وفى (تجارتها) متعلق بالخسارة وفيه حذف مضاف اى وقت تجارتها وهو حياة الدنيا والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء وههنا مجاز عن طلب مرضاة الله ومثوباته وانما خسرت نفسه فى تجارتها لانها اخرجت استعداد الاعراض عن الدنيا والتوغل فى عبادة المولى عن اليد والقدرة فكأنها لاتملك الرجوع اليه ولذا قال (لم تشتر الدين) الخ فجملة لم تشتر استينافية كأنه قيل لم خسرت نفسك فى التجارة فاجاب عنه ببيانه فقال لم تشتر الخ والضمير فى تشتر راجع الى النفس ومعناه لم تختر ولم تؤثر ولم تستبدل و(الدين) بالنصب مفعول به لتشترى والمراد من الدين ههنا كماله الذى تدور عليه النجاة من كل البليات الدنيوية والاخروية و(بالدنيا) متعلق بلم تشتر ولذا قيل دنياك كل مايشغلك عن مولاك وهى هنا بمنزلة الثمن (ولم تسم) عطف على لم تشتر وهو من سام يسوم سوما والسوم هو الاتيان بمقدمات البيع والشراء وهذا للمبالغة ثم ان الاشتراء مجاز عن الاستبدال والسوم عن القصد ويجوز ان يكون فى البيت استعارة تمثيلية تأمل ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ياخسارة نفسى تعال فهذا وقتك حتى يتعجب منك قومك فى تجارتها اذلم تأخذ الدين بدل الدنيا ولم تبدل الفانى بالباقى ثم لم تقصد لتحصيل الدين بترك الدنيا بحسن النية وصدق القصد * قال فى روح البيان ان الله تعالى خلق الروح نورانيا علويا وخلق النفس ظلمانية ثم اشرك بينهما وجعل رأس مالهما الاستعداد

والشباب اوالصغر والكبر ويمكن ان يكون المراد باحدهما حالة الشعر وبالاخرى حالة الخدمة فعلى هذا يكون قوله اطعت استينافا اوبيانا لقوله اذ قلدانى ماحصلت اما عطف اوحال يقال حصل على كذا اذابقى عليه وصار فصارى امره ذلك فالمعنى مابقيت منهما على شئ الا على الآثام فيا خسارة يعنى ياقوم انظروا الى خسارتها ويا خسارة نفسى تعال فهذا اوانك فى تجارتها اى فى وقت تجارتها وهو الحياة الدنيا ولم تشتر اما صفة نفس اواستيناف اوحال اى لم يستبدل والباء تدخل فى المتروك غالبا كما فى قوله تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة سام السلعة طلب شراها والدين عبارة عن جميع ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم والمراد منه فى البيت كماله الذى يدور عليه النجاة والسعادة والدنيا ماشغلك عن المولى فقوله لم تشتر ولم تسم معناه ماحقق الاستبدال ولا اتى بمقدماته اى وكلت النفس الامر كله الى المحبوب وما انقطعت بالكلية عما يشغلها عن المطلوب ولم تعل فى مقام الانقياد وكلت الى المحبوب امرى كله فان شاء ابقانى وان شاء اتلفا والسالك مابقى شئ من وجوده الموهوم المعيوب فهو ممن ابتلى باعظم الجرائم والذنوب كما قيل

اذا قال ما اذنبت قالت مجيبة
وجودك ذنب لايقاس به ذنب

اللهم خلصنا بجود جودك عن توهم وجودنا

الفطرى القابل للكمال والترقى فى القربة والمعرفة والخسارة والنقصان فمن آمن وجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله وطالب فى كل حاله رضى الله فقد ربح روحه وخسرت نفسه ومن لم يؤمن بالله ورسوله وكفر بهما او آمن ولم يأت بعمل حسن اصلا فقد خسر روحه ونفسه جميعا فعلى العاقل ان يجتهد قبل مجئ الفوت ويربح فى تجارته ببذل النفس والمال فى طلب رضاء الله فان سلامة رأس المال الذى هو الاسلام مادام حاصلا يمكن ان يتدارك الربح فى صفقة وان لم يحصل فى صفقة اخرى فلا ينبغى ان تضيع العمر فيما لا يعنى اذ الفرصة غنيمة ولذا قال الشاعر الفارسى
مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف

﴿ وَمَن يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعاجِلِه * يَبِنْ لهُ الغَبْنُ فى بَيْعٍ وَفى سَلَمِ ﴾

لما استفيد من البيت السابق انه اشترى الدنيا بالدين اذ مفهوم المخالفة معتبر فى مذهب الناظم الفاهم الامين فكأنه قيل ما يحصل لمن اشترى الدنيا بالدين اجاب عنه بقوله (ومن يبع آجلا) الخ الواو ابتدائية و(من) اسم شرط مبتدأ و(يبع) مضارع مجزوم من باع يبيع بيعا والبيع وكذا الابتياع من الاضداد يقع على فعل المشترى والبائع كالشراء وكذا الاشتراء والمراد به هنا ما وقع على فعل البائع واريد منه المعنى المجازى اعنى الاستبدال والاخراج من اليد و(آجلا) بالنصب مفعول يبع والآجل ما يأتى بعد اجل ومدة والمراد به هنا العقبى وما يتعلق بالدين اذ ثمرته تظهر فى الآخرة و(منه) ظرف مستقر صفة لآجلا وضميره راجع الى الدين اى من حفظ الدين ومن ارجع ضمير منه الى من فقد وقع فى تكلف تدبر و(بعاجله) متعلق بالبيع والعاجل ما يأتى عجلة والمراد به الدنيا وهو فى مقام الثمن المأخوذ فى البيع اذا دخل عليه الباء وضمير عاجله راجع الى من وجملة (يبن) جزاء الشرط وهو مضارع مجزوم من بان يبين اى يظهر فمعنى يبن يظهر قريبا قال الشاعر

سوف ترى اذا انجلى الغبار * افرس تحتك ام حمار

وضمير (له) راجع الى من و(الغبن) بالرفع فاعل يبن وهو بفتح الغين وسكون الباء بمعنى الضرر الكامل الزائد زيادة فاحشة وفى بيع متعلق بالغبن او صفة له و(فى سلم) عطف على فى بيع واعادة الجار لضرورة الشعر ولفظ البيع عام لانواع البيع كبيع العين بالعين وهو المقابضة وبيع العين بالدين وهو المداينة وبيع الثمن بالثمن وهو الصرف وبيع الدين بالعين وهو السلم بفتحتين ومانحن فيه من قبيل السلم ولذا تعرض الى تصريحه بقوله وفى سلم * وفى البيت استعارة تمثيلية واستعارة مصرحة وبيانها لا يخفى على اهل البيان وايماء الى رد من يقول

﴿ ومن يبع اجلا منه بعاجله يبن له الغبن فى بيع وفى سلم ﴾
وقع فى بعض النسخ آجلا منه بعاجله فعلى هذا الباء فى غير المتروك والبيع من الاضداد وبان له ظهر له وبان عنه انفصل عنه والغبن بسكون الباء فى الاموال وبفتحها فى الآراء والسلم السلف وضمير آجله الى من ومنه صفة عاجلا وآجلا اى كائنا منه والضمير للدين اى حظه الدينى وتنوين بيع وسلم للتحقير او للتعظيم والتنوينات كلها عوض عن المضاف اليه اى عاجله وبيعه وسلمه وقوله وفى سلم يجوز ان يكون المراد من البيع مطلق معاوضة الدين بغيره ومن السلم اخذ العاجل الفانى بترك الآجل الباقى وهذا من غاية سفاهة العقل ونهاية خسارة النفس عند التلاقى قال عليه الصلاة والسلام من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته ضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى

الدنيا نقد والآخرة نسيئة واعطاء النقد لها غير معقول فان السلم انما يكون باعطا النقد للنسيئة وحذاق التجار تلقوه بالقبول * اعلم ان الله تعالى خلق الانسان مركبا من الدنيا والآخرة ولكل جزء منهما ميل وارادة الى كله يتغذى منه ويتقوى ويتكمل به ففى جزئه الدنيوى وهو النفس الامارة طريق الى دركات النيران وفى جزئه الاخروى وهو الروح طريق الى درجات الجنان وخلق من هذين الجزئين القلب وله طريق الى كونه بين اصبع الرحمة واصبع القهر فمن يرد الله به ان يكون مظهر قهره ازاغ قلبه وحول وجهه الى الدنيا فيريد العاجلة ويرمى بها نفسه الى ان يبلغ الى دركات جهنم ومن يرد الله به ان يكون مظهر لطفه اقام قلبه وحول وجهه الى العالم العلوى فيريد الآخرة ويسعى لها سعيها

﴿ اِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِى بِمُنْتَقِضٍ * مِنَ النَّبِى وَلَا حَبْلِى بِمُنْصَرِمِ ﴾

لماذكر كون نفسه منغمسة فى اودية المعاصى والاوزار وخسارتها فى تجارتها وعدم كسبها ربحا ينتفع فى دار القرار وفهم منه انه لم يكن له فوز ونجاة من العذاب الاليم فى يوم الحشر والميقات فوقعت نفسه فى دهشة وحيرة وكاد يقطع الرجاء من مغفرة تلك الذنوب شرع فى تسلية النفس وتأنيسها ودفع وحشتها وحيرتها ببيان مايكون سببا لمغفرتها فقال (ان آت ذنبا) الخ (ان) حرف شرط و(آت) بمد الهمزة وكسر التاء نفس متكلم وحده اصله من اتى يأتى فسقط الياء للجزم فمعنى ان آت ان فعلت و(ذنبا) بالنصب مفعول آت والذنب عام يشتمل كل الذنوب واحدا بعد واحد والفاء فى (فما) للجزاء اى فلا احزن ولا اقطع الرجاء وطلب العفو اوفلا تحزنى يانفسى ولا تحيرى ولا تقطعى الرجاء ففى العبارة على كلا التقديرين ايجاز الحذف فيكون قوله (ماعهدى) علة للجزاء المحذوف كما لايخفى وما نافية والعهد بمعنى الميثاق والمراد التزامه التوحيد والدين والعقائد والمنتقض من نقض العهد بمعنى عدم الوفاء به و(من النبى) متعلق بمنتقض (ولاحبلى) عطف على ماعهدى وتكرير النفى للتأكيد اى لانه لم يكن حبلى الخ والمراد من الحبل الوسائل التى بينه وبين النبى عليه الصلاة والسلام والاصوب ان يكون المراد من العهد والحبل ماسيأتى فى البيت الآتى وهو الوعد الذى جاء فى التسمية بمحمد و(منصرم) على صيغة اسم الفاعل بمعنى المنقطع ﴿وحاصل معنى البيت﴾ ان فعلت ذنبا وكسبت سيئا فانى ارجو ستره وغفرانه لان عهدى الذى هو الايمان ليس بمنتقض لان نقض التوبة بارتكاب المعصية لاينتقض عهد الايمان ولان حبلى اى الوعد الآتى ليس بمنقطع من جهته عليه الصلاة والسلام بل هو مأمول فى كل حال وزمان

﴿ فَاِنَّ لِى ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِى * مُحَمَّداً وَهُوَ اَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ ﴾

﴿ ان آت ذنبا فما عهدى بمنتقض
من النبى ولا حبلى بمنصرم
فان لى ذمة منه بتسميتى
محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم ﴾

اتيت كذا اى فعلته والنكرة فى سياق الشرط كهى فى سياق النفى اى عام بطريق البدلية اى ان اتيت كل الذنوب واحدا واحدا وتنوين ذنبا للتكثير اوللتفخيم ايضا والمراد من العهد التزامه التوحيد والدين والعقائد الحقة وبيعته ومن افضل الوسائل التى بينه وبين النبى عليه الصلاة والسلام محبته والتزام سنته ومزيد اعتصامه به ويجوز ان يكون المراد من من قوله عهدى عهد النبى بى وهو الوعد الذى جاء فى التسمية بمحمد واحمد ومن قوله حبلى كذلك اومنهما كذلك فيكون الفاء قوله فان للتفسير وعلى الوجهين الاولين الفاء لمجرد العطف قال ابوعبيد الذمة الامان ومنه اهل الذمة اى اهل الامان بقبول الجزية والذمام الجزية والذمة قد تطلق على العهد ومنه اماصفة ذمة اى صادرة منه واما متعلق بعامل الجار قبله وباء بتسميتى للسببية والتسمية ان كان مصدر المعلوم يكون اضافة المصدر الى المفعول

الاول والفاعل متروك اى تسمية الله اياى لان الالقاب تنزل من السماء ويلقى على المسمى او تسميته مسمى اياى محمدا ويحتمل ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم خاطبه بهذا الاسم فى حال النوم اوفى حال الغيبة اوالانخلاع ان كان من اهله اوفى اليقظة كما كنى للشيخ نجم الدين الكبرى بانى الجناب والآخر بطاوس الحرمين فيكون التقدير بتسميته اياى محمد ومحمدا مفعول ثان وان كان مصدر المجهول فياء المتكلم اقيم مقام الفاعل ومحمدا هو المفعول الثانى اوفى صيغة التفضيل من وفى يفى بالعهد اذا راعى مقتضاه اومن وفى اتم اى اتم الخالق برعاية الذمم الى والمصراع الثانى حال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبرائيل عليه السلام فقال الله يقرأ عليك السلام ويقول لك وعزتى وجلالى لااعذب من سمى باسمك بالنار وروى ايضا استحيى ان اعذب بالنار من اسمه اسم حبيبى ولهذا توارث بين عظماء الملة تسمية ابنائهم محمدا بطنا بعد بطن كامام الانام حجة الاسلام ابى الحامد محمد الغزالى رحمه الله فانه قال سميت اولاد محمدا الى عندنا هذا رحم الله السلف والخلف

﴿ ان لم يكن فى معادى آخذا بيدى
فضلا والافقل يازلة القدم ﴾

لما بين فى البيت السابق ان له عهدا وذمة مع النبى عليه السلام وكان فى مفهوم ذلك خفأ اراد دفعه وتفسيره فقال (فان لى ذمة) الخ الفاء للتفسير والذمة بمعنى الامان كما فى قوله عليه السلام (ويسعى بذمتهم ادناهم) وتطلق على العهد ايضا و(منه) ظرف مستقر صفة لذمة والضمير راجع الى النبى عليه السلام و(بتسميتى) متعلق بالذمة والياء فيه للسببية والتسمية ان كانت مصدر المعلوم تكون اضافة المصدر الى المفعول الاول والفاعل متروك اى تسمية الله اياى لان الالقاب تنزل من السماء وتلقى على المسمى او تسمية مسمى اياى محمدا ويحتمل ان يكون النبى خاطب الناظم فى رؤياه بهذا الاسم اوفى اليقظة كما وقع لبعض المشايخ الكبار فيكون التقدير بتسميته عليه السلام اياى و(محمدا) بالنصب مفعول ثان للتسمية * ثم اعلم ان محمدا اسم كريم شريف وهو اشرف اسمائه عليه السلام واخصها واعرفها وبه يناديه الله تعالى ويسميه فى الدنيا والآخرة وهو المختص بكلمة التوحيد وبه كنى آدم عليه السلام بابى محمد وبه كان يكتب من محمد رسول الله وبه يصلى عليه المصلون وبه صعد ملك الموت الى السماء لماقبض روحه قائلا وامحمداه وتفصيل الكلام فى كتب الانام ثم ان قوله (وهو) الخ جملة استينافية والضمير له عليه السلام و(اوفى) صيغة مبالغة للتفضيل من وفى العهد يفى اذا راعى مقتضاه اومن وفى بمعنى تم اى اتم الخلق و(الخلق) بمعنى الانام والمخلوقات و(الذمم) بكسر الذال جمع ذمة ﴿ وحاصل معنى البيت ﴾ فان لى عهدا وميثاقا معه عليه السلام لان اسمى محمد وهو دال على محبته له والاسم لايتغير بمخالفة المسمى وهو عليه السلام بمرعاة الذمم اوفى فيقوم بحقها بالشفاعة لاهلها فى دار العقبى * وفى البيت اشارة الى ماورد فى الحديث انه عليه السلام (قال اتانى جبرائيل فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك وعزتى وجلالى لا اعذب من يسمى باسمك بالنار) والى ماوردت فى حديث آخر (استحيى ان اعذب بالنار من اسمه اسم حبيبى) * وروى القاضى عياض فى الشفاء (ان الله تعالى وملائكته يستغفرون لمن اسمه محمد واحمد) ولهذا كان اكثر اسامى العلماء الكرام محمدا

﴿ انْ لَمْ يَكُنْ فِى مَعَادِى آخِذاً بِيَدِى * فَضْلاً وَالَّافَقُلْ يَازَلَّةَ الْقَدَمِ ﴾

ثم اراد بيان كونه محتاجا غاية الاحتياج لشفاعة صاحب الآيات والمعراج وكونه مقطوع الرجاء من سائر العباد انلم يكن رسول الله له شافعا فى المعاد فقال (ان لم يكن) الخ (ان لم يكن) جملة شرطية والضمير له عليه السلام وفى جواب هذا الشرط وجهان احدهما ان يكون قوله الآتى فقل والثانى ان يكون محذوفا اى فقل ياشدة البال ويابؤس الحال و(المعاد) مصدر اومكان اوزمان والمراد به حالة الموت ومابعده والاخذ باليد عبارة عن البصر والامداد والمعاونة

ودفع البلايا و(فضلا) بالنصب على انه تميز من نسبة آخذ الى فاعله واراد الفضل اشارة الى انه لم يكن له حق عليه عليه السلام لوشفع يشفع تفضلا واحسانا وقوله (والا) فيه خلاف بين القوم فقال بعضهم اصله ان لا ادغمت نون ان فى لام لا لجزاء هذا الشرط محذوف ان كان قوله فقل جوابا لقوله ان لم يكن او فقل ان كان جواب ان لم يكن محذوفا وجملة هذا الشرط والجزاء تكون تأكيدا لجملة ان لم يكن فتدبر وقال بعضهم الا بالتنوين وكسر الهمزة بمعنى العهد قال تعالى (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) وهو الاصوب وقوله (فقل) خطاب لمن جرده من نفسه و(يازلة القدم) اى احضرى فهذا اوانك وزلة القدم عبارة عن الوقوع فى المهالك ويمكن حملها على زلق القدم عن الصراط بالوقوع فى النار ﴿وحاصل المعنى﴾ انى محتاج الى شفاعة جنابه الكريم فى النجاة من المهالك والعذاب الاليم حتى لو لم يكن معينا لى فضلا اى احسانا زائدا على الوعد وعهدا وهو الوفاء بالذمة والعهد فقل انت نفسك بالخطاب والعتاب يازلة القدم ويا سيء الحال وشتيت البال وشديد المآل

﴿حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ * أَوْ يَرْجِعَ الجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ﴾

لما كاد ان يتوهم من البيت السابق كون رجاء الراجي وسؤال المناجي غير مقبول عند بابه عليه السلام اراد دفعه فقال (حاشاه) اى انزهه وابرئه وضمير المفعول له عليه السلام و(يحرم) من حرم يحرم كضرب يضرب او من احرمه بمعنى منعه يتعدى الى مفعولين وهو على صيغة المعلوم او المجهول وسكون ياء الراجي لضرورة الشعر و(الراجي) بمعنى السائل و(مكارمه) بالنصب مفعول الراجي والمراد بمكارمه هنا الالطاف والخيرات من جهته عليه السلام و(يرجع) بالنصب معطوف على يحرم ورجع يجيء لازما ومتعديا وههنا لازم اى يعود او متعديا فالجار اما منصوب او مرفوع والجار بمعنى القريب وقد يطلق الجار على المستجير الداخل فى الجوار وضمير (منه) راجع اليه عليه السلام و(غير محترم) حال من فاعل يرجع ﴿وحاصل معنى البيت﴾ انه عليه السلام منزه عن ان يحرم راجيه وسائله من الاكرام او يرد المستجير منه بغير احترام فانه معدن الكرمات ومنبع الاحترامات بل جميع اهل الدنيا مستغيث بذاته عليه السلام

﴿وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ * وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزَمِ﴾

لما نزه رسول الله عن رد رجاء الراجي وسؤال المناجي اراد بيان حكم منه مما وقع له فى الدنيا من قبول رجائه عند بابه فقال و(منذ الزمت) الخ العامل فى منذ قوله وجدت او كلمة منذ مبتدأ وهو بمعنى اول المدة التى (الزمت افكارى) الخ و(الزمت) من الزمته الشيء اى جعلته كفيلا لاشيء فتكفل به و(الافكار) جمع فكر وهو

﴿حاشاه ان يحرم الراجي مكارمه
او يرجع الجار منه غير محترم﴾

المراد من المعاد حالة الموت وما بعده واخذ اليد عبارة عن النصر والامداد والادراك بالمعونة والرفع عند الحاجة والباء فى بيدى زائدة فضلا تميز من نسبة آخذا الى فاعله وزلة القدم عبارة عن الهلاك والشقاء وسوء الحال اما جواب ان لم يكن فيحتمل وجهين احدهما ان يكون قوله فقل يازلة القدم جواب ان التى ادغم نونه فى لام لا محذوف اى وان كان آخذا بيدى لان نفى النفى اثبات فقل ياسعادة امرك ويا طيب حالك والثانى ان يكون محذوفا اى فقل ياشدة الحال ويا سوء المآل ويكون قوله والا مع الشرط والجزاء تكرارا للشرط والجزاء السابق بالعطف وذلك لمزيد بيان تأكيد الحال والمآل ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون قوله والا تكرارا للشرط السابق ويكون لمجرد تأكيد الشرط فقط لمزيد تقرر الغرض المذكور بكلمة ان لان هذا الغرض مستبعد عنه لقوة حسن ظنه بالنبي الرؤف الرحيم صلى الله عليه وسلم فعلى هذا لا يحتاج الى الجوابين لكون الشرط واحدا وهذا الوجه الطف من الوجهين السابقين ولو قرئ الا بالتنوين والال هو العهد يكون سبكا مليحا ومعنى صحيحا ويكون المعنى ان لم يدركنى على

استعمال القوة العاقلة لاستحضار ماليس بحاضر والمراد به ههنا عدم الافتراق من رضاه وذكره ومحبته فى آن و(مدائحه) بالنصب مفعول الزمت وهو جمع مديح والمراد به مكارمه الحسنة واخلاقه المستحسنة و(الخلاصى) متعلق بقوله ملتزم المؤخر والخلاص بمعنى الفوز والنجاة من المصائب والبليات والمراد من بليات الدنيا كالسقم فى الجسم وغيره و(خير ملتزم) بالنصب مفعول ثان لوجدت وملتزم على صيغة اسم الفاعل بمعنى خير كل ملتزم لوعده واحدا واحدا ﴿وحاصل معنى البيت﴾ انى من اول المدة التى اوجبت على افكارى مدائحه باخلاص النية وصفاء الطوية وجدته وعلمته قد تكفل لى وقام بتخليتى من كل شدة وبلية وهذا ناش عن مكارمه الحسنة واخلاقه المستحسنة

﴿وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ * اِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْاَزْهَارَ فِى الْاَكَمِ﴾

ولما توهم من البيت السابق كونه اهلا للعطا ومستحقا للفضل والندى شرع فى هضم نفسه وبيان كثرة شفقته وعطيته حتى اصاب من لم يكن له استحقاق اصلا فقال (ولن يفوت الغنى) الخ و(يفوت) من الفوت والغنى بالكسر مع القصر بمعنى اليسار والمراد منه شفاعته عليه السلام و(منه) ظرف مستقر صفة للغنى او حال منه والضمير له عليه السلام و(يدا) اى عن يدو (تربت) بمعنى افتقرت واريد باليد ايدى المحتاجين والنكرة فى سياق النفى تفيد العموم وقيل يجوز ان يراد من الغنى المال ويؤيده نسخته الندى وقوله (ان الحيا) استيناف وتنظير للحكم المتقدم والحيا بالقصر المطر واما بالمد فمعناه الاستحياء قال مصنفك حدثنى بعض من تشرفت بملاقاته وتفاخرت باستماع مقالاته من اكابر السادات بمكة ان بعض صلحاء مكة رأى رسول الله عليه السلام فى المنام وسأل منه عليه السلا فقال انت قلت يارسول الله الحيا من الايمان بالقصر فقال رسول الله لا فاستيقظ وتعجب من ذلك وحكى هذه الواقعة عند علماء مكة فتعجبوا من ذلك لانهم تيقنوا بالرواية الصحيحة وعلموا ان الرواة ثقاة امناء اذ هو مذكور فى البخارى وغيره فامره بتكرار التوجه الى الحضرة العلية له عليه السلام فى الليلة الثانية ففعل فرأى تلك الحضرة على الطريق المذكور ثم حكى ذلك عندهم فامره ثانيا بتكرير التوجه الى ان بلغ ثلاث ليال وكان الامر كاذكر فاجتمعوا وكتبوا هذه الواقعة فى صحيفة فارسلوا بها الى سلطان مصر وعلمائها وكان ذلك فى زمن شمس الدين بن حجر من المحدثين فلما سمع ابن حجر ذلك تعجب وقال للملك مره ليجيئ الينا فنراه ونسمع من لسانه فارسل السلطان اليه مبلغا من النقود لترتيب اسباب السفر وطلبه فابى عن تلك النقود وذهب اليه بماله فلما وصل استقبله العلماء والكبراء فلما رأوه وسألوه عن ذلك فحكى عندهم كما مر فتعجبوا

مقتضى الفضل والعهد ولكن السماع والرواية بدون التنوين وايضا فيه فرض مايمتنع فرضه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم من ترك مقتضى العهد واما قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك فانه تعريض للامة ومعنى يازلة القدم ياقوم انظروا زلة القدم اويازلة القدم تعالى فهذا اوانك ويقصد بهذا تقرر الامر وتحققه وحاشاك وحاشالك بمعنى واحد اى جانبك وبه يجر وينصب بناء على انه حرف اوفعل والنصب اكثر وان مع مافى حيزه فاعله ويحرم امامن حرم يحرمه اى منعه من باب ضرب اومن احرمه يحرمه بمعناه والرواية فيه مالم يسم فاعله فالراجى مفعوله القائم مقام الفاعل ومكارمه مفعوله الثانى ولو قرئ معلوما فالراجى مفعوله الاول وسكون الياء كما فى اعط القوس باريها فرض اولا بكلمة ان ثم قال حاشا مبالغة فى تنزه ذاته عن الحرمان والمكارم جمع مكرمة وهى الصفة المرضية الفائض نفعها على الغير والمراد هنا الالطاف والخيرات من جهته رجع لازم هنا ويجيئ متعديا نحو فارجع البصر والجار الملاصق اوالقريب بيته الى بيتك ويطلق على من استجار بواحد يقال انه جاره ﴿ومنذ الزمت افكارى مدائحه وجدته لخلاصى خير ملتزم ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ان الحيا ينبت الازهار فى الاكم﴾

من ذلك فرفعوا القضية الى الامام برهان الدين المحدث بالشام فقال اريد ان ارى هذا الرجل واسمع ذلك من لسانه فذهبوا به اليه فحكى عنده كما مر فتنبه برهان الدين لماسبق من الفرق بين الممدود والمقصور فقال لقد صدق رسول الله فان الحيا بالقصر المطر والحديث ممدود لكن توجه هذه الليلة واسأل الحضرة ففعل فرأى رسول الله فاستكشف منه فقال الامر كذلك بارك الله فيك وفى معلمك برهان الدين انتهى ثم اسناد ينبت الى الحيا مجاز من قبيل الاسناد الى سببه و(الازهار) بالنصب مفعول ينبت وهو جمع زهر و(الاكم) بفتحتين جمع اكمة بمعنى رأس الجبل الذى لايستقر فيه الماء والمقصود تشبيه جوده بالجود فى عموم النفع وقطع النظر عن ان يستأهل العطاء محله وفيه اشارة الى انه رحمة للعالمين وسبب للغنى الظاهرى والباطنى للعلماء العاملين

﴿ وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ * يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ ﴾

لما كان البيت السابق موهما انه اراد النفع الدنيوى دون الحظ الاخروى دفع الوهم والخيال فقال (ولم ارد زهرة الدنيا) الخ اى مارجوت وماطلبت و(زهرة) بالنصب مفعول لم ارد وزهرة الدنيا عبارة عن زينتها ومتاعها وبهجتها ونضارتها وفى التعبير بالزهرة اشارة الى سرعة زوالها كالزهر والى كونها غرارة تفتن الناس بحسنها وطمعها وفى بعض النسخ هذه الدنيا وهذه للتحقير كما فى قوله تعالى ﴿اهذا الذى يذكر آلهتكم﴾ و(التى) صفة للزهرة لا للدنيا و(اقتطفت) من قطف الثمر واقتطفها جناها وكلاهما رواية فى البيت و(يدا زهير) فاعل اقتطفت اصله يدان وزهير اسم شاعر من فحول الشعراء وهو زهير بن ابى سلمى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لايقدم عليه احدا ويقول اشعر الناس زهير وولده كعب صحابى صاحب قصيدة بانت سعاد وفى الوشاح لابن دريد ان كنية زهير ابو بجير وذكر غيره انه مات قبل المبعث واخرج ثعلب عن ابن عباس بسنده قال قال لى عمر انشدنى اشعر شعرائكم قلت من هو ياامير المؤمنين قال زهير وعن ابن الاعرابى قال كان لزهير فى الشعر مالم يكن لغيره كان ابوه شاعرا وهو شاعر وخاله شاعر واخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعران واخته الخنساء شاعرة وكان معاوية يقول كان اشعر اهل الجاهلية زهير بن ابى سلمى وكان اشعر اهل الاسلام ابنه كعب والباء (بما اثنى) للسببية او للبدلية وما اما موصولة اى الذى اثنى به اومصدرية اى باثنائه و(هرم) بفتح الهاء وكسر الراء هو هرم بن سنان من اجود ملوك العرب ولزهير فيه مدائح كثيرة ومن جملتها قصيدة انشأها فى مدحه اولها

غشيت ديارا بالبقيع فتهمد * دوارس قد اقوين من ام معبد

العامل فى منذ قوله وجدته ان جعل مفعولا فيه والابتدأ اى جميع المدة التى الزمت افكارى ومدائحه مفعول الزمت الفكر فى اللغة التأمل وهو استعمال القوة العاقلة لاستحضار ماليس بحاضر لخلاصى متعلق بوجدته بمعنى علمته او بملتزم التزم تكفل واوجب على نفسه وحذف مفعول خلاصى ليعم اى عن كل مكروه ولن يفوت عطف على وجدته او حال فانه سبقه وفات عنه ضاع الغنى فاعله يدا تربت اى افتقرت ومنه صفة للغنى او حال بتقدير الكائن اوكائنا اى من جهته وبركته ويجوز ان يتعلق بيفوت اى لم يزل ولم ينعدم منه الغنى ويجوز ان يراد باليد النفس من قبيل ذكر الجزء وارادة الكل ويكون المراد من الافتقار قلة الاعمال المنتجة بقرينة البيت الذى بعده ومن الغنى العناية منه والشفاعة التى تغنى من الاعمال ويجوز ان يكون المراد من الغنى الظفر بالمقصود اذ وقع فى صحبته الخلاص من المكروه فان مايهم الانسان الخلاص عن المكروه والظفر بالمقصود فيعم الدنيوى والاخروى ثم اخذ فى هضم نفسه فقال ان عنايته الميمونة ونظره المبارك نفعتنى واثرت فى حالى وان كنت لم استأهل وماكنت محلا صالحا على ما ينبغى للاضافات فان الحيا استيناف وهو المطر ويجوز ان يكون المعنى من الوقت الذى اشتغلت بمدحه وجدته كذا وذلك فيما مضى ولايعود قط ايضا الخير من جهته للنفس المفتقرة المعتصمة به فيما يجئ فهذا الطمع والرجاء عام فى

الى هرم تهجيرها ووسيجها * تروح من الليل التمام وتغتدى
تقى نقى لم يكثر غنيمة * بنكبة ذى قربى ولا بحقلد
ووصل من الملك المذكور لزهير عطيات وخلع كثيرة ﴿ وحاصل معنى البيت ﴾ ظاهر

﴿ يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم ﴾

فلما ذكر نعوت ذاته وكمالات صفاته انتقل من حال الغيبة الى مقام الحضور فناداه فى الرجاء بالخطاب لان السؤال بالخطاب ادعى الى الاجابة من الغيبة فقال (يا اكرم الخلق) الخ وتفصيل الكلام فى اكرميته عليه السلام قد سبق فتذكر والالف واللام فى الخلق للجنس او للاستغراق و(الخلق) بمعنى المخلوق * وفى بعض النسخ يا اكرم الرسل ويلزم منه كونه عليه السلام افضل الخلق بطريق الدلالة و(ما) نافية بمعنى ليس و(الوذ) بمعنى التجئ واعوذ و(به) متعلق بالوذ والضمير له عليه السلام اى للشفاعة الى الله و(سواك) منصوب على الظرفية و(عند) متعلق بالوذ و(العمم) بفتحتين وبكسر الميم الاولى وكلاهما مروى وهو من عم بمعنى شمل واحاط والمراد من (الحادث) الشامل لجميع الخلق اما الموت وهى القيامة الصغرى واما الساعة وهى القيامة الكبرى والمراد من حلوله ونزوله مجئ وقته

﴿ ولن يضيق رسول الله جاهك بى * اذ الكريم تحلى باسم منتقم ﴾

ثم كرر الرجاء بطريق النداء الى رسول الله الكريم حرصا فى السؤال وطلبا للنوال فقال (ولن يضيق) الخ الواو حالية و(رسول الله) منصوب على انه منادى محذوف حرف ندائه و(الجاه) بمعنى الوجاهة وهى رفعة المنزلة وسعة المرتبة و(بى) اى بشفاعتى واعتنائك بى و(اذ) بمعنى اذا للظرفية و(تحلى) اما بالحاء المهملة بمعنى اتصف او بالمعجمة بمعنى انكشف (باسم منتقم) اى بصفة منتقم * ثم اعلم انه ذكر الله اولا باسمه الكريم وخصه بالذكر مع انه من صفات اجمال ثم ذكر اسمه المنتقم فى مقام الانتقام مع انه من صفات الجلال ليحصل الاعتدال ولا ينقطع قلوب الرجال وهذا مزج لطيف ومعجون شريف * فان قلت انه يستفاد من قوله اذ الكريم الخ انه تعالى متصف بصفة الانتقام فيما سيأتى لا فى الازل مع انه تعالى متصف بها ازلا وابدا * قلت مراده منه اذ الكريم قد ظهر كمال اثر اتصافه بالاسم المنتقم كما لا يخفى

﴿ فان من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم ﴾

لما كان فى مضمون البيت الاول خفاء اراد تفسيره وبيانه وتعليله فقال (فان من جودك) الخ الجود افاضة ما ينبغى لا لعوض ولا لغرض والدنيا بالنصب تقديرا اسم ان وضرة الدنيا هى الآخرة وانما سماها ضرة لان الجمع بينهما

ومستلذاتها وروى هذه الدنيا وهذه للتحقير كما فى قوله اهذا الذى يذكر آلهتكم التى صفة زهرة لا الدنيا قطف الثمرة واقتطفها اجتناها وكلاهما رواية فى البيت وزهير اسم شاعر من الشعراء السبعة والباء فى بما اتى للسببية او للاستعانة او للبدل وما اما موصولة اى بالذى اثنى عليه او مصدرية اى باثنائه عليه وهرم بفتح الهاء وكسر الراء هو هرم بن سنان من اجواد ملوك العرب وللزهير مدائح واشعار فى حقه وصل منه اليه صلات وخلع كثيرة خارجة عن العادات ﴿ يا اكرم الخلق مالى من الوذ به سواك عند حلول الحادث العمم ولن يضيق رسول الله جاهك بى اذ الكريم تحلى باسم منتقم ﴾ التفت من الغيبة الى الخطاب كما فى اياك نعبد لان السؤال فى الخطاب ادعى الى الاجابة من الغيبة والخلق مصدر بمعنى اسم المفعول اى المخلوقات وما بمعنى ليس الوذ به اعوذ به للشفاعة الى الله تعالى لا مطلقا وسواك منصوب على الاستثناء وعند متعلق بالوذ وعمم قرئ بفتحتين وبكسر الميم الاولى يقال جسم عمم اى تام وعمم صفة من عمه شمله والحادث العامل الشامل اما الموت او القيامة واهوالها والمراد من حلوله مجئ وقته ورسول الله منصوب بحذف حرف النداء الجاه هو الوجاهة ورفعة القدر والكرامة المستفيضة ورجل وجيه معروف ومشهور ووزن جاه عفل لان اصله جوه مقلوب وجه والمصداق فى ذلك امثلة الاشتقاق

متعذر الاان يوفق الله تعالى كتعسر الجمع بين المرأتين كما قال عليه السلام (من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته) الحديث ومن لطائف ما قيل

عتبت على الدنيا لتأخير عالم * وتقديم ذي جهل فقالت خذ العذرى
بنوا الجهل اولادى لذاك رفعتهم * واهل النهى اولاد ضرتي الاخرى

قيل كون الكونين من جوده لانه واسطة فى فيضان الوجود على الماهيات وسيلان الجود على الموجودات فكأن الكونين من جوده اويكون مجازا اى حصول خيرهما من جودك وبركة شفاعتك وفى هذا المصراع تلميح الى حديث (لولاك) الحديث وقوله (ومن علومك) عطف على من جودك والعلوم جمع علم وهو امابمعناه او بمعنى معلوم اى من معلوماتك علم اللوح والقلم اى المعلومات الحاصلة منهما و(علم اللوح) بالنصب معطوف على الدنيا و(اللوح) هو الكتاب المبين ولايقدر العقل ما فيه من العظمة واللطافة وما فيه من الحروف والكتابة قيل اللوح اربعة لوح القضاء المصون عن المحو والاثبات وهو لوح العقل الاول ولوح القدر اى لوح النفس الناطقة الكلية التى يفصل فيه كليات اللوح الاول ويتعلق باثباتها وهو المسمى باللوح المحفوظ ولوح النفس الجزئية السماوية التى ينقش فيه كل ما فى هذا العالم بشكله ومقداره وهو المسمى بسماء الدنيا ولوح الهيولى القابلة للصور فى عالم الشهادة (والقلم) وهو الذى خلق مقدما على جميع الاشياء وقد جعل الله له ثلاثمائة وستين سنا كل سن يعرب عن ثلاثمائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها فى اللوح * قال شيخ محيي الدين بن عربى اعلم ان الله تعالى لما تجلى للقلم اشتق منه موجودا آخر سماه اللوح وامر القلم ان يتدلى اليه ويودع فيه جمع مايكون الى يوم القيامة انتهى * قال الشعرانى فى كتاب اليواقيت والجواهر فان قلت فهل اطلع احد من الاولياء على عدد الحوادث التى كتبها القلم على اللوح الى يوم القيامة فالجواب قال الشيخ فى الباب الثامن والستين بعد المائة من الفتوحات المكية نعم انا ممن اطلعه الله على ذلك * وقال الشيخ اطلعنى الله على عدد امهات علوم ام الكتاب وهو مائة الف نوع وتسعة وعشرون الف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوى على علوم انتهى * ثم اعلم انه قيل ان العلم مصدر مضاف الى فاعله اى علم اللوح والقلم بالاشياء فاحتاج الى القول بان لهما ادراكا وشعورا * وقيل انه مضاف الى المفعول اى علم الناس باللوح والقلم * وقيل ان الله اطلعه عليه السلام على ما كتب القلم فى اللوح المحفوظ وزاده ايضا لان اللوح والقلم متناهيان فما فيهما متناه ويجوز احاطة المتناهى بالمتناهى * وقال شيخ زاده هذا على قدر فهمك واما من اكتحلت عين بصيرته بالنور الالهى فيشاهد بالذوق ان علوم اللوح والقلم جزء من علومه كما هى جزء من علم الله تعالى ﴿وحاصل المعنى﴾ انه عليه السلام هو الواسطة فى افاضة المنح

وبى يتعلق بيطيق اى بشفاعتك لى واعتنائك بى وكذا اذا تحلى بالحاء او بالجيم على الروايتين والمقصود واحد لان كان ظهور هذا الاسم فى ذلك اليوم واما الاتصاف بهذا الاسم فهو ازلا وابدا انتقم الله منه عاقبه والاسم النقمة وقرئ اذ بغير الالف ايضا وكلاهما متمحض للظرفية

﴿فان من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم﴾

هذا البيت بيان وتفسير وتعليل لقوله ولن يضيق والجود افاضة ماينبغى لمن ينبغى كما ينبغى لا لعوض ولا لغرض وضرة الدنيا هى الآخرة وانما سماها ضرة لها لان الجمع بينهما متعذر فى الارضاء او متعسر الا ان يوفق الله تعالى ولما كان النبى هو المقصود الاصلى من الوجود كما ينبئ عنه خطاب لولاك لما خلقت الكون فكأنه سبب لوجود لما سواه فكان الكون من وجوده مجازا اويكون على حذف المضاف اى حصول خيرهما من جودك وبركة شفاعتك وحرصك فى افاضة الخير والرحمة على السافلات والعلم امابمعناه او بمعنى العلوم اى معلوماتك المعلومات الحاصلة منهما ولعل الله اطلعه على جميع ما فى اللوح وزاده ايضا لان اللوح والقلم متناهيان فما فيهما متناه ويجوز احاطة المتناهى بالمتناهى هذا على قدر فهمك اما من اكتحلت بصيرته بالنور الالهى فيشاهد بالذوق ان علوم اللوح والقلم جزء من علومه كما هى جزء من علم الله سبحانه لانه عليه السلام عند الانسلاخ عن البشرية كما لا يسمع ولا يبصر ولا يبطش وينطق الا به جلت

قدرته وعمت نعمته كذلك لا يعلم الا باعلامه الذي لا يحيطون بشيء منه الا بما شاء كما اشار اليه بقوله وعلمك مالم تكن تعلم

﴿ يانفس لاتقنطي من زلة عظمت ان الكبائر في الغفران كاللمم
لعل رحمة ربي حين يقسمها تأتي على حسب العصيان في القسم ﴾

خاطبها بيا استبعادا لها عن مكان الزاني فنهاها عن القنوط لانها كفر النفس لها معان البدن والروح والدم والوجود الخاص وقيل النفس مايشير اليه كل احد بقوله انا والنفس التي من صفاتها الامارة واللوامة والملهمة والمطمئنة بحسب اطوارها ونفس ان قرئ بالضم فهو المنادى المفرد الذي تعرف بالقصد اليه فيكون النداء لكل نفس يقصد اليها وان قرئ بالكسر فهو بحذف ياء المتكلم والاكتفاء بالكسر القنوط اليأس ومن لابتداء الغاية والسببية والزلة الذنب اعم من ان يكون كبيرة اوصغيرة فصلح للتخصيص بالوصف لاالزلة التي جاءت في حق الانبياء وفي الغفران متعلق بالكاف في كاللمم لما فيه من رائحة الفعل اللمم الجنون وفي قوله تعالى الا اللمم قيل انه صغار الذنوب وهو المراد ههنا وقيل كل مس دون الوقاع وقيل انه ما الم على القلب وقيل ما لا حد عليه ولا اوعد عليه عذاب في الآخرة مثل الغمزة والقبلة وفي غريب التفسير اللمم النكاح وقيل انه الكبيرة التي ارتكبها الانسان مرة واحدة وتاب عنها وما آب اليها اعلم ان الذنوب ثلاثة اقسام كبائر وصغائر وزلات الكبيرة ما جاء عليه الوعيد او بولغ واكد في تحريمه في القرآن او في الحديث الصحيح او اجتمعت الامة على

الظاهريات والباطنيات من المبدأ الاول في الكائنات العلويات والسفليات واذا كان كذلك فلن يضيق جاهه بعناياته وكفايته ولا يعزب عن علمه حال ضراعته فلا تقصر جوده عن شفاعته

﴿ يانَفسِ لاتَقنَطي مِن زَلَّةٍ عَظُمَت * اِنَّ الكَبائِرَ فِي الغُفرانِ كَاللَّمَمِ ﴾

لما فرغ من الرجاء للشفاعة منه عليه السلام شرع في تأنيس النفس مخاطبا لها بيا استبعادا عن مظان الزلل ناهيا اياها عن القنوط فقال (يانفس) الخ روى نفس بضم السين على انه منادى مفرد معرفة وبكسرها على انه منادى مضاف الى ياء المتكلم وتخصيص النفس بالخطاب اشعار بان القنوط انما ينشأ من النفس و(لاتقنطي) من القنوط وهو اعظم اليأس وفي المفردات القنوط اليأس من الخير وبالفارسية «نوميد شدن از خير» * واعلم ان القنوط من رحمة الله علامة زوال الفطرة الاسلامية بانقطاع الوصلة بين الحق والعبد اذ لو بقي في شيء من نوره الاصلي لاراك اثر رحمته الواسعة السابقة على غضبه فرجاء وصول ذلك الاثر اليه لاتصاله بعالم النور بتلك البقية و(ا (زلة) الذنب اعم من ان يكون كبيرة اوصغيرة لاالزلة التي جاءت في حق الانبياء وعظمت بمعنى كبرت وجلت و(ان الكبائر) علة للنهي والكبائر جمع كبيرة وهي ما توعد الشارع عليه بخصوصه والذنب ما يذم الآتي به شرعا وقد اختلفت الروايات في المعصية الكبيرة * روى عن ابن عمر انها تسع ١ الشرك بالله ٢ وقتل النفس بغير حق ٣ وقذف المحصنة ٤ والزنا ٥ والفرار من الزحف ٦ والسحر ٧ واكل مال اليتيم ٨ وعقوق الوالدين المسلمين ٩ والالحاد في الحرم * وقيل كل معصية اصر عليها العبد فهي كبيرة وكل ما استغفر منها فهي صغيرة وتفصيل الكلام في رسالة مستقلة لابن نجيم في عد الكبائر و(في الغفران) متعلق بالكاف في قوله (كاللمم) واللمم بمعنى صغار الذنوب ﴿ وحاصل المعنى ﴾ يا ايتها النفس لاتيئسي من رحمة الله ومغفرته يأسا ناشئا من المعاصي التي كبرت وعظمت باصرارك لان الكبائر من المعاصي كصغار الذنوب في جنب غفران غفار الذنوب وقد وعد الله تعالى على طريق التأكيد والتشديد في قوله (ان الله يغفر الذنوب جميعا) الآية بغفران الذنوب وان كثرت وكانت بعدد الرمال والاوراق والنجوم سواء كانت صغائر او كبائر ونحوها قيل لما نزل قوله تعالى (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) انشد عليه السلام بهذا
(ان تغفر اللهم فاغفر جما * فاي عبد لك ما الما)

﴿ لَعَلَّ رَحمَةَ رَبّي حينَ يَقسِمُها * تَأتي عَلى حَسَبِ العِصيانِ فِي القِسَمِ ﴾

لما علل نهي النفس عن القنوط بقوله (ان الكبائر) الخ اورد عليه علة اخرى لكونه مما يعتنى بشأنه فقال (لعل رحمة ربي) الخ (لعل) للترجي وانما جاء به لان الاصلح لا يجب

مرحته والزلة ماقصدبه المعروف فاقفى الى المحظور من غير قصد اليه ولايكون الافضاء اليه غالبا او اكثريا والصغائر غيرها وقوله ان الكبائر فى الغفران كاللمم ارادتها فى جواز الغفران ورجائه كهى كاللمم ولكن الكبائر فى الغفران ابعد من غيرها على مقتضى النصوص الواردة فان الصغائر تكفر وتغفر بالحسنات دون الكبائر ولعل المعنى ان الكبائر فى جنب عظمة الغفران كاللمم ولهذا قيل اعظم الذنوب رؤية عظمة الذنب فى عظمة غفرانه ولعل استيناف مثل ان الكبائر لبيان علة لاتقنطى وابما جابه لان الاصلح لايجب على الله تعالى وهو فاعل مختار ولاتجاوز فعله الفضل والعدل وحين ﴿٢٢١﴾ ظرف لتأتى يقسمها اى على اهلها فى القسم متعلق بتأتى واماصفة

العصيان اى الكائن فى القسم فان الطاعة والمعصية كل منهما مقضى ومقدر ومقسوم عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لامحالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق وزنا النفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك اويكذبه ولوجوب الايمان بان مااصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك فان قيل مضمون البيت الثانى مخالف لما علم من النصوص القطعية من ان الجزاء على حسب العمل ووفقه وقد ورد فى الخبر الآلهى * جوزوا الصراط بعفوى ودخلوا الجنة برحمتى واقتسموها باعمالكم على انه قد تقرر فى العقول انه لابد من الملاءمة بين السبب والمسبب ولاملاءمة بين كثرة المخالفة وبين استحقاق كثرة الرحمة بل على ضدها قلنا ان فى القيامة موقفين للمؤمنين

على الله تعالى وهو فاعل مختار ولا تجاوز فعله عن الفضل والعدل والحكمة و(رحمة) منصوب على انه اسم لعل و(حين) ظرف لتأتى المؤخر (يقسمها) اى يفرقها (على حسب) صلة لتأتى والحسب بمعنى القدر و(العصيان) شامل للذنوب كلها صغيرها وكبيرها و(فى) ظرف لحسب و(القسم) بكسر القاف وفتح السين جمع قسمة بمعنى نصيب ﴿وحاصل المعنى﴾ يانفسى الامارة لاتقنطى من رحمة الله ومغفرته لان الكبائر كالصغائر بالنسبة الى مغفرته تعالى لانى ارجو واطمع ان تأتى رحمة ربى وغفرانه حين يقسمها ربى على مقدار العصيان * وفى البيت اشارة الى ماروى عن ابى هريرة انه قال سمعت رسول الله يقول (جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل فى الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه) فهذا يدل على كمال الرجاء والبشارة للمسلمين لانه حصل من رحمة واحدة ماحصل من النعم الظاهرة والباطنة فماظنك بمائة رحمة فى الدار الآخرة والى ماورد فى الخبر ايضا (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه واخباوا كبارها فيقال له فعلت كذا يوم كذا وهو مقر لاينكر وهو مشفق من الكبار فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لى ذنوبا ماعلمتموها ههنا) قال الراوى فقد رأيت رسول الله يضحك حتى بدت نواجذه وهذا يدل على سعة الرجاء

﴿يَارَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ * لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ﴾

لما ذكر الله تعالى فى البيت السابق بطريق الغيبة انتقل منه الى الخطاب اذ الرجاء بالخطاب ادعى الى الاجابة فقال (يارب) الخ كلمة (يا) موضوعة لنداء البعيد وقد

موقف العدل وفيه اظهار كمال العدل ودقائقه فى المجازات وفيه الجزاء على وفق العمل وموقف الفضل وفيه اظهار كمال الفضل وعجائبه وغرائبه وفيه لايبالى ارحم الراحمين بما يفيض وعلى من يفيض بعد التحلى بالايمان ولاشك ان فى هذا المقام اذا توجه العفو والرحمة الى العصاة فكل من كان اكثر عصيانا يكون حظه من العفو والرحمة اكثر حتى يتصلح حاله وهناك يختص برحمته من يشاء ومراد الناظم من الرجى المقام الثانى لاالاول وللتعويل فى هذا المقام قيل واوعدتنى حتى اذا ماملكتنى * صفحت وصفح المالكين جميل ﴿يارب واجعل رجائى غير منعكس * لديك واجعل حسابى غير منخرم﴾

ينادي القرب بما ينادي البعيد لحرص المنادي على اقبال المدعو عليه لما يدعو ه له او لجعله نفسه في عداد من لا يستأهل القرب لحقارة المنادي و (رب) محذوف الياء اكتفاء بالكسرة والرب بمعنى المالك والصاحب والمبلغ الى الكمال شيئا فشيئا (واجعل) وقع في بعض النسخ فاجعل بالفاء و (الرجاء) بمعنى الامل فالرجاء اما بمعنى اسم المفعول او اسم مصدر ومرجوه النجاة والسعادة و (غير منعكس) بالنصب مفعول اجعل وهو بمعنى غير مردود اذا انعكاس الرجاء بالخيبة وانعكاس المرجو بالهلاك والشقاء و (لدى) بمعنى عند و (الحساب) يطلق على ثلاثة معان العد والترقب والظن وكله جائز هنا فالمعنى على الاول واجعل عندي نعمك المتوالية وعلى الثاني واجعل ترقبي وانتظاري مزيد انعامك وعلى الثالث حسن ظني بك وقد قلت انا عند ظن عبدي بي و (غير منخرم) بمعنى غير منقطع من خرمه قطعه

﴿ وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ اِنَّ لَهُ * صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ ﴾

ثم اتم دعاءه من الله العلام برجاء لطفه العام الشامل فقال (والطف) الخ اللطف هو الاحسان الخفي او الذي ليس له سبب جلي قيل من لطفه تعالى بالعبد ابهام عاقبته عليه لانه لو علم سعادته لقل عمله واستند اليه ولو علم شقاوته لايئس وترك التذلل لديه وقيل من لطفه اخفاء اجله عليه ثم انه وضع المظهر موضع المضمر في قوله (بعبدك) مكان بي للاستعطاف كما في قوله «الهي عبدك العاصي اتاكا» وان له استيناف وتعليل لطلب اللطف و (في الدارين) متعلق باللطف والمراد بهما الدنيا والآخرة و (صبرا) بالنصب على انه اسم (ان) و (له) خبره وكلمة (متى) من الظروف الزمانية المتضمنة للشرط الجازمة للفعل و (تدعه) فيه روايات ثلاث بالدال بمعنى تطلبه وبالراء بمعنى تخوفه وفي اخرى تلقه من الملاقاة و (الاهول) جمع هول وهو الشدة والفزع و (ينهزم) مجزوم على الجزائية والجملة الشرطية مع الجزاء صفة صبرا ﴿ وحاصل المعنى ﴾ يا لطيف الطف واحسن بعبدك الضعيف المعترف بالمعاصي وسلمه في الدنيا والآخرة من الشدائد والافزاع لان لعبدك صبرا كائنا متى طلبته الاهوال او لاقته يفر صبره منه لكمال ضعفه

﴿ وَأْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ * عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ ﴾

لما علم انه لا ملجأ اقوى ولا منجأ اوثق من ملازمته عليه السلام ومتابعته في كل الاوقات والايام قال (وأذن) الخ الواو عاطفة وهذه الجملة معطوفة على اجعل والطف واذن بمعنى اعطاء الاجازة و (السحب) جمع سحاب والمراد من الصلاة مزيد الشرف والكرامة و (منك) صفة صلاة و (دائمة) صفة بعد صفة له و (على النبي) متعلق بصلاة او دائمة او بمقدر والمراد من النبي محمد عليه السلام

﴿ والطف بعبدك في الدارين أن له صبرا متى ترعه الاهوال ينهزم ﴾ قد ينادي القريب بما ينادي به البعيد لحرص المنادي على اقبال المدعو عليه لما يدعوه له ولجعله نفسه في عداد من لا يستأهل القرب لحقارة المنادي او لعظمة المنادي وقد يكون لغرض آخر رب الشيء مالكه والرب من اسماء الله تعالى ولا يقال لغيره تعالى الا بالاضافة واجعل رجائي بالواو او بالفاء على الروايتين معطوف على محذوف اي حقق رجائي او نحوه ومثل هذا للمبالغة في اظهار الطلب والرجاء اما مصدر او بمعنى اسم المفعول ومرجوه النجات والسعادة وانعكاس الرجاء بالخيبه وانعكاس المرجو بالهلاك والشقاء ولديك متعلق بمنعكس او برجائي والحساب يطلق على ثلاثة معان العد والترقب والظن والمعنى واجعل عدي نعمك المتصلة المتوالية او ترقبي مزيد انعامك او حسن ظني بك وقد قلت انا عند ظن عبدي بي غير منحزم اي منقطع من حزمه قطعه فانحزم ووضع المظهر موضع المضمر في قوله بعبدك مكان بي للاستعطاف كما في قوله * الهي عبدك العاصي اتاكا * وان استيناف وتعليل لطلب اللطف في الدارين صبرا اسم ان وله خبره والشرطية صفة خبرا وترعه مضارع راعه اي خوفه وضمير ينهزم الى الصبر والاهوال الافزاع او المهولات اللهم صل على حبيبك الذي باتباعه تنال الدرجات ﴿ واذن لسحب صلاة منك دائمة على النبي بمنهل ومنسجم ﴾

﴿ والآل والصحب ثم التابعين لهم ＊ اهل التقى والنقى والحلم والكرم ﴾ اذن له استمع اليه واذن به علم به فاذنوا الحرب واذن له الشيء اجاز والسحب جمع سحاب والمشهور بين الجمهور ان الصلاة حقيقة في الدعاء لغة وفي العبادة المخصوصة شرعا فالمسندة الى العباد حقيقة والى الله مجاز بعلاقة السببية وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن الانس والجن الدعاء بمزيد الخير والصلاة على الانبياء طلب مزيد اللطف والكرامة والمذكور في الكشاف في تفسير قوله تعالى ويقيمون الصلوة انها تحريك الصلوين حقيقة سميت الاركان المخصوصة بها لتحركهما فيها ثم سمي بها الدعاء تشبيها للداعي بالمصلي في تخشعه فهي في الدعاء استعارة من المجاز المرسل وكونها مشهورة فيما بينهم ومستعملة في تراكيبهم بمعنى الدعاء قبل شرعية الصلاة المشتملة على التخشع يؤيد المشهور ويأبى المذكور على ان الاشتقاق من غير الحدث قليل وفي تفسير قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ان الصلاة عبارة عن الاركان المخصوصة ثم نقل الى الانعطاف على الوجه الترحم كانعطاف عائد المريض عليه والمرأة على ولدها لوجوده فيهما ثم منه الى الترحم ثم منه الى الدعاء فيكون في الدعاء مجازا عن المجاز عن الاستعارة والمذكور في الفائق ان الصلاة تقويم العود ثم قيل للرحمة صلاة لاشتمالها على تقويم العمل ثم نقلت الى الدعاء ففي الدعاء مجاز مرسل عن استعارة ولا يخفى وجود المخالفة ظاهرا في كلام صاحب الكشاف فعلى الفطن ان ينظر اليه بعين الانصاف ولقد اشرنا الى الجواب في حواشي علقناها على شرح الكشاف والمعنى العام في الكل ارادة الخير قوله بمنهل متعلق بأذن اى باضافة مطر منصب سائلا بلا انقطاع من انهلت السماء صب وانهل المطر سال وسجم الدمع وانسجم سال ومنك صفة صلاة ودائمة اما صفة سحب واما صفة صلاة وعلى النبي حال من منهل قدمت عليه او ظرف لغو تعلق بعامل او من بمنهل ولا يحسن ان يتعلق بصلاة او بدائمة فتأمل وتقرب العبد الى الله الكبير المتعال كما يتوقف على التوسل بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك يتوقف على التوسل بآله واصحابه الكرام فلذا عقب الصلاة عليه بالصلاة عليهم تحصيلا للقربة وارشادا للامة وتكميلا للملة والآل اصله اهل والصحب تخفيف صاحب او جمع له عند من ذهب الى جعل ركب جمع راكب ثم التابعين نبه بكلمة ثم على تأخر رتبتهم عن رتبة الآل والاصحاب لهم متعلق بالتابعين كقولهم الضارب لزيد كذا اهل النقى مجرور صفة الفرق

و(بمنهل) متعلق بأذن اى باضافة مطر منصب سائلا بلا انقطاع من انهلت السماء اى صبت وانهل المطر سال (ومنسجم) من سجم الدمع وانسجم بمعنى سال ＊ ولله در الناظم الماهر حيث اتى بالصلاة على سيدنا المكرام بابلغ الوجوه واحسن الاكرام حيث جمع في بيت ذكر الصلاة ودوامها ونزولها ومبدأ النزول ومنتهاه وكثرتها في ضمن الانصباب وعمومها في طي السيلان ومحلها وتشبيهها بالامطار واثبات السحاب قيل في لفظ اذن ايذان بان سحب الصلاة حاضرة موقوفة على اذنه تعالى والاذن متحقق فانه تعالى والملائكة يصلون عليه

﴿ وَالآلِ وَالصَّحبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُم ＊ اَهلِ التُّقَى وَالنُّقَى وَالحِلمِ وَالكَرَمِ ﴾

لما كان تقرب العبد الى الله تعالى كما يتوقف على التوسل بحضرة النبي عليه السلام كذلك يتوقف على التوسل بحضرت آله واصحابه الكرام عقب الصلاة عليه عليه السلام بالصلاة عليهم تحصيلا للقربة وارشاداً للامة وتكميلا للملة فقال (والآل) الخ اصله اهل وآله عليه السلام كل من تبع دينه وقيل كل تقى نقى وفيه تفصيل لكن المراد به ههنا اهل بيته (والصحب) تخفيف صاحب او جمع له عند من يذهب الى جعل ركب جمع راكب وايراد كلمة (ثم) تنبيه على تأخر رتبتهم عن رتبة الآل والاصحاب او ايراده لمجرد الوزن كما في قوله « وعجمة ثم جمع ثم تركيب » و(لهم) متعلق بالتابعين والضمير للاصحاب والآل (واهل التقى) بالجر صفة لكل واحد منهم او بالرفع خبر مبتدأ محذوف اى هم والتقى بالضم التقوى واصله الوقى كالتراث والتقوى هو الاجتناب عن المحرمات ومافيه من الشبهات (والنقى) اى الخيار والطهارة من خبث المعاصي وفي بعض النسخ النهى مكانه وهو جمع

المذكورة او مرفوع خبر مبتدأ محذف اى هم النقى بالضم التقوى واصله الوقى من الوقاية فعوضوا التاء من الواو كما فى تجاه وتراث والنقى اى الخيار ونقاوة كل شئ خياره بالضم ويروى النهى مكانه جمع نهية وهى العقل نريد ان هؤلاء باجمعهم جامعون لهذه الصفات كاملون من جميع الجهات بشرف المصادفة لمصاحبة اشرف المخلوقات فاستحقوا لذلك السلام والصلاة لكن لا على طريق الاستقلال والاستعداد والاستبداد بل بطريق التبعية لاكمل العباد وهذه مسئلة مهمة يشتد الاحتياج اليها فلنصرف عنان العناية الى بيانها فنقول قد انعقد الاجماع على جواز الصلاة والسلام على جميع الانبياء عليهم السلام استقلالا بلا شبهة واما غير الانبياء كالاكابر من الصحابة والاولياء والصلحاء فكذلك انعقد الاجماع لكن على المنع منهما ثم اختلفوا فى طريق المنع انه مكروه او حرام فالجمهور على انه حرام مطلق لانه من شعائر الروافض واهل البدع وقد نهينا عن شعارهم

فلا يقال مثلا ابو بكر صلى الله عليه وسلم لكن الممنوع هو الصلاة والسلام عليهم بطريق الاستقلال واما بطريق التبعية بان يكون ذكرهم بعد ذكر النبى عليه السلام فقد وقع الاتفاق على جواز ذلك فطريقة الصحابة وغيرهم من الاولياء هى الترضية والترحم فان قيل اذا ذكر لقمان ومريم فهل يجوز الصلاة عليهما ام لا قلنا لا فان جمهور العلماء على انهما ليسا نبيين وانه شذ من قال انهما نبيان فلا تفريع عليه ولا التفات اليه وقال امام الحرمين قد ثبت الاجماع على ان مريم ليست بنبية قطعا

﴿مارنحت عذبات البان ريح صبا
واطرب العيس حادى العيس بالنغم﴾

رنحه ميله وما للمدة وتلك مدة بقاء الدنيا وريح فاعل رنحت واضافته الى الصبا من قبيل اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك والصبا ريح تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار ويقال لها القبول وعذبات مفعول رنحت وهو جمع عذبة وعذبة الشئ طرفه الرقيق اللطيف والبان نوع من الشجر له اغصان لطيفة واطرب اى اوقع فى الطرب وهى الخفة الحاصلة من السرور المقتضية للهزة والحركة والفعل منه طرب يطرب على وزن حفظ يحفظ العيس جمع اعيس كالبيض جمع ابيض وهى الابل التى يخالط بياضها شئ من الشقرة وقيل هى من كرائم الابل الحد وسوق الابل والغناء لها فغنها وهى لك الفداء ان غناء الابل الحداء النغم الكلام الخفى يقال نغم ينغم بالفتح والكسر وسكت فلان فما نغم بحرف اى ما تكلم بشئ وما تنغم مثله وفلان حسن النغم اى حسن الصوت والنغمة فى عرف الناس صوت يقصد به الاطراب * والله اعلم

نهية وهى العقل (والحلم والكرم) قد سبق بيانه فى اوصافه عليه السلام تذكر ﴿وحاصل المعنى﴾ يا مفيض الخير والجود انزل وافض رحمة دائمة على نبيك المصطفى ورسولك المرتضى واهل بيته واصحابه واتباعه الذين كلهم جامعون للصفات الجميلة والخصال الحميدة كالتقوى والنقاوة والحلم والكرم وهم كاملون من جميع الجهات بشرف تصادفهم لمصاحبة اشرف المخلوقات ولذا استحقوا لذلك السلام والصلاة

﴿مارنحت عذبات البان ريح صبا * واطرب العيس حادى العيس بالنغم﴾

ثم عقب الصلاة بما يبين دوامها الى يوم القيامة فلذا قال (مارنحت) الخ (ما) مصدرية بمعنى المدة وتلك مدة بقاء الدنيا و(رنحت) بمعنى حركت وامالت و(عذبات) مفعول رنحت وهو جمع عذبة بمعنى الغصن و(البان) نوع من الاشجار كما سبق فى مفتح القصيدة و(ريح) بالرفع فاعل رنحت وهو مؤنث سماعى واضافته الى الصبا من قبيل اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك و(الصبا) ريح تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار * قال فى حلبة الكميت اعلم ان الرياح اربع الصبا وتسمى القبول وهى تنفس عن المكروب * وفى ابن خلكان ان ريح الصبا استأذنت ربها فى ان تأتى يعقوب بريح يوسف عليه الصلاة والسلام

قبل ان يأتيه البشير بالقميص فاذن لها فاتته بذلك فلذا يستريح كل محزون بريح الصبا وهى من ناحية المشرق واذا هبت على الابدان نعمتها ولينتها وهيجت الاشواق الى الاوطان والاحباب والجنوب وهى تجمع السحاب ومنها خلقت الخيل كما ذكره الحاكم ابو عبد الله فى تاريخ نيسابور باسناده عن على ابن ابى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما اراد الله تعالى ان يخلق الخيل اوحى الى ريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فأتى جبريل فاخذ منها قبضة ثم قال الله تعالى هذه قبضتى ثم خلق فرسا كميتا وقال خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم الحديث والشمال والدبور وهى التى تهدم البنيان وتقلع الشجر وهى الريح العقيم والعاصف والصرصر المذكورة فى القرآن وكل ما فى القرآن من لفظ الريح فالمراد به الدبور * ثم ان اطرب بمعنى اوقع فى الطرب وهو بالتحريك الخفة الحاصلة للانسان من شدة السرور * والعيس بالنصب مفعول اطرب والعيس جمع اعيس كالبيض جمع ابيض وهو الابل البيض والتى يخالط بياضها شئ من الصفرة وحادى العيس بالرفع فاعل اطرب والحادى بمعنى السائق للابل وراعيها وتكرير العيس لقصد الاستلذاذ والنغم بفتحتين جمع نغمة وهى حسن الصوت ثم ان فى الختم بالنغم ايذانا بانه يلزم فى قراءة هذه القصيدة من نغمة لكونها شعرا ومن المعلوم ان الشعر يقرأ بالنغم ويحسن به * وحاصل معنى البيت يا مفيض الخير والجود ائذن وأمر للسحب بذلك مادام تحريك اغصان شجرة البان ريح الصبا ومادام اعطاء طرب وسرور سائق الابل الكرائم البيض اياها بالاصوات الحسنة * وقد وقع الفراغ من تصنيفه وتأليفه بعون الله الملك العلام * وبشفاعة سيد الانام فى شهر رمضان سنة اثنتين واربعين بعد المائتين والالف من هجرة نبى آخر الزمان * وارجو من كل اخوان توجيه ما وقع فيه من الزلل والفساد ناشئا من الجهل والغفلات * اذ هو اول ما افرغته فى قالب التصنيف * بعون الله تعالى الملك اللطيف * مع تشتت الحال * واشتغال البال
* بالاستفادة من الاساتيذ الكرام * والعلماء
الفخام * والحمد لله رب العالمين وصلى الله
تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه
اجمعين وسلم تسليما
كثيرا

قد قرضه اقاضل عصرنا واماثل جهابذة مصرنا * حيث قال الاستاذ العلامة * والجهبذ الفهامة * ذو التآليف المفيدة * والتصانيف المجيدة *

مولانا الشيخ ابراهيم الباجورى * المحرز لقصبات السباق اذا جورى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى شرح قلوب اهل العلم لافادة الاحكام * وجعلهم نجوم الهدى وشموس الاقتداء بين الانام * واثبت لهم التميز ورفع المقام * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى تشرفت بمدحه البردة والقصائد * وعلى آله واصحابه وعترته السادات الاماجد * وبعد فقد نزهت طرفى فى هذا الشرح الذى شرح القلوب بيانه * وسطع فى سماء التحقيق برهانه * فرأيت اسرار البلاغة فيه فاشية * وابكار الفصاحة فى خدور السطور ناشية * والبردة به اكتسب رقة الحاشية * فياله من شرح لطيف قد طرز البردة * واضحى بين الشروح عمدة * واحتوى على كثير من الآداب * واتى بالعجب العجاب * بحسن سبكة تقر العيون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فلله در مؤلفه لقد حقق لنا قول القائل الماهر * كم ترك الاول للآخر * كيف وهو زبدة افاضل السادة العلماء * وثمرة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء انسان عين اعيان الروم * رب المنطوق والمفهوم * حضرة سيد عمر افندى الحنفى مفتى مدينة خربوت المحمية لازال مبلغ الامنية * ولا برح رافلا فى اثواب المحاسن واردا من المعارف شرابا غير آسن * وجزاه الله خيرا عن هذا المرام واحسن لى وله الختام

وقال الامام الاكمل * والهمام الامثل * مولانا الشيخ ابراهيم السقا الذى هو اجل من عنه يتلقى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لك الحمد اوجدت العلماء فى الاعصار والامصار وجددت بهم الدين * ولك الشكر اودعت فى قلوبهم من الاسرار والانوار ما اوزعت به نفوسهم تمام التبيين * مننت عليهم بمنة توريث الانبياء فى العلم والعمل واحسنت اليهم بنعمة مدح مصطفاك ومختارك فى الابد والازل * ومنك سلسل الصلوات * ومسلسل التسليمات * على عين العناية والنعمة * ونفس الحماية والرحمة * وعلى آله الاشراف * واصحابه اهل الانصاف * امابعد * فقد حظيت برؤية هذا الشرح البديع الفائق * المورد الصفى الهنئ الرائق الذى خدم به اوحد العلماء الاعلام * ومفرد العظماء الفخام * الانسان الكامل * الجهبذ الفاضل ذو النسب الرفيع السامى * صاحب الادب البديع النامى * قاموس البلاغة والفصاحة ونبراس الافهام * السيد عمر افندى مفتى مدينة خربوت ومفيد الحكام صحيح الاحكام * بردة المديح للحضرة النبوية * الممدوحة بالمدائح

العلية من رب البرية * فوجدته بحرا احتوى على الدرر * وروضا استوى منه الثمر * وحوى من فنون الافنان الغرر اتجدت قياساته الصحيحة وابتهجت اشكاله * فزال عن مشروحه بما تضمنه غموضه واشكاله * يحق ان يقال فيه * هو البحر لكنه زاخر * هو الروض لكنه زاهر * فنزه الطرف بافنان فنونه مالها آخر * فجزى الله مؤلفه خير جزاء واثابه * وبلغه بجاه الممدوح بالمشروح آرابه * واحسن لى له ولاخواننا العواقب * واقامنا معه وادمنا على احسن الطرق واقوم المذاهب آمين

وقال العمدة الفاضل * الجامع بين الفضائل والفواضل * مولانا الشيخ محمد الابراشى الجدير بتحقيق الشروح والحواشى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد منك اليك يامن جعلت العلماء مصابيح تهتدى بهم فى حلك الظلام * وخصصتهم بخصيصة الخشية حتى انتشر فضلهم وظهر للخاص والعام * والصلاة والسلام على سيدنا محمد محمد الاوائل والاواخر * وعلى آله واصحابه اولى المآثر والمفاخر * امابعد * فلما نظرت الى محاسن روض ماتضمنته هذه الطروس من ازاهر المعانى * وما اودعه كنز هذه الصحائف من الدر المباهى به المعانى * قلت هذه روضة تمايلت اغصانها * وتدلت افنانها * وعبقت ازهارها * وطابت ثمارها وتدفقت انهارها * ام حلة ابهر الناظر رونقها وادهش الالباب تأنقها * ام بردة اجيد طرازها * ام آيات اخرس البلغاء اعجازها * ام عقود تلألأت فرائدها * وانتظمت قلائدها * بل هى درر تنافست التيجان فى نفائسها فما طالت * وتطاولت الاكاليل ان تحسن بها فما نالت * لم لا وهى جمع من فضله بين البرية معلوم * ومن حسدت العرب العرباء عليه الروم * خرجت كلماته من قلب سليم * واخلاص فى حب صاحب الشفاعة من صميم * فما كل من جمع الف ولا كل من اكثر النقل والعزو صنف * انما تلك مواهب وهب بها المولى لمن شاء وجعله اولى * وكل يدعى وصلا بليلى * فدونك شرحا صار لبردة المديح كالطراز المعلم * واابان ببلاغته وحسن انسجامه انه خير شرح عليها تكلم وترجم * فمن تأمله كذب قول القائل ماترك الاوائل كلمة لقائل * هذا وانى وان مددت ذراعى * واجلت فى ميدان مديحه يراعى * وقطعت فى ذلك ليل ونهارى * وشمرت عن الساق ازارى * فما انا

فى كمال محاسنه الاذ وقصور * اذ لاتساوى الحجر الارضية القصور * كيف
لا ومؤلفه حائز لشرف فى العلم والنسب * مفخر العجم والعرب * الهمام العلامة
ألا انه شيخ الاسلام * والعمدة الفهامة ألا انه ملك العلماء الاعلام *
الحسيب النسيب * لِلآخذ من كل فن اوفر نصيب * المتوكل على المعيد
المبدى سيدى السيد عمر افندى مفتى مدينة خربوت المحمية
صانه الله تعالى وحفظه من كل رزية وبلية *
ابقاه الله راقيا ذرى المعالى رافلا فى حلل الحبور
على ممر الليالى * ماترنم بمدح سيد
الكائنات مادح * وتليت قصيدة
البردة بين الممادح وعبق
مسك الختام بارئحة
الفائح
م م
م